الجزء الثالث من كتاب انسان العيون
فى سيرة الامين المأمون عليه الصلاة
والسلام تأليف العالم العلامة نور
الدين على الحلبى الشافعى
رحمه الله تعالى وأعاد
علينا من بركات
علومه
آمين

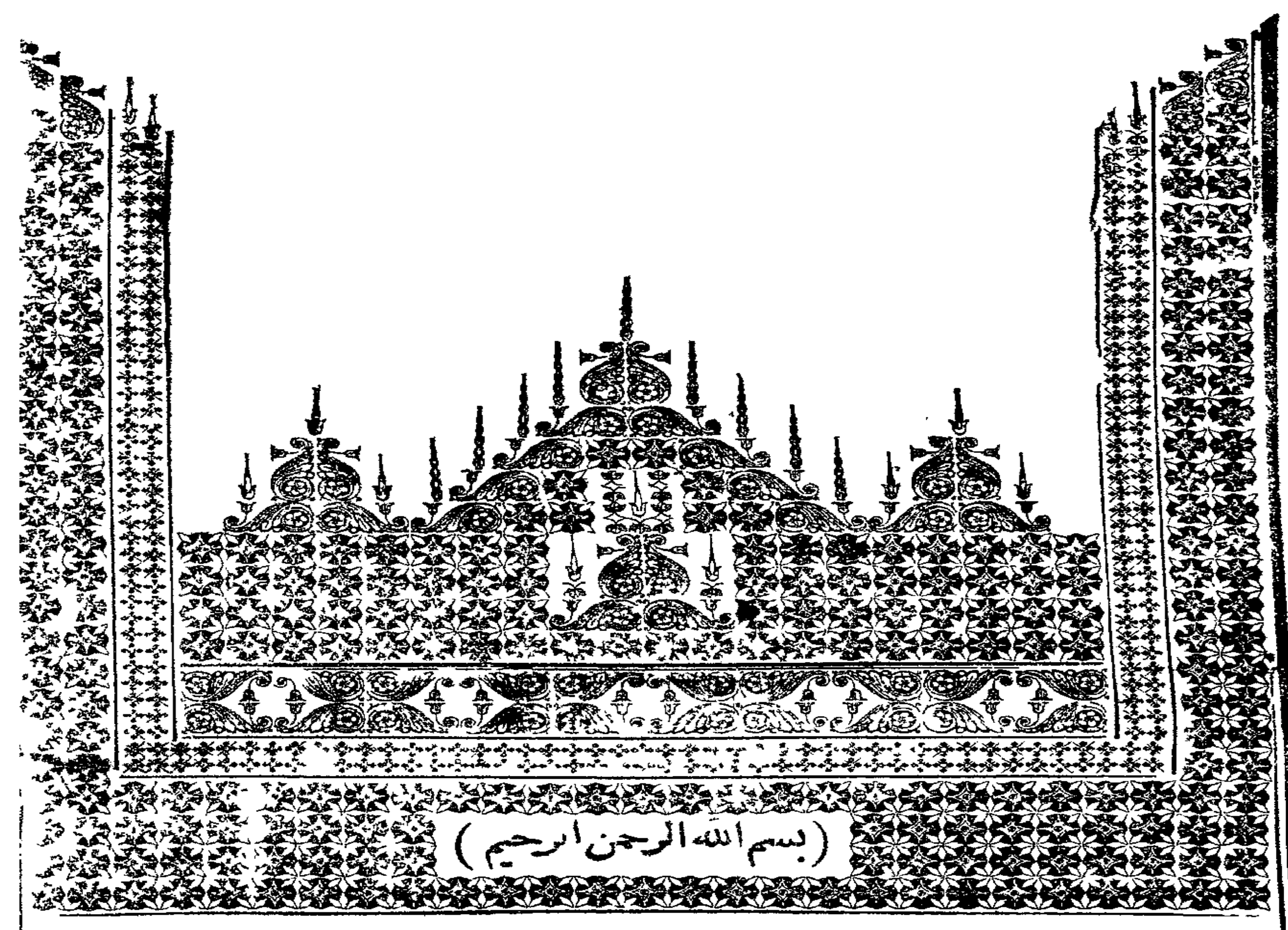
(فهرسة الجزء الثالث من السيرة الحلبية)

صحيفة

غــــرة

صحيفة

صحيفة



(غزوة بنى النضير)

وهم قوم من اليهود بالمدينة وفى كلام بعضهم بنو النضير هؤلاء حى من يهود خيبر أى وقريتهم كان يقال لها زهرة كانت تلك الغزاة فى ربيع الاول أى من السنة الرابعة وقيل كانت قبل وقعة أحد * قال وبه قال البخارى قال ابن كثير والصواب ايرادها بعد أحد كما ذكر ذلك ابن اسحاق وغيره من أئمة المغازى انتهى أمر صلى الله عليه وسلم الناس بالتهيؤ لحرب بنى النضير والسير اليهم واختلف فى سبب ذلك فمن جملة ما قيل انه ذهب اليهم ليسألهم كيف الدية فيهم أى لانه كان بينهم وبين بنى عامر قبيلة الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية عند رجوعه من بئر معونة غيلة حلف وعقد وقيل ذهب اليهم ليستعين بهم فى دية الرجلين المذكورين أى وكان صلى الله عليه وسلم أخذ العهد على اليهود أن يعاونوه فى الديات وقيل لاخذ دية الرجلين منهم لان بنى النضير كانوا حلفاء لقوم الرجلين المذكورين وهم بنو عامر كذا فى الاصل فليتأمل فان فيه أخذ الدية من حلفاء المقتول وسار اليهم صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه أى دون العشرة فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله تعالى عنهم فقالوا له نعم يا أبا القاسم حتى تطعم

وترجع بحاجتك وكان صلى الله عليه وسلم جالساً الى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فقال أحد ساداتهم انا لذلك أي وهو عمرو بن جحاش وقال لهم سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به انه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه فلما صعد ذلك الرجل ليلقي الصخرة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أي مظهرا انه يقضي حاجته وترك أصحابه في مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ولم يعلم من كان معه من أصحابه فقاموا في طلبه لما استبطؤه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه فقال رأيته داخل المدينة فأقبل أصحابه حتى انتهوا اليه فأخبرهم صلى الله عليه وسلم بما أرادت بنو النضير وقد أشار الى ذلك الامام السبكي في تائيته بقوله

وجاءك وحي بالذى أضمرت بنو النضير وقد هموا بالقاء صخرة

أي وفى رواية لما رأوا قلة أصحابه قالوا نقتله ونأخذ أصحابه اسارى الى مكة فنبيعهم من قريش أي ولا مانع من وجود الامرين وقيل السبب في خروجه صلى الله عليه وسلم اليهم أنهم أرسلوا اليه أن اخرج الينا في ثلاثين من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حبرا فان صدقوك وآمنوا بك آمنا بك فلما غدا عليهم في ثلاثين من أصحابه قال بعضهم لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون كل يحب ان يموت قبله فأرسلوا اليه أن اخرج في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا فان آمنوا بك اتبعناك ففعل واشتملت اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأة من بني النضير لاخ لها مسلم تعلمه بذلك فأعلم أخوها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فرجع ولا مانع من وجود ذلك مع ما تقدم لكن في السيرة الشامية أن خبر ذلك بلغه قبل وصوله اليهم فرجع فبينما بنو النضير على ذلك أي على ارادة القاء الحجر والتهيء لالقائه اذ جاء جاء من اليهود من المدينة فقال لهم ما تريدون فذكروا له الامر فقال لهم أين محمد قالوا هذا محمد فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فاسقط في أيديهم وقالوا قد أخبر بأمرنا فأرسل اليهم محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه أن اخرجوا من بلدي يعني المدينة لان قريتهم من أعمالها فلا تساكنوني بها فقد هممتم بما هممتم به من الغدر أي وأخبرهم بما هموا به من ظهور عمرو بن جحاش على ظهر البيت ليطرح الصخرة فسكتوا ولم يقولوا حرفا قال ويقول لكم قد أجلتكم عشرا فمن رؤي بعد ذلك ضربت عنقه واقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذلك لا ينافي ما تقدم من ارادة قتله أيضا قيل وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم

أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ولا ينافي ذلك ماتقدم من نزولها في حق دعثور في غزوة ذي أمر لجواز تكرار النزول فأرسلوا في احضار الابل فأرسل اليهم المنافقون أن لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم ان قوتلتم فلكم علينا النصر وان أخرجتم لن نتخلف عنكم خصوصا عبد الله بن أبي بن سلول فانه أرسل لهم لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حيكم فان معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل ان يوصل اليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنو النضير فيما قال ابن أبي فأرسلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فأظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون لتكبيره وقال حاربت يهود قال والمتولي أمر ذلك سيد بني النضير حيي بن أخطب والد صفية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وقد نهاه أحد سادات بني النضير وهو سلام بن مشكم وقال له منتك نفسك والله يا حيي الباطل فان قول ابن أبي ليس بشيء وانما يريد ان يورطك في الملكة حتى تحارب محمدا فيجلس في بيته ويتركك ألا ترى انه أرسل الى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة ان تمدكم بنو قريظة فقال له لا ينقض رجل واحد منا العهد فأيس من بني قريظة وأيضا قد وعد حلفاءه من بني قينقاع مثل ما وعدك حتى حاربوا ونقضوا العهد وحصروا أنفسهم في صياصيهم أي حصونهم وانتظروا ابن أبي فجلس في بيته وسار اليهم محمد حتى نزلوا على حكمه فاذا كان ابن أبي لا ينصر حلفاءه ومن كان يمنعه من الناس ونحن لم نزل نضربه بسيوفنا مع الاوس في حروبهم أي لانه اذا كان بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت بنو النضير وقريظة مع الاوس فكيف يقبل قوله فقال حيي يأبى الا عداوة محمد والا قتاله قال سلام فهو والله جلاؤنا من أرضنا وذهاب أموالنا وشرفنا وسبي ذرارينا مع قتل مقاتلينا فأبى حيي الا محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له بنو النضير أمرنا لامرك تبع لن نخالفك فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكر انتهى فتهيأ الناس لحربهم فلما اجتمع الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وحمل رايته على بن أبي طالب وسار بالناس حتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون بالنبل والحجارة أي وفي كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالمسير الى بني النضير فسار بهم اليهم فوجدهم ينوحون على كعب ابن الاشرف أي الآتي في قتله في السرايا قالوا يا محمد داعية أثر داعية وباكية أثر باكية ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر أمرك فقال لهم اخرجوا من المدينة قالوا الموت أهون

من ذلك ثم تبادروا بالحرب هذا كلامه * قال ولما جاء وقت العشاء رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فى عشرة من أصحابه عليه الدرع وهو على
فرس واستعمل على العسكر على بن أبى طالب و يقال أبابكر وبات المسلمون
يحاصرونهم ويكبرون حتى أصبحوا ثم أذن بلال بالفجر فغدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى أصحابه الذين كانوا معه فصلى بالناس وأمر بلالا فضرب القبة وهى
قبة من خشب عليها مسوح فدخل صلى الله عليه وسلم فيها وكان رجل من يهود
يقال له غزول وكان أعسر راميا يبلغ نبله مالا يبلغه نبل غيره فوصل نبله تلك القبة
وأمر بها فحولت و فى ليلة من الليالى فقد على رضى الله تعالى عنه قرب العشاء
وقال الناس يا رسول الله ما نرى عليا فقال دعوه أى اتركوه فانه فى بعض
شأنكم فعن قليل جاء برأس الرجل الذى يقال له غزول الذى وصل نبله قبته
صلى الله عليه وسلم كمن له على حين خرج يطلب غيره من المسلمين ومعه جماعة
فشد عليه فقتله وفر من كان معه فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع على
أبادجانة وسهل بن حنيف فى عشرة فأدركوا أولئك الجماعة الذين كانوا مع غزول
وفروا من على فقتلوهم انتهى وذكر بعضهم ان أولئك الجماعة كانوا عشرة وانهم
أتوا برؤسهم فطرحت فى بعض الآبار و فى هذا رد على بعض الرافضة حيث ادعى
ان عليا هو القاتل لأولئك العشرة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل
أى وبحرقها بعد ان حاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما أى وقيل عشرين ليلة
وقيل ثلاثة وعشرين ليلة وقيل خمسة وعشرين ليلة وكان سعد بن عبادة رضى الله
تعالى عنه فى تلك المدة يحمل التمر للمسلمين أى يجاء به من عنده * قال واستعمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قطع النخل أباليلى المازنى وعبد الله ابن سلام
وكان أبو ليلى يقطع العجوة وعبد الله يقطع اللين أى و يقال له اللون وهو ما عدا العجوة
والبرنى من أنواع التمر بالمدينة * ومن أنواع تمر المدينة الصيحانى وجاء عن على
كرم الله تعالى وجهه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاحت نخلة
بأخرى هذا النبى المصطفى وعلى المرتضى فقال صلى الله عليه وسلم يا على اتسامى
نخل المدينة أى هذا النوع صيحانيا لانه صاح بفضلى وهو حديث مطعون فيه قيل
انه كذب والبرنى بالفارسية حمل مبارك أو جيد وفى شرح مسلم للنووى انها مائة
وعشرون نوعا أى وفى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى وان أنواع التمر بالمدينة
التى أمكن جمعها بلغت مائة وبضعا وثلاثين نوعا ويوافقه قول بعضهم اختبرناها
فوجدناها أكثر مما ذكره النووى قال ولعل ما زاد على ما ذكره حدث بعد ذلك

أي وأما أنواع التمر بغير المدينة كالمغرب فلا تكاد تنحصر فقد نقل ان عالم فاس محمد بن غازي أرسل الى عالم سجلماسة ابراهيم بن هلال يسأله عن حصر أنواع التمر بتلك البلدة فأرسل اليه حملا أو حملين من كل نوع تمرة واحدة وكتب اليه هذا ما تعلق به علم الفقير وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم رأيت في نسق الازهار ان بهذه البلدة رطبا يسمى البتوني وهو أخضر اللون وأحلى من عسل النحل ونواه في غاية الصغر وكانت العجوة خير أموال بني النضير أي لانهم كانوا يقتاتونها وفي الحديث العجوة من الجنة وثمرها أحسن غذاء أي وتقدم أن آدم نزل بالعجوة من الجنة وفي البخاري من تصبح كل يوم على سبع تمرات عجوة لم يصبه في ذلك اليوم سم ولا سحر أي وقد جاء في عجوة العالية شفاء وانها ترياق أول البكرة من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك سم ولا سحر أي وفي كلام بعضهم العجوة ضرب من التمر أكبر من الصيحاني تضرب الى سواد وهو مما غرسه النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بالمدينة أي وقد علمت انها في نخل بني النضير وفي العرائس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء بالآسة وهي سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهي سيدة طعام الدنيا والعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا وروى عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العجوة من غرس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرني فكلوه فانه يسبح في شجره ويستغفر لآكله هذا كلام العرائس وفي حديث وفد عبد القيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ذلك وذكر البرني أنه من خير تمركم وأنه دواء وليس بداء وجاء بيت لا تمر فيه جياع أهله قال ذلك مرتين ولما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل أي وذلك البعض الذي حرق كان بمحل يعرف بالبويرة انتهى أي والبويرة تصغير بورة وهي هنا الحفرة ويقال لها البولة باللام بدل الراء وعند ذلك نادوه أي يا محمد وفي رواية أي يا أبا القاسم قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها أي وفي رواية ما هذا الفساد وفي لفظ قالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح أفمن الصلاح قطع النخل وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الارض وقالوا المؤمنين انكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون وحينئذ وقع في نفوس بعض المسلمين من ذلك شيء فأنزل الله تعالى ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين أي في قولهم ان ذلك من الفساد قال بعضهم جميع ما قطعوا وحرقوا ست نخلات ولا زال عبد الله

ابن

أبي ابن سلول يبعث لبني النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم أي ومعه على ذلك جمع من قومه فانتظروا ذلك فخذلهم ولم يحصل لهم منه شيء أي وجعل سلام بن مشكم وكنانة بن صوريا يقولان لحيي أين نصر ابن أبي الذي زعمت فيقول حيي ما أصنع هي ملحمة كتبت علينا ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم حصارهم وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة أي آلة الحرب ففعل فحملوا النساء والصبيان وحملوا من أموالهم غير الحلقة ما استقلت به الابل وكانت ستمائة بعير وكان الرجل يهدم بيته عما استحسن من خشبه كبابه وكتاف به أي أسكفته فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به أي وفي لفظ صاروا ينقضون العمد والسقوف وينزعون الخشب حتى الاوتاد وينقضون الجدران حتى لا يسكنها المسلمون حسدا وبغضا وفي رواية جعل المسلمون يهدمون ما يليهم من حصنهم ويهدم الآخرون ما يليهم * قال وفي رواية انهم خرجوا مظهرين التجلد خرجت النساء على الهوادج وعليهن الديباج والحرير وقطف الخز الاخضر والاحمر وحلي الذهب والفضة وخلفهم القيان بالدفوف والمزامير ومنهم سلمى أم وهب * وقال ابن اسحاق أم عمرو صاحبة عروة بن الورد الذي قيل فيه من قال ان حاتما أسمح العرب فقد ظلم عروة بن الورد أغار عروة على قومها فسباها ثم اتخذها حليلة له فجاءت منه بأولاد ثم ان بعض بني النضير اشتراها من عروة بعد ان سقاه الخمر ثم لما أفاق ندم ثم اتفق هو ومن اشتراها على أن تكون عند من تختاره فخيرها فاختارت من اشتراها * وقيل ان قومها جاؤا اليه بفدائها فخيرها وكان لا يظن ان تختار عليه أحدا فاختارت قومها فندم وعند مفارقتها له قالت له والله ما أعلم امرأة من العرب أرخت سترا على بعل مثلك أغض طرفا ولا أندى كفا ولا أغنى غناء وانك لرفيع العماد كثير الرماد خفيف على ظهر الخيل تقبل على متون الاعداء وأحمى الاهل والجار وما كنت لاوثر عليك أهلي لولا اني كنت أسمع بنات عمك يقلن قالت أم عروة وفعلت أم عروة فأجد من ذلك الموت والله لا يجامع وجهي وجه أحد من أهلك فاستوص ببنيك خيرا ثم تزوجت في بني النضير وشقوا سوق المدينة وصف لهم الناس فجعلوا يمرون قطارا في أثر قطار وان سلاما ابن أبي الحقيق رافعا جلد جمل أي أو ثور او حمار مملوءه حليا وينادي باعلى صوته هذا أعددناه لرفع الارض وخفضها وان كنا تركنا نخلا في خيبر النخل وحزن المنافقون لخروجهم أشد الحزن انتهى وهذا الحلي كانوا يعيرونه للعرب من أهل مكة وغيرهم وكان

يكون عند آل أبي الحقيق وسبيأتي في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم عبر
عن هذا الحلي بالآنية والكنز وأنه كان سببا لقتل ولدى أبي الحقيق لما كتماه
عنه صلى الله عليه وسلم فنهم من سار الى خيبر أى ومن جملة هؤلاء أكابرهم حيي
ابن أخطب وسلام ابن أبي الحقيق وكنانة بن أبي الربيع بن أبي الحقيق فلما نزلوا
خيبر دان لهم أهلها ومنهم من سار الى الشام أى الى أذرعات وكان فيهم جماعة
من أبناء الانصار لان المرأة من الانصار كان اذا لم يعش لها ولد تجعل على نفسها
ان عاش لها ولد تهوده فلما أجليت بنوا النضير قال آباء أولئك لا ندع ابناءنا وأنزل
الله تعالى لا اكراه في الدين وهي مخصوصة بهؤلاء الذين تهودوا قبل الاسلام والا
فاكراه الكفار الحربيين على الاسلام سائغ ولم يسلم من بنى النضير الارجلان أى
وهما يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب قال أحدهما لصاحبه والله انك لتعلم أنه
رسول الله فما تنتظر أن نسلم فنأمن على دمائنا وأموالنا فنزلا من الليل وأسلما (ه)
وأحرزوا أموالهما أى وجعل يامين لرجل من قيس جعلا أى وهو عشرة دنانير وقيل
خمسة أوسق من تمر على قتل عمرو بن جحاش الذى أراد ان يلقي الحجر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقتله غيلة أى بعد أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامين
ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأنى فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم
ونزل في أمر بنى النضير سورة الحشر ولذلك كان يسميها ابن عباس سورة بنى
النضير كما في البخاري وفي كلام السبكي رحمه الله لم يختلفوا ان سورة الحشر نزلت
في بنى النضير وقد أشار لقصتهم صاحب الهمزية بقوله

خدعوا بالمنافقين وهل ✽ ينفق الاعلى السفيه الشقاء
ونهيتم وما انتهت عنه قوم ✽ فأبيد الامّار والنهاء
أسلموهم لاول الحشر لا ✽ ميعادهم صادق ولا الايلاء
سكن الرعب والخراب قلوبا ✽ وبيوتا منهم نعاها الجلاء

أى وخدعهم قول المنافقين انهم يكونون معهم وينصرونهم على النبي صلى الله عليه
وسلم وما يروج لشقاء الاعلى السفيه والمراد بالمنافقين عبد الله بن أبي بن سلول
ومن كان معه على النفاق لانه كما تقدم لا زال يرسل لهم ان اثبتوا وتمنعوا فانكم
ان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم ونهاهم عن موافقة سلام بن
مشكم فلم ينتهوا واسلمهم أولئك المنافقون لاول الحشر وهو أى الحشر جلاؤهم
وخروجهم من ديارهم فميعادهم لهم بأن ينصروهم على النبي صلى الله عليه وسلم
غير صادق وكذا حلفهم لهم على ذلك غير صادق ايضا ذكر موسى ابن عقبة انهم كانوا

من سبط لم يصبهم جلاء قبلها فلذلك قال لاول الحشر والحشر الجلاء وقيل المراد بالحشر أرض المحشر فانهم قالوا الى أين نخرج يا محمد قال الى الحشر يعني أرض المحشر والحشر الثاني هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن فيحشر الناس الى الموقف وقيل الحشر الثاني لهم كان على يد سيدنا عمر رضي الله عنه أجلاهم من خيبر الى الى تيما وأريحا وسيأتي ذكره وسكن الرعب وهو خشية انتقامه صلى الله عليه وسلم منهم قلوبهم وسكن الخراب بيوتهم وقد أخبر تلك البيوت بموت أهلها خروجهم وجلاؤهم من أرضهم وأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب وهم بنو النضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أي في خذلانكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم مثلهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان أكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين ووجد صلى الله صلى الله عليه وسلم من الحلقة أي آلة السلاح خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة وأربعين سيفا ولم يخمس ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أي كما خمس أموال بني قينقاع * قال وقد قال له عمر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله الا تخمس ما أصبت أي كما فعلت في بني قينقاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجعل شيأ جعله الله لي دون المؤمنين بقوله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الآية كهيئة ما وقع فيه السهمان (ه) أي فكان أموال بني النضير وعقارهم فيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وتقدم التنبيه على ذلك في غزوة بني قينقاع وفسرت القرى بالصفراء ووادي القرى أي ثلث ذلك كما في الامتاع وينبع وفسرت القرى ببني النضير وخيبر أي بثلاث حصون منها وهي الكتيبة والوطيح وسلالم كما في الامتاع وفدك أي نصفها كما في الامتاع ذكره الرافعي في شرح مسند امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه * أقول قال بعضهم وهذا أول في حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما تقدم في غزوة بني قينقاع الا أن يقال المراد أول فئ اختص به صلى الله عليه وسلم ولم يقسمه قسمة الغنيمة على ما تقدم ثم دعا الانصار الاوس والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين من انزالهم في منازلهم وايثارهم على أنفسهم بأموالهم ثم قال لهم ان اخوانكم المهاجرين ليس لهم أموال فان شئتم قسمت هذه الاموال أي التي أفاء الله على وخصني بها مع أموالكم بينكم جميعا وان شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت وفي رواية ان

أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله على من بني النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم أي الارض والنخل لانه لما قدم المهاجرون من مكة الى المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء وكان الانصار أهل الارض والعقار أي النخل فآثروهم بمتاع من أشجارهم فنهم من قبلها منيحة محضة ويكفونهم العمل ومن منهم من قبلها بشرط أن يعمل في الشجر والارض وله نصف الثمار ولم تطب نفسه أن يقبلها منيحة محضة لشرف نفوسهم وكراهتهم أن يكونوا كلا وان أحببتم أعطيتهم أي وخرجوا من دوركم أي وأموالكم فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا يا رسول الله بل تقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا بل نحب أن تقسم ديارنا وأموالنا على المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وعشائرهم وخرجوا حبا الله ولرسوله ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار زاد في رواية وأبناء أبناء الانصار وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه جزاكم الله يا معشر الانصار خيرا أي وأنزل الله تعالى فيهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة أي ولو كان بهم فاقة وحاجة الى ما يؤثرون به فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بين المهاجرين أي وفي كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يعم المهاجرين ولم يعط أحدا من الانصار الا رجلين كانا محتاجين أي وهما سهل بن حنيف وأبو دجانة وبعضهم ضم اليهما ثالثا وهو الحارث بن الصمة وتغلط فيه بعضهم بأنه قتل في بئر معونة وأعطا سعد بن معاذ سيف بن أبي الحقيق أحد سادات بني النضير وكان سيفا له ذكر عندهم وكان صلى الله عليه وسلم يزرع أرضهم التي تحت النخل فيدخر من ذلك قوت أهله سنة وما فضل يجعله في الكراع أي الخيل والسلاح عدة في سبيل الله تعالى ✱ أقول فيه تصريح بأنه لم يقسم الارض ويحتمل أن المراد بقوله كان يزرع أرضهم التي تحت النخل أي بعض أرضهم ويدل له ما يأتي ولم أقف على كيفية زرعه صلى الله عليه وسلم للارض من مزارعة أو غيرها وفي الخصائص الكبرى عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نخل بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أعطاه الله تعالى اياه وخصه بها فأعطى أكثرها المهاجرين وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الانصار وهذا السياق يدل على ان مراده بنخل بني النضير أموالهم كما تقدم في الروايات لا خصوص النخل ثم رأيت في عبارة بعضهم وأكثر الروايات على ان أموال بني النضير أي من مواشيهم كالخيل ومزارعهم وعقارهم حق لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة له

خصه الله تعالى بها لم يخمسها ولم يسهم منها لاحد وأعطى منها ما أراد ووهب العقار للناس وأعطى أبا بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وصهيب وأبا سلمة بن عبد الاسد ضياعا معروفة من ضياع بني النضير ولعل المراد بالضياع الاراضي ويدل لذلك ما في البخاري أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أرضا من أراضي بني النضير كما ان ذلك هو المراد بقوله الامتاع وكانت بنوا النضير من صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلها حبسا لنوائبه وكان صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله منها وكانت صدقاته منها وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون أعطى بعض أراضي وأبقى بعضها يزرع له صلى الله عليه وسلم ولما أعطى المهاجرين أمرهم بردما كان للانصار لاستغنائهم عنهم ولانهم لم يكونوا ملكوهم ذلك وانما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لينتفعوا بثمرها وظنت أم أيمن ان ذلك ملك لها فامتنعت من رده أي لان أم أنس كانت أعطته صلى الله عليه وسلم نخلات فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم أيمن ولم ينكر عليها ذلك تطييبا لقلبها لكونها حاضنته وصار يعطيها وهي تمتنع من رده الى ان أعطاها عشرة أمثاله أو قريبا من ذلك وذكر هذا في بني النضير يخالف ما في مسلم أن ذلك كان عند فتح خيبر حيث ذكر أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قتال أهل خيبر وانصرف الى المدينة رد المهاجرون الى الانصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم وذكر قصة أم أيمن فليتأمل والله أعلم

(غزوة ذات الرقاع)

أي وتسمى غزوة الاعاجيب أي لما وقع فيها من الامور العجيبة وغزوة محارب وغزوة بني ثعلبة وغزوة بني أنمار عن ابن اسحاق رحمه الله ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الاول وقال غيره شهري ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة حين بلغه صلى الله عليه وسلم انهم جمعوا الجموع أي من غطفان لمحاربته فخرج صلى الله عليه وسلم في أربعمائة من أصحابه رضي الله عنهم أي وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة (ه) أي واحتج البخاري رحمه الله على ان هذه الغزاة كانت بعد خيبر بما رواه عن أبي موسى رضي الله عنه مما يدل على ان أبا موسى شهدت غزاة ذات الرقاع وهو خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر بيننا بعير فنقبت أقدامنا فنقبت قدماي وسقطت أظفاري فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزاة ذات الرقاع اذا ثبت ان أبا موسى شهد غزاة ذات الرقاع وثبت انه لم يجيء اليه صلى الله عليه وسلم من الحبشة الا بخيبر لزم أن تكون غزوة ذات الرقاع بعد خيبر الا أن يدعى تعدد غزوة ذات الرقاع مرتين وانها كانت قبل خيبر

وبعدهـا والتى وجدت فيها صلاة الخوف هى الثانية * أى والسبب فى تسميتها ذات الرقاع ما تقدم عن أبى موسى رضى الله عنه وحيث كانت بعد خيبر يلزم أن تكون بعد الخندق لقول الحافظ ابن حجر رحمه الله صلاة الخوف فى غزوة الخندق لم تكن شرعت أى لانها لو كانت شرعت لصلاها صلى الله عليه وسلم ولم يؤخر الصلوات كما سيأتى وسيأتى الجواب عن ذلك * وقد ذكرها الشمس الشامى رحمه الله تعالى بعد خيبر والاصل لم يذكر ما تقدم عن البخارى بل رواه بالمعنى فقال روينا فى صحيح البخارى من حديث أبى موسى رضى الله عنه انهم نقبت أقدامهم فلفوا عليها الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع * قال وجعله أى البخارى حديث أبى موسى هذا حجة على ان غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر لان أبا موسى انما قدم فى خيبر * لا دلالة فيه على ذلك أى لانه يجوز أن يكون قول أبى موسى رضى الله عنه انهم نقبت أقدامهم يعنى الصحابة فيكون هذا مما رواه أبو موسى عمن شاهد الوقعة من الصحابة * وفيه ان هذا لا يأتى مع قول البخارى عن أبى موسى فنقبت قدماى وسقطت أظفارى اذ هو صريح فى ان أبا موسى رضى الله عنه حضرها * والاصل تبع فى تقديمها على خيبر شيخه الدمياطى * وتابعه أيضا فى رواية ما تقدم عن البخارى بالمعنى * ونظر الدمياطى فى رواية أبى موسى أى التى فى البخارى التى رواها عنه بالمعنى بأنها مخالفة لما عليه أهل المغازى من تقديمها على خيبر * قال الحافظ ابن حجر وادعى الدمياطى غلط الحديث الصحيح وان جميع أهل السير على خلافه والاعتماد على ما فى الصحيح أى من تأخيرها عن خيبر أولى لان أصحاب المغازى مختلفون فى زمانها * قال والبخارى مع روايته عن أبى موسى الصريحة فى تأخر غزوة ذات الرقاع عن غزوة خيبر قدم غزوة ذات الرقاع على خيبر * قال ولا أدرى هل تعمد ذلك تسليما لاصحاب المغازى أنها كانت قبل خيبر أو أن ذلك من الرواة عنه أو اشارة الى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين أى واحدة قبل خيبر والثانية بعدها كما قدمناه * أى وقدمنا ان سبب التسمية فى الثانية ما ذكر عن أبى موسى رضى الله عنه * وأما فى الاولى فأحد الاسباب الآتية * قال فى الامتاع وقد قال بعض من أرخ ان غزوة ذات الرقاع أكثر من مرة فواحدة كانت قبل الخندق وأخرى بعدها أى وبعد خيبر ولما غزا صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة أبا ذر الغفارى * وقيل عثمان بن عفان رضى الله عنه قال ابن عبد البر وعليه الاكثر أى وقد دفى الاول ان أبا ذر رضى الله عنه لما أسلم بمكة رجع الى بلاد قومه فلم يجئ حتى

مضت بدر واحد والخندق أقول وهذا النظر بناء على أنها كانت قبل الخندق وأما على أنها كانت بعد الخندق و بعد خيبر فلا يتأتى هذا النظر والله أعلم وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ نجدا فلم يجد بها أحدا و وجد نسوة فأخذهن وفيهن جارية وضيئة ثم لقي جمعا فتقارب الجمعان ولم يكن بينهما حرب وقد خاف بعضهم بعضا أي خاف المسلمون أن تغير المشركون عليهم وهم عارون أي غافلون حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف وكانت أول صلاة الخوف صلاها * قال و في رواية كانت صلاة الظهر فصلاها صلى الله عليه وسلم بأصحابه فهم بهم المشركون فقال قائلهم دعوهم فان لهم صلاة بعد هذه هي أحب اليهم من أبنائهم أي وهي صلاة العصر فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فصلى صلاة العصر صلاة الخوف انتهى * أقول سيأتي هذا كله بعينه في غزوة الحديبية التي هي صلاة الخوف بعسفان ولا مانع من تعدد ذلك و يحتمل أنه من الاشتباه على بعض الرواة والله أعلم وكان العدو في غير جهة القبلة ففرقهم فرقتين فرقة وقفت في وجه العدو وفرقة صلى بها ركعة ثم عند قيامه للثانية فارقته وأتمت بقية صلاتها ثم جاءت ووقفت في وجه العدو وجاءت تلك الفرقة التي كانت في وجه العدو واقتدت به في ثانيته فصلى بها ركعة ثم قامت وهو في جلوس التشهد وأتمت بقية صلاتها ولحقته في جلوس التشهد وسلم بها وهذه الكيفية في ذات الرقاع رواها الشيخان ونزل بها القرآن وهو قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية أي و في كلام بعضهم فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف صلى بطائفة ركعتين و بالاخرى أخريين وسيأتي أن هذه صلاته صلى الله عليه وسلم ببطن نخل * وفي الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بصلاة الخوف فلم تشرع لاحد من الامم قبلنا وبصلاة شدة الخوف عند التحام القتال أي و في هذه الغزوة نزل صلى الله عليه وسلم ليلا وكانت تلك الليلة ذات ريح وكان نزوله صلى الله عليه وسلم في شعب استقبله فقال من رجل يكلؤنا أي يحفظنا الليلة فقام عباد بن بشر رضي الله عنه وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فقالا نحن يا رسول الله نكلؤكم فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر أنا أكفيك أول الليل وتكفيني آخره فنام عمار رضي الله عنه وقام عباد رضي الله عنه يصلي وكان زوج بعض النسوة التي أصابهن رسول الله صلى الله عليه وسلم غائبا فلما جاء أخبر الخبر فتتبع الجيش وحلف لا ينتهي حتى يصيب محمدا أو يهريق في أصحاب محمد دما * فلما رأى سواد عباد قال هذا ربيئة القوم ففوق سهما

فوضعه فيه فانتزعه عباد فرماه بآخر فوضعه فيه فانتزعه فرماه بآخر فانتزعه فلما غلبه الدم قال لعمار اجلس فقد أثبت فلما رأى ذلك الرجل عمارا جالسا علم أنه قد نذر به فهرب فقال عمار أي أخي ما منعك أن توقظني له في أول سهم رمي به فقال كنت أقرأ في سورة أي في سورة الكهف فكرهت أن أقطعها وفي لفظ جعل صلى الله عليه وسلم شخصين من أصحابه يقال هما عباد بن بشر من الانصار وعمار ابن ياسر من المهاجرين في مقابلة العدو فرمى أحدهما بسهم فأصابه ونزفه الدم وهو يصلي ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد ومضى في صلاته ثم رماه بثان وثالث وهو يصيبه ولم يقطع صلاته أي وهو عباد بن بشر كما تقدم * وقد قال عباد اعتذارا عن ايقاظ صاحبه لولا اني خشيت أن أضيع ثغرا أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انصرفت ولو أتى على نفسي * أقول وبهذه الواقعة استدل أئمتنا على ان النجاسة الحادثة من غير السبيلين لا تنقض الوضوء لانه صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولم ينكره وأما كونه صلى مع الدم فلعل ما أصاب ثوبه وبدنه منه قليل ولا ينافي ذلك ما تقدم في الرواية قبل هذه فلما غلبه الدم اذ يجوز مع كونه كثيرا أنه لم يصب ثوبه ولا بدنه الا القليل منه والله أعلم * ويقال ان رجلا من القوم أي وهو غورث بالغين المعجمة مكبرا على الاشهر وقيل غويرث بالتصغير والمهملة ابن الحارث قال لهم الا أقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تقتله قال أفتك به أي أجيء اليه على غفلة فجاء اليه صلى الله عليه وسلم وسيفه في حجره فقال يا محمد أرني أنظر الى سيفك هذا فأخذه من حجره فاستله ثم جعل يهزه ويهم فيكبته الله أي يخزيه ثم قال يا محمد ما تخافني قال لا بل يمنعني الله تعالى منك ثم دفع السيف اليه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ قال تشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله قال أعاهدك على اني لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وأسلم هذا بعد وكانت له صحبة * وفي رواية جاء اليه صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حجره فقال يا محمد أنظر الى سيفك هذا قال نعم فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ثم قال يا محمد أما تخافني قال لا وما أخاف منك قال وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله تعالى منك ثم غمد سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده عليه * وهذه واقعة غير واقعة دعثور المتقدمة في غزوة ذي أمر فهما واقعتان احداهما مع دعثور والثانية مع غورث فقول أصله والظاهر ان الخبرين واحد فيه نظر ظاهر فليتأمل * قال وفي رواية لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا

الى

الى المدينة أدركته القافلة يوما بواد كثير العضاه أى الاشجار العظيمة التى لها شوك وتفرق الناس فى العضاه أى الأشجار يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة أى ظليلة قال جابر رضى الله عنه تركناها للنبى صلى الله عليه وسلم فعلق صلى الله عليه وسلم سيفه فنمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئنا اليه فوجدنا عنده أعرابيا جالسا فقال ان هذا اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده مصلتا أى مسلولا فقال لى من يمنعك منى قلت الله قال ذلك ثلاث مرات ولم يعاقبه صلى الله عليه وسلم انتهى وهذه الرواية مع ما قبلها يقتضى سياقهما أنهما واقعتان لا واقعة واحدة وبعد أن يكون ذلك الاعرابى هو غورث صاحب الواقعة الاولى فيكون تعدد منه هذا الفعل مرتين أى وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وتقدم أن سبب نزولها ارادة القاء الحجر عليه من بعض أهل بنى النضير لعنهم الله وتقدم أنه لا مانع من تعدد النزول لتعدد الاسباب * وفى الشفاء قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلنى أى وفيه ان هذا لا يحسن الا عند نزول آية والله يعصمك من الناس الا أن يقال هو صلى الله عليه وسلم علم من ذلك ان الله مانع له ممن يريده بسوء وان كان يجوز أن يمنعه من شخص دون آخر فليتأمل وانما لم يعاقب صلى الله عليه وسلم ذلك الاعرابى حرصا على استئلاف قلوب الكفار ليدخلوا فى الاسلام وكانت مدة غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة وبعث صلى الله عليه وسلم جعال بن سراقة الى المدينة مبشرا بسلامته وسلامة المسلمين أى وكان رضى الله عنه من أهل الصفة وهو الذى تمثل به ابليس لعنه الله يوم أحد حين نادى ان محمدا قد قتل كما تقدم وابطأ جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فنخسه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ أنه حثه بمحجنه فانطلق متقدما بين يدى الركب * وفى رواية فلقد رأيتنى أكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه لا يسبقه أى وهو بنا زعق خطامه مع انى كنت أرجو أن يساق معنا * ثم قال له صلى الله عليه وسلم أتبيعنيه فابتاعه منه أى بأوقية وقيل بأربع أواق وقيل بخمس أواق وقيل بخمس دنانير وقيل بأربع دنانير بعد ان أعطاه فيه أولا درهما زاده فقال له جابر رضى الله عنه تبيعنى يا رسول الله وفى رواية لا زال صلى الله عليه وسلم يزيده درهما درهما فيقول جابر أخذته بكذا والله يغفر لك يا رسول الله قال بعضهم كأنه صلى الله عليه وسلم *

قال بعضهم كأنه صلى الله عليه وسلم أراد باعطائه درهما درهما أن يكثر استغفاره له ❊ وقال له لك ظهره الى المدينة وفى رواية وشرط لى ظهره الى المدينة أى واستغفر لجابر رضى الله عنه فى تلك الليلة خمسا وعشرين مرة وقيل سبعين مرة فلما وصل صلى الله عليه وسلم المدينة أعطاه الثمن ووهب له الجمل ❊ أى وقيل ان هذه القصة أى ابطاء جمل جابر رضى الله عنه انما كانت فى رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ❊ وقيل كانت فى رجوعه من غزوة تبوك أى والذى فى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فكنت على جمل ثقال انما هو فى آخر القوم فمر به النبى صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت جابر بن عبد الله قال فمالك قلت انى على جمل ثقال قال أمعك قضيب قلت نعم قال أعطنيه فضربه فزجره فكان من ذلك المكان من أول القوم قال بعنيه قلت بل هو لك يا رسول الله قال بل بعنيه فقد أخذته بأربعة دنانير ولك ظهره الى المدينة فلما قدمت المدينة قال يا بلال اقضه وزده فأعطاه أربعة دنانير وزاده قيراطا ❊ قال جابر رضى الله عنه وأعطانى الجمل وسهمى مع القوم ❊ وفى لفظ عن جابر قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فدخلت اليه فعاقلت الجمل فى ناحية البلاط فقلت يا رسول الله هذا جملك فخرج صلى الله عليه وسلم فجعل يطوف بالجمل قال الثمن والجمل لك ❊ وفى لفظ انما باعه له بوقية أى ذهب وأنه استثنى حملانه الى أهله فلما قدم المدينة وأنقده الثمن وانصرف أرسل على اثره وقال له ما كنت لآخذ جملك فخذ جملك ❊ وعن جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم اشتراه بطريق تبوك بأربع أواق وفى لفظ بعشرين دينارا فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها فان التعدد بعد دهما بعيد ❊ قيل وسميت ذات الرقاع باسم شجرة كانت فى ذلك المحل يقال لها ذات الرقاع أولانهم رقعوا راياتهم أولانهم لفوا على أقدامهم الخرق لما حصل لهم الحفاء كما تقدم أولان الصلاة رقعت فيها أولان الجبل الذى نزلوا به كانت أرضه ذات ألوان تشبه الرقع فيه بقع حمر وسود وبيض واستغربه الحافظ ابن حجر قال الامام النووى رحمه الله ويحتمل أنها سميت بالجميع ❊ قال وفى هذه الغزوة جاءته صلى الله عليه وسلم امرأة بدوية بابن لها فقالت يا رسول الله هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان ففتح فاه فبزق فيه ❊ وقال اخسأ عدو الله انا رسول الله ثم قال صلى الله عليه وسلم شأنك بابنك لن يعود اليه شىء مما كان يصيبه أى فكان كذلك وفيها أيضا جاء رجل بفرخ طائر فأقبل أحد أبويه حتى طرح نفسه بين يدى الذى أخذ فرخه فعجب

الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه وفيها أيضا جيء له صلى الله عليه وسلم بثلاث بيضات من بيض النعام فقال لجابر دونك ياجابر فاعمل هذه البيضات قال جابر رضي الله عنه نعملتهن ثم جئت بهن في قصعة فجعلنا نطلب خبزا فلم نجد فجعل صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته أى الى الشبع والبيض في القصعة كما هو وفيها أيضا جاء جمل يرفل أى حتى وقف عنده صلى الله عليه وسلم وارغى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما قال هذا الجمل هذا جمل يستعيذني على سيده يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين وانه أراد أن ينحره اذهب ياجابر الى صاحبه فأت به قال جابر رضي الله عنه فقلت لا أعرفه قال انه سيدلك عليه قال جابر فخرج بين يدى حتى وقف على صاحبه فجئته به فكلمه صلى الله عليه وسلم في شأن الجمل انتهى * وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائط رجل من الانصار فاذا جمل رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح عليه فسكن ثم قال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هذا لى يارسول الله فقال الاتتقي الله عز وجل في هذه البهيمة التي ملكك الله فانه شكى الى أنك تجيعه وتدئبه * وفي رواية كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعير أقبل حتى وقف على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أيها البعير أسكن فان تك صادقا فلك صدقك وان تك كاذبا فعليك كذبك ان الله تعالى قد أمن عائذنا ولن يخيب لائذنا فقلنا يارسول الله مايقول هذا البعير قال يريد أهله نحره وأكل لحمه فهرب منهم واستغاث بنبيكم فبينما نحن كذلك اذ اقبل أصحابه يتعادون فلما نظر اليهم البعير عاد الى هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاذ بها فقالوا يارسول الله هذا بعيرنا هرب منذ ثلاثة أيام فلم نجده الا بين يديك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه يشكو فقالوا يارسول الله ما يقول قال يقول انه ربي فيكم سنين وكنتم تحملون عليه في الصيف الى موضع الكلأ فاذا كان الشتاء حملتم عليه الى موضع الدفا فلما كبر استفحلتموه فرزقكم الله به ابلا سليمة فلما أدركته هذه السنة الجدبة هممتم بنحره وأكل لحمه فقالوا والله يارسول الله قد كان ذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا جزاء المملوك الصالح من مواليه فقالوا يارسول الله صلى الله عليه وسلم انا لانتعبه ولا ننحره فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم قد استعات بكم فلم تغيثوه وأنا أولى بالرحمة منكم لان الله قد نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها في قلوب المؤمنين فاشتراه صلى الله عليه وسلم منهم بمائة درهم وقال أيها البعير انطلق حيث شئت فرغا البعير على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له آمين ثم رغا الثانية فقال له آمين ثم رغا الثالثة فقال له آمين ثم رغا الرابعة فبكى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير فقال قال جزاك الله خيرا أيها النبي عن الاسلام والقرآن قلت آمين قال سكن الله رعب أمتك كما سكنت قلبي قلت آمين قال حقن الله دماء أمتك كما حقنت دمي قلت آمين قال لا جعل الله بأسهم بينهم شديدا فبكيت لاني سألت ربي فيها أي في هذه الرابعة فمنعني أعطاءها * وقوله صلى الله عليه وسلم للجمل اذهب كيف شئت لا يناسب ما عليه أئمتنا من عدم جواز ارسال الدواب تقربا الى الله تعالى لانه في معنى سوائب الجاهلية * الا أن يقال المراد بقوله صلى الله عليه وسلم له اذهب كيف شئت أي أنت آمن في سائر أحوالك مما شكوت منه * و رأيت في كلام ابن الجوزي رحمه الله ما يؤيد ذلك وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمه بسمة نعم الصدقة ثم بعث به وعليه لا اشكال والى قصة الجمل أشار الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

ورب بعير قد شكا لك حاله * فأذهبت عنه كل كل وثقلة

* و في هذه أعني السنة الرابعة تزوج صلى الله عليه وسلم أم سلمة رضي الله عنها بعد موت أبي سلمة بن عبد الاسد رضي الله عنه وما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال تزوجها سنة اثنين ليس بشيء قيل وفيها شرع التيمم

(غزوة بدر الآخرة)

و يقال لها بدر الموعد أي لموعد أبي سفيان رضي الله عنه حيث قال حين منصرفه من أحد موعد ما بيننا و بينكم بدر أي موسمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قل نعم ان شاء الله تعالى كما تقدم * لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع أقام بقية جمادى الاولى الى آخر رجب * ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان وعليه اقتصر الاصل * وقيل خرج في شوال وقيل في مستهل ذي القعدة كل ذلك في سنة أربع * ومن الوهم قول موسى بن عقبة رحمه الله انها كانت في شعبان سنة ثلاث * لما علمت انها بعد أحد واحد كانت في شوال سنة ثلاث * والحافظ الدمياطي قدم هذه الغزوة على غزوة ذات الرقاع وتبعه الشمس الشامي وصاحب الامتاع * وكان وصوله صلى الله

عليه وسلم الى بدر هلال ذى القعدة وهذا لا يناسب الا القول بأن خروجه صلى الله عليه وسلم كان فى شوال وكان ذلك موسم البدر فى كل سنة يحضره الناس ويقيمون به ثمانية أيام كما تقدمت الحوالة عليه وحين خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة استخلف عليها عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول رضى الله تعالى عنه * وقيل عبد الله بن رواحة رضى الله عنه وخرج فى ألف وخمسمائة من أصحابه وكان الخيل عشرة أفراس وعند تهيء المسلمين للخروج * قدم نعيم بن مسعود الاشجعى أى وكان ذلك قبل اسلامه رضى الله تعالى عنه وأخبر قريشا ان المسلمين تهيؤا للخروج لقتالهم ببدر فكره أبو سفيان الخروج لذلك وجعل لنعيم ان رجع الى المدينة وخذل المسلمين عن الخروج لبدر عشرين بعيرا وفى لفظ عشرة من الابل وحمله على بعير أى وقال له أبو سفيان انه بدا الى أن لا أخرج وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة فلان يكون الخلف من قبلهم أحب الى من أن يكون من قبلى فالحق بالمدينة وأعلمهم أنا فى جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندى من الابل كذا أدفعها لك على يد سهيل بن عمرو فجاء نعيم الى سهيل بن عمرو فقال له يا أبا يزيد تضمن لى هذه الابل وأنطلق الى محمد وأثبطه قال نعم فقدم نعيم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبى سفيان أى وصار يطوف فيهم حتى قذف الرعب فى قلوب المسلمين ولم يبق لهم نية فى الخروج واستبشر المنافقون أى واليهود وقالوا محمد لا يفلت من هذا الجمع * فجاء أبو بكر وعمر رضى الله عنهما الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد سمعا ما أرجف به المسلمون وقالا له يا رسول الله ان الله مظهر نبيه ومعز دينه وقد وعدنا القوم موعدا لا نحب أن نتخلف عنه فيرون ان هذا جبن فسر لموعدهم فوالله ان فى ذلك لخيرة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك * ثم قال والذى نفسى بيده لاخرجن وان لم يخرج معى أحد فأذهب الله عنهم ما كانوا يجدون وحمل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه * وخرج المسلمون معهم بتجارات الى بدر فربحت الضعف ثم ان أبا سفيان قال لقريش لقد بعثنا نعيما ليخذل أصحاب محمد عن الخروج * ولكن نخرج نحن فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع فان كان محمد لم يخرج وبلغه أنا خرجنا فرجعنا لانه ان لم يخرج كان هذا لنا عليه وان خرج أظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب قالوا نعم ما رأيت فخرج أبو سفيان فى قريش أى وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا حتى انتهوا الى مجنة أى بفتح الميم والجيم وتشديد النون وهو سوق معروف من ناحية مر الظهران وقيل الى عسفان ثم قال يا معشر قريش لا يصلحكم الا عام خصب ترعون

فيه الشجر وتشربون فيه الماء وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم لتشربون السويق وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده مدة الموسم التى هى ثمانية أيام أى فانه صلى الله عليه وسلم انتهى الى بدر هلال ذى القعدة كما تقدم وقام السوق صبيحة الهلال فأقاموا ثمانية أيام والسوق قائمة * أى وصار المسلمون كلما سألوا عن قريش وقيل لهم قد جمعوا لكم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قيل لهم لما قربوا من بدر انها قد امتلأت من الذين جمعهم أبو سفيان يرعبونهم ويرهبونهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل فلما قدموا بدرا وجدوا أسواقا لا ينازعهم فيها أحد فأنزل الله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فالمراد بالناس الاول نعيم نزل منزلة الجماعة * وعن امامنا الشافعى رضى الله عنه ان القائلين ذلك كانوا أربعة ولا مانع أن يكون هؤلاء الاربعة من المنافقين لعنهم الله وافقوا نعيما على ما قال حتى ان قائلهم قال للمسلمين انما أنتم لهم أكلة رأس وان ذهبتم اليهم لا يرجع منكم أحد * وقيل القائلون ركب من عبد القيس كانوا قاصدين المدينة للميرة فجعل لهم أبو سفيان حمل أبعرتهم زبيبا ان هم خذلوا المسلمين وأرجفوهم ولا مانع من وجود ذلك كله هذا * وقد نقل ابن عطية رحمه الله عن الجمهور ان هذه الآية والواقعة المذكورة انما كانت بحمراء الاسد عند انصرافه من أحد فليتأمل ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة أى وبلغ قريشا خروج المسلمين لبدر وكثرتهم وانهم كانوا أصحاب الموسم أى والمخبر لهم بذلك معبد بن ابى معبد الخزاعى فانه بعد انقضاء الموسم خرج سريعا الى مكة وأخبرهم بذلك فقال صفوان ابن أمية لابى سفيان قد والله نهيتك يومئذ ان تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأوا أنا أخلفناهم وانما خلفنا الضعف

(غزوة دومة الجندل)

بضم الدال ويجوز فتحها واقتصر الحافظ الدمياطى على الاول أى وأما دومة بالفتح لا غير فموضع آخر ومن ثم قال الجوهرى الصواب الضم واخطأ المحدثون فى الفتح سميت بدومى بن اسماعيل عليه السلام لانه كان نزلها وهى بلدة بينها وبين دمشق خمس ليال وهى أقرب بلاد الشام الى المدينة وبينها وبين المدينة خمس أو ست عشرة ليلة أى وهى بقرب تبوك بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة فندب رسول الله صلى الله

عليه وسلم الناس لذلك ❊ فخرج فى ألف من المسلمين أى وذلك فى أواخر السنة
الرابعة ❊ وذكر بعضهم انها كانت فى ربيع الاول من السنة الخامسة ويوافقه
قول الحافظ الدمياطى انها كانت على رأس تسعه وأربعين شهرا من مهاجرته صلى
الله عليه وسلم ❊ أى واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى فكان
يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بنى عذرة أى يقال له مذكور رضى الله
عنه فلما دنا منهم جاءهم الخبر فتفرقوا فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من
أصاب وهرب من هرب ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يلق
بها أحدا وبعث السرايا فرجعت ولم تلق منهم أحدا أى ورجعت كل سرية بابل
وأخذ محمد بن مسلمة رجلا منهم وجاء به الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نعمهم فعرض
عليه الاسلام فأسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وفى رجوعه
وادع أى صالح عيينة بن حصن واسمه حذيفة الفزارى أن يرعى بمحل بينه وبين
المدينة ستة وثلاثون ميلا أى لان أرضه كانت أجدبت ولما سمن حافره وخفه
وانتقل الى أرضه غزا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة كما سيأتى
❊ وقيل له بئس ما جزيت به محمدا صلى الله عليه وسلم أحلك أرضه حتى سمن
حافرك وخفك وتفعل معه ذلك فقال هو حافرى وقيل له عيينة لانه أصابته لقوة
فجحظت عيناه فسمى عيينة وعيينة هذا أسلم بعد الفتح وشهد حنينا والطائف وكان
من المؤلفة كما سيأتى ❊ وكان يقال له الاحمق المطاع كان يتبعه عشرة آلاف فتاة
ودخل على النبى صلى الله عليه وسلم بغير اذن وأساء الادب فصبر النبى صلى الله
عليه وسلم على جفوته وقال فيه صلى الله عليه وسلم ان شر الناس من تركه الناس
اتقاء فحشه ❊ وقيل ان ذلك انما قيل فى مخرمة بن نوفل أى ولا مانع من تعدد ذلك
وقد ارتد عيينة بعد ذلك فى زمن الصديق رضى الله عنه فانه لحق بطليحة بن خويلد
حين تنبأ وآمن به فلما هرب طليحة أسر أسره خالد بن الوليد رضى الله عنه وأرسل
به الى الصديق فى وثاق فلما دخل المدينة صار أولاد المدينة ينخسونه بالجريد
ويضربونه ويقولون أى عدو الله كفرت بالله بعد ايمانك فيقول والله ما كنت
آمنت فعفى عنه الصديق فأسلم ولم يزل مظهر الاسلام وفى سنة أربع نزلت آية
الحجاب لازواجه صلى الله عليه وسلم وكان فيها قصر الصلاة وولادة الحسين رضى
الله عنه ❊ ووقع انه لما ولد سماه على كرم الله وجهه حربا فلما جاء صلى الله عليه وسلم
قال أرونى ابنى ما سميتموه قالوا حربا قال بل اسمه حسين أى كما فعل ذلك بالحسن كما مر

فلما ولد الثالث جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتموه قال علي كرم الله وجهه سميته حربا فقال بل هو محسن ثم قال صلى الله عليه وسلم اني سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر ✽ ومن المستظرف ما حكاه بعضهم قال وقع بين الحسن والحسين كلام فتهاجرا فلما كان بعد ذلك أقبل الحسن على الحسين وأكب على رأسه يقبله فقال الحسين ان الذي منعني من ابتدائك بهذا أنك أحق بالفضل مني فكرهت ان أنازعك ما أنت أحق به ورجم اليهود بن الزانيين وفرض الحج وقيل فرض في الخامسة وقيل في السادسة وقيل في السابعة ✽ وقيل في الثامنة وقيل في العاشرة قيل وفيها أي الرابعة شرع التيمم أي كما تقدم وقيل شرع في الغزوة التي تلي هذه وهي غزوة بني المصطلق ✽ وقيل كان في غزوة أخرى أي وفي غيبته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ماتت أم سعد بن عبادة وكان ابنها رضي الله عنه معه صلى الله عليه وسلم ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبرها وذلك بعد شهر وقال له سعد يا رسول الله أتصدق عنها قال نعم قال أي الصدقة أفضل قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لام سعد رضي الله عنها

✽(غزوة بني المصطلق)✽

ويقال لها غزوة المريسيع ويقال غزوة محارب وقيل محارب غيرها ويقال غزوة الاعاجيب لما وقع فيها من الامور العجيبة أي كما قيل بذلك كذلك في غزوة ذات الرقاع كما تقدم وبنو المصطلق بطن من خزاعة وهم بنو اجذيمة وجذيمة هو المصطلق من الصلق وهو رفع الصوت والمريسيع اسم ماء من مياههم أي من ماء خزاعة مأخوذة من قولهم رسعت عين الرجل اذا دمعت من فساد وذلك الماء في ناحية قديد وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك كما سيأتي جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدر عليه من قومه ومن العرب فأرسل صلى الله عليه وسلم بريدة بالتصغير بن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين في آخره موحدة كما تقدم ليعلم علم ذلك ✽ قال واستأذن بريدة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ما يتخلص به من شرهم أي وان كان خلاف الواقع فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى ورد عليهم ورأى جمعهم فقالوا له من الرجل قال رجل منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني فنكون يدا واحدة حتى نستأصله فقال له الحارث فنحن على ذلك فعجل علينا قال بريدة أركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قومي فسروا بذلك منه ✽ ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر

القوم انتهى فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس اليهم فأسرعوا الخروج * وكان فى شعبان لليلتين خلتا منه سنة خمس من الهجرة وقيل أربع كما فى البخارى نقلا عن ابن عقبة وعليه جرى الامام النووى فى الروضة * قال الحافظ ابن حجر وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع لان الذى فى مغازى ابن عقبة من عدة طرق سنة خمس * وقيل سنة ست وان عليه أكثر المحدثين وقادوا الخيل وهى ثلاثون فرسا عشرة للمهاجرين أى منها فرسان له صلى الله وسلم اللزاز والظرب وعشرون للانصار رضى الله عنهم واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينه زيد بن حارثة رضى الله عنهما * وقيل أبا ذر الغفارى رضى الله عنه * وقيل نميلة تصغير نملة بن عبد الله الليثى رضى الله عنه وخرج معه صلى الله عليه وسلم من نسائه عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما * أى وخرج معه صلى الله عليه وسلم ناس كثير من المنافقين لم يخرجوا فى غزوة قط مثلها منهم عبد الله بن أبى ابن سلول وزيد بن الاصيت ليس لهم رغبة فى الجهاد وانما غرضهم أن يصيبوا من عرض الدنيا مع قرب المسافة وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ محلا نزل به فأتى برجل من عبد القيس فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أين أهلك قال بالروحاء قال أين تريد قال اياك جئت لاومن بك وأشهد أن ما جئت به حق وأقاتل معك عدوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك للاسلام وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أحب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة لاول وقتها وأصاب صلى الله عليه وسلم عينا للمشركين كان وجهه الحارث ليأتيه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلم يذكر من شأنهم شيأ فعرض عليه الاسلام فأبى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يضرب عنقه فضرب عنقه * فلما بلغ الحارث مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه قتل عينه سيئ بذلك ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنه جمع كثير ممن كان معه وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المريسيع فضربت له صلى الله عليه وسلم قبة من أدم وكان معه فيها عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما فتهيأ المسلمون للقتال ودفع صلى الله عليه وسلم راية المهاجرين الى أبى بكر رضى الله عنه وقيل لعمار بن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عبادة رضى الله عنه أى وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يقول لهم قولوا لا اله الا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ففعل عمر ذلك فأبوا فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر رسول

الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم انسان وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم الرجال والنساء والذرية واستاق ابلهم وشياههم فكانت الابل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف شاة واستعمل صلى الله عليه وسلم على ذلك مولاه شقران أي بضم الشين المعجمة واسمه صالح وكان رضي الله عنه حبشيا وكان السبي مائتي أهل بيت * وفي كلام بعضهم كانوا أكثر من سبعمائة وكانت برة بنت الحارث الذي هو سيد بني المصطلق في السبي وقيل أغار عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم غافلون فقتل مقاتلهم وسبي سبيهم أي وهذا القول هو الذي في صحيح البخاري أي ومسلم * والاول هو الذي في السيرة الشامية وجمع بانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم لما أغار عليهم ثبتوا وصفوا للقتال ثم انهزموا ووقعت الغلبة عليهم أي وقتل منهم من قاتل ولم يستأسر وكان شعار المسلمين أي علامتهم التي يعرفون بها في ظلمة الليل أو عند الاختلاط يامنصور أمت تفاؤلا بأن يحصل لهم النصر بعد موت عدوهم * وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسارى فكتفوا واستعمل عليهم بريدة رضي الله عنهم * ثم فرق صلى الله عليه وسلم السبي فصار في أيدي الناس * أي وفي هذا دليل لقول امامنا الشافعي رضي الله عنه في الجديد يجوز استرقاق العرب لان بني المصطلق عرب من خزاعة خلافا لقوله في القديم انهم لا يسترقون لشرفهم * وقد قال في الام لولا أنا نأثم بالتمني لتمنينا أن يكون هكذا أي لا يجري الرق على عربي * وبعث صلى الله عليه وسلم أبا ثعلبة الطائي الى المدينة بشيرا من المريسيع * أي وجمع صلى الله عليه وسلم المتاع الذي وجد في رحالهم والسلاح والنعم والشاء وعدلت الجزور بعشرة من الغنم ووقعت برة بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس وابن عم له فجعل ثابت لابن عمه نخلات له بالمدينة في حصته من برة * وكاتبها أي على تسع أواق من ذهب * فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم فقالت له يا رسول الله اني امرأة مسلمة أي أسلمت لاني أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله واني برة بنت الحارث سيد قومه أصابنا من الامر ما قد علمت ووقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عم له وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة وكاتبني على ما لا طاقة لي به واني رجوتك فاعني في مكاتبتي * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خير من ذلك قالت ما هو قال أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم يا رسول الله قد فعلت * فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت بن قيس فطلبها منه فقال ثابت رضي الله عنه هي لك يا رسول الله بابي أنت وأمي فأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان كاتبها عليه واعتقها وتزوجها أي وهي ابنة عشرين سنة

وسماها جويرية أي وكان اسمها برة وكذلك ميمونة وزينب بنت جحش كان اسم
كل منهما برة فغيره صلى الله عليه وسلم وكذا كان اسم بنت أم سلمة برة فسماها زينب
ويذكر أن عليا كرم الله وجهه هو الذي أسرها * أقول ولا مانع أن يكون علي
كرم الله وجهه أسرها ثم وقعت في سهم ثابت وابن عمه رضي الله عنهما عند
القسمة لانه لم يثبت في هذه الغزوة أنه صلى الله عليه وسلم جعل الاسرى لمن أسرهم
كما وقع في بدر الا ما يأتي من قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ورغبنا في الفداء
وقد يقال رغبوا في الفداء بعد القسمة والله أعلم * قال وعن عائشة رضي الله عنها
قالت كانت جويرية امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد الا أخذت بنفسه فبينما النبي صلى
الله عليه وسلم عندي ونحن على الماء أي الذي هو المريسيع اذ دخلت جويرية
تسأله في كتابتها فوالله ما هو الا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبي صلى الله عليه
وسلم وعرفت انه سيرى منها مثل الذي رأيت فقالت يا رسول الله اني امرأة مسلمة
الحديث انتهى * وانما كرهت ذلك لما جبلت عليه النساء من الغيرة ومن ثم جاء
أنه صلى الله عليه وسلم خطب امرأة فأرسل عائشة رضي الله عنها لتنظر اليها فلما
رجعت اليه قالت ما رأيت طائلا فقال بلى لقد رأيت خالا في خدها فاقشعرت منه
كل شعرة في جسدك أي * وفي لفظ آخر عن عائشة رضي الله عنها فما هو
الا أن وقفت جويرية بباب الخباء لتستعين رسول الله صلى الله عليه وسلم على
كتابتها فنظرت اليها فرأيت على وجهها ملاحة وحسنا فأيقنت أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رآها أعجبته علما منها بوقع الجمال منه صلى الله عليه وسلم فما
هو الا أن كلمته صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم خير من ذلك انا
أؤدي كتابتك وأتزوجك فقضى عنها كتابتها وتزوجها * والملاح أبلغ من المليح
والمليح مستعار من قولهم طعام مليح اذا كان فيه الملح بمقدار ما يصلحه قال الاصمعي
رحمه الله الحسن في العينين والجمال في الانف والملاحة في الفم وهذا السياق
يدل على أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهم على الماء الذي هو المريسيع
* ويؤيده ما يأتي عنها رضي الله عنها * قال الشمس الشامي رحمه الله ونظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم لجويرية حتى عرف من حسنها ما دعاه لتزوجها لانها كانت
أمة مملوكة أي لانها مكاتبة ولو كانت غير مملوكة أي حرة ما ملأ صلى الله عليه
وسلم عينه منها أو أنه صلى الله عليه وسلم نوى نكاحها أو أن ذلك كان قبل آية الحجاب
* أقول تبع في هذا السهيلي رحمه الله وقد قدمنا ان من خصائصه صلى الله عليه
وسلم جواز نظر الاجنبية والخلوة بها لامنه صلى الله عليه وسلم من الفتنة فلا

يحسن قوله ولو كانت حرة ما ملأ صلى الله عليه وسلم عينه منها من خصائصه صلى الله عليه وسلم حرمة نكاح الامة فلا يحسن قوله أو انه نوى نكاحها وأن نزول آية الحجاب كان في سنة ثلاث على الراجح ومذهب الشمس الشامي حرمة نظر سائر بدن الامة الاجنبية كالحرة على الراجح عند الشافعية ومنهم الشمس الشامي فلا يحسن قوله لانها كانت أمة مملوكة والله أعلم * وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة بني المصطلق فسبينا كرائم العرب أي واقتسمناها وملكناها فطالت علينا العزبة ورغبنا في الفداء فأردنا ان نستمتع ونعزل فقلنا نفعل ذلك * وفي لفظ فأصبنا سبايا وبنا شهوة للنساء واشتدت علينا العزوبة واحببنا الفداء وأردنا أن نستمتع ونعزل وقلنا نعزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فسألنا عن ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا عليكم أن لا تفعلوا ما كتب الله خلق نسمة أي نفسا قدرها هي كائنة الى يوم القيمة الا ستكون * وفي لفظ ما عليكم أن لا تفعلوا فان الله قد كتب من هو خالق الى يوم القيمة * وفي رواية لا عليكم أن لا تفعلوا ذلك فانما هو القدر وفي رواية ما من كل الماء يكون الولد واذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه أي ما عليكم حرج في عدم فعل العزل وهو الانزال في الفرج لان العزل الانزال خارج الفرج ما من نسمة كائنة الى يوم القيمه الا وهي كائنة أي عزلتم أم لا فلا فائدة في عزلكم لان الماء قد يسبق العزل الى الرحم فيجيء الولد وقد ينزل في الفرج ولا يجيء الولد وكون ذلك كان في بني المصطلق هو الصحيح خلافا لما نقل عن موسى بن عقبة رحمه الله تعالى ان ذلك كان في غزوة أوطاس وقول أبي سعيد رضي الله عنه قد طالت علينا العزبة واشتهينا النساء * أي لعل أبا سعيد الخدري رضي الله عنه ومن تكلم على لسانه كان في المدينة أعزب والا فأيام تلك الغزوة لم تطل فانها كانت ثمانية وعشرين يوما * قال أبو سعيد رضي الله عنه فقدم علينا وفدهم أي بالمدينة * ففي الامتاع وكانوا قدموا المدينة ببعض السبي فقدم عليهم أهلوهم فافتدوا الذرية والنساء كل واحد بست فرائض ورجعوا الى بلادهم * قال أبو موسى رضي الله عنه وخرجت بجارية أبيعها في السوق أي قبل أن يقدم وفدهم في فدائهم فقال لي يهودي يا أبا سعيد تريد بيعها وفي بطنها منك سخلة هي في الاصل ولد الغنم فقلت كلا اني كنت أعزل عنها فقال تلك الوأدة الصغرى أي المرة من الوأد وهو أن يدفن الرجل بنته حية فالموؤدة البنت تدفن في القبر وهي حية كانت الجاهلية خصوصا كندة تفعل ذلك فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال

كذبت يهود كذبت يهود زاد في رواية لو أراد الله عز وجل أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه وبهذا مع ما تقدم من نفي الحرج استدل أئمتنا رحمهم الله على جواز العزل مع الكراهة في كل امرأة سرية أو حرة في كل حال سواء رضيت أم لا * وقال جمع بحرمته قالوا لانه طريق الى قطع النسل * وفي مسلم ما يوافق ما قالته يهود ففي مسلم سألوه صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الوأد الخفي أي بمثابة دفن البنت حية الذي كانت تفعله الجاهلية خوف الاملاق أو خوف حصول العار * الا أن يقال هذا كان منه صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه بحل ذلك ثم نسخ فلا مخالفة ويدل لذلك ما في مسلم أيضا عن جابر رضي الله عنه كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل فلم ينهنا * وفي رواية ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية هي خادمتنا وسانيتنا في النخل وأنا أكره أن تحمل فقال صلى الله عليه وسلم اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم أتاه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الجارية قد حبلت فقال قد أخبرتكم أنه سيأتيها ما قدر لها فقد أرشده صلى الله عليه وسلم الى العزل الذي لا يكون معه الولد وأخبر بأن ذلك لا يمنع وجود ما قدر لها من حصول الولد وعن عبد الله بن زياد رضي الله عنه قال أفاء أي غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق جويرية بنت الحارث وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأقبل أبوها في فدائها فلما كان بالعقيق نظر الى ابله التي يفتدي بها ابنته فرغب في بعيرين منها كانا من أفضلها فعقلهما في شعب من شعاب العقيق ثم أقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أصبتم ابنتي * وفي رواية قال يا رسول الله كريمة لا تسبي وهذا فداؤها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين البعيران اللذان عقلتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا فقال الحارث أشهد أنك رسول الله ما اطلع على ذلك الا الله وأسلم ولعله دخل بالامان الى المدينة * وفي رواية أنه أسلم قبل ذلك وأسلم معه ابنان وناس من قومه وعليه فيكون قوله فأسلم أي أظهر اسلامه وعند ذلك أمره صلى الله عليه وسلم بأن يخيرها فقال أحسنت وأجملت فقال لها أبوها يا بنية لا تفضحي قومك قالت اخترت الله ورسوله وفيه كيف يأمره صلى الله عليه وسلم بتخييرها بعد أن تزوجها كما تقدم ان مقتضى السياق انه تزوجها وهم على الماء ثم رأيت الامام أبا العباس ابن تيمية أنكر مجيء أبيها وتخييرها * وفي الاستيعاب ان عبد الله بن الحارث أخا جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في فداء

أسارى بنى المصطلق وغيب فى الطريق ذودا وجارية سوداء فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء الاسارى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بم فاجئت به قال ماجئت بشىء قال فأين الذود والجارية السوداء الذى غيبت فى موضع كذا قال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله والله ما كان معى أحد ولا سبقنى اليك أحد فأسلم فيه ماتقدم فى ابيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك الهجرة حتى تبلغ برك الغماد هذا كلامه ✻ والذود من الابل مابين الثلاث الى العشر والمتبادر من هذا السياق أنه جاء بذلك الذود وتلك الجارية للفداء فعن له أن يسأل فى الفداء من غير شىء فغيب ذلك الذود وتلك الجارية طمعا فى أنه صلى الله عليه وسلم يجيبه لذلك لمكان أخته عنده ✻ ويحتمل أن العبارة فيها اختصار وحينئذ يكون الاصل فى قوله صلى الله عليه وسلم فما جئت به المال الزائد على هذا الذى جئت به فيكون الذود والجارية بعض ماجاء به للفداء فقال ماجئت بشىء أى زائد على هذا الذى جئت به لانه يبعد أن يطلب الفداء من غير شىء فليتأمل ✻ وفى لفظ انه لما جاء أبوها فى فدائها دعت اليه ابنته جويرية وأسلمت وحسن اسلامها فخطبها النبى صلى الله عليه وسلم الى أبيها فزوجه اياها وأصدقها أربعمائة درهم ✻ وفى الامتاع يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل صداقها عتق كل أسير من بنى المصطلق ويقال جعل صداقها عتق أربعين من قومها ولا يخفى ان مجىء أبيها فى فدائها وتزويجها للنبى صلى الله عليه وسلم مخالف لسياق ماتقدم أنه تزوجها وهم على الماء ويحتاج للجمع بين ماذكر وبين ماروى انه لما رأى المسلمون أنه صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية قالوا فى حق بنى المصطلق اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقوا ما بأيديهم منهم وعبارة الامتاع ولما تزوجها صلى الله عليه وسلم خرج الخبر الى الناس وقد اقتسموا رجال بنى المصطلق وملكوهم ووطئوا نساءهم فقالوا أصهار النبى صلى الله عليه وسلم فاعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبى ✻ وعن جويرية رضى الله عنها قالت لما أعتقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجنى والله ما كلمته فى قومى حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وماشعرت الا بجارية من بنات عمى تخبرنى الخبر فحمدت الله سبحانه وتعالى ✻ أقول وذكر بعضهم أن ليلة دخوله صلى الله عليه وسلم بها طلبتهم منه فوهبهم لها ويحتاج للجمع ويقال فى الجمع بين ماتقدم من فدائهم واطلاقهم من غير فداء بأنه يجوز أن يكون الفداء وقع لبعضهم قبل عتق جويرية والتزوج بها فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم أطلق بعضهم الآخر الباقى فالفداء وقع لبعضهم والاعتاق وقع لبعضهم الآخر فان السبى كان لاهل مائتى بيت

* ويؤيد ذلك قول بعضهم كان السبي منهم من منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء ومنهم من افتدى ويؤيد ذلك ما يأتى فى كلام عائشة رضى الله عنها ان الاعتاق كان لاهل مائة بيت أى فيكون الفداء لاهل مائة بيت ولا اطلاق فى الفداء لاهل المائة الاخرى ويكون مراد جويرية رضى الله عنها بقولها ما كلمته فى قومى أى فيمن بقى منهم ثم لا يخفى ان مجىء أبيها أو أخيها ومجىء وفدهم لفدائهم مخالف لما تقدم من أنه أسر سائرهم الرجال والنساء والذرية ولم يفلت منهم أحد وبعد غياب هؤلاء خصوصا أباها الذى كان يجمع القوم فعليك أن تتنبه للجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها والله أعلم * ثم بعد ان أسلم بنو المصطلق وبعد بعامين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبى معيط لاخذ الصدقة أى وكان بينهم وبينه شحنة فى الجاهلية فخرجوا للقائه وهم متقلدون السيوف فرحا وسرورا بقدومه فتوهم أنهم خرجوا لقتاله ففر راجعا وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ارتدوا وانهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم أى وأكثر المسلمون ذكر غزوهم فعند ذلك قدم وفدهم وأخبروا بأنهم خرجوا اليه ليكرموه ويؤدوا ما عليهم من الصدقة * أى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم خالد بن الوليد فأخبروه الخبر وعند ارساله قال له صلى الله عليه وسلم أرمقهم عند الصلوات فان كان القوم تركوا الصلوات فشأنك بهم فدنا منهم عند غروب الشمس فكمن حيث يسمع الصلاة فاذا هو بالمؤذن قد قام حين غربت الشمس فأذن ثم أقام الصلاة فصلوا المغرب ثم لما غاب الشفق أذن مؤذنهم ثم أقام لصلاة فصلوا العشاء ثم لما كان جوف الليل فاذا هم يتهجدون ثم عند طلوع الفجر أذن مؤذنهم وأقام الصلاة فصلوا فلما انصرفوا وأضاء النهار فاذا هم بنواصى الخيل فى ديارهم فقالوا ما هذا قيل هذا خالد بن الوليد فقالوا يا خالد ما شأنك * قال أنتم والله شأنى أوتى النبى صلى الله عليه وسلم فقيل له انكم تركتم الصلاة وكفرتم بالله فجثوا يبكون وقالوا معاذ الله وهذا الوليد بيننا وبينه شحناء فى الجاهلية وانما خرجنا بالسيوف خشية ان يكافينا بالذى كان بيننا وبينه فرد الخيل عنهم ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة الآيتين * قال ابن عبد البر رحمه الله لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله ان جاءكم فاسق بنبأ نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق لاخذ صدقاتهم * أى ونزل فيه وفى على بن أبى طالب كرم الله

وجهه أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون * أى فكان يدعى الفاسق وبعثه لاخذ صدقات بنى المصطلق يرد قول من قال أنه ممن أسلم يوم الفتح وكان قد ناهز الحلم * أى ويرد ما روى بعضهم عنه أنه قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيمسح على رؤسهم ويدعو لهم بالبركة فأتى بى اليه وأنا مضمخ بالخلوق فلم يمسح على رأسى ولم يمنعه من ذلك الا وجود الخلوق ويرد ذلك أيضا ما سيأتى أنه خرج هو وأخوه عمارة ليردا أختهما أم كلثوم عن الهجرة وكانت هجرتها فى الهدنة هدنة الحديبية والوليد هذا كان أخا عثمان ابن عفان لامه وولاه الكوفة أى وعزل عنها سعد بن أبى وقاص فلما قدم الوليد الكوفة على سعد رضى الله عنه قال له والله ما أدرى أصرت كيسا بعدنا أم حمقنا بعدك فقال له لا تجزعن أبا اسحاق وانما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد أراكم يعنى بنى أمية ستجعلونها والله يعنى الخلافة ملكا وعند ذلك قال الناس بئس ما فعل عثمان رضى الله عنه عزل سعد الهين اللين الورع المستجاب الدعوة وولى أخاه الخائن الفاسق كما تقدم وأتى الوليد ابن مسعود رضى الله عنه فقال له ما جاء بك فقال جئت أميرا فقال له ابن مسعود ما أدرى أصلحت بعدنا أم فسد الناس * وكان الوليد شاعرا ظريفا حليما شجاعا كريما شرب الخمر ليلة من أول الليل الى الفجر فلما أذن المؤذنون لصلاة الفجر خرج الى المسجد وصلى بأهل الكوفة الصبح أربع ركعات وصار يقول فى ركوعه وسجوده اشرب واسقنى ثم قاء فى المحراب ثم سلم وقال هل أزيدكم فقال له ابن مسعود رضى الله عنه لا زادك الله خيرا ولا من بعثك الينا وأخذ بردة نعله وضرب بها وجه الوليد وحصبه الناس فدخل القصر والحصباء تأخذه وهو مترنح والى ذلك يشير الحطيئة بقوله

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم * أأزيدكم سكرا وما يدرى

* ولما شهدوا عليه بشرب الخمر عند عثمان ابن عفان رضى الله عنه استقدمه وأمر بجلده أى أمر عليا كرم الله وجهه أن يقيم عليه الحد فجلده * وقيل فقال على كرم الله وجهه لابن أخيه عبد الله بن جعفر رضى الله عنه ما أقم عليه الحد أى بعد ان أمر ابنه الحسن رضى الله عنه بذلك فامتنع فأخذ عبد الله رضى الله عنه السوط وجلده وعلى كرم الله وجهه يعد عليه حتى بلغ أربعين فقال لعبد الله أمسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر أربعين وجلد أبو بكر رضى الله عنه أربعين وجلد عمر رضى الله عنه ثمانين وكل سنة * وهذا أى ما فعله من

جلده

جلده أربعين أحب الى من جلد عمر ثمانين هذا وفى البخارى أن عبد الله جلده ثمانين * وأجيب عنه بأن السوط كان له رأسان وحينئذ يكون قوله وكل سنة أى طريقة فالأربعون طريقته صلى الله عليه وسلم وطريقة الصديق رضى الله عنه والثمانون طريقة عمر رضى الله عنه رآها اجتهادا مع استشارته لبعض الصحابة فى ذلك لما رآه من كثرة شرب الناس للخمر وبعد ان جلده عزله عن الكوفة وأعاد سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ولما أراد سعد أن يصعد المنبر قال لا أصعد عليه حتى تغسلوه من آثار الوليد الفاسق فانه نجس فغسلوه كما تقدم وارسال الوليد ابن عقبة لبنى المصطلق كان ينبغى أن يذكر فى السرايا وكذا ارسال خالد رضى الله عنه لهم * قالت عائشة رضى الله عنها لا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها من جويرية أعتق بتزويجها الرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مائة بيت أى ومن المعلوم أن هذا كان قبل سبايا أوطاس الذين أطلقوا بسبب أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على ما سيأتى فى بعض الروايات * وقيل فى حقها ما عرفت امرأة هى أيمن على قومها منها وذكرت جويرية رضى الله عنها أنها قبل قدومه صلى الله عليه وسلم عليهم بثلاث ليال رأت كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرها * أى وعنها رضى الله عنها قالت فكرهت ان أخبر بها أحدا من الناس فلما سبينا رجوت الرؤيا * قال وعنها رضى عنها انها قالت لما أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن على المريسيع فأسمع أبى يقول أتانا ما لا قبل لنا به فلبثت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة * فلما أن أسلمت وتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا جعلت أنظر الى المسلمين فليسوا كما كنت أرى فعلمت أنه رعب من الله تعالى يلقيه فى قلوب المشركين * أى وهذا مما يؤيد ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهم على الماء الذى هو المريسيع وكان رجل منهم ممن أسلم وحسن اسلامه يقول لقد كنا نرى رجالا بيضا على خيل بلق ما كنا نراهم قبل ولا بعد انتهى وهو يدل على أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانت مددا لهم فى هذه الغزوة ولم يقتل فى غزوة بنى المصطلق من المسلمين الا رجل واحد قتله رجل من الانصار خطأ يظنه من العدو والمقتول هشام بن صبابة رضى الله عنه * أقول وهذا محمل قول الحافظ الدمياطى رحمه الله فى سيرته انه لم يقتل من المسلمين الا رجل واحد فاعتراض صاحب الهدى عليه بأن هذا وهم لانهم لم يكن بينهم قتال ليس فى محله لانه فهم أن الرجل قتله الكفار * وقد علمت أنه انما قتله شخص من الانصار يظنه من العدو والله أعلم

* وقدم أخوه هذا المقتول من مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر الاسلام وقال جئت أطلب دية أخي فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه فأخذها مائة من الابل وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله * ثم خرج الى مكة مرتدا ويوم فتح مكة أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فقتل في ذلك اليوم كما سيأتي * وما هنا هو الصحيح خلافا لما يأتي عن الاصل في فتح مكة ان قتل أخيه كان في غزوة ذي قرد * ثم بعد انقضاء الحرب وهم على الماء اختصم أجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أي كان يقود له فرسه يقال له جهجاه رضي الله عنه مع رجل من حلفاء الخزرج قيل حليف عمرو بن عمرو وقيل حليف عبد الله بن أبي بن سلول وهو سنان بن فروة رضي الله عنه أي فضربه أجير عمر رضي الله عنه حليف الخزرج فسال الدم وفي لفظ كسعه أي دفعه فنادى حليف الخزرج يا معشر الانصار أي وقيل قال يالخزرج ونادى أجير عمر يا معشر المهاجرين وقيل قال يالكنانة يالقريش فأقبل جمع من الجيش وشهروا السلاح حتى كادت أن تكون فتنة عظيمة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية فأخبر بالحال أي فقالوا رجل من المهاجرين ضرب رجلا من الانصار فقال صلى الله عليه وسلم دعوها أي تلك الكلمة التي هي يالفلان فانها منتنة أي مذمومة لانها من دعوى الجاهلية وجاء من دعا دعوى الجاهلية كان من جثى جهنم أي مما يرمى به فيها قيل يا رسول الله وان صام وان صلى وزعم أنه مسلم قال وان صام وان صلى وزعم أنه مسلم * وقال صلى الله عليه وسلم لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه ناصر أي له وان كان مظلوما فلينصره أي يزيل ظلامته ثم كلموا ذلك المضروب فترك حقه فسكنت الفتنة وانطفت نائرة الحرب وجهجاه هذا روى عنه عطاء بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معاء واحد وهو المراد بهذا الحديث في كفره واسلامه لانه شرب حلاب سبع شياه قبل أن يسلم ثم أسلم فلم يستتم حلاب شاة واحدة أي وسيأتي نظير ذلك لثمامة الحنفي * ونقل أبو عبيد أن الرجل الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المقالة هو أبو بصرة الغفاري أي ولا مانع أن يكون صلى الله عليه وسلم قال ذلك في حق الرجل المذكور أيضا * فقد تكرر منه صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات لرجال ثلاثة أكل كل واحد منهم في الكفر أكثر مما أكل في الاسلام * قال ابن عبد البر وجه الله وجهجاه هذا هو الذي تناول عصا رسول الله صلى

الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وهو يخطب فكسرها على ركبته فأخذته أكلة في ركبته فمات منها اهـ ذا كلامه * وفي كلام السهيلي رحمه الله انه انتزع تلك العصا من عثمان حين أخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وكان هو أحد المعينين عليه هذا كلامه وقد يقال لا مخالفة بين كونه أخذ العصا منه وهو يخطب وبين كونه أخذها حين أخرج من المسجد لانه يجوز أن يكون أخرج من المسجد في أثناء الخطبة وأخذت العصا منه حينئذ وعند تخاصم الرجلين غضب عبد الله بن أبي بن سلول * وكان عنده رهط من قومه من الخزرج من المنافقين وكان عندهم زيد بن أرقم رضي الله عنه وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبي لعنه الله والله ما رأيت كاليوم مذلة أوقد فعلوها نافرونا أي غلبونا وكاثرونا في بلادنا أي وأنكرونا ملتنا والله ما أعدنا أي أظننا يعني معاشر الانصار وقريش * وفي رواية وجلابيب قريش هؤلاء يعني معاشر المهاجرين الا كما قال الاول أي الاقدمون في أمثالهم سمن كلبك يأكلك أي ويقولون أجمع كلبك يتبعك والله لقد ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفا يهتف بما سمعت أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالأعز نفسه وبالاذل النبي صلى الله عليه وسلم * وفي الاستيعاب ان عبد الله بن أبي قال ذلك في غزوة تبوك هذا كلامه وفيه نظر ظاهر والجلابيب جمع جلبيب ما يجلب من بلد الى غيره يعني أغراب * وقيل شبهوا بالجلابيب التي هي الازر الغلاظ القليلة القيمة ثم أقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم أي ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عند محمد صلى الله عليه وسلم فسمع ذلك زيد بن أرقم رضي الله عنه على ما هو الصحيح * وقيل سفيان ابن تيم فمشى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه أي ونفر من المهاجرين والانصار وفي البخاري عن زيد بن أرقم رضي الله عنه فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فحدثته فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وتغير وجهه وقال له يا غلام لعلك غضبت عليه قال والله يا رسول الله لقد سمعت منه قال لعله أخطأ سمعك ولامه من حضر من الانصار وقالوا عمدت الى سيد قومك تقول عليه ما لم يقل أي وفي البخاري فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصابني هم لم يصبني مثله قط وجلست

في البيت أي الخباء فقال لي عمي ما أردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك فقال زيد والله لقد سمعت ما قال ولو سمعت هذه المقالة من أبي لنمتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واني لارجو أن ينزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ما يصدق حديثي أي وقيل ان زيد بن أرقم رضي الله عنه قال لابن أبي لما قال أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل أنت والله الذليل المنقص في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال له ابن أبي لعنه الله اسكت فانما كنت ألعب فعند تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنه عمر رضي الله عنه في أن يقتل ابن أبي والتمس منه أن يأمر غيره بقتله اذا لم يأذن له في ذلك * أي فعن عمر بن الخطاب رضي عنه قال لما كان من أمر ابن أبي ما كان جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في شمرة أي ظلها عنده غلام أسود يغمز ظهره أي يكبسه فقلت يا رسول الله كأنك تشتكي ظهرك فقال تقحمت بي الناقة أي ألقتني الليلة فقلت يا رسول الله ائذن لي أن أضرب عنق ابن أبي أو مر محمد بن مسلمة بقتله * أي وفي رواية مر به عباد بن بشر فليقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر اذا تحدث الناس بأن محمدا يقتل أصحابه * وفي لفظ أن عمر رضي الله عنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصاريا فقال ترعد له آذن أنف كثيرة بيثرب يعني المدينة ولعل تسميته صلى الله عليه وسلم لها بذلك ان كان بعد النهي لبيان الجواز ويبعد أن يكون ذلك كان قبل النهي عن ذلك ولكن أذن بالرحيل وكان ذلك في ساعة لم تكن ترتحل فيها * أي وفي رواية لما شاع الخبر ولم يكن للناس حديث في ذلك اليوم أي الوقت الا ذلك أذن بالرحيل وكانت ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحل فيها أي لشدة الحر فارتحل الناس وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه أسيد بن حضير رضي الله عنه فحياه بتحية النبوة وسلم عليه أي قال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وقال يا نبي الله لقد رحلت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها أي فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يرحل الا ان برد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بلغك ما قال صاحبكم فقال أي صاحب يا رسول الله قال عبد الله بن أبي بن سلول قال وما قال قال زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل قال فأنت والله يا رسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز * ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وفي رواية لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز

ليتوجوه مابقيت عليهم الاخرزة واحدة عند يوشع اليهودي فانه ليرى أنك استلبته ملكا وقد تقدم الاعتذار عنه بذلك في غير ما مرة ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس سيرا حثيثا أي صار يضرب راحلته بالسوط في مراقها أي ما رق من جلد أسفل بطنها وسار يومهم ذلك وليلتهم وصدر ذلك اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياما * وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليشتغل الناس عن الحديث الذي كان بالامس من حديث عبد الله بن أبي بن سلول قال * وذهب بعض الانصار الذين سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم ورده على الغلام الى ابن أبي لعنه الله فقال له يا أبا الحباب ان كنت قلت ما نقل عنك فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فليستغفر لك ولا تجحده فينزل فيك ما يكذبك وان كنت لم تقله فائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر له واحلف له ما قلته فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيأ * ثم مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه يا ابن أبي ان كانت سبقت منك مقالة فتب فجعل يحلف بالله ما قلت ما قال زيد وما تكلمت به انتهى * أي وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى ابن أبي فأتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني عنك فقال والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل أي وفي لفظ انهم قالوا يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام * ثم ان عبد الله رضي الله عنه ولد عبد الله بن أبي بن سلول أي وكان اسمه الحباب فسماه صلى الله عليه وسلم يوم موت أبيه عبد الله لما بلغه مقالة عمر رضي الله عنه من قتل أبيه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه قد بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي يعني والده فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فرني ان أحمل لك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني اني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا * قال وفي رواية فرني فوالله لاحملن اليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا واني لاخشى يا رسول الله أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر الى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأدخل النار وعفوك أفضل ومنتك أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت قتله ولا أمرت به ولنحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا فقال عبد الله

يا رسول الله ان أبى كانت أهل هذه البحيرة أى المدينة اتفقوا على أن يتوجوه عليهم فجاء الله عز وجل بك فوضعه ورفعنا بك أى زاد فى رواية ومعه قوم أى من المنافقين يطيفون به ويذكرونه أمورا قد غلب الله عليها وتقدم أنه وقع لعبد الله رضى الله عنه مثل ذلك مع أبيه * روى الدارقطنى مسندا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على جماعة فيهم عبد الله بن أبى فسلم عليهم ثم ولى فقال عبد الله لقد عتا ابن أبى كبشة فى هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يأتيه برأس أبيه فقال لا ولكن بر أباك * ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرب المدينة هاجت ريح شديدة تخوفوها كادت تدفن الراكب أى خافوا أن يكون لامر حدث بالمدينة على أهلهم فان مدة الموادعة التى كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيينة بن حصن كان ذلك حين انقضائها فخافوا على المدينة منه فقال صلى الله عليه وسلم ليس عليكم منه يعنى من عيينة ابن حصن بأس ما بالمدينة من نقب أى باب الا وملك يحرسه وما كان ليدخلها عدو حتى تأتوها ولكن تعصف هذه الريح لموت عظيم من الكفار وفى رواية لموت منافق وفى لفظ مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة فكان كما قال صلى الله عليه وسلم مات فى ذلك اليوم زيد بن رفاعة بن التابوت وكان كهفا للمنافقين كان من عظماء يهود بنى قينقاع * وكان ممن أسلم ظاهرا والى ذلك أشار الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وقد عصفت ريح فأخبرته بأنها * لموت عظيم فى اليهود بطيبة

* قال وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بموته فقد جاء ان عبادة بن الصامت قال لابن أبى يا أبا حباب مات خليلك قال أى خليل قال من موته فتح للاسلام وأهله قال من قال زيد بن رفاعة قال واويلاه من أخبرك يا أبا الوليد بموته قال قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا انه مات هذه الساعة فحزن حزنا شديدا انتهى * وذكر أهل المدينة ان هذه الريح وجدت بالمدينة وانه لما دفن عدو الله سكنت * أقول لكن فى كلام ابن الجوزى رفاعة بن زيد ابن التابوت وهو عم قتادة بن النعمان قد ذكر عنه قتادة رضى الله عنه ما يدل على صحة اسلامه * أى وقد يقال جاز أن يكون أظهر ذلك لقتادة ليظن به ما ظنه من صحة اسلامه * قال ابن الجوزى ولهم رفاعة بن التابوت معدود فى الصحابة ذكره فى الاصابة قال جاء ذكره فى حديث مرسل كانوا فى الجاهلية اذا أحرموا لم يأتوا بيتا من قبل بابه ولكن من قبل ظهره الا الحمس فانها كانت تأتى البيوت

من أبوابها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا ثم خرج من بابه فاتبعه
رجل يقال له رفاعة بن التابوت ولم يكن من الحمس فقال يا رسول الله نافق رفاعة
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حملك على ما صنعت ولم تكن من الحمس
قال فان ديننا واحد فنزلت وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها وسيأتي
نحو هذه القصة لقطبة بن عامر ولعلها وقعت لهما * وأما الحديث الذي أخرجه
مسلم ان ريحا عظيمة هبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها هبت لموت
منافق عظيم النفاق وهو رفاعة بن التابوت فهو آخر غير هذا فقد جاء من وجه آخر
رافع بن التابوت أي فذكر رفاعة بدل رافع من تصرف بعض الرواة * وذكر
في الاصابة ان رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان رضي الله عنه لم يوصف بأنه ابن
التابوت كما ذكره ابن الجوزي أي فوصفه بابن التابوت من تصرف بعض الرواة
فليتأمل والله أعلم * وعن جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر فهاجت ريح منتنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ناسا من
المنافقين اغتابوا ناسا من المؤمنين فلذلك هاجت هذه الريح ولم يعين جابر السفرة
* فيحتمل أن تكون هي هذه الغزوة وهو ظاهر سياقها فيها ويحتمل أن تكون
غيرها وفقدت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصوى من بين الابل أي ليلا
فجعل المسلمون يطلبونها من كل وجه فقال زيد بن اللصيت وكان منافقا كما علمت من
بني قينقاع وكان بجمع من الانصار أين يذهب هؤلاء في كل وجه قالوا يطلبون ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضلت قال أفلا يخبره الله بمكانها أي وفي لفظ
كيف يدعي أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ولا يخبره الذي يأتيه بالوحي فانكر
عليه القوم وقالوا قاتلك الله يا عدو الله نافقت وأرادوا قتله فعمد هاربا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم متعوذا به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك الرجل
يسمع ان رجلا من المنافقين شمت ان ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ألا يخبره الله بمكانها والله قد أخبرني بمكانها ولا يعلم الغيب الا الله وانها
في الشعب مقابلكم قد مسك زمامها بشجرة فاعمدوا نحوها فذهبوا
فأتوا بها من حيث قال صلى الله عليه وسلم فقام ذلك الرجل سريعا الى رفقائه
فقالوا له حين دنا لا تدن منا فقال لهم أنشدكم الله هل أتى أحد منكم محمدا فأخبره
خبري قالوا لا والله ولا قمنا من مجلسنا فقال اني وجدت ما تكلمت به عنده فاشهد
أن محمدا رسول الله كأني لم أسلم الا اليوم فقالوا له فاذهب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستغفر لك فذهب اليه واعترف بذنبه واستغفر له * قيل ويقال انه لم

ينزل فشلا أي جبانا حتى ماتوا وقع مثل هذا أي هبوب الريح واضلال ناقته صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وأوقع صلى الله عليه وسلم السباق بين الابل فسابق بلال رضي الله عنه على ناقته صلى الله عليه وسلم القصوى فسبقت غيرها من الابل وسابق أبو سعد الساعدي رضي الله عنه على فرسه صلى الله عليه وسلم الذي يقال له الظراب فسبق غيره من الخيل اه * أي وجاء ان ناقته صلى الله عليه وسلم العضباء كانت لا تسبق فجاء أعرابي على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم حق على الله أن لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه اه * أقول في الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة تسابق مع عائشة رضي الله عنها فحزمت بقبائها وفعل كذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استبقا فسبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها هذه بتلك التي كنت سبقتني بشير صلى الله عليه وسلم الى انه جاء الى بيت أبي بكر رضي الله عنه فوجد مع عائشة شيأ فطلبه منها فأبت وسعت وسعى صلى الله عليه وسلم خلفها فسبقته هذا وفي كلام ابن الجوزي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت عني حتى حملت اللحم وخرجت معه في سفرة أخرى فقال للناس تقدموا فتقدموا * ثم قال لي تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقني فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك فليتأمل * قال ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادي العقيق تقدم عبد الله رضي الله عنه بن عبد الله بن أبي بن سلول وجعل يتصفح الركاب حتى مر أبوه فاناخ به ثم وطىء على يد راحلته فقال أبوه ما تريد يا لكع فقال والله لا تدخل حتى تقر أنك الذليل وان رسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلم أيضا الاعز من الاذل أنت أو رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يقول أنا أذل من الصبيان لأنا أذل من النساء حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خل عن أبيك فخلا عنه أي * وفي لفظ انه لما جاء قال له ابنه وراءك قال مالك ويلك قال والله لا تدخلها يعني المدينة حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم اليوم من الاعز من الاذل * وفي لفظ حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وأنت الاذل فقال له أنت من بين الناس فقال نعم أنا من بين الناس وانصرف الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا له ما صنع ابنه رضي الله عنه فأرسل صلى الله عليه وسلم الى ابنه ان خل عنه وفي لفظ قال له ابنه رضي الله عنه لئن لم تقر لله ولرسوله

بالعزة لا ضر بن عنقك فقال و يحك أفاعل أنت قال نعم ❋ ولما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا وأنزل الله تعالى سورة المنافقين ❋ قال زيد بن أرقم رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخذه البرحاء ويعرق جبينه الشريف وتثقل يدا راحلته فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ورجوت أن ينزل الله تصديقي فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ باذني وأنا على راحلتي يرفعها الى السماء حتى ارتفعت عن مقعدي وهو يقول وعت اذنك ياغلام وصدق الله حديثك وكذب المنافقين ❋ وفي رواية هذا الذي أوفى الله باذنه ونزل وتعيها أذن واعية ❋ فكان يقال لزيد بن أرقم رضي الله عنه ذو الاذن الواعية ❋ وذكر بعض الرافضة ان قوله تعالى وتعيها أذن واعية جاء في الحديث أنها نزلت في على كرم الله وجهه ❋ قال الامام ابن تيمية وهذا حديث موضوع باتفاق أهل العلم أي وعلى تقدير صحته لامانع من التعدد ❋ وصار قوم عبد الله بن أبي عند نزول سورة المنافقين يعاتبونه ويعنفونه ❋ ولما بلغه صلى الله عليه وسلم أي بغض قومه له ومعاتبتهم له قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه كيف ترى ياعمراني والله لوقتلته يوم قلت لا رعدت له آنوف لوأمرتها اليوم بقتله لقتلته فقال عمر رضي الله عنه قد والله علمت لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري اه ❋ وجاء أنه لما نزلت سورة المنافقين وفيها تكذيب ابن أبي قال له أصحابه اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني ان أومن فآمنت وأمرتموني ان أعطي زكاة أموالي فأعطيت فما بقي الا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الآية ❋ وفي تفسير القرطبي عند قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر قال السدي نزلت في عبد الله ابن أبي جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له بالله يارسول الله ما أبقيت فضلة من شرابك أسقها أبي لعل الله يطهر بها قلبه فأفضل له فأتاه بها فقال له عبد الله ماهذا فقال هي فضلة من شراب النبي صلى الله عليه وسلم جئتك بها تشربها لعل الله يطهر قلبك بها فقال له أبوه فهلا جئتني ببول أمك فانه أطهر منها فغضب وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله بالله أما أذنت لي في قتل أبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه ❋ وقد جاء ان ابنه رضي الله عنه قال يارسول الله ذرني أن أسقي والدي

من وضوئك لعل قلبه أن يلين فتوضأ صلى الله عليه وسلم وأعطاه فذهب به الى أبيه فسقاه فقال له هل تدرى ماسقيتك قال نعم سقيتنى بول جمل قال لا والله لكن سقيتك بول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة هلال رمضان فكانت غيبته ثمانية وعشرين له * قال وفى هذه الغزوة جاءت امرأة بابن لها وقالت يارسول الله هذا ابنى غلبنى عليه الشيطان ففتح صلى الله عليه وسلم فم الولد وبزق فيه وقال اخسأ عدو الله أنا رسول الله قال ذلك ثلاثا ثم قال للمرأة شأنك بابنك لن يعود اليه شيء مما كان يصيبه * وفى هذه الغزوة جاء شخص بثلاث بيضات له صلى الله عليه وسلم من بيض النعام فقال صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه دونك ياجابر فاعمل هذه البيضات قال جابر فعملتهن ثم جئت بهن فجعلنا نطلب خبزا فلم نجد فجعل كل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكل من ذلك بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته والبيض كما هو * وفى هذه الغزوة جاء جمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرقل أى يختال فى مشيه وصوت فقال صلى الله عليه وسلم تدرون مايقول هذا الجمل هذا يستعيذنى على سيده يقول انه كان يحرث عليه وانه أراد أن ينحره اذهب ياجابر الى صاحبه فأت به فقلت لا أعرفه قال انه سيدلك عليه فخرج بين يدى حتى وقف على صاحبه فجئت به الى النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فى شأن الجمل انتهى * أقول قد تقدمت هذه الأمور الثلاثة التى هى قصة ابن المرأة وقصة البيض وقصة الجمل فى ذات الرقاع والتعدد فيهما جيء لاجل هذه الامور وسميت كل منهما بغزوة الاعاجيب بعيد والذى أراه انه اشتباه من بعض الرواة فليتأمل * وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك أى الكذب على عائشة الصديقة المرأة المطهرة رضى الله عنها قالت لما دنونا من المدينة قافلين أى راجعين أذن ليلة بالرحيل فقمت وذهبت لاقضى حاجتى حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فاذا عقد لى من جزع أظفار كذا بالالف عند البخارى * وفى رواية ظفار بغير ألف قال القرطبى ومن قيده بالالف فقد أخطأ أى ولعل المراد خالف الرواية وفى لفظ ظفارى أى بياء النسبة وفى لفظ الجزع الظفرى وقد يقال لامانع من وقوع هذه الالفاظ من الصديقة فى أوقات مختلفة * قال بعضهم الجزع بفتح الجيم واسكان الزاى وآخره عين مهملة خرز وظفار بالظاء المهملة كوبار مبنية على الكسر قرية من قرى اليمن كان ثمنه يسيرا وفى كلام بعضهم كان يساوى اثنى عشر درهما قد انقطع فالتمست عقدى أى ذهبت الى التماسه فى المحل الذى قضيت فيه حاجتى وحبسنى التماسه وأقبل الرهط الذين

كانوا يرحلون لى هو بتخفيف الحاء أى يجعلون هودجها على الرحل فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا قلما أكلهن أى لان السمن وكثرة اللحم غالبا ننشأ عن كثرة الاكل وساروا أى وعن عائشة رضى الله عنها أن الذى كان يرحل هودجها ويقود بعيرها أبو موهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ولا يخالف هذا قولها وأقبل الرهط الى آخره وقولها فى بعض الروايات . ولم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه لانه يجوز ان جماعة كانوا يعاونون أبا موهبة فى ذلك فوجدت عقدى فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب وأقمت بمنزلى الذى كنت فيه وظننت انهم سيفقدونى فيرجعون الى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان السلمى خلف الجيش أى لانه كان على ساقة الجيش عن الجيش ليلتقط ما يسقط من المتاع * وقيل كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس * وقد جاءت زوجته شكته الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له انه لا يصلى الصبح فقال يا رسول الله انى امرؤ ثقيل النوم لا أستيقظ حتى تطلع الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استيقظت فصل * أى وفى رواية شكته لى النبى صلى الله عليه وسلم أنه يضربها فقال انها تصوم بغير اذنى فقال لها لا تصومى الا باذنه قالت انه ينام عن الصلاة أى صلاة الصبح قال انه شئ ابتلاه الله به فاذا استيقظ فليصل * وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يعلم من حاله انه ينام عن صلاة الصبح قالت انه اذا سمعنى أقرأ يضربنى فقال ان معى سورة ليس معى غيرها هى تقرؤها قال لا تضربها فان هذه السورة لو قسمت فى الناس لوسعتهم أى وهذا الجواب منه صلى الله عليه وسلم يدل على ان صفوان ظن ان امرأته اذا قرأت تلك السورة شاركته فى ثوابها فلينأمّل فادلج أى سار ليلا فأصبح عند منزلى أى على خلاف عادته فرأى سوادا أى شخص انسان نائم فأتانى فعرفنى فاستيقظت باسترجاعه أى بقوله انا لله وانا اليه راجعون أى لان تخلف أم المؤمنين عن الرفقة فى مضيعة مصيبة أى مصيبة * قالت فخمرت وجهى بجلبابى وهو ثوب أقصر من الخمار ويقال له المقنعة تغطى بها المرأة رأسها أى لان ذلك كان بعد نزول آية الحجاب أى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الآية أى لانه تقدم أن ذلك كان فى سنة ثلاث على الراجح عند الاصل * وفى الامتاع وذكر بعض علماء الاخبار ان تزوجه صلى الله عليه وسلم زينب التى نزلت آية الحجاب بسببها كان فى ذى القعدة سنة خمس * ولا يخفى ان هذا القول ينافيه ما يأتى عن عائشة رضى الله عنها من قولها ان زينب

هي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اذ هو صريح في أنها كانت زوجة له صلى الله عليه وسلم قبل هذه الغزوة بناء على ان هذه الغزوة كانت سنة ست * قالت والله ما كلمني وفي لفظ والله ما يكلمني كلمة وما سمعت منه كلمة أي فلا كلمها ولا كلم نفسه قيل استعمل الصمت أدبا وله ول هذا الامر الذي هو فيه فلم يقع منه غير الاسترجاع حين أناخ ناقته فوطىء على يدها فركبتها * وفي رواية ثم قرب البعير فقال اركبي أي وفي لفظ قال أمه قومي فاركبي وأخذ برأس البعير وجاء انها لما ركبت قالت حسبي الله ونعم الوكيل * وفي سيرة ابن هشام أنه قال لها ما خلفك يرحمك الله قالت فما كلمته أي ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات الثلاث وما قبلها على تقدير صحتها * وقد يقال معنى انها لم تسمع منه غير استرجاعه ولا كلمها ولا تكلم أي قبل أن يقرب اليها البعير كما علمت فلما قرب البعير اليها قال لها يا أمه قومي فاركبي لان اناخة البعير وتقريبه ليس صريحا في الاذن لها في الركوب فأتى بذلك اللفظ الدال على مزيد احترامها واجلالها وتعظيمها * وبعض الرواة اقتصر على قوله اركبي وبعد أن ركبت أي وحصلت الطمأنينة واندفعت الريبة قال لها مستعجلا مستفهما ما خلفك قالت فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا وذلك في نحر الظهيرة أي وسطها وهو بلوغ الشمس منتهاها من الارتفاع وبهذه الواقعة استدل فقهاؤنا على أنه يجوز الخلوة بالمرأة الاجنبية اذا وجدها منقطعة ببرية أو نحوها بل يجب استصحابها اذا خاف عليها لو تركها * هذا وفي الخصائص الصغرى وفي معاني الآثار للطحاوي رحمه الله قال أبو حنيفة كان الناس لعائشة رضي الله عنها محرما فمع أيهم سافرت فقد سافرت مع محرم وليس غيرها من النساء كذلك * أي وقوله وليس غيرها من النساء كذلك يشمل بقية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وحينئذ يتأمل الفرق بينها وبين بقية أمهات المؤمنين فيما ذكر وفيما سيأتي عن بعضهم أن من قذف عائشة يقتل ويحد في غيرها من أزواجه صلى الله عليه وسلم حدين * قالت عائشة رضي الله عنها فلما نزلنا هلك من هلك بقول البهتان والافتراء والذي تولى كبره أي معظمه عبد الله بن أبي بن سلول أي فانه كان أول من أشاعه في العسكر أي فانه كان ينزل مع جماعة المنافقين متبعدين من الناس فمرت عليهم فقال من هذه قالوا عائشة وصفوان فقال فجر بها ورب الكعبة * وفي لفظ ما برئت منه وما برىء منها * وفي لفظ والله ما نجت منه ولا نجا منها وصار يقول امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم أشاع ذلك في المدينة بعد دخولهم لها لشدة عداوته لرسول الله صلى الله

عليه وسلم * أى والذى فى البخارى كان يتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه أى يستخرجه بالبحث عنه * وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون هو أول من أشاعه عند دخول المدينة ثم صار يستخرجه بالبحث عنه ليكثر اشاعته * قالت فقدمنا المدينة فاشتكيت أى مرضت حين قدمت شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك أى ووصل الخبر الى النبى صلى الله عليه وسلم والى أبوى ولا أشعر بشئ من ذلك وكان يريبنى أنى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى أى حين أمرض واللطف بضم اللام وسكون الطاء وقيل بفتح اللام والطاء وهو من الانسان الرفق ومن الله التوفيق انما يدخل على فيسلم أى وعندى أمى تمرضنى ثم يقول كيف تيكم أى لا يزيد على ذلك ثم ينصرف فذاك الذى يريبنى حتى خرجت بعدما نقهت بكسر القاف وفتحها أى أول ما أفقت من المرض فخرجت معى أم مسطح وهى بنت خالة أبى بكر أى وما فى لفظ وكان مسطح بن خالة أبى بكر هو على ضرب من التجوز والمسامحة وكان مسطح يتيما فى حجر أبى بكر وكان فقيرا ينفق عليه أبو بكر قالت وخروجنا كان الى المحل الذى تخرج اليه النساء ليلا أى لقضاء حاجة الانسان وذلك قبل أن تتخذ الكنف أى فان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن نحو المصنع وهو محل متسع * قالت فلما فرغنا من شأننا وأقبلت عثرت أم مسطح فى مرطها أى ازارها فقالت تعس مسطح بفتح العين وكسرها أهلك مسطح تعنى ولدها ومسطح فى الاصل عمود الخيمة * قلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا قالت ياهنتاه بفتح الهاء الاولى وسكون النون وضم الهاء الثانية أى ياهذه أولم تسمعى ما قال قلت وما قال فأخبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضى أى عاودنى المرض وازددت عليه * أى وفى لفظ فخررت مغشيا عليها وفى رواية خرجت لبعض حاجتى وهى أم مسطح قد حملت السطل وفيه ماء فعثرت ووقع السطل منها فقالت تعس مسطح فقلت أى أم تسبين ابنك فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح فقلت أى أم تسبين ابنك ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فنهرتها فقالت والله ما أسبه الا فيك فقلت فى أى شأنى فبقرت أى كشفت لى الحديث فقلت وقد كان هذا قالت نعم فأخذتنى حمى نافضة ورجعت الى بيتى فلما رجعت الى بيتى مكثت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقى لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعدان سلم كيف تيكم فقلت أتأذن لى أن آتى بيت أبوى وأنا أريد أن أتثبت الخبر من قبلهما أى لان أمها فارقتها لما نقهت

من المرض وذهبت الى بيتها فلا ينافى ماسبق من قولها وعندى أمى تمرضنى قالت فأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثت أبوى أى وأرسل معى الغلام فدخلت الدار فوجدت أم رومان فى السفل وأبابكر فوق يقرأ فقالت أمى ماجاء بك فأخبرتها فذهابها الى أبويها كما علمت كان بعد أن صحت من المرض وبعد اخبار ام مسطح لها بالقصة ❊ والذى فى السيرة الهشامية مايفيد أنه كان قبل ذلك وهو أنها رضى الله عنها قالت كان صلى الله عليه وسلم كلما يدخل يقول كيف تيكم لا يزيد على ذلك حتى وجدته فى نفسى فقلت يارسول الله حين رأيت مارأيت من جفائه لو أذنت لى فانتقلت الى أمى تمرضنى قال لا عليك قالت فانتقلت الى أمى ولا علم لى بشىء مما كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الاعاجم أى بيوت الاخلية نعافها ونكرهها انما كنا نذهب فى فسح المدينة فخرجت ليلة ومعى أم مسطح بنت خالة أبى بكر اذ عثرت فى مرطها فقالت تعس مسطح قلت بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين ❊ وقد شهد بدرا قالت أوما بلغك الخبر يا ابنة أبى بكر قلت وما الخبر فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الافك قلت أوقد كان هذا قالت نعم والله لقد كان فوالله ماقدرت على أن أقضى حاجتى ورجعت فوالله مازلت أبكى حتى ظننت ان البكاء سيصدع كبدى فليتأمل الجمع بين مافى السيرة الهشامية ومافى غيرها على تقدير صحتهما قالت وقلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به لا تذكرين لى من ذلك شيأ الحديث ❊ وفى رواية فقلت لامى ياأمّاه يتحدث الناس وفى لفظ قلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا الا تذكرين لى من ذلك شيأ قالت يابنية هونى عليك ❊ وفى لفظ خففى عليك الشان فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة أى جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها أى القول فى تنقيصها وفيه ان ضرائرها أمهات المؤمنين لم يكن السبب فى اشاعة ذلك ولم ينقصنها به الا أن يقال ظنت أمها ذلك على ماهو العادة فى ذلك وعند ذلك قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا أى وقلت قد علم به أبى قالت نعم قلت ورسول الله قالت نعم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتى فنزل فقال لامى ماشأنها فقالت بلغها الذى ذكر من شأنها ففاضت عيناه فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقى لى دمع أى لا يرتفع ولا اكتحل بنوم فى الليلة الثانية كذلك ولما أصبحت أصبح أبواى عندى يظنان ان البكاء فالق كبدى فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى أى وهما يبكيان وأهل الدار يبكون فاستأذنت على امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكى معى ❊ وسمعت من بعض

الشيوخ ان هرة كانت بالبيت جالسة تبكى أيضا فبينا نحن على ذلك دخل علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل * وقد
لبث صلى الله عليه وسلم شهرا لا يوحى اليه فى شأنى فتشهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت
بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى فان العبد اذا
اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تعالى تاب الله عليه * قال بعضهم دعاها الى الاعتراف
ولم يأمرها بالستر أى مع أنه المطلوب ممن أتى ذنبا لم يطلع عليه * وفى لفظ قال يا عائشة
انه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقى الله فان كنت قارفت أى اكتسبت سوء
مما يقول الناس فتوبى الى الله تعالى فان الله تعالى يقبل التوبة عن عباده * قالت
فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى أى ارتفع حتى ما أحس
منه بقطرة فقلت لابى أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال فوالله
لا أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى أجيبى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ
قلت لابوى الا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا والله لا ندرى بماذا نجيبه
فقلت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى نفوسكم فلئن قلت لكم انى بريئة والله
يعلم أنى بريئة لا تصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى منه بريئة
لتصدقونى والله لا أجد لكم * وفى لفظ لا أجد لى مثلا الا قول أبى يوسف عليهما
السلام أى والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه اذ يقول فصبر جميل والله المستعان
أى وفى رواية كما فى البخارى مثلى ومثلكم كيعقوب وبنيه والله المستعان على
ما تصفون وفى لفظ انما أشكو بثى وحزنى الى الله وبذلك استدل على جواز ضرب
المثل من القرآن أيضا ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وما كنت أظن ان الله ينزل
فى شأنى وحيا يتلى وفى لفظ قرآنا يقرأ به فى المسجد ونصلى به ولشأنى فى نفسى كان
أحقر من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى وكنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه
وسلم رؤيا فى النوم يبرئنى الله بها أى وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه ما أعلم
أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على والله ما قيل انا هذا فى الجاهلية حيث
لا يعبد الله فيقال لنا فى الاسلام وأقبل على عائشة مغضبا فأخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما كان يأخذه عند نزول الوحى أى من شدة الكرب فسجى أى غطى
بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه * وفى لفظ قالت عائشة رضى الله عنها
فأما انا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت لانى قد عرفت أنى بريئة وان الله

غير ظالمي * وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وأخبر بما أخبر حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا أي خوفا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سري عنه وهو يضحك وانه ليتحدر منه العرق كالجمان وهي حبوب مدحرجة تجعل من الفضة أمثال اللؤلؤ فجعل يمسح العرق عن وجهه الكريم فكان أول كلمة تكلم بها يا عائشة أما ان الله قد برأك فقالت أمي قومي اليه صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله * وفي لفظ قال أبشري يا عائشة فقد أنزل الله تعالى براءتك قلت نحمد الله لا نحمد أحدا قالت عائشة رضي الله عنها نزلت تلك الآيات في يوم شات قالت وتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم درعي فقلت بيده هكذا أي أدفع يده عن درعي فأخذ أبو بكر النعل ليعلوني بها فمنعته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أقسمت عليك لا تفعل * وفي رواية لما أنزل الله براءتها قام اليها أبو بكر رضي الله عنه فقبل رأسها فقالت له هلا كنت عذرتني فقال أي بنية أي سماء تظلني وأي ارض تقلني ان قلت بما لا أعلم ولا مخالفة بين هذه الرواية وما قبلها لجواز أن يكون ما قبلها بعدها * وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك الآيات العشر أي وفي تفسير البيضاوي الثمانية عشر قال السهيلي وكان نزول براءة عائشة رضي الله عنها بعد قدومهم المدينة أي من الغزوة المذكورة لسبع وثلاثين ليلة في قول بعض المفسرين فمن نسبها رضي الله عنها الى الزنا كغلاة الرافضة كان كافرا الان في ذلك تكذيبا للنصوص القرآنية ومكذبها كافر وفي حياة الحيوان عن عائشة رضي الله عنها لما تكلم الناس في الافك رأيت في منامي فتى فقال لي ما لك قلت حزينة مما ذكر الناس فقال ادعي بهذه يفرج الله عنك قلت وما هي قال قولي يا سابغ النعم ويا دافع النقم ويا فارج الغمم ويا كاشف الظلم ويا أعدل من حكم ويا حسيب من ظلم ويا أول بلا بداية ويا آخر بلا نهاية اجعل لي من أمري فرجا ومخرجا قالت فقلت ذلك فانتبهت وقد أنزل الله فرجي * قال بعضهم برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بشاهد من أهل زليخة وبرأ موسى عليه السلام من قول اليهود فيه ان له أدرة بالحجر الذي فر بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها وبرأ عائشة بهذه الآيات * وكان أبو بكر ينفق على مسطح لقرابته منه أي كما تقدم ولفقره فحلف لا ينفق عليه أي فانه قال والله لا أنفق على مسطح أبدا ولا أنفعه بنفع أبدا بعدما قال لعائشة وأدخل علينا * وفي لفظ أخرجه من منزله وقال له لا وصلتك بدرهم أبدا ولا عطفت عليك بخير أبدا فأنزل الله تعالى ولا يأتل

أولو الفضل أى الفضيلة والافضال منكم والسعة أى فى الرزق أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم * وعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه أما تحب أن يغفر الله لك قال أبو بكر رضى الله عنه والله انى لأحب أن يغفر لى فرجع الى مسطح بالنفقة التى كان ينفق عليه وقال والله انى لا انزعها عنه أبدا وفى معجم الطبرانى الكبير * وفى معجم النساءى أنه أضعف له النفقة التى كان يعطيه اياها قبل القذف أى أعطاه ضعف ما كان يعطيه قبل ذلك أى وكفر عن يمينه * وهذا وبما فى الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها ان يأتى الذى هو خير ويكفر عن يمينه استدل فقهاؤنا على أن الافضل فى حق من حلف على ترك مندوب أو فعل مكروه أن يحنث ويكفر عن يمينه وهنا لطيفة وهى أن ابن المقرى رحمه الله منع عن ولده النفقة تأديبا له على أمر وقع منه فكتب الى والده رحمه الله هذه الابيات

لا تقطعن عادة بر ولا * تجعل عقاب المرء فى رزقه
فان أمر الافك من مسطح * يحط قدر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذى قد جرا * وعوتب الصديق فى حقه

فكتب اليه والده رحمه الله تعالى هذه الابيات

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير فى طرقه
لانه يقوى على توبة * تكون ايصالا الى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه * ما عوتب الصديق فى حقه

ووصف الله تعالى للصديق بأولى الفضل موافق لوصفه صلى الله عليه وسلم له بذلك فقد جاء أن عليا كرم الله وجهه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضى الله عنه جالس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنحى أبو بكر عن مكانه وأجلس عليا كرم الله وجهه بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فتهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وسرورا وقال لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا أولوا الفضل * وعنها رضى الله عنها أنها قالت لما استلبث الوحى عنه صلى الله عليه وسلم أى أبطأ عليه ولم ينزل استشار الصحابة فقال له عمر رضى الله عنه من زوجها لك يا رسول الله قال الله تعالى قال أفتظن أن الله دلس عليك فيها سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت ودعا على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأسامة ابن زيد رضى الله عنهما ليستأمرهما فى فراق أهله أى تعنى نفسها فأما أسامة بن زيد

فقال أهلك أى الزم أهلك يا رسول الله ولا نعلم الا خيرا * وأمّا على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وانك لتقدر ان تستخلف وفى لفظ قد أحل الله لك فطلقها وانكح غيرها وان تسأل الجارية تصدقك يعنى بريرة رضى الله عنها أى لانها كانت تخدم عائشة اماقبل شرائها لها أو بعده وقبل عتقها لها فان عتقها لها كان بعد الفتح فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أى بريرة هل رأيت من شىء يريبك قالت بريرة والذى بعثك بالحق مارأيت عليها أمرا أغمصه بالغين المعجمة والصاد المهملة بينهما ميم مكسورة أى أعيبه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن وهى الدابة التى تألف البيوت ولاتخرج للمرعى وهى هنا لشاة فتأكله * وفى لفظ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فسألها فقام اليها على كرم الله وجهه فضربها ضربا شديدا وجعل يقول لها أصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول والله ما أعلم الا خيرا وما كنت أعيب على عائشة شيأ الا أنى كنت أعجن عجينى فآمرها أن تحفظه فتنام فتأتى الشاة فتأكله أى وضربها كما قال السهيلى ولم تستوجب ضربا ولا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ضربها الا انه اتهمها فى أنها خانت الله ورسوله فكتمت من الحديث مالا يسعها كتمه هذا كلامه * والذى فى البخارى وانتهرها بعض الصحابة فقال أصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر * وفى الامتاع جاء صلى الله عليه وسلم لبريرة وسألها فقالت هى أطيب من طيب الذهب والله لا أعلم عليها الا خيرا والله يارسول الله لئن كانت على غير ذلك ليخبرك الله بذلك * أى وبريرة هذه روى عنها عبد الملك ابن مروان فقد ذكر أنه قال كنت أجالس بريرة رضى الله عنها بالمدينة قبل ان آتى الى هذا الامر يعنى الخلافة فكانت تقول لى يا عبد الملك انى أرى فيك خصالا وانك لخليق ان تلى هذا الامر يعنى الخلافة فان وليته فاحذر الدماء فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر اليها على محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق * قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش أم المؤمنين عن أمرى يقول ماذا علمت أو رأيت فتقول يارسول الله أحمى سمعى وبصرى أى أصون سمعى من أن أقول سمعت ولم أسمع وأصون بصرى من أن أقول أبصرت ولم أبصر ماعلمت الا خيرا * أى وفى رواية حاشا سمعى وبصرى ماعلمت الا خيرا والله ما أكلمها وانى لمهاجرتها وما

تكن ت أقول الا الحق قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ تناصيني أي تعادلني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في المنزلة والمحبة عنده صلى الله عليه وسلم فعصمها الله تعالى * أي ولهذا جعلها في النور أفضل نسائه صلى الله عليه وسلم بعد عائشة وخديجة حيث قال والذي يظهر أن أفضلهن أي زوجاته صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وعائشة زينب بنت جحش وقالت عائشة رضي الله عنها في وصفها لم أر امرأة قط خيرا من زينب في الدين وأتقى لله واصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة أشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتقرب به الى الله ماعدا سورة أي حدة تسرع فيها الفئة أي ترجع عنها سريعا * قالت عائشة رضي الله عنها وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عند استلباث الوحي وتأخره في الناس وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس مابال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق * وفي رواية فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول فقال وهو على المنبر من يعذرني أي ينصفني من رجل قد بلغني اذاه في أهل بيتي فوالله ماعلمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا يعني صفوان ماعلمت عليه الا خيرا أي وزاد في رواية ولا يدخل بيتي * وفي لفظ بيتا من بيوتي الا وأنا حاضر ولا غبت في سفر الا غاب معي يقولون عليه غير الحق فقام سعد بن معاذ أي سيد الاوس فقال يارسول الله أنا أعذرك منه ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وقد احتملته الحمية * وفي لفظ أجهلته الحمية وكان قبل ذلك رجلا صالحا أي لما ذكر سعد بن معاذ الخزرج الذين هم قوم سعد بن عبادة لا جلهم وحملته الحمية لهم على أن يجهل أي قال قول الجهل فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ كما تقدم فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه وانفك راغم فانك منافق تجادل عن المنافقين أي والمراد بكونه منافقا أنه يفعل فعل المنافقين * ومن ثم لم ينكر صلى الله عليه وسلم ذلك ان كان سمعه فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا لانه كان بين الحيين قبل الاسلام مشاحنة ومحاربة كما تقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا قالت وأنا لا أعلم بشيء من ذلك * أقول فيه ان سعد بن معاذ لم يقل انه ان كان من الخزرج نقتله بل قال نفعل فيه ما أمرنا به النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحسن رد سعد بن عبادة عليه بما ذكر ثم رأيت بعضهم ذكر ان الاظهر عندي

ان ابن عبادة لم يقل ذلك حمية لقومه وانما أراد الانكار على ابن معاذ في كونه يقتل شخصا من قومه الذين هم الاوس مع انه يظهر الاسلام لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقتل من يظهر الاسلام فكأنه قال لا تقل ما لا تفعل ولا تقدر على فعله حيث لم يأمرك بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وانما انتصر أسيد بن حضير لسعد بن معاذ نصرة للنبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الحالة العظيمة التي طلب صلى الله عليه وسلم فيها من يعذره من ذلك القائل وانكاره على سعد بن عبادة انما هو انكار لظاهر لفظه وان كان لباطنه مخلص حسن وكم من لفظ ينكر اطلاقه على قائله وان كان في الباطن له مخلص هذا كلامه * ثم رأيت في السيرة الهشامية ان المتكلم أسيد بن حضير وأنه قال يارسول الله ان يكونوا من الاوس نكفيكهم وان يكونوا من اخواننا الخزرج فمرنا أمرك فوالله انهم لاهل لان نضرب أعناقهم فقام سعد بن عبادة فقال كذبت لعمر الله والله ماتضرب أعناقهم أما والله ماقلت هذه المقالة الا أنك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك يعني الاوس ماقلت هذا أي لان عبد الله بن أبي بن سلول من الخزرج وكذا حسان بن ثابت رضي الله عنه بناء على انه كان من أصحاب الافك * وفي البخاري ان سعد بن معاذ قال ائذن لي يارسول الله أن أضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان من رهط ذلك الرجل أي من الخزرج فقال كذبت أما والله لو كانوا من الاوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم وعلى هذه الرواية فلا اشكال وقول البخاري وكانت أم حسان الى آخره يشعر بأن حسان لم يكن من الخزرج * وهو يخالف ماتقدم وماسيأتي من أنه من الخزرج الا أن يقال وصفه بذلك على المسامحة لكون أمه منهم فليتأمل ولا يخفى ان ذكر المنبر يخالف ما في الاصل من ان اتخاذ المنبر كان في السنة الثامنة وقصة الافك كانت في السنة الخامسة أو السادسة * وفي النور المراد بالمنبر شيء مرتفع قال والا فالمنبر انما اتخذ في السنة الثامنة أي فيكون المراد المنبر الذي اتخذ في السنة الثانية كان من الطين والذي كان من خشب انما اتخذ في السنة الثامنة وقد بينا ذلك مبسوطا والله أعلم ثم بعد نزول آيات الافك أي وهي ان الذين جاؤا بالافك عصبة الى قوله أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم * خرج صلى الله عليه وسلم الى الناس وخطبهم وتلا عليهم تلك الآيات وأمر بجلد أصحاب الافك أي وهم عبد الله بن أبي ومسطح وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين وأخوها عبيد الله بالتصغير بن جحش ويقال له أبو أحمد كان ضريرا * أي وكان يدور مكة أعلاها وأدناها في أي محل من غير قائد وكان

شاعر

شاعرا وهو ابن عمة أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وأما أخوها
عبد الله وهو كبيرا فقد قتل يوم أحد كما تقدم وزاد بعضهم خامسا وهو زيد بن رفاعة
وفيه أنه تقدم أنهم لما قدموا المدينة وجدوه قد مات الآن يقال ان لهم زيد بن رفاعة
غيره فيجوز أن يكون هو ذلك ويقال وحسان بن ثابت فجلدوا الحد وهم ثمانون
* وقال بعضهم وذكر سعد بن معاذ في هذه الرواية أي انه القائل أنا أعذرك وهم
من بعض الرواة إنما المتكلم بذلك أسيد بن حضير أي كما تقدم عن السيرة الهشامية
لان سعد بن معاذ مات بعد بني قريظة * قال في الاصل لو اتفق أهل المغازي على أن
غزوة الخندق وبني قريظة متقدمة على غزوة بني المصطلق لكان الوهم لازما
ولكنهم مختلفون * أقول أي فالوهم لا يلزم الا من جعل هذه الغزوة التي هي غزوة
بني المصطلق متأخرة عن بني قريظة ويذكر فيها سعد بن معاذ كالاصل ومن ثم
لما قال ابن اسحاق بأنها بعد بني قريظة روى عن عائشة بدل سعد بن معاذ أسيد
ابن حضير * قال في الامتاع وهذا هو الصحيح والوهم لم يسلم منه أحد من بني آدم
وفيه ان مما يدل على تقدمها وان ذكر سعد بن معاذ ليس من الوهم في شيء
ما ذكره في الكتاب المذكور والذي هو الامتاع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكث أياما ثم أخذ بيد سعد بن معاذ في نفر حتى دخل على سعد بن عبادة فتحدثوا
ساعة وقرب لهم سعد بن عبادة طعاما فأصابوا منه ثم انصرفوا فمكث أياما ثم أخذ
بيد سعد بن عبادة في نفر فانطلقوا حتى دخلوا منزل سعد بن معاذ فتحدثوا ساعة
وقرب لهم سعد بن معاذ طعاما فأصابوا منه ثم خرجوا فذهب من أنفسهم ما كان
وان ذكر سعد بن معاذ وقع في الصحيح وغيرهما والله أعلم وذكر ان صفوان بن
المعطل رضي الله عنه الذي كان الافك بسببه ظهر انه كان حصورا لا يأتي النساء
أي انما معه مثل الهدبة أي عنين وقد قال الشيخ محيي الدين الحصور عندنا العنين أي
ويدل له ما في البخاري أنه رضي الله عنه ما كشف كنف امرأة قط أي سترها لان
الكنف الساتر وقد جاء في تفسير وصف يحيى بن زكريا بالحصور أنه صلى الله
عليه وسلم أهوى الى الارض وأخذ قذاة وقال كان ذكره يعني يحيى عليه السلام
مثل هذه القذاة ولعل المراد التشبيه في الارتخاء وعدم الشدة * فلا يخالف ما قبله
لكن في النهر الحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة على ذلك أي وربما يؤيد ذلك
ما جاء أربعة لعنوا في الدنيا والآخرة وامنت الملائكة رجل جعله الله ذكرا فأنث
نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله انثى فتذكرت وتشبهت بالرجال والذي يضل
الاعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا الا يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام

فالحصور وصف مذموم الا في يحيى عليه السلام خصوصية له دون غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والا فقد امتن سبحانه على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية * قيل وهذا الوصف جاء ليحيى من أثر همه لوالده زكريا عليهما السلام فانه لما شاهد مريم منقطعة عن الازواج أحب أن يرزقه الله ولدا مثلها أى منقطعا عن الزوجات فجاء يحيى عليه السلام حصورا ويؤيد ذلك ما في انس الجليل وكان يحيى عليه السلام لا يأتي النساء لانه لم يكن له ما للرجال كذا قيل وهو غير مرضى * وقد تكلم القاضي عياض رحمه الله في الشفاء على معنى كون يحيى حصورا بما حاصله ان هذا الذى قيل نقيصة وعيب لا يليق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب لا يأتيها فكأنه حصر عنها وأنه حصر نفسه عن الشهوات فعالها هذا كلامه فليتأمل أى وعلى الاول لا ينافى ذلك كون صفوان كان متزوجا لما تقدم ان زوجته شكته للنبي صلى الله عليه وسلم أى على ان ابن الجوزى نقل عن شيخه بن ناصر الدين رحمه الله ان صفوان رضي الله عنه انما تزوج بعد حديث الافك * ومما يدل على ان حسان رضي الله عنه لم يكن من أصحاب الافك تبرئه مما نسب اليه في أبيات مدح بها عائشة رضي الله عنها منها

مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل سوء وباطل
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم * فلا رفعت سوطى الى أناملى
وكيف وودى ما حييت ونصرتى * لآل رسول الله زين المحافل

* ومن ثم قال بن عبد البر وقد أنكر قوم كون حسان رضي الله عنه خاض في الافك وأنه جلد وجاء ان عائشة رضي الله عنها برأته من ذلك أى فقد ذكر الزبير بن بكار أنه قيل لعائشة رضي الله عنها وقد قالت في حق حسان رضي الله عنه انى لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه بلسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس هو ممن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك قالت لم يقل شيأ ولكنه القائل

فان كان ما قد قيل عنى قلته * فلا رفعت سوطى الى أناملى

وقد قال مثل هذا البيت أنس بن زنيم وقد بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه لما بلغه صلى الله عليه وسلم انه هجاه فجاء اليه صلى الله عليه وسلم معتذرا وأنشده أبياتا منها

ونبي رسول الله أن قد هجوته * فلا رفعت سوطى الى أذن يدى

* لكن في رواية انها كانت تأذن لحسان بن ثابت وتلقى له الوسادة وتقول لا تقولوا

لحسان الاخيرا فانه كان يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم بلسانه وقد قال تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد عمي والعمى عذاب عظيم والله قادر على أن يجعل ذلك ويغفر لحسان ويدخله الجنة * وفيه انه سيأتي عن عائشة وغيرها ان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول كما تقدم الا أن يقال كبره مقول بالتشكيك والذي بلغ فيه الغاية عبد الله بن أبي بن سلول فليتأمل * وعن الزهري قال كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالي وهو يقرأ سورة النور مستلقيا على سريره فلما بلغ والذي تولى كبره جلس ثم قال يا أبا بكر من تولى كبره أليس علي بن أبي طالب قال الزهري فقلت في نفسي ماذا أقول ان قلت لا لا آمن أن ألقى منه شرا وان قلت نعم جئت بأمر عظيم ثم قلت لنفسي لقد عودني الله على الصدق خيرا فقلت لا فضرب بقضيبه السرير قال فمن يكرر ذلك مرارا قلت لكن عبد الله بن أبي بن سلول * ووقع لسليمان بن يسار مع هشام بن عبد الملك نحو ذلك فان سليمان بن يسار رحمه الله دخل على هشام بن عبد الملك فقال له يا أبا سليمان الذي تولى كبره من هو قال عبد الله بن أبي قال كذبت هو علي قال أنا أكذب لا أبا لك لو نادى مناد من السماء ان الله أحل الكذب ما كذبت حدثني عروة وسعيد وعبد الله وعلقمة رحمهم الله عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت الذي تولى كبره عبد الله بن أبي وعن عائشة رضي الله عنها انه ذكر عندها حسان بسوء فنهتهم وقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وفي البخاري كانت عائشة رضي الله عنها تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال

فان أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

فبهذا البيت يغفر الله تعالى له به وذكر بعضهم ان الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشركي قريش عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن عمه صلى الله عليه وسلم وعمرو بن العاصي وضرار بن الخارث ولما أراد حسان رضي الله عنه أن يهجوهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهجوهم وأنا منهم وكيف تهجو أبا سفيان بن عمي فقال له والله لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين فقال له صلى الله عليه وسلم ائت أبا بكر فانه أعلم بانساب القوم منك فكان يجيء الى أبي بكر ليوقفه على أنسابهم فجعل حسان يهجوهم فلما سمعوا هجوه قالوا ان هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة وعاش حسان رضي الله عنه مائة وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الاسلام وعاش والده أيضا مائة وعشرين سنة وكذا جده ووالد جده * قال بعضهم ولا يعرف أربعة تناسلوا وتساوت أعمارهم

غيرهم ولم يشهد حسان مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهدا لانه كان يخشى الموت فكان ينسب للجبن * ومن ثم جعل يوم الخندق مع النساء والذرارى فى الآطام وما وقع له مع صفية عمته صلى الله عليه وسلم فى أمر اليهودى الذى قتلته فى ذلك المكان وما قاله لها يدل على انه كان جبانا شديد الجبن ويرد انكار بعض العلماء كونه جبانا قال اذ لو صح ذلك لهجى به فانه كان يهاجى الشعراء وكانوا يردون عليه فما عيره أحد منهم به ولا وسمه به ولعله كان به علة اقتضت جعله مع الذرارى فى الآطام ومنعته من شهود القتال هذا كلامه * وقد يقال على تسليم أنه لم يهج بالجبن يجوز أن يكون لكونه كان لا يتأثر بوصفه بذلك * وذكر بعضهم ان حسان رضى الله عنه شلت يداه بضربة ضربها له صفوان بسيف لما هجاه فذكر ذلك حسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حسان وصفوان أى وأظهر التغايظ على صفوان بسبب اظهاره السلاح على حسان وضربه به فقال صفوان يارسول الله آذانى وهجانى فاحتملنى الغضب فضربته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان احسن فيما أصابك قال هى لك * وفى رواية قال كل حق لى قبل صفوان فهو لك فقال له صلى الله عليه وسلم قد أحسنت وقبلت ذلك منك وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا منها حديقة له يقال لها بيرحا بفتح الراء فى الاحوال الثلاثة مع قصر حا قيل لها ذلك لان الابل يقال لها اذا وردت وزجرت عن الماء حاحا وفيه انه كان القياس أن يقال بيرحا بضم الراء فى حالة الرفع ومدحا الا أن يقال المجموع اسم مركب وكانت هذه البئر لابى طلحة رضى الله عنه فتصدق بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضعها حيث شاء ثم باعها حسان من معاوية بمال عظيم * أقول الذى فى البخارى كان أبو طلحة رضى الله عنه أكثر أنصارى بالمدينة مالا وكان أحب أمواله اليه بيرحا وهى حديقة وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويستظل بها ويشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الله يقول فى كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالى الى بيرحا وانه صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث شئت فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح قد سمعت ما قلت فيها قد قبلناها منك ورددناها عليك ورأى أن تجعلها فى الاقربين قال افعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه * وفى لفظ آخر فى البخارى قال صلى الله عليه وسلم لابى طلحة

اجعله لفقراء أقاربك فجعلها لحسان وأبي بن كعب * وفيه ان أبي بن كعب كان غنيا وبين في البخاري وجه قرابتهما من أبي طلحة فذكر ان حسان يجتمع مع أبي طلحة في الأب الثالث وأبي يجتمع معه في الأب السادس * وذكر بعضهم ان أبي بن كعب كان ابن عمه أبي طلحة * وفي الامتاع انه صلى الله عليه وسلم أعطى حسان تلك الحديقة وأعطاه سيرين جاريته أخت مارية أم ولده صلى الله عليه وسلم ابراهيم فجاءت منه بابنه عبد الرحمن وكان يفتخر بأنه ابن خالة ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم * وقد رويت سيرين هذه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا قالت رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خللا في قبر ابنه ابراهيم فأصلحه وقال ان الله يحب من العبد اذا عمل عملا ان يتقنه وأعطاه سعد بن عبادة رضي الله عنه بستانا كان يتحصل منه مال كثير * وحاصل ما في الامتاع فيما وقع بين حسان وصفوان ان حسان رضي الله عنه لما قال

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كبروا * وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

* قال صفوان ما أراه الا عناني أي بالجلابيب وتقدم ان ابن سلول قد قاله في حق المهاجرين والفريعة بالفاء جدة حسان رضي الله عنه وقيل أمه وفريعة الشيء خياره وفريعة القبيلة سيدها واستعمل بيضة البلد في الذم بقرينة المقام والا فكما تستعمل في الذم تستعمل في المدح يقال فلان بيضة البلد أي واحد في قومه عظيم فيهم فعند ذلك خرج صفوان مصلتا السيف وجاء الى حسان وهو في نادي قومه الخزرج وضربه فلقي بيده فوقع السيف فيها فقام قومه وأوثقوا صفوان رباطا ثم انه حل وجيء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسان رضي الله عنه يارسول الله شهر علي السيف في نادي قومي ثم ضربني ولا أراني الا ميتا من جراحتي فقال صلى الله عليه وسلم لصفوان ولم ضربته وحملت السلاح عليه وتغيظ لحسان فقال صفوان ما تقدم ثم قال لقوم حسان احبسوا صفوان فان مات حسان فاقتلوه به فحبسوه فبلغ ذلك سيد الخزرج سعد بن عبادة فاقبل على قومه ولامهم على حبسه وقالوا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبسه وقال لنا ان مات صاحبكم فاقتلوه فقال سعد والله ان أحب الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العفو عنه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالحق والله لا أبرح حتى يطلق فاستحى القوم وأطلقوه وأخذه سعد وانطلق به الى منزله وكساه حلة وجاء به الى المسجد فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال صفوان قالوا نعم يارسول الله قال من كساه قالوا سعد بن عبادة قال كساه الله من ثياب الجنة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم حسان

رضى الله عنه فى العفو عن صفوان فقال يارسول الله كل حق لى قبل صفوان فهو لك فقال صلى الله عليه وسلم قد أحسنت وقبلت ذلك ثم أعطاه صلى الله عليه وسلم أرضا له وسيرين جاريته أخت مارية أم ولده ابراهيم وأعطاه أيضا سعد بن عبادة رضى الله عنه حائطا كان يحصل منه مال كبير عوضا عن حقه * وقيل انما أعطاه سيرين لذبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره فقد قال ابن عبد البر رحمه الله أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرين أخت مارية لحسان بن ثابت يروى من وجوه وأكثرها ان ذلك ليس بسبب ضرب صفوان له بل لذبه بلسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * قيل وكان لسان حسان يصل لجبهته والى نحره وكذلك أبوه وجده وكان حسان رضى الله عنه يقول على لسانه والله لو وضعته على صخر لفلقه أوشعر لحلقه وقد حد مسطح أيضا أى وقد روى أصحاب السنن الاربعة عن عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم قال الترمذى حسن غريب أى والمرأة حمنة بنت جحش والرجلان آخرها عبد الله أبو أحمد بن جحش ومسطح ولم يحد الخبيث عبد الله بن أبى بن سلول لان الحد كفارة وليس من أهلها * وقيل لانه لم تقم عليه البينة بذلك بخلاف أولئك * وقيل لانه كان لا يأتى بذلك على أنه من عنده بل على لسان غيره وفى الطبرانى ومعجم النساءى عن عائشة رضى الله عنها أن عبد الله بن أبى بن سلول جلد مائة وستين أى حدحدين * قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وهكذا يفعل بكل من قذف زوجة نبى أى ولعل المراد انه يجوز أن يفعل به ذلك فلا ينافى ما تقدم من ان الحد كان ثمانين جلدة * وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما زنت وفى لفظ لم تبغ امرأة نبى قط * وأما قوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما فالمراد آذتاهما قالت امرأة نوح عليه السلام فى حقه انه لمجنون وامرأة لوط عليه السلام دلت على أضيافه قيل انما جاز أن تكون امرأة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط عليهما السلام ولم يجز أن تكون فاجرة أى زانية لان النبى مبعوث الى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه منقص ينفرهم عنه والكفر غير منقص عندهم وأما الفجور فمن أعظم النقصان وفى الخصائص الصغرى ومن قذف أزواجه صلى الله عليه وسلم فلا توبة له ألبتة كما قاله ابن عباس وغيره ويقتل كما نقله القاضى عياض وغيره وقيل يختص القتل بمن قذف عائشة ويحد فى غيرها حدين وقد وقع أن الحسن بن زيد الراعى من أهل طبرستان وكان من العظماء كان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وكان يرسل فى كل سنة الى بغداد عشرين ألف دينار تفرق على أولاد الصحابة

فحضر

فحضر عنده رجل من أشياع العلويين فذكر عائشة رضى الله عنها بالقبيح فقال الحسن لغلامه يا غلام أضرب عنق هذا فنهض اليه العلويون وقالوا هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضى الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهى الطيبة الطاهرة المبرأة من السماء يا غلام اضرب عنق هذا الكافر فضرب عنقه وعن كتاب الاشارات للفخر الرازى أنه صلى الله عليه وسلم فى تلك الايام التى تكلم فيها بالافك كان أكثر أوقاته فى البيت فدخل عليه عمر رضى الله عنه فاستشاره صلى الله عليه وسلم فى تلك الواقعة فقال يا رسول الله أنا اقطع بكذب المنافقين وأخذت براءة عائشة رضى الله عنها من الذباب لان الذباب لا يقرب بدنك فاذا كان الله تعالى صان بدنك أن يخالطه الذباب لمخالطته للقاذورات فكيف أهلك ودخل عليه صلى الله عليه وسلم عثمان رضى الله عنه فاستشاره فقال له عثمان يا رسول الله أخذت براءة عائشة رضى الله عنها من ظلك انى رأيت الله تعالى صان ظلك ان يقع على الارض أى لان ظل شخصه الشريف كان لا يظهر فى شمس ولا قمر لئلا يوطأ بالاقدام فاذا صان الله ظلك فكيف بأهلك أى وقد أشار الى ذلك الامام السبكى رحمه الله فى تائيته بقوله

لقد نزه الرحمن ظلك أن يرى ﴿ على الارض ملقى فانطوى لمزية

﴿ وهنا لطيفة لا بأس بها وهى ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان مسافرا وكان يسايره يهودى فلما أراد المفارقة قال عبد الله رضى الله عنه لليهودى بلغنى انكم تدينون بايذاء المسلمين فهل قدرت على شئ من ذلك معى وأقسم عليه فقال ان أمنتنى أخبرتك فأمنه فقال لم أقدر عليك فى شئ أكثر من انى كنت اذا رأيت ظلك وطئته بقدمى وفاء بأمر ديننا ﴿ ودخل عليه صلى الله عليه وسلم على كرم الله وجهه فاستشاره فقال له على كرم الله وجهه أخذت براءة عائشة من شئ هو أنا صلينا خلفك وأنت تصلى بنعليك ثم انك خلعت احدى نعليك فقلنا ليكون ذلك سنة لنا قلت لا ان جبريل عليه السلام أخبرنى أن فى تلك النعل نجاسة فاذا كان لا تكون النجاسة بنعليك فكيف تكون بأهلك فسر صلى الله عليه وسلم بذلك ﴿ أى ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن خلع احدى نعليه فى اثناء الصلاة لنجاسة بها واستمر فى الصلاة وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه أنه قال لزوجته أم أيوب الا ترين مايقال أى من الافك فقالت له لو كنت بدل صفوان

أ كنت تهم بسوء لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك ❊ وفي السيرة الشامية ان أبا أيوب رضي الله عنه قالت له زوجته أم أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة قال بلى وذلك الكذب أكنت يا أم أيوب فاعلة قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعائشة والله خير منك ❊ وجاء ان ابن عباس رضي الله عنهما دخل على عائشة رضي الله عنها في مرض موتها فوجدها وجلة من القدوم على الله فقال لها لا تخافي فانك لا تقدمين الا على مغفرة ورزق كريم فغشي عليها من الفرح بذلك ❊ لانها كانت تقول متحدثة بنعمة الله عليها لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان رأسه في حجري ولقد قبر في بيتي وان الوحي ينزل عليه في أهله فيفرقون منه وان كان لينزل عليه وأنا معه في لحاف واحد وأبي رضي الله عنه خليفته وصديقه ولقد نزلت براءتي من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما ❊ وقيل وفي هذه الغزوة فقدت عائشة رضي الله عنها عقدها أيضا فاحتبسوا على طلبه أي فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه رجلين من المسلمين أي أحدهما أسيد ابن حضير فحضرت الصلاة أي صلاة الصبح وكانوا على غير ماء زاد في رواية وليس معهم ماء فنزلت آية التيمم ❊ وهذا القيل نقله امامنا الشافعي رضي الله عنه عن عدة من أهل المغازي أي وعليه يكون سقط عقدها في تلك الغزوة مرتين لاختلاف القضيتين باختلاف سياقهما والصحيح أن ذلك كان في غزوة أخرى أي متأخرة عن هذه الغزوة فعن عائشة رضي الله عنها قالت لما كان من أمر عقدي ما كان وقال أهل الافك ما قالوا فخرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أخرى فسقط أيضا عقدي حتى احتبس التماسه الناس أي فانه صلى الله عليه وسلم بعث رجالا في طلبه ❊ وهو لا يخالف ما سبق أنه صلى الله عليه وسلم أرسل في طلبه رجلين وطلع الفجر فلقيت من أبي بكر رضي الله عنه ما شاء الله أي لان الناس جاؤا الى أبي بكر رضي الله عنه وشكوا اليه ما نزل بهم فجاء اليها ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه الشريف على فخذها قد نام فقال لها حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجعل يطعن بيده في خاصرتها ويقول يا بنية في كل سفرة تكونين عناء وبلاء وليس مع الناس ماء قالت فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي أي لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا نام

لا يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ لانهم لا يدرون ما يحدث له في نومه فقام حين أصبح * وفي لفظ فاستيقظ وحضرت الصلاة فالتمس الماء فلم يجد فأنزل الله تعالى آية التيمم أي التي في المائدة ففي بعض الروايات فنزلت يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية وقيل المراد بالآية آية النساء لان آية المائدة تسمى آية الوضوء وآية النساء لا ذكر للوضوء فيها فيتجه تسميتها بآية التيمم وكلام الواحدي رحمه الله في أسباب النزول يدل عليه فقال أبو بكر عند ذلك والله يا بنية انك كما علمت مباركة أي وقال لها صلى الله عليه وسلم ما أعظم بركة قلادتك وقال أسيد ابن حضير ما هذا بأول بركتكم يا آل أبي بكر أي وفي رواية أنه قال لها جزاك الله خيرا فما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا * أي وهذا ربما يفيد تكرر وقوع ما تكرهه وأن في ذلك خيرا للمسلمين فليتأمل وفي لفظ قال أسيد بن حضير لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر ما أنتم الا بركة لهم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وانما قال أسيد بن حضير ما قال دون غيره لانه كان رأس من بعث في طلب العقد أي بل تقدم في بعض الروايات الاقتصار على بعثه لطلب ذلك قالت فبعثنا البعير فوجدنا العقد تحته * أقول في النور اعلم أن العقد سقط مرتين مرة كان لها ومرة كان لاختها اسماء استعارته وبهذا يجمع بين الاحاديث التي في المسألة هذا كلامه فليتأمل وينظر تلك الاحاديث ما هي أي وكون هذا العقد لاسماء اختها لا يخالف ذلك قولها عقدي لان الاضافة تأتي لادنى ملابسة أي فعقد اسماء كان في المرة الثانية وفي البخاري أيضا أن آية التيمم نزلت بعد ان صلوا بلا وضوء فعن عائشة رضي الله عنها أنها استعارت من أسماء رضي الله عنها قلادة فهلكت أي ضاعت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فوجدها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى آية التيمم وقد ترجم البخاري عن تلك بقوله باب اذا لم يجد ماء ولا ترابا وقوله فبعث رجلا فوجدها يجوز أن يكون هذا الرجل هو الذي أقام البعير أو من جملة من أقامه فلا يخالف ما سبق مما يدل على ان الذين بعثهم في طلبه لم يجدوه ثم رأيت الحافظ ابن حجر رحمه الله قال وطريق الجمع بين هذه الروايات ان أسيدا كان رأس من بعث لذلك فلذلك سمي في بعض الروايات دون غيره ولذا أسند الفعل الى واحد منهم وكأنهم لم يجدوا العقد أولا فلما رجعوا ونزلت آية التيمم وأرادوا الرحيل وأثاروا البعير وجده أسيد رضي الله عنه هذا كلامه * قيل وفي هذه الغزوة خرجوا عن الطريق وأدركهم الليل بقرب واد وعر فهبط جبريل عليه السلام وأخبره صلى الله عليه وسلم أن طائفة

من كفار الجن بهذا الوادي يريدون كيده صلى الله عليه وسلم وايقاع الشر بأصحابه فدعا صلى الله عليه وسلم بعلي كرم الله وجهه وعوذه وأمره بنزول الوادي فقتلهم * قال الامام ابن تيمية وهذا من الاحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى علي كرم الله وجهه قال ابن تيمية * ومن هذا ما روى في عام الحديبية أنه قاتل الجن في بئر ذات العلم وهي بئر في الجحفة وهو حديث موضوع عند أهل المغازي * أي وجاء في سبب مشروعية التيمم غير ما ذكر في الطبراني عن أسلع قال كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرحل له ناقته فقال لي ذات يوم يا أسلع قم فارحل فقلت يا رسول الله أصابتني جنابة أي ولا ماء فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بآية الصعيد أي التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا أسلع فتيمم فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين فقمت فتيممت ثم رحلت له حتى مر بماء فقال يا أسلع أمس هذا جلدك * وفي الامتاع نزلت آية التيمم طلوع الفجر فمسح المسلمون أيديهم بالارض ثم مسحوا بأيديهم الى المناكب أي ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن هذه الرواية * وفي هذه السنة الخامسة خسف القمر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخسوف حتى انجلى القمر وصارت اليهود تضرب بالطساس ويقولون سحر القمر

(غزوة الخندق)

ويقال لها غزوة الاحزاب أي وهي الغزوة التي ابتلى الله تعالى فيها عباده المؤمنين وثبت الايمان في قلوب أوليائه المتقين أي وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق والشقاق المعاندين وسببها أنه لما وقع اجلاء بني النضير من أماكنهم كما تقدم سار منهم جمع من كبرائهم منهم سيدهم حيي بن أخطب أبو صفية أم المؤمنين رضي الله عنها وعظيمهم سلام بن مشكم ورئيسهم كنانة بن أبي الحقيق وهودة بن قيس وأبو عامر الفاسق الى ان قدموا مكة على قريش يدعونهم ويحرضونهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله أي ونكون معكم على عداوته فقال أبو سفيان مرحبا وأهلا وأحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد زاد في رواية فقال لهم لكن لا نأمنكم الا ان سجدتم لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا * فقالت قريش لاولئك اليهود يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه * وفي رواية أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقالوا أنتم أهدى سبيلا لانكم تعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية

وتنحرون

وتنحرون البدن وتعبدون ما كان يعبد آباؤكم أي فأنتم أولى بالحق منه * فأنزل الله فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآيات فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطهم لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعند ذلك خرج من بطون قريش خمسون رجلا وتحالفوا * وقد ألصقوا أكبادهم بالكعبة متعلقين بأستارها أن لا يخذل بعضهم بعضا ويكونون كلهم يدا واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ما بقي منهم رجل * وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية رحمه الله بأبيات ذم فيها اليهود لعنهم الله بأمور بقوله

لا تكذب أن اليهود وقد زا * غوا عن الحق معشر لؤماء

جحدوا المصطفى وآمن بالطا * غوت قوم هم عندهم شرفاء

قتلوا الانبياء واتخذوا العجل الا انهم هم السفهاء

وسفيه من ساءه المن والسلوى وأرضاه الفوم والقثاء

ملئت بالخبيث منهم بطون * فهي نار طباقها الامعاء

لو أريدوا في حال سبت بخير * كان سبتا لديهم الاربعاء

هو يوم مبارك قيل للتصريف فيه من اليهود اعتداء

فبظلم منهم وكفر عدتهم * طيبات في تركهن ابتلاء

* أي لا تكذب أن اليهود والحال انهم قد مالوا عن الحق قوم لؤماء واللئيم الدنيء الاصل الشحيح النفس ومن عظيم لؤمهم أنهم جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته والحال انه قد آمن بالطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله مأخوذ من الطغيان قوم هم عندهم شرفاء وهم كفار قريش وورد أن اليهود قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ومن جملة من قتلوا زكريا ويحيى واتخذوا العجل الها يعبدونه ومن يفعل ذلك لا سفيه غيره ومن أرضاه الفوم والقثاء بدل المن وهو نوع من الحلوى والسلوى نوع من الطير سفيه بلا شك ملئت بالحرام كل ربا بطون منهم فبطونهم نار لاشتمالها على ما يؤدي الى تلك النار طباق تلك النار المصارين ولو أراد الله لليهود في حال سبتهم الذي اختاروا تعظيمه على ما تقدم خيرا لكان يوم الاربعاء يوم سبتهم لانه يوم خلق فيه النور فاختيارهم السبت دون يوم الاربعاء لسبتهم أي سكوتهم عن العبادة دليل على أنه تعالى لم يرد بهم الخير ويوم السبت ابتدأ الله فيه خلق العالم خلافا لهم حيث قالوا ان ذلك أي ابتداء الخلق كان يوم الاحد وفرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب تعالى فيه قالوا فان الله لا يقضي يوم السبت شيأ من خلق ولا رزق ولا رحمة ولا عذاب ولا احياء ولا اماتة

ومن مات يوم السبت يكون محي اسمه من اللوح المحفوظ قبل ذلك وقد كذبهم الله تعالى بقوله كل يوم هو في شان فكان فيه منهم ظلم وعد وان لاجل التصريف فيه بغير العبادة فبسبب ظلم وكفر حاصل منهم فيه فاتتهم طيبات كانت حلالا لهم فحرمها الله تعالى عليهم فكان في ذلك ابتلاء لهم ❊ ونقل ابن حجر الهيتمي رحمه الله أنه يجب استحباب صوم يوم الاربعاء لما ذكر من أنه خلق فيه النور فليتأمل ❊ ثم جاء أولئك الى غطفان ودعوهم وحرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لهم انا سنكون معكم وان قريشا قد بايعوهم على ذلك وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم عليه فتجهزت قريش أي واتباعها من القبائل وغطفان أي واتباعها وقائد قريش أبو سفيان بن حرب وكانوا أربعة آلاف ومعهم ثلثمائة فرس أي وألف أو خمسمائة بعير وعقد اللواء في دار الندوة وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة المقتول والده الذي هو طلحة يوم أحد وكذا عماه أي عما عثمان بن طلحة وهما عثمان ابن أبي طلحة وأبو سعيد بن أبي طلحة وعثمان بن أبي طلحة هو أبو شيبة كما تقدم فشيبة ابن عم عثمان بن طلحة وقتل يوم أحد أخوة عثمان بن طلحة الاربعة وهم مسافع بن طلحة والحارث بن طلحة وكلاب بن طلحة والجلاس بن طلحة وعثمان بن طلحة هذا أي الحامل لواء قريش أسلم بعد ذلك ويقال له الحجبي لانه كان من بني عبد الدار وهم سدنة الكعبة وبنو عبد الدار كان لهم ولابيهم حمل لواء قريش عند الحرب دون غيرهم كما تقدم وقائد غطفان عيينة بن حصين الفزاري في بني فزارة أي وهم ألف ❊ وتقدم ان عيينة أسلم بعد ذلك ثم ارتد بعد اسلامه ❊ وأخذ أسيرا في زمن خلافة الصديق رضي الله عنه ثم أسلم ❊ وكان قبل اسلامه يتبعه عشرة آلاف قناة وكان عنده جفوة وغلظة ❊ ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في حقه انه الاحمق المطاع وقال فيه ان شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره وقائد بني مرة أي وهم أربعمائة الحارث بن عوف المري وأسلم بعد ذلك أي وقيل لم تحضر بنو مرة وقائد بني أشجع أبو مسعود بن رخيلة بضم الراء وفتح الخاء المعجمة وأسلم بعد ذلك أي وقائد بني سليم وهم سبعمائة سفيان بن عبد شمس لا يعلم اسلامه أي وقائد بني أسد طليحة بن خويلد الاسدي وأسلم بعد ذلك أي بعد ان كان ارتد بعد اسلامه ثم حسن اسلامه وكانت أشجع وبني أسد تتمة العشرة آلاف ❊ فقد قال بعضهم كانت الاحزاب عشرة آلاف وهم ثلاث عساكر وملاك أمرها الى أبي سفيان أي المدبر لامرها والقائم بشأنها ❊ ولما تهيأت قريش للخروج أتى ركب من خزاعة في أربع ليال حتى أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى

الله عليه وسلم بما أجمعوا عليه ندب الناس أى دعاهم وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم فى أمرهم أى قال لهم هل نبرز من المدينة أو نكون فيها فأشير عليه بالخندق ❋ أى أشار عليه بذلك سلمان الفارسى رضى الله عنه فقال يا رسول الله انا كنا بأرض فارس اذا تخوّفنا الخيل خندقنا علينا أى فان ذلك كان من مكائد الفرس ❋ وأول من فعله من ملوك الفرس ملك كان فى زمن موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه فأعجبهم ذلك فضرب على المدينة الخندق أى وعند ذلك ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساله ومعه عدة من المهاجرين والانصار فارتاد موضعا ينزله وجعل سلعا خلف ظهره وأمرهم بالجد ووعدهم النصر ان هم صبروا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين أى وحمل التراب على ظهره الشريف ودأب المسلمون يبادرون قدوم العدوّ قال واستعاروا من بنى قريظة آلة كثيرة من مساحى وكرازين ومكاتل وكان من جملة من يعمل فى الخندق جعال أو جعيل بن سراقة وكان رجلا دميما قبيح الوجه صالحا من أصحاب الصفة وهو الذى تمثل به الشيطان يوم أحد وقال ان محمدا قد قتل كما تقدم فغير صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه عمرا فجعل المسلمون يرتجزون ويقولون

سماه من بعد جعيل عمرا ❋ وكان للبائس يوما ظهرا

وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قالوا عمرا قال عمرا واذا قالوا ظهرا قال ظهرا انتهى أى وسياق أسد الغابة يدل على ان هذا الذى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه عمرا غير جعيل المذكور وحصل للصحابة رضى الله عنهم تعب وجوع لانه كان فى زمن عسرة وعام مجاعة ❋ ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بأصحابه من النصب والجوع قال متمثلا بقول ابن رواحة رضى الله عنه

اللهم لا عيش الا عيش الآخره ❋ فارحم الانصار والمهاجره

❋ قيل وانما قال ابن رواحة لاهم ان العيش من غير ألف ولام فقد غيره صلى الله عليه وسلم على ما هو عادته كما تقدم وفى لفظ

اللهم لا خير الا خير الاخره ❋ فبارك فى الانصار والمهاجره

❋ وفى لفظ فأكرم الانصار والمهاجره وتقدم فى بناء المسجد

اللهم ان الاجر أجر الاخره ❋ فارحم الانصار والمهاجره

زاد فى الامتاع

اللهم العن عضلا والقاره ❋ هم كلفونى انقل الحجاره

❋ وفى لفظ هم كلفونا ننقل الحجاره قال الحافظ ابن حجر ولعله كان والعن الهى عضلا

والقاره أى والتغيير منه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ

اللهم لاخير الاخير الآخره ❋ فارحم المهاجرين والانصاره

وفى لفظ فانصر الانصار والمهاجره وأجابوه رضى الله عنهم بقولهم

نحن الذين بايعوا محمدا ❋ على الجهاد مابقينا أبدا

وقال صلى الله عليه وسلم متمثلا بقول ابن رواحة وهو ينقل التراب وقد وارى الغبار جلدة بطنه الشريف

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ❋ ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ❋ وثبت الاقدام اذلاقينا

والمشركون قد بغوا علينا ❋ وان أرادوا فتنة أبينا

يمدبها صوته مكررا لها أبينا أبينا ولما بدأ صلى الله عليه وسلم بالحفر فى الخندق ❋ قال بسم الاله وبه بدينا بكسر الدال

ولو عبدنا غيره شقينا ❋ يا حبذا ربا وحب دينا

وفى الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم قال ماتقدم عنه فى بناء المسجد وهو هذا الحمال لا حمال خيبر ❋ هذا أبر ربنا وأطهر ❋ وتقدم الكلام عليه وعلى انشاده الشعر فى الكلام على بناء المسجد أى ورأيت ان عمار بن ياسر رضى الله عنه حين كان يحفر فى الخندق جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح رأسه ويقول ابن سمية تقتلك الفئة الباغية أى كما تقدم له فى بناء المسجد وصار الشخص منهم اذا نابته النائبة من الحاجة التى لابد منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه فى اللحوق بها فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان عليه من عمله رغبة فى الخير وتباطأ رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعف وصار الواحد منهم يتسلل الى أهله من غير استئذان له صلى الله عليه وسلم ❋ أى وكان زيد بن ثابت ممن ينقل التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه أما انه نعم الغلام وغلبته عينه فنام فى الخندق فأخذ عمارة بن حزم سلاحه وهو نائم فلما قام فزع على سلاحه فقال له صلى الله عليه وسلم يا أبا رقاد نمت حتى ذهب سلاحك ثم قال من له علم بسلاح هذا الغلام فقال عمارة أنا يارسول الله وهو عندى فقال رده عليه ونهى أن يروع المسلم ويؤخذ متاعه لاعبا واليه استند أئمتنا فى تحريم أخذ متاع الغير مع عدم علمه بذلك واشتد على الصحابة رضى الله عنهم فى حفر الخندق كدية أى محل صلب فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ المعول وضرب فصارت كثيبا أهيل أو أهيم أى رملا سائلا ❋ وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم دعا بماء ثم تفل عليه

ثم

ثم دعا بما شاء الله ان يدعو به ثم نضح ذلك الماء أي رشه على تلك الكدية * وقال بعض الحاضرين فوالذي بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب أي الرمل ما ترد فأسا ولا مسحاة وهي المجرفة من الحديد أي وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ينقلان التراب في ثيابهما ذلك اليوم لمكان تلك العجلة وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال ضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا مني فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علي نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت يلمع تحت المعول وأنت تضرب قال أوقد رأيت ذلك يا سلمان قال قلت نعم قال اما الاولى فان الله تعالى فتح علي بها اليمن واما الثانية فان الله فتح علي بها الشام والمغرب واما الثالثة فان الله فتح علي بها المشرق * قال وقد ذكر ان سلمان الفارسي رضي الله عنه تنافس فيه المهاجرون والانصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت ولذلك يشير بعضهم بقوله

لقد رقي سلمان بعد رقه * منزلة شامخة البنيان
وكيف لا والمصطفى قد عده * من أهل بيته العظيم الشان

* وانما وقع التنافس في سلمان رضي الله عنه لانه كان رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال في الخندق أي نكان يحفر في كل يوم خمسة أذرع في عمق خمسة أذرع حتى أصيب بالعين أصابه بالعين قيس بن صعصعة تلبط به أي بلام مضمومة فوحدة مكسورة فطاء مهملة صرع فجأة وتعطل عن العمل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتوضأ وليغتسل وليكفأ الاناء خلفه ففعل فكأنما نشط أي حل من عقال * وفي لفظ فأمر أن يتوضأ قيس لسلمان ويجمع وضوءه في ظرف ويغتسل سلمان بتلك الغسالة ويكفأ الاناء خلف ظهره وذكر انه لما اشتدت تلك الكدية على سلمان أخذ صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وبرقت برقة فخرج نور من قبل اليمن كالمصباح في جوف ليل مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطيت مفاتيح اليمن لاني أبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فخرج نور من قبل الروم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطيت مفاتيح الشام والله اني لابصر قصورها أي زاد في رواية الحمر ثم ضرب الثالثة

فقطع بقية الحجر وبرق برقة فكبر وقال أعطيت مفاتيح فارس والله انى لابصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فى مكانى هذا * أى وفى رواية انى لابصر قصر المدائن الابيض الآن وجعل صلى الله عليه وسلم يصف لسلمان أماكن فارس ويقول سلمان صدقت يارسول الله هذه صفتها أشهد انك رسول الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه فتوح يفتحها الله بعدى ياسلمان اه * أى وعند ذلك قال جمع من المنافقين منهم معتب بن قشير ألا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق أى الخوف لاتستطيعون ان تبرزوا فأنزل الله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الآية * وقيل فى سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفر الخندق أقبلت قريش ومن معها وكانوا عشرة آلاف كما تقدم فنزلت قريش بمجمع الاسيال وغطفان ومن معهم الى جانب واحد وكان المسلمون ثلاثة آلاف * أى وقال ابن اسحاق سبعمائة ووهم فى ذلك وقال ابن حزم انه الصحيح الذى لاشك فيه ولاوهم وعسكرهم صلى الله عليه وسلم الى سفح سلع وهو جبل فوق المدينة أى فجعل ظهر عسكره الى سلع كما تقدم والخندق بينه وبين القوم أى وضربت له صلى الله عليه وسلم قبة من أدم قال وكان صلى الله عليه وسلم يعقب فيها بين ثلاثة من نسائه عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش فتكون عائشة عنده أياما أى فانه مكث فى عمل الخندق بضعة عشر ليلة وقيل أربعا وعشرين ليلة أى وقيل عشرين ليلة وقيل قريبا من شهر وقيل شهرا قال بعضهم وكونه قريبا من شهر هو أثبت الاقاويل وقيل أثبت الاقاويل انها كانت خمسة عشر يوما وبه جزم النووى رحمه الله فى الروضة وسائر نسائه صلى الله عليه وسلم فى بنى حارثة وجعل النساء والذرارى فى الآطام وعرض الغلمان وهو يحفر الخندق وكانوا بأجمعهم من بلغ ومن لم يبلغ يعملون فيه فلما التحم الامر أمر من لم يبلغ خمس عشرة سنة ان يرجع الى أهله وأجاز من بلغ خمس عشرة سنة فمن أجازه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى والبراء بن عازب رضى الله عنهم اه وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فصارت كالحصن * وفى كلام بعضهم كان أحد جوانب المدينة عورة وسائر جوانبها مشبكة بالبنيان والنخيل لايتمكن العدو منه فاختار ذلك الجانب للخندق واستخلف

صلى

صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وأرسل سليطا وسفيان ابن عوف طليعة للاحزاب فقتلوهما فأتي بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفنهما في قبر واحد فهما الشهيدان القرينان وأعطى لواء المهاجرين لزيد بن حارثة ولواء الانصار لسعد بن عبادة وبعث مسلمة بن أسلم في مائتي رجل وزيد بن حارثة في ثلاث مائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير تخوفا على الذراري من بني قريظة أي لما بلغه صلى الله عليه وسلم انهم نقضوا ما بينه وبينهم من العهد كما سيأتي أي وأنهم يريدون الاغارة على المدينة فان حيي بن أخطب أرسل الى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل والى غطفان أن يأتيه منهم ألف رجل أخرى ليغيروا على المدينة * وجاء الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم البلاء وصار الخوف على الذراري أشد من الخوف على أهل الخندق * ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها * وصار المشركون يتناوبون فيغدو أبو سفيان في أصحابه يوما ويغدو خالد بن الوليد يوما ويغدو عمرو بن العاص يوما ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوما ويغدو عكرمة ابن أبي جهل يوما ويغدو ضرار بن الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم ويفترقون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يقربون منهم ويقدمون رجالهم فيرمون ومكثوا على ذلك المدة المتقدمة ولم يكن بينهم حرب الا الرمي بالنبل والحصا وفي تلك المدة أقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق فقتله الله أي اندقت عنقه * أي وفي لفظ واما نوفل بن عبد الله فضرب فرسه ليدخل الخندق فوقع فيه مع فرسه فتحطما جميعا * وقيل رمي بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب فنزل اليه علي كرم الله وجهه فقتله أي ضربه بالسيف فقطعه نصفين وكبر ذلك على المشركين فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيك الدية على أن تدفعه الينا فندفنه فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب أي غرض لنا في ديته * وقيل اعطوا في جثته عشرة آلاف أي وفي رواية أنهم أرسلوا اليه صلى الله عليه وسلم أن ارسل الينا بجسده ونعطيك اثني عشر ألفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في جثته ولا في ثمنه ادفعوه اليهم فانه خبيث الجسد خبيث الدية وفي لفظ انما هي جيفة حمار ثم ان عدو الله حيي بن أخطب سيد بني النضير كان يقول لقريش في مسيره معهم ان قومي بني قريظة معكم وهم أهل حلقة وافرة وهم سبعمائة مقاتل وخمسون

مقاتلا فقال له أبو سفيان ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم فعند ذلك خرج حيي لعنه الله حتى أتى كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة وولى عهدهم الذى عاهدهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أى المتقدم ذكره فدق عليه باب حصنه فأبى أن يفتح له وألح عليه فى ذلك فقال له ويحك يا حيي انك امرؤ شؤم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا فقال له ويحك افتح لى أكلمك فقال ما أنا بفاعل فغاظه فقال له والله ما أغلقت دونى الا تخوفا على جشيشك أى بالجيم المفتوحة والشين المعجمة وهى البر يطحن غليظا ويقال له الدشيش أن آكل معك منها ففتح له فقال له ويحك يا كعب جئت بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجمع الاسيال وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب أحد قد عاهدونى وعاقدونى أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر وكل ما يخشى فانى لم أر فى محمد الا صدقا ووفاء * وفى لفظ جئتنى بجهام أى سحاب قد هراق ماءه أى لا ماء فيه يرعد ويبرق وليس فيه شيء ويحك يا حيي دعنى وما أنا عليه فلم يزل حيي بكعب حتى أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت الى قريش وغطفان ولم يقتلوا محمدا أن يكون معه فى حصنه ويصيبه ما أصابه فعند ذلك نقض كعب العهد وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد وجمع رؤساء قومه وهم الزبير بن مطاء وشاش بن قيس وعزال بن ميمون وعقبة بن زيد وأعلمهم بما صنع من نقض العهد وشق الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحم الامر لما أراد الله من هلاكهم وكان حيي بن أخطب فى اليهود يشبه بأبى جهل فى قريش * فلما انتهى الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أخبره بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا رسول الله بلغنى ان بنى قريظة قد نقضت العهد وحاربت فاشتد الامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ذلك وأرسل سعد بن معاذ سيد الاوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وأرسل معهما ابن رواحة وخوات بن جبير وأسقطهما فى الامتاع وذكر بدلهما أسيد بن حضير وقال لهم انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه دون القوم أى وروا وكنوا فى كلامكم بما لا يفهمه القوم أى لئلا يحصل لهم الوهن والضعف والا فاجهروا بذلك بين الناس فان اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه كما ان اللحن الذى هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف ومنه قول القائل وخير

الحديث

الحديث ما كان لحنا فخرجوا حتى أتوا بنى قريظة فوجدوهم قد نقضوا العهد وقالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قالوا من رسول الله وتبرؤا من عقده وعهده وقالوا لا عهد بيننا وبين محمد فشتمهم سعد بن معاذ وهم حلفاؤه أى وقيل سعد بن عبادة أى وكان فيه حدة وشاتموه أى ولا مانع من وجود الامرين وقال سعد ابن معاذ لسعد بن عبادة أو بالعكس دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى أى أقوى من المشاتمة ثم أقبل السعدان ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنوا له عن نقضهم العهد أى قالوا عضل والقارة أى غدروا كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع وسيأتى خبر ذلك فى السرايا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أى وقال ابشروا يا معاشر المسلمين نصرة الله تعالى وعونه وتقنع صلى الله عليه وسلم بثوبه واضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه صلى الله عليه وسلم اضطجع ثم رفع رأسه فقال ابشروا بفتح الله ونصره * أى ولعل هذا أى ارسال السعدين ومن معهما كان بعد ارساله صلى الله عليه وسلم الزبير اليهم ليأتى بخبرهم هل نقضوا العهد استثباتا للامر فعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال كنت يوم الاحزاب أنا وعمرو بن أبى سلمة مع النساء فى أطم حسان بن ثابت * أى وكان حسان مع النساء ومن جملتهم صفية بنت عبد المطلب * واتفق أن يهود جعل يطوف بذلك الحصن فقالت صفية لحسان يا حسان لا آمن هذا اليهودى أن يدلهم على عورة الحصن فيأتون الينا فانزل فاقتله فقال حسان رضى الله عنه يا بنت عبد المطلب قد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما أيست منه أخذت عمودا ونزلت ففتحت باب الحصن وأتيته من خلفه فضربته بالعمود حتى قتلته وصعدت الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا أنه رجل فقال يا ابنة عبد المطلب ما لى بسلبه حاجة * أى وهذا يدل على ما قيل ان حسان بن ثابت كان من أجبن الناس كما تقدم قال عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف الى بنى قريظة مرتين أو ثلاثا فلما رجعت قلت يا أبت رأيتك تختلف الى بنى قريظة قال رأيتنى يا بنى قلت نعم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم فلما رجعت جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال فداك أبى وأمى أخرجه الشيخان * أى وفى كلام ابن عبد البر رحمه الله ثبت عن الزبير رضى الله عنه أنه قال جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه مرتين يوم أحد ويوم بنى قريظة فقال ارم فداك أبى وأمى وقال ولعل ذلك كان فى أحدان لكل نبى حوارى وان حوارى

الزبير * وقال الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي ويذكر أن الزبير رضي الله عنه كان له ألف مملوك يؤدون اليه الخراج وكان يتصدق بذلك كله ولا يدخل بيته من ذلك درهما واحدا وذلك من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه لما نزل قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال له الزبير يا رسول الله أي نعيم نسأل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال أما انه سيكون وقد جعله سبعة من الصحابة وصياء على أولادهم فكان يحفظ على أولادهم مالهم وينفق عليهم من ماله وهؤلاء السبعة منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والمقداد وابن مسعود وعظم عند ذلك البلاء على المسلمين لما وصل اليهم الخبر أي خبر نقض بني قريظة العهد ولا منافاة بين بلوغهم الخبر وما تقدم من عدم الافصاح به لانهم جاءهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المسلمون كل الظن وأنزل الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظهر النفاق من المنافقين حتى قال بعضهم كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فأنزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة الامر بعث الى عيينة بن حصن الفزاري والى الحارث بن عوف المري في أن يقطعهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه فجاآ مستخفيين من أبي سفيان فوافقاه على ذلك أي بعد ان طلبا النصف فأبى عليهما الا الثلث فرضيا وكتبا بذلك صحيفة أي وفي رواية أحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان رضي الله عنه الصلح فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوقع الصلح على ذلك بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله أمرا تحبه فتصنعه أم شيأ أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيأ تصنعه لنا أي وفي لفظ ان كان أمرا من السماء فامض له وان كان أمرا لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة وان كان انما هو الرأي فما لهم عندنا الا السيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرني الله ما شاورتكما والله ما أصنع ذلك الا لاني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر شوكتهم الى أمر ما فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم أي غطفان على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة الا قرى أو بيعا أي وان كانوا ليأكلون العلهز في الجاهلية من الجهد أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا

له وأعزناك وبه نقطعهم أموالنا * أي وفي لفظ نعطي الدنية مالنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك فأخذ سعد الصحيفة فمحى ما فيها من الكتابة أي وهذا انما يناسب الرواية الاولى وكذا ما جاء في لفظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شق الكتاب فشققه سعد وقال لعيينة والحارث ارجعا بيننا وبينكم السيف رافعا صوته ثم قال لسعد ليجهدوا علينا ثم ان طائفة من المشركين أقبلوا * أي وأكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق به وفيهم عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وفيهم هبيرة بن أبي وهب أي وهو زوج أم هانئ أخت علي كرم الله وجهه رضي الله عنها وأبو أولادها مات على كفره وضرار بن الخطاب وعمرو بن ود * أي قيل ونوفل بن عبد الله وكان عمرو بن ود عمره اذ ذاك تسعين سنة فقال من يبارز فقام علي كرم الله وجهه وقال انا له يا نبي الله فقال صلى الله عليه وسلم له اجلس انه عمرو بن ود * ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون لي رجلا وأنشد أبياتا منها

لقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ان الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

* فقام علي كرم الله وجهه فقال انا له يا رسول الله فقال اجلس انه عمرو بن ود ثم نادى الثالثة فقام علي كرم الله وجهه فقال انا له يا رسول الله فقال انه عمرو فقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد سيدنا علي أبياتا منها

لا تعجلن فقد أتاك مجيب قولك غير عاجز * ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز

* وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال اللهم أعنه عليه * أي وفي لفظ اللهم هذا أخي وابن عمي فلا تذرني فردا وأنت خير الوارثين زاد في رواية أنه صلى الله عليه وسلم رفع عمامته الى السماء وقال الهي أخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا علي أخي وابن عمي الحديث فمشى اليه علي كرم الله وجهه فقال له يا عمرو انك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين أي خصلتين الا أخذتها منه قال له أجل أي نعم فقال علي كرم الله وجهه فأنا أدعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام فقال لا حاجة لي بذلك قال له علي فاني أدعوك الى البراز * قال وفي رواية انك كنت تقول لا يدعوني أحد الى واحدة من ثلاث

الا قلتها قال أجل فقال على فانى أدعوك أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتسلم لرب العالمين فقال يا ابن أخى اخرعنى هذه قال وأخرى ترجع الى بلادك فان يك محمد صلى الله عليه وسلم صادقا كنت أسعد الناس به وان يك كاذبا كان الذى تريد قال هذا امالا تتحدث به نساء قريش أبدا كيف وقد قدرت على استيفاء ماندرت أى فانه نذر لما أفلت هاربا يوم بدر وقد جرح أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم * قال فالثالثة ماهى قال البراز فضحك عمرو وقال ان هذه لخصلة ما كنت أظن ان أحدا من العرب يروّعنى بها اه ثم قال له عند طلب المبارزة لم يا ابن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك فقال على كرم الله وجهه ولكنى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك أى أخذته الحمية * وفى رواية أن عمرا قال له من أنت أى لان عليا كرم الله وجهه كان مقنعا بالحديد قال على قال ابن عبد مناف قال أنا على بن أبى طالب فقال غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أشد منك فانى أكره أن أهريق أى أسيل دمك وزاد فى رواية فان أباك كان لى صديقا أى وفى لفظ كنت له نديما فقال على وأنا والله ما أكره أن أهريق دمك فغضب فقال له على كرم الله وجهه كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن أنزل معى فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه وأقبل على على كرم الله وجهه فاستقبله على بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه على كرم الله وجهه على حبل عاتقه أى وهو موضع الرداء من العنق فسقط وكبر المسلمون فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف ان عليا كرم الله وجهه قتل عمرا لعنه الله أى وذكر بعضهم أن النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك قال قتل على لعمرو بن ود أفضل من عبادة الثقلين * قال الامام أبو العباس بن تيمية وهذا من الاحاديث الموضوعة التى لم ترد فى شىء من الكتب التى يعتمد عليها ولا بسند ضعيف وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين الانس والجن ومنهم الانبياء قال بل ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر الا فى هذه الغزوة * أقول ويرد قوله ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر الا فى هذه الغزوة قول الاصل وكان عمرو بن ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلما أى جعل له علامة يعرف بها ليرى مكانه أى ويرده أيضا ما تقدم من أنه نذر أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم واستدلاله بقوله وكيف يكون الى آخره فيه نظر لان قتل هذا كان فيه نصرة للدين وخذلان للكافرين وفى تفسير الفخر أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى كرم الله

وجهه بعد قتله لعمرو بن ود كيف وجدت نفسك معه يا علي قال وجدته لو كان أهل المدينة كلهم في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم وفي كلام السهيلي رحمه الله ولما أقبل علي كرم الله وجهه بعد قتله لعمرو بن ود على رسول الله وهو يتهلل قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس في العرب درع خير منها قال اني حين ضربته استقبلني بسوءته فاستحييت يا ابن عمي ان أسلبه هذا كلامه وعندي أن هذا اشتباه من بعض الرواة لان هذه الواقعة لعلي كرم الله وجهه انما كانت في يوم أحد مع طلحة بن أبي طلحة كما تقدم وعمرو بن ود لم يشهد أحدا كما تقدم عن الاصل فليتأمل ❊ قال وذكر ابن اسحاق أن المشركين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو ورجع من وصل الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير رضي الله عنه وضرب نوفل ابن عبد الله بالسيف وشقه نصفين ووصلت الضربة الى كاهل فرسه فقيل له يا أبا عبد الله ما رأينا مثل سيفك فقال والله ماهو السيف ولكنها الساعد أي وفيه أنه تقدم ان نوفل بن عبد الله وقع في الخندق اندقت عنقه الى آخر ما تقدم ❊ لكني رأيت بعضهم قال ان وقوع نوفل في الخندق ورميه بالحجارة وقتل علي كرم الله وجهه له في الخندق غريب من وجهين فليتأمل ❊ وحمل الزبير رضي الله عنه على هبيرة بن أبي وهب وهو زوج أم هانيء أخت علي بن أبي طالب كما تقدم فضرب ثفر فرسه فقطعه وسقطت درع كان محقبها الفرس أي جعلها على مؤخر ظهرها فأخذها الزبير وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه وهو منهزم انتهى ❊ أي وفي رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهبيرة بن أبي وهب على علي كرم الله وجهه فأقبل علي عليهما فأما ضرار فولى هاربا ولم يثبت وأما هبيرة فثبت ثم ألقى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها ❊ وذكر ان ضرار ابن الخطاب لما هرب تبعه أخوه عمر بن الخطاب وصار يشتد في أثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر رضي الله عنه بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال يا عمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويد لي عندك غير مجزي بها فاحفظها أي ووقع له مع عمر رضي الله عنه مثل ذلك في أحد فانه التقى معه فضرب عمر رضي الله عنه بالقناة ثم رفعها عنه وقال له ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب ثم من الله على ضرار فأسلم وحسن اسلامه وكان شعار المسلمين حم لا ينصرون أي ولعل المراد بالمسلمين الانصار ❊ ولا يخالف ما في الامتاع وكان شعار المهاجرين يا خيل الله وفيه خرجت طائفتان للمسلمين

ليلا لا يشعر بعضهم ببعض ولا يظنون الا انهم العدو فكانت بينهم جراحة وقتل ثم نادوا بشعار الاسلام حم لا ينصرون فكف بعضهم عن بعض * وقد يقال يجوز ان تكون الطائفتان كانتا من الانصار وجاؤا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جراحكم في سبيل الله ومن قتل فهو شهيد * وبهذا استدل أئمتنا على ان من قتله مسلم خطاء في الحرب يكون شهيدا ورمى سعد بن معاذ بسهم قطع أكحله وهو عرق في الذراع تتشعب منه عروق البدن ولعله محل الفصد الذى يقال له المشترك * أى ويقال لهذا العرق عرق الحياة أى رماه ابن العرقة اسم جدته سميت بذلك لطيب عرقها و قال خذها وأنا ابن العرقة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال عرق الله وجهه في النار وقيل قائل ذلك سعد رضى الله عنه وعند ذلك قال سعد اللهم ان كنت وضعت الحرب بيننا و بينهم يعنى قريشا فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى * وفى لفظ حتى تشفينى من بنى قريظة * وفى لفظ اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيأ فابقنى لها فانه لا قوم أحب الى ان أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وأخرجوه وكذبوه * وفى يوم استمرت المقاتلة قيل من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل صلى الله عليه وسلم ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أى وصار المسلمون يقولون ما صلينا فيقول صلى الله عليه وسلم ولا أنا فلما انكشف القتال جاء صلى الله عليه وسلم الى قبته وأمر بلالا فأذن وأقام الظهر فصلى ثم أقام بعد كل صلاة اقامة وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من من الصلوات وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء * أقول فى الرواية الاولى ما يشهد لقول امامنا الشافعى يندب أن يؤذن للاولى من الفوائت ويقيم لما عداها اذا قضاها متوالية وكونه يؤذن للاولى من الفوائت هو ما ذهب اليه فى القديم وهو المفتى به * وفى الرواية الثانية دليل على انه يؤذن لكل من الفوائت اذا قضاها متوالية ولم يقل به امامنا فانه جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه مرسلا لانه رواه عنه ابنه أبو عبيدة ولم يسمع منه لصغر سنه * وروى امامنا الشافعى رضى الله عنه باسناد صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوى أى طائفة من الليل حتى كفينا القتال وذلك قوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأمره فأقام الظهر فصلاها كما كان يصلى ثم أقام العصر فصلاها كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام العشاء فصلاها كذلك

أي وفي لفظ فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصليها في وقتها وهو دليل لعدم ندب الاذان للفائتة وهو ما ذهب اليه امامنا الشافعي رضي الله عنه في الجديد وهو مرجوح وجمع الامام النووي في شرح المهذب بين رواية الى الليل ورواية حتى ذهب هوي من الليل بأنهما قضيتان جرتا في أيام الخندق قال فانها كانت خمسة عشر يوما أي على ما تقدم وفيه أن كونهما قضيتين أمر واضح لا خفاء فيه لان في الاولى وفي يوم استمرت المقاتلة الى الليل وفي الثانية حتى كفينا القتال فمع ذلك كيف يظن انهما قضية واحدة حتى يحتاج الى الجمع وظاهر سياق هذه الروايات أنه صلى الاربع صلوات بوضوء واحد وبه صرح البغوي في تفسير سورة المائدة وحينئذ يحتاج للجمع بينه وبين ما يأتي في فتح مكة وروى الطحاوي واستدل به مكحول والاوزاعي على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ان الشمس ردت له صلى الله عليه وسلم بعد ما غربت حين شغل عن صلاة العصر حتى صلى العصر * وذكر الامام النووي في شرح مسلم أن رواته ثقات وفي البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاء يوم الخندق بعد ما كادت الشمس تغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها يعني العصر فنزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وهذه الرواية تقتضي انه لم يفته الا العصر وانه صلاها بعد الغروب * قال الامام النووي رحمه الله وطريق الجمع أن هذا كان في بعض أيام الخندق وكون صلاة العصر هي الوسطى قد جاء في بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس ملأ الله أجوافهم * وفي لفظ بيوتهم وقبورهم نارا والذي في البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس وكون الوسطى هي صلاة العصر هو قول من تسعة عشر قولا ذكرها الحافظ الدمياطي في مؤلف له سماه كشف الغطا عن الصلاة الوسطى وفي الينبوع أن كون الصلاة الوسطى هي العصر هو الذي أعتقده والله أعلم * قال وجاء أنه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب فلما فرغ قال أحد منكم علم أني صليت العصر قالوا يا رسول الله ما صليناها أي لا نحن ولا أنت فأمر المؤذن فأقام الصلاة فصلى العصر ثم أعاد المغرب قيل وكان ذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف فان خفتم فرجالا أو ركبانا انتهى * أقول يحتاج الى الجواب عن اعادة المغرب وقد يقال أعادها مع الجماعة وأن قوله فان خفتم فرجالا أو ركبانا يرشد الى ان المراد بصلاة الخوف شدته لا صلاة ذات الرقاع التي

نزل فيها قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية كما تقدم فلا ينافي ما تقدم في صلاته في ذات الرقاع بناء على تقدمها على هذه الغزوة التي هي غزوة الخندق وحينئذ يندفع الاستدلال على ان ذات الرقاع متأخرة عن الخندق بقولهم ولم تكن شرعت صلاة الخوف أي صلاة ذات الرقاع والا لصلاها في الخندق ولم يخرج الصلاة عن وقتها الساعات أن المراد بصلاة الخوف التي لم تشرع زمن الخندق صلاة شدته لا صلاة ذات الرقاع وسقط القول بأن الآية التي نزلت في صلاة ذات الرقاع منسوخة فتركه صلى الله عليه وسلم تلك الصلاة في الخندق لان الخندق وان لم يلتحم فيه القتال الا أنهم لا يأمنون هجوم العدو عليهم فلو صلوها لكانت تلك الصلاة صلاة شدة الخوف لا صلاة ذات الرقاع لان شرطها أمن هجوم العدو وصلاة شدة الخوف أما ان يلتحم فيها القتال أو يخافوا هجوم العدو ❋ وقول بعضهم ان ابن اسحاق وهو امام أهل المغازي ذكر أنه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بعسفان وذكرانها قبل الخندق فتكون صلاة عسفان منسوخة أيضا فيه نظر ظاهر لان صلاة عسفان انما كانت في الحديبية كما سيأتي وعلى تسليم أن صلاة عسفان كانت قبل الخندق فتلك يشترط فيها الامن من هجوم العدو والله أعلم ❋ قال ثم ان طائفة من الانصار خرجوا ليدفنوا ميتا منهم بالمدينة فصادفوا عشرين بعيرا لقريش محملة شعيرا وتمرا وتبنا حملها ذلك حيي بن أخطب شدادا وتقوية لقريش فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال ان حييا المشؤم قطع بنا لا نجد ما نحمل عليه اذا رجعنا ثم ان خالد بن الوليد كر بطائفة من المشركين يطلب غرة للمسلمين أي غفلتهم فصادف أسيد بن حضير على الخندق في مائتين من المسلمين فناوشوهم أي تقاربوا منهم ساعة وكان في أولئك المشركين وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه فزرق الطفيل بن النعمان فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون في الغارة أي الاغارة فأقام المسلمون في شدة من الخوف أي وفي الصحيحين ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم أي وقام في الناس فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف أي السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيف في سبيل الله تعالى ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وبأصحابي وقال له المسلمون رضي الله عنهم

هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وأمن روعاتنا فأتاه جبريل عليه السلام فبشره أن الله يرسل عليهم ريحا وجنودا واعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وصار يرفع يديه قائلا شكرا شكرا وجاء أن دعاءه صلى الله عليه وسلم عليهم كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء واستجيب له ذلك اليوم الذي هو يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فعرف السرور في وجهه صلى الله عليه وسلم أي ومن ثم كان جابر رضي الله عنه يدعو في مهماته في ذلك اليوم في ذلك الوقت ويتحرى ذلك والاحاديث والآثار التي جاءت بذم يوم الاربعاء محمولة على آخر أربعاء في الشهر فان في ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه وهو اليوم الذي أصيب فيه أيوب عليه الصلاة والسلام بالبلاء قال وكان صلى الله عليه وسلم يختلف الى ثلمة في الخندق والثلمة الخلل في الحائط ❊ فعن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يذهب الى تلك الثلمة فاذا أخذه البرد جاء فأدفأته في حضني فاذا دفيء خرج الى تلك الثلمة ويقول ما أخشى ان تؤتى الناس الا منها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حضني صار يقول ليت رجلا صالحا يحرس هذه الثلمة الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه سعد يارسول الله أتيتك أحرسك فقال عليك هذه الثلمة فاحرسها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غط وقام صلى الله عليه وسلم في قبته يصلي لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة ❊ ومن ثم لما نعي لابن عباس أخوه قثم وهو في سفر استرجع وتنحى عن الطريق وصلى ركعتين أطال فيهما بالجلوس وتلا واستعينوا بالصبر والصلاة ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قبته فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى صلى الله عليه وسلم يا عباد بن بشر قال لبيك قال هل معك أحد قال نعم أنا في نفر حول قبتك يارسول الله وكان ألزم الناس بقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها فبعثه صلى الله عليه وسلم يطيف بالخندق وأعلمه بأن خيل المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم واغلبهم لا يغلبهم غيرك واذا أبو سفيان في خيل يطيفون بمضيق من الخندق فرماهم المسلمون حتى رجعوا ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ليلا فقال يارسول الله اني أسلمت وان قومي لم يعلموا بأسلامي فمرني بما شئت ❊ قال وفي رواية ان نعيما لما صارت الاحزاب سار مع قومه أي غطفان وهو على دينهم فقذف الله في قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله

صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فوجده يصلي فلما رآه جلس ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء بك يا نعيم قال جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق فأسلم انتهى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال المهملة أي ينقضي أمرها بالمخادعة فقال له نعيم يا رسول الله اني أقول أي ما يقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع قال قل ما بدا لك فأنت في حل فخرج نعيم رضي الله عنه حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما قال فلما رأوني رحبوا بي وعرضوا على الطعام والشراب فقلت اني لم آت لشيء من هذا انما جئتكم تخوفا عليكم لاشير عليكم برأي يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم اكتموا عني قالوا نفعل قال لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع ولبني النضير من اجلائهم ✽ وأخذ أموالهم وان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم وبها أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم لا تقدرون على ان ترحلوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم أي عاونتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كانتم فان رأوا نهزة أي فرصة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلدكم والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم الى سبعين رجلا يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه أي يقاتلوه قالوا له لقد أشرت بالرأي والنصح ودعوا له وشكروا وقالوا نحن فاعلون قال ولكن اكتموا عني قالوا نفعل ✽ ثم خرج رضي الله عنه حتى أتى قريشا فقال لابي سفيان ومن معه من أشراف قريش قد عرفتم ودي لكم وفراقي لمحمد وانه قد بلغني أمر قد رأيت ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا قالوا نفعل قال تعلمون أن معشر يهود بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد أي من نقض عهده وقد أرسلوا اليه أي وانا عندهم انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك ان نأخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان رجالا من أشرافهم أي سبعين رجلا فنعطيكهم فتضرب أعناقهم أي وترد جناحنا الذي كسرت الى ديارهم يعنون بني النضير ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم فأرسل اليهم نعم فان بعث اليكم يهود يطلبون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا واحذروهم على أسراركم ولكن اكتموا عني ولا تذكروا من هذا حرفا قالوا لا نذكره ثم خرج رضي الله عنه حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان انكم أهلي وعشيرتي وأحب الناس الي ولا أراكم تتهموني

قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال نما كتموا على قالوا نعم فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم * فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز أي نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم أي الذي يلي هذه الليلة يوم السبت * وقد علمتم ما نال منا من تعدى في السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا أي سبعين رجلا فقالوا صدق والله نعيم * وفي رواية ان بني قريظة أرسلت لقريش قبل مجيء رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ما هذا التواني والرأى أن تتواعدوا على يوم يكونون معكم فيه لكنهم لا يخرجون حتى ترسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من أشرافكم فانهم يخافون ان أصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتموهم فلم تردلهم قريش جوابا وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند أبي سفيان وقد جاءه رسولكم فقال لو طلبوا مني عناقا ما دفعتها لهم فاختلفت كلمتهم أي وجاء حيي بن أخطب لبني قريظة فلم يجد منهم موافقة له وقالوا لا نقاتل معهم حتى يدفعوا الينا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا وبعث الله تعالى ريحا عاصفا أي وهي ريح الصبا في ليال شديدة البرد فنقلت بيوتهم وقطعت أطنابها وكفأت قدورهم على أفواهها وصارت الريح تلقي الرجال على أمتعتهم * وفي رواية دفنت الرجال وأطفأت نيرانهم * أي وأرسل الله اليهم الملائكة زلزلتهم قال تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت في روعهم الرعب وقال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور * وفي لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه اختلاف كلمتهم * وكانت تلك الليلة شديدة البرد والريح في أصوات ريحها أمثال الصواعق وسيأتي أنها لم تجاوز عسكر المشركين وشديدة الظلمة بحيث لا يرى الشخص أصبعه اذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة * أي من العدو لانها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة فأذن لنا أن نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذرارينا فيأذن صلى الله عليه وسلم لهم قيل ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم تلك الليلة الا ثلاث مائة وقال من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير رضي الله عنه انا قال صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاثا والزبير يجيبه بما ذكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري أي ناصر وان حواري الزبير أي وهذا قاله صلى الله عليه وسلم له أيضا عند ارساله لكشف خبر

بني قريظة هل نقضوا العهد أولا كما تقدم * وسيأتي قول ذلك له أيضا في خيبر
و في الحديث حواريي الذبير من الرجال وحواريي من النساء عائشة وفي رواية
انه صلى الله عليه وسلم قال أي من الرجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع
أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة * و في لفظ يكون معي يوم القيامة و في لفظ
يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الخوف والجوع
والبرد فدعا صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان قال فلم أجد بدا من القيام حيث
فوه باسمي فجئته صلى الله عليه وسلم فقال تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم فقلت
لا والذي بعثك بالحق ان قدرت أي ما قدرت على مابي من الجوع والبرد والخوف
فقال اذهب حفظك الله من امامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى
ترجع الينا قال حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني وقال يا حذيفة اذهب
فادخل في القوم فقمت مستبشرا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني
احتملت احتمالا وذهب عني ما كنت أجد من الخوف والبرد وعهد صلى الله عليه
وسلم الي أن لا أحدث حدثا وفي رواية أما سمعت صوتي قلت نعم قال فما منعك
أن تجيبني قلت البرد قال لا برد عليك حتى ترجع كما يدل على ذلك الرواية الآتية
فقال ان في القوم خبرا فأتني بخبر القوم قال * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما
كرر قوله الا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ولم يجبه أحد قال أبو بكر
رضي الله عنه يا رسول الله حذيفة قال حذيفة فمر علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما علي جنة من العدو والبرد الا مرط الامرأتي ما يجاوز ركبتي وأنا جاث على ركبتي
فقال من هذا قلت حذيفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة قال حذيفة
رضي الله عنه فتقاصرت بالارض قلت بلى يا رسول الله قال قم فقمت فقال انه كائن
في القوم خبر فأتني بخبر القوم فقلت والذي بعثك بالحق ما قمت الا حياء منك من
البرد قال لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الي فقلت والله مابي أن أقتل
ولكن أخشى أن أوسر فقال انك لن تؤسر اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فمضيت كأني أمشي في حمام مأخوذ من
الحميم وهو الماء الحار وهو عربي قال حذيفة فلما وليت دعاني فقال لا تحدثن شيأ
* وفي رواية لا ترمي بسهم ولا حجر ولا تضربن بسيف حتى تأتيني فجئت اليهم
ودخلت في غمارهم فسمعت أبا سفيان يقول يا معشر قريش ليتعرف كل امرئ منكم
جليسه واحذروا الجواسيس والعيون فأخذت بيد جليسي على يميني وقلت من
أنت فقال معاوية بن أبي سفيان وقبضت يد من على يساري وقلت من أنت قال

عمرو بن العاصي فعلت ذلك خشية ان يفطن بي * فقال أبو سفيان يا معشر قريش والله انكم لستم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقال يده الا وهو قائم أي فانه لما ركبه كان معقولا فلما ضربه وثب على ثلاثة قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة بن أبي جهل انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وهو يقوده وقال ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم ثم قال لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله نقيم في جريدة من الخيل بازاء محمد وأصحابه فانا لا نأمن ان نطلب فقال عمرو أنا أقيم وقال لخالد بن الوليد ما ترى أبا سليمان فقال أنا أيضا أقيم فأقام عمرو وخالد في مائتي فارس وسار جميع العسكر * قال حذيفة رضي الله عنه ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الي حين بعثني أن لا أحدث شيأ لقتلته يعني أبا سفيان بسهم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستداروا راجعين الى بلادهم وفي رواية فدخلت العسكر فاذا الناس في عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة والريح لا يجاوز عسكرهم فلما انتصفت الطريق اذا أنا بنحو عشرين فارسا معتمين فخرج الي منهم فارسان وقالا أخبر صاحبك ان الله كفاه القوم * قال حذيفة ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قائما يصلي فخبرته فحمد الله تعالى وأثنى عليه أي وفي رواية فأخبرته الخبر فضحك حتى بدت ثناياه في سواد الليل وعاودني البرد فجعلت أقرقف فأومأ الي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فدنوت منه فسدل علي من فضل شملته فنمت ولم أزل نائما حتى الصبح أي طلوع الفجر فلما ان أصبحت أي دخل وقت صلاة الصبح قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان أي يا كثير النوم لان النبي صلى الله عليه وسلم انما قال له لا بأس عليك من برد حتى ترجع الي أي ومن هذا أي ارسال حذيفة رضي الله عنه وما تقدم أي من ارسال الزبير رضي الله عنه تعلم ان ذلك كان في الخندق ولا مانع منه لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم عدل عن ارسال الزبير واختار حذيفة لامر قام عنده صلى الله عليه وسلم من جملة ذلك كون الزبير رضي الله عنه كان عنده حدة وشدة لا يملك نفسه ان يحدث بالقوم ما نهى عنه حذيفة رضي الله عنه وحينئذ يرد قول بعضهم ان الزبير انما أرسل لكشف أمر بني قريظة هل نقضوا العهد أم لا لكشف أمر قريش وحذيفة رضي الله عنه ذهب لكشف أمر قريش هل رحلوا أولا وقد اشتبه الامر على بعض

الناس فبينهما قضية واحدة فليتأمل ذلك وكان يقال لحذيفة رضي الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يعلمه غيره * فقد قال حذيفة رضي الله عنه لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان وبما يكون حتى تقوم الساعة أي وتقدم ان ابن مسعود رضي الله عنه كان يقال له أيضا صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقد ذكر ابن ظفر في ينبوع الحياة في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها هبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد وألقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصا وسمعوا في ارجاء أي نواحي معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح أي من الملائكة فصار سيد كل حي يقول لقومه يا بني فلان هلموا الى فاذا اجتمعوا قال النجا النجا فارتحلوا هرابا في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم أي والصبا هي الريح الشرقية وعن ابن عباس رضي الله عنهما قالت الصبا للشمال اذهبي بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان الحرائر لا تهب بالليل فغضب الله عليها فجعلها عقيما ويقال لها الدبور فكان نصره صلى الله عليه وسلم بالصبا وكان اهلاك عاد بالدبور وهي الريح الغربية وحين انجلاء الاحزاب قال صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزونا وانصرف صلى الله عليه وسلم لسبع ليال من ذي القعدة أي بناء على انها كانت في القعده وهو قول ابن سعد * وقيل كانت في شوال وكان ذلك سنة خمس أي كما قاله الجمهور قال الذهبي وهو المقطوع به وقال ابن القيم انه الاصح وقال الحافظ ابن حجر هو المعتمد وقيل سنة أربع وصححه الامام النووي في الروضة * قال بعضهم وهو عجيب فانه صح ان غزوة بني قريظة كانت في الخامسة ومعلوم انها كانت عقب الخندق أي وفيه انه يجوز ان تكون بنو قريظة أوائل الخامسة والخندق أواخر الرابعة فتكون في ذي الحجة واستدل من قال ان الخندق كانت سنة أربع بما صح عن ابن عمر رضي الله عنهما انه عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه فيكون بينهما سنة واحدة أي وكانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة أربع * قال الحافظ ابن حجر ولا حجة فيه لاحتمال أن يكون ابن عمر رضي الله عنهما في أحد كان أول ما طعن في الرابعة عشر وكان في الاحزاب قد استكمل الخمسة عشر وسبقه الى ذلك البيهقي وحينئذ يكون بين أحد والخندق سنتان كما هو الواقع لا سنة واحدة ومما وقع من الآيات في هذه الغزوة في مدة حفر الخندق غير ما تقدم

أن بنت بشير بن سعد جاءت لابيها وخالها أي عبد الله بن رواحة بحفنة من التمر ليتغذيا بها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأهما ثم أمر بثوب فبسطت له ثم قال لانسان عنده اصرخ في أهل الخندق أن هلموا الى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب أي فان أهل الخندق أصابهم مجاعة قال بعض الصحابة لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق زادا وربط صلى الله عليه وسلم الحجر على بطنه من الجوع * أقول أورد ابن حبان في صحيحه لما أورد الحديث الذي فيه نهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال وقالوا اما لك تواصل يارسول الله قال اني لست مثلكم اني أبيت يطعمني ربي ويسقيني قال يستدل بهذا الحديث على بطلان ما ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يضع الحجر على بطنه من الجوع لانه كان يطعم ويسقى من ربه اذا واصل فكيف يترك جائعا مع عدم الوصال حتى يحتاج الى شد الحجر على بطنه * قال وانما لفظ الحديث الحجز بالزاي وهو طرف الازار فصحفوا وزادوا لفظ من الجوع * وأجيب بأنه لا منافاة كان صلى الله عليه وسلم يطعم ويسقى اذا واصل في الصوم أي يصير كالطاعم والساقي مكرمة له ولا يحصل له ذلك دائما بل يحصل له الجوع في بعض الاحايين على وجه الابتلاء الذي يحصل للانبياء عليهم الصلاة والسلام تعظيما لثوابهم والله أعلم وان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما لما علم ما به صلى الله عليه وسلم من شدة الجوع صنع شويهة وصاعا من شعير قال جابر وانما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلما قلت له أمر صارخا فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت جابر فقلت انا لله وانا اليه راجعون فأقبل الناس معه أي بعضهم فجلس صلى الله عليه وسلم فأخرجناها اليه فبرك ثم سمى الله تعالى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا أي وذهبوا الى الخندق وجاء آخرون حتى صدر أهل الخندق عنها وهم ألف فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو وقال * وفي رواية أن جابرا رضي الله عنه لما رأى ما به صلى الله عليه وسلم من الجوع استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصراف الى بيته فأذن له قال جابر فجئت لامرأتي وقلت لها اني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا أفعندك شيء قالت عندي صاع من شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير وجعلت اللحم في برمة فلما أمسينا جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررته وقلت له طعيم لي فقم أنت يارسول

الله ورجل أو رجلان فشبك صلى الله عليه وسلم أصابعه فى أصابعى وقال كم هو فذكرت له قال كثير طيب لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء وصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا قد صنع لكم سورا أى ضيافة فحيهلا بكم أى سيروا مسرعين وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس قال جابر رضى الله عنه فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله والله انها الفضيحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخلوا عشرة عشرة أى بعد ان أخرجت له عجيننا فبصق فيه وبارك ثم عمد صلى الله عليه وسلم الى برمتنا وبصق فيها وبارك الحديث أى ومجيء القوم كان على الوجه المتقدم وان أم عامر الاشهلية أرسلت بقصعة فيها حيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى القبة عنده أم سلمة رضى الله عنها فأكلت أم سلمة حاجتها ثم خرج بالقصعة ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى عشائه فأكل أهل الخندق حتى نهلوا منها وهى كما هى * وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله ونفعنا ببركاته انه قدم لاربعة عشر رجلا من الفلاحين رغيفا واحدا فأكلوا منه كلهم وشبعوا * قال وقدمت مرة الطاجن الذى نعمله فى الفرن الى سبعة عشر نفسا فأكلوا منه وشبعوا * وذكر انه شاهد شيخه الشيخ محمد الشناوى رحمه الله ونفعنا ببركاته وقد جاء من الريف ومعه نحو خمسين رجلا ونزل بزاوية شيخه الشيخ محمد السروى فتسامع مجاورو الجامع الازهر بمجيئه فأتوا لزيارته فامتلأت الزاوية وفرشوا الحصر فى الزقاق ثم قال لنقيب شيخه هل عندك طبيخ قال نعم الطبيخ الذى أفعله لى ولزوجتى فقال له لا تغرف شيأ حتى أحضر ثم غطى الشيخ الدست بردائه وأخذ المغرفة وصار يغرف الى أن كفى من فى الزاوية ومن فى الزقاق وهذا شيء رأيته بعينى هذا كلامه ولا بدع فقد ذكر غير واحد من العلماء كالحافظ ابن كثير ان كرامات الاولياء معجزات للانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الولى انما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه وثواب ايمانه به هذا كلامه * قال وأرسل أبو سفيان كتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه باسمك اللهم فانى أحلف باللات والعزى أى واساف ونائلة وهبل كما فى لفظ لقد سرت اليك فى جمع وأنا أريد أن لا أعود اليك أبدا حتى استأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا واعتصمت بالخندق * أى وفى لفظ قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وانما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك منى يوم كيوم أحد فأرسل له صلى الله عليه وسلم جوابه فيه أما بعد أى بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى صخر بن حرب كذا

في كلام سبط ابن الجوزي فقد أتاني كتابك وقديما غرك بالله الغرور أما ما ذكرت أنك سرت الينا وأنت لا تريد ان تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك ياسفيه بني غالب انتهى

❋(غزوة بني قريظة)❋

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الاوس وسيد الاوس حينئذ سعد بن معاذ رضي الله عنه كما تقدم لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وكان وقت الظهيرة ❋ أي وقد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضي الله عنها وقيل زينب بنت جحش رضي الله عنها ودعا بماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم يغتسل أي غسل شق رأسه الشريف ❋ وفي رواية بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغسل يرجل رأسه قد رجل أحد شقيه ❋ أي وفي رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة أي سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج مرخ منها بين كتفيه ❋ وفي رواية عليه لامته ولا معارضة لانه يجوز أن يكون الاعتجار بالعمامة على تلك اللامة وهو على بغلة أي شهباء عليها قطيفة وهي كساء له وبر من ديباج أي أحمر ❋ وفي رواية جاء على فرس أبلق فقال أوقد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل عليه السلام ما وضعت السلاح ❋ وفي رواية ما وضعت ملائكة الله السلاح بعد ❋ قال وفي رواية أنه قال يا رسول الله ما أسرع ما حللتم عذيرك من محارب عفا الله عنك أي من يعذرك ❋ وفي لفظ غفر الله لك أوقد وضعتم السلاح قبل أن تضعه الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال فوالله ما وضعناه ❋ وفي لفظ ما وضعت الملائكة السلاح منذ نزل بك العدو وما رجعنا الان الا من طلب القوم يعني الاحزاب حتى بلغنا الاسد انتهى أي حمراء الاسد ان الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم زاد في رواية بمن معي من الملائكة فمزلزل بهم الحصون زاد في رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أصحابي جهدا فلو أنظرتهم أياما فقال جبريل عليه السلام انهض اليهم فوالله لادقنهم كدق البيض على الصفا ولادخلن فرسي هذا عليهم في حصونهم ثم لاضعضعنها فأدبر جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم وهم طائفة من الانصار ❋ وفي البخاري عن أنس قال كأني انظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم ❋ موكب جبريل عليه السلام حين سار لبني قريظة والموكب

بكسر الكاف اسم لنوع من السير وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لما رجع
النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بيناهو عندي اذدق الباب * أي وفي رواية
نادى منادأي في موضع الجنائز عذيرك من محارب (٥) أي من يعذرك فارتاع
لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أي فزع ووثب وثبة منكرة وخرج
فخرجت في أثره فاذا رجل على دابة والنبي صلى الله عليه وسلم متكىء على معرفة
الدابة يكلمه فرجعت فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذي كنت تكلمه قال ورأيته
قلت نعم قال بمن تشبهينه قلت بدحية الكلبي قال ذاك بكسر الكاف جبريل
عليه السلام أمرني أن أمضي الى بني قريظة * أي وهذا يؤيد أنه صلى الله عليه
وسلم كان عند منصرفه من الخندق في بيت عائشة وأبرز رسول الله صلى الله
عليه وسلم مؤذنا أي وهو بلال كما في سيرة الحافظ الدمياطي فأذن في الناس
من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر * أي وفي رواية الظهر الا ببني قريظة
قال في النور والجمع بينهما أن الامر بعد دخول وقت الظهر بالمدينة وقد صلى بعضهم
دون بعض فقيل للذين لم يصلوا الظهر لا تصلوا الظهر الا في بني قريظة وقال للذين
صلوها لا تصلوا العصر الا في بني قريظة وفي رواية بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم يومئذ مناديا ياخيل الله أي يافرسان خيل الله اركبي ثم سار اليهم قال وقد لبس
صلى الله عليه وسلم السلاح الدرع والمغفر والبيضة وأخذ قناة بيده الشريفة وتقلد
السيف وركب فرسه اللحيف بالمهملة وقيل ركب حمارا وهو اليعفور عريانا والناس
حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا له
صلى الله عليه وسلم منها ثلاثة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه برايته الى بني
قريظة أي وفي رواية دفع اليه لواء وكان اللواء على حاله لم يحل من مرجعه من
الخندق ومر صلى الله عليه وسلم بنفر من بني النجار قد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم
أحد قالوا نعم دحية الكلبي مر على بغلة بيضاء أي وفي رواية على فرس أبيض عليه
اللامة وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم
الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل
عليه السلام بعث الى بني قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما دنا
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من الحصن أي ومعه نفر من المهاجرين والانصار
وغرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقه صلى الله عليه
وسلم أي وحق أزواجه أي فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما رأى

على كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا أمر أبا قتادة الانصاري
رضي الله عنه أن يلزم اللواء ورجع اليه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لعلك سمعت منهم لي أذى قال نعم يا رسول
الله قال لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من
حصونهم قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته * قال
وفي رواية نادى بأعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم وقال أجيبوا يا اخوة
القردة والخنازير وعبدة الطاغوت أي وهو ما عبد من دون الله كما تقدم هل أخزاكم
الله وأنزل بكم نقمته أتشتموني فجعلوا يحلفون ويقولون ما قلنا انتهى ويقولون يا أبا
القاسم ما كنت جهولا * أي وفي لفظ ما كنت فاحشا * وفي رواية تقدمه
صلى الله عليه وسلم الى يهود أسيد بن حضير رضي الله عنه فقال لهم يا أعداء الله
لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا انما أنتم بمنزلة ثعلب في جحر فقالوا يا ابن الحضير
نحن مواليك وحاروا أي خافوا قال لا عهد بيني وبينكم وتقدم أسيد الى بني قريظة
يجوز أن يكون قبل مقدم علي لهم ويجوز أن يكون بعده وانما قال لهم يا اخوان
القردة والخنازير لان اليهود مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم
يوم السبت بصيدا لسمك وقد حرم عليهم ذلك كسائر الاعمال وقد أمرهم أن يتفرغوا
لعبادة ربهم في ذلك اليوم وكان ذلك في زمن داود عليه السلام فلما مسخوا اخرجوا
من تلك القرية هائمين على وجوههم متحيرين فمشوا ثلاثة أيام لا يأكلون ولا يشربون
ثم ماتوا وهذا دليل لمن يقول ان الممسوخ لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام ولم يحصل منه
توالد ولا تناسل * وفي الكشاف قيل ان أهل أيلة أي وهي قرية بين مصر
ومدين لما اعتدوا في السبت قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم العنهم واجعلهم
للناس آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام بعد
المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه
أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة
آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي هذا كلامه فلينأمل فمكثوا ثلاثة أيام
لا يأكلون ولا يشربون فماتوا ثم ان جماعة من الصحابة شغلهم ما لم يكن لهم منه
بد عن المسير لبني قريظة ليصلوا بها العصر فأخروا صلاة العصر الى أن جاؤا بعد عشاء
الآخرة امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يصلين العصر الا في بني قريظة فصلوا
العصر بها بعد عشاء الآخرة أي وبعضهم قال نصلي ما يريد رسول الله صلى الله
عليه وسلم منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها وانما أراد الحث على الاسراع فصلوها

فى أماكنهم ثم سار وا (ص) فما عابهم الله فى كتابه ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لان كلا من الفريقين تأول ✱ قال فى الهدى كل من الفريقين مأجور بقصده الا أن من صلى حاز الفضيلتين ولم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم فى التمسك بظاهر الامر وهو دليل على أن كل مختلفين فى الفروع من المجتهدين مصيب ✱ وادعى ابن التين رحمه الله ان الذين صلوا العصر صلوها على ظهور دوابهم قال لانهم لو صلوا نزولا لكان مضادة لما أمروا به من الاسراع ولا يظن ذلك مع تقرب أفهامهم ✱ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفيه نظر لانه لم يأمرهم بترك النزول ولم أر انهم صلوا ركبانا فى شيء من طرق القصة والتعليل بالاسراع يقتضى أنهم صلوا على ظهور دوابهم سائرة لا واقفة وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما أى وقيل شهرا ✱ وكان طعام الصحابة التمر مرسل به اليهم سعد بن عبادة رضى الله عنه أى يجاء به من عنده ✱ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر (ص) حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وكان حيي بن أخطب دخل مع بنى قريظة حصنهم حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب بما كان عاهده عليه أى كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم أى يقاتلهم قال كبيرهم كعب ابن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا أيها شئتم قالوا وما هى قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل وأنه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم ✱ قال وزاد فى لفظ آخر وما منعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث لم يكن من بنى اسرائيل ولقد كنت كارها لنقض العهد ولم يكن البلاء والشوم الا من هذا الجالس يعنى حيي ابن أخطب أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبى فاتبعوه وكونوا له أنصارا وتكونوا آمنتم بالكتابين الاول والآخر انتهى أى التوراة والقرآن أى وكان يهود بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ويعلمون الولدان صفته وان مهاجره المدينة وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت يهود بنى قريظة وبنى النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة ولما قال لهم كعب ذلك قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ولم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك

وراءنا نسلا أي ولدا نخشى عليه وان نظفر فلعمري لنجدن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وان عسى أن يكون محمد واصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة أي غفلة فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت وأصابهم مالم يخف عليك من المسخ قال وقال لهم عمرو بن سعدى قد خالفتم محمدا فيما حالفتموه أي عاهدتموه عليه ولم أشرككم في غدركم فان أبيتم ان تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية فوالله ما أدري يقبلها أم لا قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه القتل خير من ذلك قال فاني بريء منكم وخرج في تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فقال محمد ابن مسلمة من هذا قال عمرو بن سعدى قال مر اللهم لا تحرمني اقالة عثرات الكرام وخلى سبيله وبعد ذلك لم يدر أين هو وقيل وجدت رمته وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وفي لفظ انه قال لهم قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم لحصارهم يا بني قريظة لقد رأيت عبرا رأيت دار اخواننا بني النضير خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف والرأي الفاضل والعقل قد تركوا أموالهم قد تملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع ببني قينقاع وكانوا أهل عدة وسلاح ونخوة فلم يخرج أحد منهم رأسه حتى سباهم فكلم فيهم فتركهم على اجلائهم من يثرب يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمدا فوالله انكم لتعلمون انه نبي وقد بشرنا به علماؤنا ثم لا يزال يخوفهم بالحرب والسبي والجلاء ثم أقبل على كعب ابن أسد وقال والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام يوم طور سيناء انه للعز والشرف في الدنيا فبينما هم على ذلك لم يرعهم الا بمقدمة النبي صلى الله عليه وسلم قد حلت بساحتهم فقال هذا الذي قلت لكم أي وبعد الحصار قيل ارسلوا نباش بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من ان لهم ما حملت الابل الا الحلقة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يحقن دماءهم ويسلم لهم نساءهم والذرية فأرسلوه ثانيا بأنه لا حاجة لهم بشيء من الاموال لا من الحلقة ولا من غيرها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد نباش اليهم بذلك اه ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا أبا لبابة أي وهو رفاعة بن المنذر لنستشيره في أمرنا أي لانه كان من حلفاء الاوس وبنو قريظة منهم وفي لفظ وكان أبو لبابة

مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كانت في بني قريظة فأرسله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش أى أسرع اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت مالهم فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه أى انه الذبح أى وفى لفظ ما ترى ان محمدا قد أبى أن لا ننزل الا على حكمه * قال فانزلوا وأومأ الى حلقه ويروى انهم قالوا له ما ترى أننزل على حكم سعد بن معاذ فأومأ أبو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة رضى الله عنه فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله أى لان فى ذلك تنفيرا لهم عن الانقياد له صلى الله عليه وسلم ومن ثم أنزل الله فيه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الآية أى وقيل نزل وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم الآية وهذا أثبت من الاول وقد يقال كلاهما نزل فيه تلك الآية فى توجه اللوم عليه وهذه فى توبته لا يقال هى ليست نصا فى توبة الله عليه لانا نقول الترجى فى حقه تعالى أمر محقق وعن أبى لبابة رضى الله عنه لما أرسلت بنو قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يرسلنى اليهم دعانى قال اذهب الى حلفائك فانهم أرسلوا اليك من بين الاوس فذهبت اليهم فقام كعب بن أسيد فقال يا أبا بشير قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نطأ له أرضا ولم نكثر عليه جمعا أبدا ما ترى قد اخترناك على غيرك أننزل على حكم محمد قال أبو لبابة نعم فانزلوا وأومأ الى حلقه بالذبح فندمت واسترجعت فقال لى كعب ما لك يا أبا لبابة فقلت خنت الله ورسوله فنزلت وان عينى لتسيل من الدموع ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتبط بالمسجد الى عمود من عمده أى وهى السارية ويقال لها الاسطوانة وهى التى كانت عند باب أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فى حر شديد * وقيل الاسطوانة المخلقة التى يقال لها اسطوانة التوبة والاول أثبت وكانت تلك الاسطوانة أكثر تنفله صلى الله عليه وسلم عندها * وكان ينصرف اليها من صلاة الصبح فكان يستبق اليها الفقراء والمساكين ومن لا بيت له الا المسجد فيجىء اليهم صلى الله عليه وسلم ويتلو عليهم ما أنزل من ليلته ويحدثهم ويحدثونه وكان ارتباطه بسلسلة ربوض أى ثقيلة وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله أن لا يطأ بنى قريظة أبدا * ولا يرى فى بلد خان الله ورسوله فيه أبدا * فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم خبره * وكان قد استبطأه قال اما والله اني لاستغفرت له واما اذ فعل ما فعل فما
أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه هذا وفي كلام البيهقي وأورده في الدر أن
ارتباطه انما كان لتخلفه عن تبوك فقد ذكر انه لما أشار بيده الى حلقه وأخبر عنه
صلى الله عليه وسلم بذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسبت ان الله
غفل عن يدك حيث تشير اليهم بها الى حلقك فلبث حينا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم عاتب عليه ثم لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك كان
أبو لبابة فيمن تخلف فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجع جاء أبو لبابة
يسلم عليه فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففزع أبو لبابة وارتبط
بالسارية واستغرب ذلك بعضهم فقال وأغرب من ادعى ان أبا لبابة انما فعل ذلك
لتخلفه عن غزوة تبوك ثم ان بني قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأمر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا ستمائة * وقيل سبعمائة وخمسين مقاتلا
وهو الذي تقدم عن حيي بن أخطب ولا يخالف هذا ما قيل انهم كانوا بين الثمانمائة
والسبعمائة * وقيل كانوا أربعمائة مقاتل ولا يخالف ما قبله لانه يجوز أن يكون
ما زاد على ذلك كانوا أتباعا لا يعدون وأخرج النساء والذراري من الحصون
وجعلوا ناحية أي وكانوا ألفا واستعمل عليهم عبد الله بن سلام فتواثبت الاوس
وقالوا يا رسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت في موالي اخواننا بالامس ما قد
فعلت يعنون بني قينقاع لانهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج عبد الله بن أبي
ابن سلول * وقد نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كلمه فيهم عبد الله
ابن أبي بن سلول فوهبهم له على أن يجلوا كما تقدم أي فظنت الاوس من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يهب لهم بني قريظة كما وهب بني قينقاع للخزرج فلما
كلمته الاوس أبى أن يفعل ببني قريظة ما فعل ببني قينقاع ثم قال لهم أما ترضون
يا معشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى فقال فذلك الى سعد بن معاذ أي
وقيل انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اختاروا من شئتم من أصحابي فاختاروا سعد بن
معاذ أي وهو رضي الله عنه سيد الاوس حينئذ كما تقدم * وقيل انهم قالوا ننزل
على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم * أي وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه يومئذ في المسجد في خيمة رفيدة رضي
الله عنها * وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لقوم سعد بن معاذ حين أصابه السهم
بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قرب أي لان رفيدة رضي الله عنها
كان لها خيمة في المسجد تداوي فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم

عليه فأتاه قومه فحملوه على حمار ثم أقبلوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون له يا أبا عمرو أحسن فى مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اغا ولاك ذلك لتحسن فيهم فأحسن فيهم فقد رأيت ابن أبى وما صنع فى حلفائه وهو ساكت * فلما أكثروا عليه قال رضى الله عنه لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم فقال بعضهم واقوماه * فلما انتهى سعد رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم حوله جلوس * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم أى زاد فى رواية فأنزلوه فقال عمر رضى الله عنه السيد هو الله * وفى رواية الى خيركم أى معاشر المسلمين من المهاجرين والانصار أو معاشر الانصار فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم * وفى رواية فقمنا اصفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم قال قد أمرك الله ان تحكم فيهم فقال سعد أى لمن فى الناحية التى ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم كما حكمت قالوا نعم وعلى من ههنا مثل ذلك * وأشار الى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أى * وفى لفظ فقال سعد لبنى قريظة أترضون بحكمى قالوا نعم فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به قال سعد فانى أحكم فيهم ان تقتل الرجال * وفى لفظ ان يقتل كل من جرت عليه الموسى وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء زاد بعضهم وتكون الديار للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار اخوتنا يعنون المهاجرين لنا معهم فقال انى أحببت ان يستغنوا عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة أى السموات السبع قيل سميت بذلك لانها رقعت بالنجوم وجاء فى الصحيح من فوق سبع سموات والمراد شأن هذا الحكم العلو والرفعة وقد طرقنى بذلك الملك سحرا * ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يجمع ما وجد فى حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد فيها ألفا وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع وألفى رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد أثاثا كثيرا وآنية كثيرة وأجمالا نواضح أى يستقى عليها الماء وماشية وشياها كثيرة وخمس ذلك أى مع النخل والسبى حتى الرثة وهو السقط من أمتعة البيت خمسة أجزاء ففض أربعة أسهم على الناس فجعل للفارس ثلاثة أسهم أى سهم له وسهمان

لفرسه

لفريضته وللراجل سهما * قال بعضهم وهو أول فيء وقعت فيه السهام ورضخ للنساء اللاتى حضرن القتال وهن صفية عمته صلى الله عليه وسلم وأم عمارة وأم سليط وأم العلاء والسميراء بنت قيس وأم سعد بن معاذ وكبشة بنت رافع ولم يسهم لهن وأخذ هو صلى الله عليه وسلم جزءا وهو الخمس وعبارة بعضهم وهو أول فيء وقعت فيه السهمان وخمس أى جزأ خمسة أجزاء وكتب فى سهم لله ثم أخذ ذلك السهم الذى خرج عليه وعلى سنته مضت قسمة الغنائم وفى كون هذا أول فىء جرت فيه السهمان نظر لانما كان ذلك فى بنى قينقاع فان الفيء الحاصل منهم خمس خمسة أخماس أخذ صلى الله عليه وسلم واحدا والاربعة لاصحابه أى ووجد جرار خمر فاهريق ولم يخمس وهذا يدل على أن الخمر كانت محرمة قبل ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاسارى أن يكونوا فى دار أسامة بن زيد رضى الله عنهما والذرية فى دار ابنة الحارث النجارية أى لان تلك الدار كانت معدودة لنزول الوفود من العرب * وقيل فى دار كبشة بنت الحارث ابن كريز كانت تحت مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز وهذه انما نزل فى دارها وفد بنى حنيفة كما سيأتى و بالمتاع أن يحمل وترك المواشى هناك ترعى الشجر ثم غدا صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم خرج الى سوق المدينة فخندق فيها خنادق أى حفر فيها حفائر ثم أمر بقتل كل من أنبت فبعث اليهم فجاؤا اليه أرسالا تضرب أعناقهم ويلقون فى تلك الخنادق * وقد قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسد يا كعب ما تراه يصنع بنا قال فى كل موطن لا تعقلون أما ترون أن من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل قد دعوتكم الى غير هذا فأبيتم على قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وذلك ليلا على شعل السعف ثم رد عليهم التراب فى تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشقت جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملأت المدينة نواحا * وكان من جملة من أتى معهم عدو الله حيى بن أخطب مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم يمكن الله منك يا عدو الله قال بلى أبى الله الا تمكينك منى أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل * وفى كلام السهيلى رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم لما قال له ألم يمكن الله منك فقال بلى ولقد قلقلنا مقلقل ولكنه من يخذلك يخذل فقوله يخذلك كقول الآخر فى البيت ولكنه من يخذل الله يخذل لانه انما نظم فى البيت كلام حيى * ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة أى

قتال كتب على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه * قال ولما أتى بكعب
ابن أسد سيد بني قريظة قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا كعب قال نعم يا أبا
القاسم قال ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقا بي أما أمركم باتباعي وان
رأيتموني تقرؤوني منه السلام قال بلى والتوراة يا أبا القاسم ولولا أن تعيرني يهود
بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود فأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يقدم فيضرب عنقه ففعل به ذلك * أي وكان المتولي لقتلهم
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والزبير بن العوام رضي الله عنه * أقول
في الامتاع وجاء سعد بن عبادة والحباب بن المنذر فقالا يا رسول الله ان الاوس
قد كرهن قتل بني قريظة لمكان حلفهم فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه ما كرهه
أحد من الاوس فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله فقام أسيد بن حضير فقال
يا رسول الله لا تبقي دارا من دور الاوس الا فرقتهم فيها ففرقهم في دور الانصار
فقتلوهم هذا كلامه والضمير في قتلوهم ظاهر في رجوعه للاوس وانهم المراد بالانصار
وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون المراد بالاوس الذين كرهوا ذلك طائفة منهم
وان تلك الطائفة قتلوا من بعث به الى دورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله علي والزبير
والله أعلم ولم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة أخرجت من بين النساء يقال لها شبابة
وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضي الله عنه فقتلته بارشاد
زوجها لانه أحب أن لا تبقى فيتزوجها غيره وقد أسهم صلى الله عليه وسلم لخلاد بن
سويد هذا وقال ان له أجر شهيدين وأسهم لسنان بن محصن وقد مات في زمن الحصار
وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لم يقتل من نسائهم يعني بني قريظة الا امرأة
واحدة قالت والله انها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا أي وكانت جارية
حلوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق أي لانها دخلت على
عائشة وبنو قريظة يقتلون اذ هتف هاتف باسمها أين ثبانة قالت أنا والله قالت
عائشة فقلت لها ويلك ما لك قالت أقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته * أي
وفي لفظ قتلني زوجي فقالت لها عائشة كيف قتلك زوجك قالت أمرني أن ألقي رحى على
أصحاب محمد كانوا تحت الحصن مستظلين في فيئه فأدركت خلاد بن سويد
فشدخت رأسه فمات وأنا أقتل به * وفي لفظ آخر اني كنت زوجة رجل من
بني قريظة وكان بيني وبينه كأشد ما يتحاب الزوجان فلما اشتد أمر المحاصرة
قلت لزوجي يا حسرتي أيام الوصال كادت أن تنقضي وتتبدل بليالي الفراق وما
أصنع بالحياة بعدك فقال زوجي انك صادقة في دعوى المحبة تعالى فان جماعة من

المسلمين جالسون في ظل حصن الزبير بن بطا وهو بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة فالقى عليهم حجر الرحا لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت قالت فانطلق بها فضرب عنقها فكانت عائشة رضي الله عنها تقول والله ما ألقى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل وكان في بني قريظة الزبير بن بطا وهو جد الزبير بن ابنه عبد الرحمن وهو بفتح الزاى وكسر الموحده كاسم جده وقيل بضم الزاى وفتح المثناة وهو قول البخارى في التاريخ وكان شيخا كبيرا وكان قد من على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بغاث وهي الحرب التى كانت بين الاوس والخزرج قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وكان الظفر فيها للاوس على الخزرج آخرا كما تقدم أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت رضي الله عنه للزبير فقال له يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني قال فهل يجهل مثلى مثلك قال انى أردت أن أجزيك بيدك عندى قال ان الكريم يجزى الكريم وأحوج ما كنت اليك اليوم وعبد الرحمن هذا هو الذى تزوج امرأة رفاعة وشكته للنبي صلى الله عليه وسلم بأن الذى معه كهدبة الثوب وأحبت طلاقه لها * ثم أتى ثابت رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه كان للزبير لى منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك فهو لك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال ثابت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى امرأته وولده فقال هم لك قال فأتيته فقلت قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ماله قال هو لك فأتيته فقلت له قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك فقال أى ثابت أما أنت فقد كافيتني وقد قضيت الذى عليك ما فعل بالذى كان وجهه مرآة مضيئة تترا آمنها عذارى الحى كعب بن أسد أى سيد بنى قريظة قلت قتل قال فما فعل بسيد الحاضر والبادى أى من يحملهم فى الجدب ويطعمهم فى المحل حيى بن أخطب قلت قتل قال فما فعل بمقدمتنا بكسر الدال مشددة اذا شددنا وحامينا اذا فررنا عزال بالعين المهملة وتشديد الزاى بن سموأل بالسين المهملة مفتوحة ومكسورة قلت قتل قال فما فعل المجلسان بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها المصدر يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قلت قتلوا وفى لفظ قتلوا قال فانى أسألك يا ثابت بيدك عندى الا ألحقتنى بالقوم

فوالله ما بالعيش بعد هؤلاء من خير أأرجع الى دار قد كانوا حلولا فيها فأخلد فيها بعدهم لا حاجة لى فيها أنا بصابر لله افراغة دلو ناضح ای مقدار الزمن الذى يفرغ فيه ماء الدلو * وفى رواية فتلة دلو ناضح بالفاء والتاء المثناة فوق وقيل بالقاف والباء الموحدة أى مقدار ما يتناول المستقى للدلو حتى ألقى الاحبة * قال ثابت فقدمته فضربت عنقه أى وقيل ان ثابتا رضى الله عنه قال له ما كنت لاقتلك فقال لا أبالى من قتلنى فقتله الزبير بن العوام رضى الله عنه ولما بلغ أبا بكر رضى الله عنه مقالته ألقى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا * قال فى الاصل وذكر أبو عبيدة هذا الخبر وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك أهله وماله أن أسلم أى ولم يسلم فكان أهله وماله من جملة الفىء وكان القتل لكل من أنبت ومن لم ينبت يكون فى السبى * قال عطية القرظى رضى الله عنه كنت غلاما فوجدونى لم أنبت فخلوا سبيلى أى عن القتل وكان رفاعة قد أنبت فأرادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر وكانت احدى خالاته صلى الله عليه وسلم اى خالات جده عبد المطلب لانها من بنى النجار فقالت بأبى أنت وأمى يا رسول الله هب لى رفاعة فوهبه لها أى فأسلم وقرت عين سعد بن معاذ رضى الله عنه بقتل بنى قريظة حيث استجاب الله دعوته فانه سأل الله تعالى لما أصيب بالسهم فى الخندق * وقال ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة كما تقدم * أى وفى بعض الروايات أن دعاءه رضى الله عنه بذلك كان فى الليلة التى فى صبيحتها أنزلت بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقدم عن بعض الروايات * أى ويجوز أن يكون رضى الله عنه دعا بذلك مرتين * وفى لفظ فدعا الله أن لا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة ويمكن أن يكون صاحب الهمزية رحمه الله أشار الى سب بنى قريظة له ونهى بعض أشرافهم لهم عن نقضهم العهد الذى كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم الذى سببه حيى بن أخطب لعنه الله واغترارهم بالاحزاب بقوله

وتعدوا الى النبى حدودا * كان فيها عليهم العدواء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم انما لكم أولياء
ويوم الاحزاب اذ زاغت الابـ * ـصار فيه وضلت الآراء
وتعاطوا فى أحمد منكر القو * ل ونطق الاراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو * ء سفاها والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو * م وما ساق للبذى البذاء
وجد السب فيه سما ولم يد * ر أن السم فى مواضع باء

كان من فيه قتله بيديه * فهو من سوء فعله الزباء

أو هو النحل قرصها يجلب الحتف اليها وما لها انكاء

* أي ولما انقضى شأن بني قريظة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فكان كذلك وتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك بعد انقضاء الاحزاب وانفجر جرح سعد بن معاذ أي النبي في يده وسال الدم واحتضنه صلى الله عليه وسلم فجعلت الدماء تسيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات منه وحمل الى منزله ولم يعلم صلى الله عليه وسلم بموته فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم من الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا العبد الصالح * وفي لفظ من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش وفي رواية عرش الرحمن أي فتحت أبواب السماء لصعود روحه واهتز العرش أي تحرك فرحا بذلك * وقال النووي اهتزاز العرش هو فرح الملائكة بقدوم روحه وفيه ان هذا لا يحتاج اليه الا لو كان تحرك العرش مستحيلا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد بن معاذ فوجده قد مات وعن سلمة بن أسلم بن حريش رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في البيت أحد الا سعد مسجى فرأيته يتخطى وأومأ صلى الله عليه وسلم الى قف فوقفت ورددت من ورائي وجلس صلى الله عليه وسلم ساعة ثم خرج فقلت يا رسول الله ما رأيت أحدا ورأيتك تتخطى فقال ما قدرت على مجلس حتى قبض لي ملك من الملائكة أحد جناحيه * أقول قد وقع له صلى الله عليه وسلم نظير ذلك عند تشييعه لجنازة ثعلبة بن عبد الرحمن الانصاري رضي الله عنه فانه صار يمشي على أطراف أنامله فلما دفن قيل يا رسول الله رأيناك تمشي على أطراف أناملك قال والذي بعثني بالحق ما قدرت ان أضع قدمي من كثرة ما نزل من الملائكة لتشييعه وقصته مذكورة في السيرة الشامية * ولما حملوا نعش سعد رضي الله عنه وكان جسيما وجدوا له خفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له حملة غيركم أي من الملائكة لقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا سعدا أي جنازته ومنهم جملة ما وطئوا الارض الا يومهم هذا اهـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد رضي الله عنه قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قبره من تراب * وجاء لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه * وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما دفن سعد رضي الله عنه ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه

فقالوا يا رسول الله لم سمعت أي وكبرت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه * وجاء ان بعض أهل سعد رضي الله عنه سئل ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أي في سبب تضايق القبر على سعد كما يرشد اليه جوابهم بقولهم فقالوا ذكرنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال كان يقصر في بعض الطهور من البول بعض التقصير * وهذا قد يخالف ما في الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بأنه لا يضغط في قبره * وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يسلم من الضغطة صالح ولا غيره سواهم * وكذا ما في التذكرة للقرطبي الا فاطمة بنت أسد ببركته صلى الله عليه وسلم أي حيث اضطجع صلى الله عليه وسلم في قبرها * ويحتاج للجمع بينه وبين ما في الخصائص * وجاء عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله ما انتفعت بشيء منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر وضمته فقال يا عائشة ان ضغطة القبر على المؤمن كضمة الام الشفيقة يدها على رأس ابنها يشكو اليها الصداع وضرب منكر ونكير عليه كالكحل في العين ولكن يا عائشة ويل للشاكين الكافرين أولئك الذين يضغطون في قبورهم ضغطا يقبض على الصخر * أي وحينئذ يكون المراد بالمؤمن الذي هذا شأنه الذي لم يحصل منه تقصير فلا ينافي ما تقدم عن سعد فليتأمل * وقد روى البيهقي رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم حمل جنازة سعد بن معاذ رضي الله عنه بين العمودين وبه استدل أئمتنا على ان ذلك أفضل من حمل الجنازة بالتربيع الذي اعتاده الناس الآن ومشى صلى الله عليه وسلم أمام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه رضي الله عنها ونظرت اليه في اللحد وقالت أحتسبك عند الله وعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ثم وقف صلى الله عليه وسلم ودعا ثم انصرف وناحت عليه أمه فقال صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ رضي الله عنه * أي فانه رضي الله عنه موصوف بكل ما يقال فيه من الاوصاف الحسنة بخلاف غيره * وبعث صاحب دومة الجندل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبة من سندس كما سيأتي فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم يعجبون من تلك الجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن يعني من هذا ومن المعلوم ان المنديل أدنى الثياب لانه معد للامتهان فثيابه رضي الله عنه في الجنة أعلى وأغلى * وقد وهب صلى الله عليه وسلم تلك الجبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه * ونزلت توبة أبي

لبابة

لبابة رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة رضي الله عنها قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر يضحك قالت فقلت مم تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبي لبابة قالت قلت أفلا أبشره يا رسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها * قيل وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب وهو لا يناسب ما تقدم في قصة الافك بقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده الشريفة * وقيل المبشر له عائشة رضي الله عنها فلما مر صلى الله عليه وسلم على أبي لبابة خارجا الى صلاة الصبح أطلقه وجاء أن فاطمة رضي الله عنها أرادت اطلاقه فأبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني * أي وظاهر هذا انه رضي الله عنه كان يبر باطلاق سيدتنا فاطمة رضي الله عنها له فليتأمل وقد أقام مربوطا ست ليال أي أو سبع ليال وقيل سبع عشرة ليلة وقيل خمس عشرة ليلة وعليه اقتصر في الامتاع وكانت تأتيه امرأته أو بنته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة وكذا اذا أراد حاجة الانسان ثم يعود فيربط بالعمود حتى كاد يذهب سمعه وبصره ولا مانع ان امرأته وبنته كانتا تفعلان في ذلك * أي وجاء انه رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم من تمام توبتي ان أهجر دار قومي أصبت فيها الذنب * وفيه انه تقدم انه عاهد الله على ذلك قال وان انخلع من مالي فقال له عليه الصلاة والسلام يجزيك الثلث ان تتصدق به * أي ولم يأمره صلى الله عليه وسلم أن يهجر تلك الدار والجمع بينه وبين ما تقدم من انه عاهد الله أن لا يطأ تلك الدار ممكن * ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري بسبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا * قال وفي لفظ بعث سعد بن عبادة الى الشام بسبايا يبيعهم ويشتري بها سلاحا وخيلا أي فاشترى بذلك خيلا كثيرا قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين واشترى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما جملة من السبايا فجعلت تلك الجملة من السبايا قسمين جعلت الشواب على حدة وجعلت العجائز على حدة ثم خير عبد الرحمن بن عوف عثمان فأخذ العجائز وأخذ عبد الرحمن الشواب وجعل عثمان على كل واحدة منهن شيأ ان أتت به عتقت فكان المال يوجد عند العجائز ولا يوجد عند الشواب فربح عثمان مالا كثيرا * أقول ويحتاج الى الجمع وقد يقال ان كان المراد بالسبايا في قضية سعد بن عبادة وعثمان وعبد الرحمن سبايا بني قريظة فيكون

قسموا ثلاثة أقسام قسم أعطى لسعد بن زيد وقسم أعطى لسعد بن عبادة وقسم اشترى منه عثمان وعبد الرحمن ووقع الفداء في سبايا بني قريظة وحينئذ يكون المراد بقول القائل وبعث سعد بن زيد بسبايا بني قريظة أي بجملة منهم وبعث سعد بن عبادة بسبايا أي بسبايا بني قريظة أي بجملة منهم وان كان المراد بالسبايا في قضية سعد بن عبادة غير سبايا بني قريظة فالامر ظاهر ويدل لهذا الثاني اسقاط بني قريظة منه ثم رأيته في الامتاع أسقط قضية سعد بن زيد الانصاري واقتصر على سعد بن عبادة حيث قال ولما سبيت السبايا والذرية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة الى الشام مع سعد بن عبادة رضي الله عنه يبيعهم ويشتري سلاحا هذا كلامه والله أعلم ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرق بين الام وولدها أي في السبايا الاعم من بني قريظة وقال لا يفرق بين أم وولدها حتى يبلغ * قيل يا رسول وما بلوغه قال تحيض الجارية ويحتلم الغلام وكان اذا وجد الولد الصغير ليس له أم لم يبع من المشركين أي مشركي العرب ولا من يهود * وانما يباع من المسلمين أي وكانت أم الولد الصغير تباع من المشركين هي وولدها من العرب ومن يهود المدينة (ه) قال في الامتاع وكان يفرق بين الاختين اذا بلغتا ومقتضاه انهما اذا لم يبلغا لا يفرق بينهما وأئمتنا معاشر الشافعية لم يحرموا الا التفرقة بين الاصول والفروع اذا لم يميز واوه ومحل قوله صلى الله عليه وسلم من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة ولعله لم تصح تلك الرواية عند امامنا الشافعي رضي الله عنه واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه منهم ريحانة بنت عمرو وهو شمعون مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني النضير وكانت متزوجة في بني قريظة ولعله مراد من قال انها كانت من بني قريظة أي وكانت جميلة وأسلمت بعد ان أبت الاسلام ووجد صلى الله عليه وسلم في نفسه أي غضب بسبب ذلك أي بسبب عدم اسلامها ولم يظهر ذلك ثم لما أسلمت سر صلى الله عليه وسلم بذلك فقد جاء لما أبت ريحانة الاسلام عزلها صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه لذلك وأرسل الى ثعلبة بن شعبة وكان ممن نزل من حصون بني قريظة في الليلة التي صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ أي على ما في بعض الروايات وأسلم هو واخوته أسيد وأسيد وأسد وابن عمه وأحرزوا دماءهم وأموالهم وليسوا من بني قريظة وانما هم من بني هذيل فذكر له صلى الله عليه وسلم ذلك فقال فداك أبي وأمي هي مسلمة أي ظننا منه انها تسلم فخرج حتى جاءها ولا زال بها يقول لها اسلمي يصطفك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فأجابت الى ذلك وأسلمت فبينما هو

صلى الله عليه وسلم فى مجلس من أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هاتين لنعلا مبشرى بأسلام ريحانة فكان كذلك وأخبره أنها أسلمت فسر صلى الله عليه وسلم بذلك واستمرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى فى ملكه اختارت بقاءها فى ملكه على العتق والنكاح أى فقد خيرها صلى الله عليه وسلم أيعتقها ويتزوجها أو تكون فى ملكه يطأها بالملك فاختارت أن تكون فى ملكه * قال بعضهم والاثبت عند أهل العلم انه أعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا وأعرس بها فى المحرم سنة ست بعد أن حاضت حيضة وضرب عليها الحجاب فغارت عليه فطلقها تطليقة فأكثرت من البكاء فراجعها ولم تزل عنده صلى الله عليه وسلم حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع سنة عشرة فدفنها بالبقيع ووجوب استبرائها بحيضة * يدل لما قاله فقهاؤنا ان من ملك أمة وطئها غيره وطئا غير محترم لايحل له تزوجها قبل استبرائها وان أعتقها وتقدم أن قريظة والنضير اخوان من أولاد هارون على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء أفضل الصلاة والسلام

(غزوة بنى لحيان)

بناحية عسفان ولحيان بكسر اللام وفتحها قبيلة من هذيل لايخفى ان بعد مضى ستة أشهر من غزوة بنى قريظة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى لحيان يطلبهم بأصحاب الرجيع أى وهم خبيب وأصحابه رضى الله عنهم الذين قتلوا ببئر معونة كما سيأتى ذكر ذلك فى السرايا * أى لانه صلى الله عليه وسلم وجد أى حزن وجدا شديدا على أصحابه المقتولين بالرجيع وأراد أن ينتقم من هذيل فأمر أصحابه بالتهيء وأظهر أنه يريد الشام أى ليدرك من القوم غرة أى غفلة * واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وخرج فى مائتى رجل ومعهم عشرون فرسا ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى المحل الذى قتل فيه أهل الرجيع ترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة فسمعت به بنو لحيان فهربوا الى رؤس الجبال أى وأرسل السرايا فى كل ناحية فلم يجدوا أحدا أى وأقام على ذلك يومين فلما رأى صلى الله عليه وسلم انه فاته ما أراده من غرتهم قال لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة فخرج فى مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان * وهذا يدل على أن أصحابه كانوا أكثر من مائتين وهو يخالف ماتقدم انه خرج فى مائتى رجل الا أن يقال زادوا على المائتين بعد خروجه ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا راجعين * وفى لفظ آخر فبعث أبابكر رضى الله عنه فى عشرة فوارس القصة أى وقد يقال لا منافاة بين اللفظين ثم توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة

* قال جابر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه أي توجه الى المدينة آيبون تائبون ان شاء الله لربنا حامدون * أي وفى رواية لربنا عابدون أعوذ بالله من وعثاء السفر أي مشقة السفر وكآبة أي حزن المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال * قال وزاد بعضهم اللهم بلغنا بلاغا صالحا يبلغ الى خير مغفرتك ورضوانك * قيل ولم يسمع هذا الدعاء منه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك وكانت غيبته عن المدينة أربع عشرة ليلة اهـ * وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من بنى لحيان وقف على الابواء فنظر يمينا وشمالا فرأى قبر أمه آمنة فتوضأ ثم صلى ركعتين فبكى وبكى الناس لبكائه ثم قام فصلى ركعتين ثم انصرف الى الناس وقال لهم صلى الله عليه وسلم ما الذى أبكاكم قالوا بكيت فبكينا يارسول الله * قال ما ظننتم قالوا ظننا أن العذاب نازل علينا قال لم يكن من ذلك شيء قالوا ظننا ان أمتك كلفت من الاعمال مالا تطيق قال لم يكن من ذلك شيء ولكني مررت بقبر أمي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي عز وجل ان أستغفر لها فزجرت زجرا أي منعت عن ذلك منعا شديدا فأبكاني * وفى لفظ فعلى بكاءى هذا أي فعلى هذا بكاءى والذى فى الوفاء انه صلى الله عليه وسلم وقف على عسفان فنظر يمينا وشمالا فأبصر قبر أمه فورد الماء فتوضأ ثم صلى ركعتين * قال بريدة فلم يفجأنا الا بكائه فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فقال لى ما الذى أبكاكم الحديث ثم دعا براحلته فركبها فسار يسيرا فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم الى آخر الآيتين فلما سرى عنه الوحى قال أشهدكم انى برىء من آمنة كما تبرأ ابراهيم من أبيه * أي وهذا السياق يدل على ان هاتين الآيتين غير مازجر به عن الاستغفار لها المتقدم فى قوله فزجرت زجرا فليتأمل * وفى مسلم عن أبى أيوب رضى الله عنه قال زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي فى أن أستغفر لها فلم يأذن لى واستأذنته فى أن أزورها أي بعد فأذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الموت وسيأتى عن عائشة رضى الله عنها ان فى حجة الوداع مر صلى الله عليه وسلم على عقبة الحجون فنزل وقال لها وقفت على قبر أمى وسيأتى ان ذلك يدل على ان قبر أمه بمكة لا بالابواء وتقدم الجمع بين كونه بالابواء وكونه بمكة وسيأتى فى الحديبية انه صلى الله عليه وسلم زار قبرها وفى فتح مكة أيضا وسيأتى الكلام على ذلك وان ذلك كان قبل احيائها له وايمانها به صلى الله عليه وسلم

(غزوة ذي قرد)

بفتح القاف والراء وقيل بضمهما أي وقيل بضم الاول وفتح الثاني اسم ماء والقرد في الاصل الصوف الرديء ويقال لها غزوة الغابة والغابة الشجر الملتف لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة بني لحيان لم يقم بها الاليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن في خيل من غطفان على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة أي وكانت اللقاح عشرين لقحة وهي ذات اللبن القريبة من الولادة أي لها ثلاثة أشهر ثم هي لبون وفيها رجل من بني غفار هو ولد أبي ذر الغفاري وزوجة لابي ذر رفقة وله وامرأة له أي لابي ذر رضي الله عنه لا لولده كما يعلم مما يأتي وكان راعيها يؤوب أي يرجع بلبنها كل ليلة عند المغرب الى المدينة أي فان المسافة بينها وبين المدينة يوم أو نحو يوم فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة مع اللقاح * وعند ابن سعد كان فيها أبو ذر وولده أي وزوجة أبي ذر فقتلوا ولده أي واحتملوا المرأة * قال جاء أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون في اللقاح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأمن عيينة بن حصن وذويه ان يغير وألح عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكأني بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت تتوكأ على عصاك فكان أبو ذر رضي الله عنه يقول عجبا لي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكأني بك وأنا ألح عليه فكان والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني والله لفي منزلنا ولقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قد روحت وحلبت عتمتها ونمنا فلما كان الليل أحدق بنا عيينة بن حصن في أربعين فارسا فصاحوا بنا وهم قيام على رؤسنا فأشرف لهم ابني فقتلوه وكان معه ثلاثة نفر فنجوا وتنحيت عنهم وشغلهم عني اطلاق عقل اللقاح ثم صاحوا في أدبارها فكان آخر العهد بها ولما قدمت المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته تبسم انتهى أي وروى بدل عيينة بن حصن ابنه عبد الرحمن بن عيينة بن حصن * قال بعضهم ولا منافاة لان كلا من عيينة بن حصن وعبد الرحمن ابن عيينة كان في القوم * وكان أول من علم بهم سلمة بن الاكوع رضي الله عنه فانه غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له أي لطلحة يقوده فلقي غلاما لعبد الرحمن بن عوف فأخبره ان عيينة بن حصن قد أغار على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربعين فارسا من غطفان * قال سلمة فقلت يا رباح اقعد على هذا الفرس فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد أغير على سرحه أي وهذا السياق يدل على ان رباحا غلامه صلى الله عليه وسلم كان مع سلمة

أسقط الراوى ذكره ولم يقل ومعه رباح غلامه صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان رباحا هذا هو غلام عبد الرحمن الذى أخبر سلمة خبر اللقاح ولا منافاة بين كون رباح غلامه صلى الله عليه وسلم وغلام عبد الرحمن لجواز ان يكون لعبد الرحمن ثم وهبه للنبى صلى الله عليه وسلم فهو غلام عبد الرحمن بحسب ما كان * ثم رأيت ما يؤيد الأول وهو ما فى بعض الروايات عن سلمة قال خرجت أنا ورباح عبد النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يؤذن بالاولى يعنى لصلاة الصبح نحو الغابة وانا راكب على فرس أبى طلحة الانصارى فلقينى عبد لعبد الرحمن بن عوف قال أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من أخذها قال غطفان وفزارة * وقد طوى فى هذه الرواية ذكر غلام طلحة * ثم رأيت الحافظ ابن حجر ذكر أنه لم يقف على اسم غلام عبد الرحمن بن عوف هذا أى الذى أخبر سلمة بأمر اللقاح * قال ويحتمل ان يكون هو رباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك أحدهما وكان يخدم الآخر فنسب تارة الى هذا وتارة الى هذا كلامه ولا يخفى بعده لما صرح بأن رباحا غير غلام عبد الرحمن وان رباحا كان مع سلمة وان غلام عبد الرحمن هو الذى أخبر سلمة خبر اللقاح ولا منافاة بين كون الفرس لطلحة ولا بين كونها لابى طلحة ولا بين كون عبد طلحة كان قائدها وبين كون سلمة راكبا لها لانه يجوز أن يكون ركبها أثناء الطريق فليتأمل * وفى تسمية غلامه صلى الله عليه وسلم رباحا مع نهيه صلى الله عليه وسلم ان الشخص يسمى رقيقه بأحد أربعة أسماء أفلح ورباح ويسار ونافع * وزاد فى رواية خامسا وهو نجيح فهلا غير صلى الله عليه وسلم اسمه ان كانت وقعت التسمية من غيره صلى الله عليه وسلم * أو يقال لم يغير صلى الله عليه وسلم ذلك الاسم اشارة الى ان النهى للتنزيه * ثم ان سلمة رجع الى المدينة وعلا ثنية الوداع فنظر الى بعض خيولهم فصرخ بأعلى صوته واصباحاه أى قال ذلك ثلاث مرات * أى وقيل نادى الفزع الفزع ثلاثا ولا مانع أن يكون جمع بين ذلك * وفى لفظ وقفت على تل بناحية سلع أى وفى لفظ على أكمة وفى لفظ آخر فصعدت فى سلع ولا مخالفة كما لا يخفى فجعلت وجهى من قبل المدينة ثم ناديت ثلاث مرات ياصباحاه اسمع ما بين لابتيها أى لسعة صوته وأن ذلك وقع خرقا للعادة وياصباحاه كلمة تقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه لانهم يسمون يوم الغارة يوم الصباح * ثم خرج يشتد فى أثر القوم كالسبع وقد كان يسبق الفرس جريا حتى لحق بهم فجعل يردهم بالنبل ويقول اذا رمى خذها وأنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع أى يوم هلاك اللئام فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا وهكذا يفعل قال

كنت ألحق الرجل منهم فأرميه بسهم فى رجله فيعقره فاذا رجع الى فارس منهم أتيت شجرة فجلست فى أصلها ثم أرميه فأعقره فيولى عنى فاذا دخلت الخيل فى بعض مضائق الجبل علوت الجبل ورميتهم بالحجارة * قال ولم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون بها ولا يلقون شيأ من ذلك الاجعلت عليه حجارة وجمعته على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم * أى ومازلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله تعالى من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خلفته وراء ظهرى وخلوا بينهم وبينه ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الاكوع صرخ بالمدينة الفزع الفزع يا خيل الله اركبى قيل وكان أول ما نودى بها وفيه كما فى الاصل انه نودى بها فى بنى قريظة كما تقدم * وأول من انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان المقداد بن عمرو ويقال له ابن الاسود وتقدم أنه قيل له ذلك لانه كان فى حجر الاسود بن عبد يغوث وتبناه فنسب اليه ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد ثم تلاحقت به الفرسان وأمر عليهم سعد بن زيد وقيل المقداد وجزم به الدمياطى رحمه الله * أى ويدل له قول حسان رضى الله عنه فى وصف هذه الغزوة * غداة فوارس المقداد * لكن فى السيرة الشامية ان سعد ابن زيد رضى الله عنه غضب على حسان وحلف لا يكلمه أبدا * وقال انطلق الى خيلى فجعلها للمقداد وان حسان رضى الله عنه اعتذر الى سعد بأن الروى وافق اسم المقداد وذكر أبياتا يرضى بها سعد بن زيد فلم يقبل منه سعد ذلك وهذا يدل للاول * وعقد صلى الله عليه وسلم لذلك الامير لواء فى رمحه ثم قال له اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك بالناس فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا بهم وكان شعارهم يومئذ أمت أمت * وأول فارس لحق بهم محرز بن نضلة ويقال له الاخرم الاسدى ووقف لهم بين أيديهم * وقال لهم يا معشر بنى اللكيعة أى اللئيمة قفوا حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والانصار فحمل عليه شخص من المشركين فقتله * وعن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه أنه قال ثم ان القوم جلسوا يتغدون وجلست على رأس قرن جبل فقال لهم رجل أتاهم من هذا قالوا لقينا من هذا البرح حتى انتزع كل شىء فى أيدينا قال فليقم اليه منكم أربعة فتوجهوا الى فهددتهم أى فقد جاء عنه رضى الله عنه أنه قال لهم هل تعرفونى قالوا لا ومن أنت قلت أنا سلمة بن الاكوع والذى كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا أطلب رجلا منكم الا أدركته ولا يطلبنى فيدركنى * قال بعضهم انا نظن ذلك فرجعوا قال فما برحت مكانى حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقدمهم الاخرم

الاسدى فلما رأيت الاخرم الاسدى أول الفرسان نزلت من الجبل وأخذت بعنان فرسه وقلت له أحذر القوم لا يقتطفوك حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال يا سلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم ان الجنة حق وان النار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة فخليت عنه فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة فعقر فرس عبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه فلحق عبد الرحمن أبو قتادة رضى الله عنه فعقر عبد الرحمن فرس أبي قتادة فقتله أبو قتادة وتحول أبو قتادة رضى الله عنه الى الفرس * أقول ولعل عبد الرحمن هذا هو حبيب بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة بن عيينة فانى لم أقف على ذكر عبد الرحمن هذا فيمن قتل من المشركين فى هذه الغزوة وان أبا قتادة رضى الله عنه قتل حبيبا وغشاه ببرده كما سيأتى الآن يقال جاز ان يكون له اسمان عبد الرحمن وحبيب ثم رأيت الحافظ ابن حجر أشار الى ذلك * وقيل قاتل محرز مسعدة الفزارى وبه جزم الحافظ الدمياطى وذكران قاتل حبيب المقداد بن عمرو فقال وقتل أبو قتادة مسعدة فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه * وقتل المقداد بن عمرو حبيب بن عيينة بن حصن والله أعلم * ولم يقتل من المسلمين الا محرز بن فضلة الذى هو الاخرم الاسدى وكان رأى قبل ذلك بيوم ان سماء الدنيا فرجت وما بعدها حتى انتهى الى السماء السابعة ثم انتهى الى سدرة المنتهى فقيل له هذا منزلك فعرضها على أبى بكر رضى الله عنه وكان من أعلم الناس بالتعبير كما تقدم فقال له أبشر الشهادة * وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين وقد استعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه أى واستعمل على حرس المدينة سعد بن عبادة رضى الله عنه فى ثلاث مائة من قومه يحرسون المدينة فاذا حبيب بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة مسجى أى مغطى ببرد أبى قتادة * فاسترجع المسلمون أى قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقالوا قتل أبو قتادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بأبى قتادة ولكنه قتيل لابى قتادة وضع عليه برده ليعرف أنه صاحبه أى القاتل له * قال وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال والذى أكرمنى بما أكرمنى به ان أبا قتادة على آثار القوم يرتجز فخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى كشف البرد عن وجه المسجى فاذا وجه حبيب فقال الله أكبر صدق الله ورسوله يا رسول الله غير أبى قتادة * وفى لفظ فخرج أبو بكر وعمر رضى الله عنهما حتى كشفا البرد الحديث * وقيل الذى قتله أبو قتادة وغشاه ببرده هو مسعدة قاتل محرز رضى الله عنه لا حبيب على ما تقدم ففى رواية أن أبا قتادة رضى الله عنه اشترى فرسا

فلقيه مسعدة الفزاري فتغاوض معه فقال له أبو قتادة اما انى أسأل الله ان ألقاك وانا عليها قال آمين فلما أخذت اللقاح ركب تلك الفرس وسار فلقى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امض يا أبا قتادة صحبك الله قال فسرت حتى هجمت على القوم فرميت بسهم فى جبهتى فنزعت قدحه وأنا أظن أنى نزعت الحديدة فطلع على فارس * وقال لقد ألقانيك الله يا أبا قتادة وكشف عن وجهه فاذا هو مسعدة الفزارى فقال أيما أحب اليك مجالدة أو مطاعنة أو مصارعة فقلت ذاك اليك فقال صراع فنزل وعلق سيفه فى شجرة ونزلت وعلقت سيفى فى شجرة وتواثبنا فرزقنى الله الظفر عليه فاذا أنا على صدره واذا شىء مس رأسى فاذا سيف مسعدة قد وصلت اليه فى المعالجة فضربت بيدى الى سيفه وجردت السيف فلما رأى ان السيف وقع بيدى قال يا أبا قتادة استحينى قلت لا والله قال فمن للصبية قلت النار ثم قتلته وأدرجته فى بردى ثم أخذت ثيابه فلبستها ثم استويت على فرسه فان فرسى نفرت حيث تعالجنا وذهبت للقوم فعرقبوها * ثم ذهبت خلف القوم فهجمت على ابن أخيه فدققت صلبه فانكشف من معه عن اللقاح فحبست اللقاح برمحى وجئت أحوسها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح وجهك يا أبا قتادة أى فقلت ووجهك يا رسول الله * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو قتادة سيد الفرسان بارك الله فيك يا أبا قتادة وفى ولدك وولد ولدك * وفى لفظ وفى ولد ولدك اهـ أى وقال له صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى بوجهك قلت سهم أصابنى فقال ادن منى فنزع السهم نزعا رفيقا ثم بزق فيه ووضع راحته عليه فوالذى أكرمه بالنبوة ما ضرب على ساعة قط ولا قرح على * وفى رواية ولا قاح وفى لفظ قال لى قتلت مسعدة قلت نعم ثم قال صلى الله عليه وسلم يدعو لأبى قتادة اللهم بارك له فى شعره وبشره فمات أبو قتادة رضى الله عنه وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة * أى وأعطاه صلى الله عليه وسلم فرس مسعدة وسلاحه أى كما تقدم * وقال بارك الله لك فيه وهذا السياق يدل على ان أبا قتادة رضى الله عنه انفرد عن الصحابة وتقدمهم وتخلف مسعدة عن قومه مدة مصارعة أبى قتادة له وقتله ولا مانع من ذلك * وقيل استنقذوا نصف اللقاح أى عشرة وفيها جمل أبى جهل الذى غنمه صلى الله عليه وسلم يوم بدر * وأفلت القوم بالعشرة الاخرى أى ولا ينافيه ما تقدم من قول أبى قتادة فانكشفوا عن اللقاح وجئت أحوسها لان المراد جملة من اللقاح لكنه مخالف لما تقدم عن سلمة رضى الله عنه من قوله مازلت أرشقهم يعنى القوم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله

عليه وسلم الا خلفته وراء ظهرى وخلوا بينهم و بينه فليتأمل * وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قرد بناحية خيبر وتلاحق به الناس أى وقال له سلمة بن الاكوع يارسول الله ان القوم عطاش فلو بعثتنى فى مائة رجل استنقذت مابقى فى أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم * أى وقد يقال لايخالف هذا ما تقدم من قوله حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خلفته وراء ظهرى وخلوا بينهم و بينه لجواز ان يكون صدر عنه ما تقدم لظنه ان ذلك هو جميع اللقاح التى أخذت ثم تحقق ان الذى استنقذه هو وأبو قتادة جملة منها * وما فى البخارى من قوله واستنقذوا اللقاح كلها يجوز ان يكون قائل ذلك ظن ان الذى استنقذ من أيدى القوم هو جميع ما أخذوه من اللقاح كما ان سلمة رضى الله عنه اعتقد أن جميع اللقاح الذى أخذت هى التى جعلها خلف ظهره كما تقدم فكل من سلمة وأبى قتادة خلف نصف اللقاح التى هى العشرة التى خلصت من أيدى القوم * وفى رواية عن سلمة قال قلت يارسول الله ابعث معى فوارس لندرك القوم فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ضحك صلى الله عليه وسلم ملكت فاسجح أى فارفق والمعنى قدرت فاعف وانما كانوا عطاشا لان سلمة رضى الله عنه ذكر انه تبعهم الى قبيل غروب الشمس الى ان عدلوا الى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد فصاهم أى طردهم عنه ومنعهم الشرب منه وتركوا فرسين وجاء بهما سلمة رضى الله عنه يسوقهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل هذا كان من سلمة رضى الله عنه بعد ان رجعت الصحابة عنهم واستمر يتبعهم وقال له صلى الله عليه وسلم شخص يا رسول الله القوم الآن يغبقون بأرض غطفان أى يشربون اللبن بالعشى الذى هو الغبوق فجاء رجل من غطفان فقال مروا على فلان الغطفانى فنحر لهم جزورا فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وخرجوا هرابا ولما نزل صلى الله عليه وسلم بالمحل المذكور لم تزل الخيل تأتى والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكث يوما وليلة أى وعن سلمة رضى الله عنه وأتانى عمى عامر بن الاكوع بسطيحة فيها ماء وسطيحة فيها لبن فتوضأت وشربت ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الماء الذى أجليتهم عنه فاذا هو صلى الله عليه وسلم قد أخذ كل شىء استنقذته منهم ونحر لهم بلال رضى الله عنه ناقته ولا مخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم ذهب الى الماء بعد ان كان مكثه بالجبل المذكور وصلى صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف أى لخوف أن العدو يجىء اليهم * ولعل هذه هى صلاة بطن نخل وهى على

مار واه

ما رواه الشيخان انه جعل القوم فرقتين * وصلاها مرتين كل مرة بفرقة والاخرى تحرس أى تكون فى وجه العدو أى فى المحل الذى يظن مجيئهم منه وذلك كان لغير جهة القبلة والا فالعدو لم يكن بمرأى منهم وهذه الصلاة لم ينزل بها القرآن * أقول لكن رأيت فى الامتاع وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ صلاة الخوف فقام الى القبلة وصف طائفة خلفه وطائفة مواجهة العدو وصلى بالطائفة التى خلفه ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا فقاموا مقام أصحابهم وأقبل الآخرون فصلى بهم ركعة وسجد سجدتين وسلم * فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان ولكل رجل من الطائفتين ركعة ولا يخفى أن هذه الكيفية هى صلاة عسفان والله أعلم * ولما أصبح صلى الله عليه وسلم قال خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة رضى الله عنهما وعند خروجه صلى الله عليه وسلم وتلاحق بعض الفرسان به قال لابى عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك فلحق بالناس قال أبو عياش فقلت يا رسول الله انى أفرس الناس قال أبو عياش فوالله ما جرى بى خمسين ذراعا حتى طرحنى فعجبت لذلك وقسم صلى الله عليه وسلم فى كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها وكانوا خمسمائة وقيل سبعمائة وبعث سعد بن عبادة رضى الله عنه بأحمال تمر وبعشر جزائر فوافت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد أى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم سعدا وآل سعد نعم المرء سعد ابن عبادة فقالت الانصار هو سيدنا وابن سيدنا من بيت يطعمون فى المحل ويحملون الكل و يحملون عن العشيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار الناس فى الاسلام خيارهم فى الجاهلية اذا فقهوا فى الدين * وأقبلت امرأة أبى ذر رضى الله عنهما على ناقة من ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى من جملة اللقاح وهى القصوى أفلتت من القوم فطلبوها فأعجزتهم * وفى لفظ وانفلتت المرأة من الوثاق ليلا فأتت الابل فجعلت اذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء فلم ترغ فقعدت فى عجزها ثم زجرتها وعلموا بها فطلبوها فأعجزتهم ونذرت ان نجاها الله عز وجل لتنحرنها فلما أخبرت النبى صلى الله عليه وسلم الخبر قالت يا رسول الله قد نذرت ان أنحرها ان نجانى الله عليها أى وآكل من كبدها وسنامها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بئسما جزيتيها أن حملك أى لاجل أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها الا نذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين * وفى لفظ لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم انما هى ناقة من ابلى ارجعى الى أهلك على بركة الله تعالى ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أى

وهذا السياق يدل على ان المرأة قدمت عليه صلى الله عليه وسلم بتلك الناقة قبل قدومه المدينة * وفى السيرة الهشامية أنها قدمت عليه صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأخبرته الخبر ثم قالت يارسول الله انى نذرت لله الحديث وهو يخالف ما يأتى من قوله و رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته العضباء * أى ولعل ما فى الاوسط للطبرانى بسند ضعيف عن النواس بن سمعان رضى الله عنه أن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم سرقت * فقال لئن ردها الله على لاشكرن ربى وقد وقعت فى حى من أحياء العرب فيهم امرأة مسلمة فرأت من القوم غفلة فقعدت عليها فأصبحت المدينة الى آخره لا ينافى ماهنا لجواز تعدد الواقعة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته العضباء مردفا سلمة بن الاكوع رضى الله عنه * وقد غاب عنها خمس ليال وأعطى صلى الله عليه وسلم سلمة بن الاكوع سهم الراجل والفارس جميعا أى مع كونه كان راجلا * وهذا استدل به من يقول ان للامام ان يفاضل فى الغنيمة وهو مذهب أبى حنيفة واحدى الروايتين عن أحمد وعند مالك وامامنا الشافعى رضى الله عنهما لا يجوز * ولعله لعدم صحة ذلك عندهما * وتبعت فى تقديم هذه الغزوة على غزوة الحديبية الاصل وهو الموافق لقول بعضهم أجمع أهل السير على ان غزوة الغابة قبل الحديبية ولقول أبى العباس شيخ القرطبى صاحب التذكرة والتفسير لا يختلف أهل السير أن غزوة ذى قرد كانت قبل الحديبية والشمس الشامى ذكرها بعد الحديبية تبعا لما فى صحيح البخارى أنها بعد الحديبية وقبل خيبر بثلاثة أيام * وفى مسلم نحوه ففيه عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه فرجعنا أى من غزوة ذى قرد الى المدينة فلم نلبث الاثلاث ليالى حتى خرجنا الى خيبر * ويؤيده قول الحافظ شمس الدين ابن امام الجوزية قدوهم جماعة من أصحاب المغازى والسير فذكروا غزوة الغابة قبل الحديبية * قال الحافظ ابن حجر ما فى البخارى أصح مما ذكره أهل السير قال ويحتمل فى طريق الجمع ان تكون اغارة عيينة بن حصن على اللقاح أى فى الغابة وقعت مرتين مرة قبل الحديبية ومرة بعد الحديبية قبل الخروج الى خيبر أى ويلزم أن يكون فى كل كان خروجه صلى الله عليه وسلم وأن أول من علم باللقاح سلمة بن الاكوع ووقع له صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ما تقدم هذا حقيقة التكرار ولا فهل الذى خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع فيها لسلمة ولغيره من الصحابة ما وقع كانت أولا وثانيا فليتأمل ثم رأيت عن الحاكم رحمه الله تعالى أنه ذكر فى الاكليل ان الخروج الى ذى قرد تكرر أى ثلاث مرات ففى الاولى خرج اليها زيد بن حارثة قبل أحد وفى الثانية

خرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة خمس والثالثة هي المختلف فيها أي ومعلوم أن هذه المختلف فيها خرج اليها صلى الله عليه وسلم فليتأمل

❊(غزوة الحديبية)❊

بالتخفيف تصغير حدباء وعلى التشديد عامة الفقهاء والمحدثين وأشار بعضهم الى أنه لم يسمع من فصيح ❊ ومن ثم قال النحاس سألت كل من كنت أثق بعلمه عن الحديبية فلم يختلفوا في أنها بالتخفيف ❊ وفي كلام بعضهم أهل الحديث يشددون وأهل العربية يخففون وفي كلام بعض آخر أهل العراق يشددون وأهل الحجاز يخففون وهي بئر وقيل شجرة سمي المكان باسمها ❊ وقيل قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم قال وسببها أنه صلى الله عليه وسلم رأى في النوم أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين أي بعضهم محلق وبعضهم مقصر وأنه دخل البيت وأخذ مفتاحه وعرف مع المعرفين اه أي وطاف هو وأصحابه واعتمر وأخبر بذلك أصحابه ففرحوا ثم أخبر أصحابه أنه يريد الخروج للعمرة فتجهزوا للسفر فخرج صلى الله عليه وسلم معتمرا ليأمن الناس أي أهل مكة ومن حولهم من حربه وليعلموا أنه صلى الله عليه وسلم انما خرج زائرا للبيت ومعظما له وكان احرامه صلى الله عليه وسلم بالعمرة من ذي الحليفة أي بعد أن صلى بالمسجد الذي بها ركعتين وركب من باب المسجد وانبعثت به راحلته مستقبل القبلة أحرم وأحرم معه غالب أصحابه ومنهم من لم يحرم الا بالجحفة ❊ أي وكان خروجه في ذي القعدة وقيل كان خروجه في رمضان وهو غريب ولفظ تلبيته صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ❊ واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة الشريفة نميلة بن عبد الله الليثي ❊ أي وقيل ابن أم مكتوم وقيل أبارهم كلثوم بن الحصين أي وقيل استخلف أبارهم مع ابن أم مكتوم جميعا فكان ابن أم مكتوم على الصلاة وكان أبو رهم حافظا للمدينة وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بعد أن استنفر العرب ومن حوله من البوادي من الاعراب من أسلم غفار ومزينة وجهينة وأسلم القبيلة المعروفة خشية من قريش أن يحاربوه أو أن يصدوه عن البيت كما صنعوا فتثاقل كثير منهم وقالوا أنذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بذلك فأنزل الله تعالى تكذيبهم في اعتذارهم بقوله يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وخرج صلى الله عليه وسلم بعد أن اغتسل ببيته ولبس ثوبين وركب راحلته القصوى من عند بابه وخرج معه أم سلمة وأم عمارة وأم منيع

وأم عامر الاشهلية رضي الله عنهن ومعه المهاجرون والانصار ومن لحق بهم من العرب وابطأ عليه كثير منهم كما تقدم وساق معه الهدى سبعين بدنة أي وقد جللها أي في ذي الحليفة بعد أن صلى بها الظهر * ثم أشعر منها عدة وهي موجهات للقبلة في الشق الايمن أي من سنامها ثم أمر صلى الله عليه وسلم ناجية بن جندب * وكان اسمه ذكوان فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه ناجية لما انه نجا من قريش فأشعر ما بقي وقلدهن نعلا نعلا وأشعر المسلمون بدنهم وقلدوها والاشعار جرح بصفحة سنامها والتقليد أن تقلد في عنقها قطعة جلد أو نعل بالية ليعلم أنه هدى فيكف الناس عنه وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وقيل كانوا أربع عشرة مائة وقيل خمس عشرة وقيل ست عشرة وقيل كانوا ألفا وثلاثمائة * وقيل وأربعمائة وقيل وخمسمائة وخمسة وعشرين أي وقيل ألف وسبعمائة أي وليس معهم سلاح الا السيوف في القرب وقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتخشى يارسول الله من أبي سفيان وأصحابه ولم تأخذ للحرب عدتها فقال لست أحب أن أحمل السلاح معتمرا وكان معهم مائتا فرس فأقبلوا نحوه صلى الله عليه وسلم أي في بعض الحال * وكان بين يديه صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضأ منها فقال مالكم قالوا يارسول الله ليس عندنا ماء نشرب به ولا ماء نتوضأ منه الا ما في ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه الشريفة أمثال العيون * أي وفي لفظ فجعل الماء ينبع من بين أصابعه الشريفة وفي لفظ آخر فرأيت الماء يخرج من بين أصابعه وفي لفظ آخر فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه واستدل به بعضهم على أن الماء نخرج من نفس بشرته الشريفة صلى الله عليه وسلم * قال أبو نعيم في الحلية وهو أعجب من نبع الماء لموسى عليه الصلاة والسلام من الحجر فان نبعه من الحجر متعارف معهود * واما من بين اللحم والدم فلم يعهد * قال بعضهم وانما لم يخرجه صلى الله عليه وسلم بغير ملابسة ماء تأدبا مع الله تعالى لانه المنفرد بابتداع المعدومات من غير أصل * قال جابر رضي الله عنه فشربنا وتوضأنا ولو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمسة عشر مائة فلما كانوا بعسفان جاء اليه صلى الله عليه وسلم بشر بن سفيان العتكي * أي وقد كان صلى الله عليه وسلم أرسله الى مكة عينا له فقال يارسول الله هذه قريش قد سمعت بخروجك واستنفروا من أطاعهم من الاحابيش وأجلبت ثقيف معهم وهم النساء والصبيان وفي لفظ فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل أي النياق ذوات اللبن التي معها أولادها ليتزودوا بذلك ولا يرجعون

خوف الجوع * قال السهيلي والعوذ جمع عائذ وهي الناقة التي معها ولدها وانما قيل للناقة عائذ وان كان الولد هو الذي يعوذ بها لانها عاطف عليه كما قالوا تجارة رابحة وان كانت من يربح فيها لانها في معنى نامية وزاكية هذا كلامه أو العوذ المطافيل النساء معهن أطفالهن أي أنهم خرجوا بنسائهم معهن أولادهن ليكون أدعى لعدم الفرار أي ويجوز أن يكونوا خرجوا بذلك جميعه قد لبسوا جلود النمر أي اظهروا العداوة والحقد وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله أن لا يدخلها عليهم عنوة أبدا وهذا خالد ابن الوليد أي رضي الله عنه لانه أسلم بعد ذلك في خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم أي وكانت مائتي فرس أي وقد صفت الى جهة القبلة فأمر صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر رضي الله عنه فتقدم في خيله فقام بازاء خالد وصف أصحابه رضي الله عنهم أي وحانت صلاة الظهر فأذن بلال رضي الله عنه وأقام فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة وصف الناس خلفه فركع بهم وسجد ثم سلم فقال المشركون لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم وفي لفظ قال خالد بن الوليد رضي الله عنه قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم أصبنا منهم ولكن تأتي الساعة صلاة أخرى هي أحب اليهم من أنفسهم وأبنائهم أي التي هي صلاة العصر وبهذا استدل على انها الصلاة الوسطى واستدل له أيضا بأنه كان في أول ما أنزل حافظوا على الصلوات وصلاة العصر ثم نسخ ذلك أي تلاوته بقوله تعالى والصلاة الوسطى فنزل جبريل عليه السلام بين الظهر والعصر بقوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الآيات وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم صلى بهم جميعا حتى عباد بن بشر وأصحابه جميعا الذين قاموا بازاء خالد رضي الله عنهم وحانت صلاة العصر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف أي على ما ذكره الله تعالى فلما جعل المسلمون يسجد بعضهم وبعضهم قائم ينظر اليهم قال المشركون لقد أخبروا بما أردناه بهم واعل هذه الصلاة هي صلاة عسفان لان كراع الغميم بالقرب منه كما تقدم وهي على ما رواه مسلم أنه صلى الله عليه وسلم صفهم صفين وأنه أحرم بهم وركع واعتدل بهم جميعا ثم لما سجد سجد معه الصف الاول سجدتيه وتخلف الصف الثاني في اعتداله للحراسة فلما قام وقام معه من سجد سجد الصف الثاني ولحقه في القيام وتقدم الصف الثاني وتأخر الصف الاول ثم ركع واعتدل بهم جميعا ثم سجد وسجد معه الصف الثاني الذي تقدم واستمر الصف الاول الذي تأخر على الحراسة في اعتداله فلما جلس للتشهد أتموا بقية صلاتهم

وجلسوا معه للتشهد وتشهد وسلم بهم جميعا * وعلى هذه الصلاة حمل أئمتنا ما جاء فرضت الصلاة فى الخوف ركعة أى انها ركعة على الامام ويضم اليها أخرى * ثم رأيت فى الدر المنثور التصريح بأن هذه الصلاة هى صلاة عسفان عن ابن عياش الزرقى قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا النبى صلى الله عليه وسلم الظهر فقالوا قد كانوا على حال غرة الحديث المتقدم واشترط أئمتنا فى هذه الصلاة وهى اذا كان العدو فى جهة القبلة ولا ساتر ان يكون كل صف مقاوما للعدو وان كان كل واحد لاثنين والا لم تصح الصلاة لما فيه من التغرير بالمسلمين * ولعل صلاته صلى الله عليه وسلم بالصفين كانت كذلك * وهذه الصلاة لم ينزل بها القرآن كصلاة بطن نخل فعلم ان القرآن لم ينزل الا بصلاة ذات الرقاع وبصلاة شدة الخوف ولم أقف على انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة شدة الخوف وهى ان يلتحم القتال أو لم يأمنوا هجوم العدو ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن قريشا تريد منعه عن البيت قال أشيروا على أيها الناس أتريدون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه * أى وفى الامتاع وقال المقداد رضى الله عنه يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون * ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون * والله يا رسول الله لو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا معك ما بقى منا رجل فقال صلى الله عليه وسلم فامضوا على اسم الله فساروا ثم قال يا ويح قريش نهكتهم الحرب أى أضعفتهم * وفى لفظ أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين أى كاملين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة أى وهى صفحة العنق فهو كناية عن القتل * ثم قال صلى الله عليه وسلم هل من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها فقال رجل من أسلم انا يا رسول الله أى يقال له ناجية بن جندب رضى الله عنه فسلك بهم طريقا وعرا فلما خرجوا منه وقد شق عليهم ذلك وأفضوا الى أرض سهلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها أى قول أستغفر الله للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها ثم ان خالدا رضى الله

عنه لم يشعر بهم الا وقد نزلوا بذلك المحل فانطلق نذيرا لقريش * وقد جاء في تفسير الحطة انها المغفرة أي طلب المغفرة أي اللهم حط عنا ذنوبنا * وهذا هو المناسب لقوله صلى الله عليه وسلم قولوا نستغفر الله الى آخره * وجاء في تفسيرها أيضا انها لا اله الا الله فلم يقولوا حطة بل قالوا حنطة حبة حمراء فيها شعيرة سوداء استهزاء وجراءة على الله * وفي البخاري فقيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم أي أطيازهم وقالوا حبة في شعير وقد جاء أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له الذنوب أي المذكورة في قوله تعالى وادخلوا الباب أي باب أريحا بلد الجبارين سجدا أي خاضعين متواضعين وقولوا حطة أي حط عنا خطايانا * قال بعضهم وكما جعل الله لبني اسرائيل دخولهم الباب على الوجه المذكور سببا للغفران فكذا حب أهل البيت سبب للغفران * ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ان يسلكوا طريقا تخرجهم على مهبط الحديبية من أسفل مكة فسلكوا ذلك الطريق * فلما كانوا أي بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت ناقته صلى الله عليه وسلم أي القصوى فقال الناس حل حل خلأت أي تمادت واستمرت على عدم القيام فقالوا خلأت القصوى أي حرنت يقال خلأت الناقة وألح الجمل بالحاء المعجمة فيهما وحرن الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلأت وما هو لها بخلق * وفي لفظ ما ذاك لها بعادة ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة أي منعها الله عن دخول مكة أي علم صلى الله عليه وسلم أن ذلك صد له من الله عن مكة ان يدخلها قهرا والذي نفس محمد بيده لا تدعني قريش اليوم الى خطة أي خصلة يسألون فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها * أي وفي رواية فيها تعظيم حرمات الله تعالى الا أعطيتهم اياها أي من ترك القتال في الحرم والكف عن اراقة الدم ثم زجرها صلى الله عليه وسلم فقامت فولى راجعا عوده على بدئه ثم قال للناس انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه فأخرج صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته وأعطاه ناجية بن جندب رضي الله عنه سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو البراء بن عازب رضي الله عنه أو خالد بن عبادة الغفاري فنزل في قليب فغرزه في جوفه فجاش أي علا وارتفع بالرواء أي الماء العذب حتى ضرب الناس عليه بعطن * وفي لفظ حتى صدروا عنها بعطن أي حتى رووا وأرويت أبلهم حتى بركت حول الماء لان عطن الابل مباركها قال ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باقصى الحديبية على ثمد وهو حفرة فيها ماء من ثماد هاقليل الماء يتبرضه الناس

تربصا أى (أخذونه قليلا قليلا * ثم لم يلبث الناس حتى نزحوه فاشتكى الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلة الماء وفى لفظ العطش أى وكان الحر شديدا فنزع صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته ودفعه للبراء فقال اغرز هذا السهم فى بعض قلب الحديبية ففعل والقليب جاف فجاش الماء * وقيل دفعه لناجية بن الاعجم فعنه رضى الله عنه * قال دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شكى اليه قلة الماء فأخرج سهما من كنانته ودفعه الى ودعا بدلو من ماء البئر فجئت به فتوضأ فمضمض ثم مج الماء فى الدلو ثم قال انزل بالدلو فى البئر وأثر ماءها بالسهم ففعلت فوالذى بعثه بالحق ما كدت أخرج حتى يغمرنى الماء وفارت كما يفور القدر حتى طمت واستوت بشفيرها يغترفون من جانبها حتى نهلوا عن آخرهم وعلى البئر نفر من المنافقين منهم عبد الله بن أبى بن سلول فقال له أوس بن خولاء رضى الله عنه ويحك يا أبا الحباب ما آن لك تبصر ما أنت عليه أبعد هذا شىء فقال انى رأيت مثل هذا فقال له أوس رضى الله عنه قبحك الله وقبح رأيك * ثم أقبل أى عبد الله المذكور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب أنى رأيت أى كيف رأيت مثل ما رأيت اليوم قال ما رأيت مثله قط قال فلم قلت ما قلت فقال يا رسول الله استغفر لى وقال ابنه عبد الله يا رسول الله استغفر له فاستغفر له * وفى لفظ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية أربع عشر مائة والحديبية بئر نتربضها من البرض وهو الماء الذى يقطر قليلا قليلا فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا ما شئنا وركابنا * وفى لفظ فرفعت اليه الدلو فغمس يده فيها فقال ما شاء الله ان يقول ثم صب الدلو فيها فلقد لقيت آخرنا أخرج بثوب خشية الغرق ثم ساحت نهرا فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها وقد يقال لا مانع من وقوع جميع ذلك لكن يبعد ان يكون ذلك فى قليب واحد قال بعضهم فلما ارتحلوا أخذ البراء رضى الله عنه السهم فجف الماء كأن لم يكن هناك شىء * وفى كلام هذا البعض أن أبا سفيان قال لسهيل بن عمرو رضى الله عنهما قد بلغنا انه ظهر بالحديبية قليب فيه ماء فقم بنا ننظر الى ما فعل محمد فأشرفا على القليب والعين تنبع تحت السهم فقالا ما رأينا كاليوم قط وهذا من سحر محمد قليل وفيه ان أبا سفيان رضى الله عنه لم يكن حاضرا فى الحديبية وحمل ذلك على ان ذلك كان من أبى سفيان بعد ارتحاله صلى الله عليه وسلم من الحديبية

* ينافيه

* ينافيه ماقدمه هذا البعض أن عند ارتحاله من الحديبية وقع السهم وجف القليب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بديل بن ورقاء وكان سيد قومه رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك يوم الفتح فكان من كبار مسلمة الفتح في رجال من خزاعة وكانت خزاعة مسلمها ومشركها لا يخفون عليه صلى الله عليه وسلم شيأ كان بمكة بل يخبرونه به وهو بالمدينة وكانت قريش ربما تفطن لذلك فسألوه ما الذى جاء به فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا وانما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته * وفي المواهب أنه صلى الله عليه وسلم قال لبديل ما تقدم من قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب الى آخره وأن بديلا رضي الله عنه قال له سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء وقال ذو الرأى منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال * هذا كلامه والرواية المشهورة أن بديلا ومن معه من خزاعة لما رجعوا الى قريش فقالوا يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد وان محمدا لم يأت لقتال انما جاء زائرا لهذا البيت فاتهموهم وجبهوهم أى قابلوهم بما يكرهون فقالوا ان كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أى قهرا أبدا ولا تحدث بذلك عنا العرب أنه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا والله لا كان هذا أبدا ومنا عين تطرف * ثم بعثوا اليه صلى الله عليه وسلم مكرز بن حفص أخا بنى عامر فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا * قال هذا الرجل غادر أى وفي رواية فاجر فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل فرجع الى قريش وأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعثوا اليه صلى الله عليه وسلم الحليس ابن علقمة وكان سيد الاحابيش يومئذ وتقدم عن الاصل ان الاحابيش هم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناف بن كنانة وبنو المصطلق بن خزيمة أى وأنه قيل لهم ذلك لأنهم تحالفوا تحت جبل بأسفل مكة يقال له حبشي هم وقريش على أنهم يد واحدة على من عاداهم ما سجى ليل ووضح نهار وما رسى حبشي فسموا أحابيش قريش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون أى يتعبدون ويعظمون أمر الاله * وفي لفظ يعظمون البدن * وفي لفظ يعظمون الهدى ابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه * فلما رأى الهدى يسيل عليه بقلائده من عرض الوادى بضم المهملة أى ناحيته * واما ضد الطول فبفتح المهملة قد أكل

أوباره من طول الحبس عن محله بكسر الحاء المهملة موضعه الذي ينحر فيه من الحرم أي يرجع فيه الحنين واستقبله الناس يلبون قد شعثوا صاح وقال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت أبى الله أن يحج لخم وجذام ونهد وحمير ويمنع ابن عبد المطلب هلكت قريش ورب الكعبة انما القوم أتوا عمارا أي معتمرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا أخا بني كنانة * وقيل انه بمجرد ان رأى هذا الامر رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال لهم في ذلك أي قال اني رأيت مالا يحل منعه رأيت الهدى في قلائده قد أكل أوباره أي معكوفا عن محله والرجال قد شعثوا وقملوا فقالوا له اجلس فانما أنت اعرابي ولا علم لك أي فما رأيت من محمد مكيدة فعند ذلك غضب الحليس وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاءه معظما والذي نفس الحليس بيده لتخلين بين محمد وما جاء له أولا نفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له مه أي كف يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما ترضى به * ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك * وهذا هو الذي شبهه صلى الله عليه وسلم بعيسى ابن مريم عليه السلام ولما قتله قومه قال صلى الله عليه وسلم مثله في قومه كصاحب يس كما سيأتي ذلك * فقال يا معشر قريش اني رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه الى محمد اذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم والد واني ولد فقالوا صدقت وهذا يدل على ان ذهاب عروة بن مسعود رضي الله عنه * انما كان بعد تكرر الرسل من قريش اليه صلى الله عليه وسلم وبه يعلم ما في المواهب أن عروة لما سمع قريشا توبخ بديلا ومن معه من خزاعة قال أي قوم ألستم بالوالد الى آخره * وفي لفظ ألستم كالوالد أي كل واحد منكم كالوالد لي وأنا كالولد له * وقيل أنتم حي قد ولدني لان أمه سبيعة بنت عبد شمس قالوا بلى * قال أولست بالولد قالوا بلى! قال فهل تتهموني قالوا ما أنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال يا محمد اجمعت أوباش أي اخلاط الناس ثم جئت بهم الى بيضتك أي أصلك وعشيرتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك أي انهزموا غدا وفي لفظ والله لا أرى وجوها أي عظماء وأني أرى اسرابا من الناس خليقا أي حقيقا ان يفروا ويدعوك وأبو بكر رضي الله عنه جالس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال

فقال له أعضض بظر اللات والبظر قطعة تبقى فى فرج المرأة بعد الختان وقيل التى تقطعها الخاتنة أنحن ننكشف عنه قال من هذا يا محمد قال صلى الله عليه وسلم هذا ابن أبى قحافة فقال اما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها أى على هذه الكلمة التى خاطبتنى بها ولكن هذه بها ❊ وفى رواية والله لولا يد لك عندى لم أجزك بها لأجبتك وتلك اليد التى كانت لابى بكر رضى الله عنه عند عروة هى أن عروة استعان فى حمل دية فأعانه الرجل بالواحد من الابل والرجل بالاثنين وأعانه أبو بكر رضى الله عنه بعشرة أبل شواب ❊ ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله وهو يكلمه أى وهذه عادة العرب أن الرجل يتناول لحية من يكلمه خصوصا عند الملاطفة وفى الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كأنه صلى الله عليه وسلم انما لم يمنعه من ذلك استمالة وتأليفا له والمغيرة بضم الميم وكسرها ابن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد وعليه المغفر فجعل يقرع يد عروة اذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بنصل السيف وهو ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها ويقول اكفف يدك عن وجه ❊ وفى رواية عن مس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل اليك فانه لا ينبغى لمشرك ذلك وانما فعل ذلك المغيرة رضى الله عنه اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظر لما هو عادة العرب فيقول للمغيرة ويحك ما أفظك وما أغلظك أى ما أشد قولك ❊ وفى رواية فلما أكثر عليه غضب عروة ❊ وقال ويحك ما أفظك وما أغلظك ليت شعرى من هذا الذى آذانى من بين أصحابك والله انى لأحسب فيكم الأم منه ولا أشر منه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة أى لان عروة كان عم والد المغيرة فالمغيرة يقول له يا عم لان كل قريب من جهة الاب يقال له عم وليس فى الصحيح لفظ بن أخيك فقال أى غدر أى يا غادر وهل غسلت غدرتك ❊ وفى لفظ سوءتك وفى لفظ ألست أسعى فى غدرتك الا بالامس وفى لفظ يا غدر والله ما غسلت عنك غدرتك بعكاظ الا بالامس ولقد أورثتنا العداوة من ثقيف الى آخر الدهر قيل أراد عروة بذلك انه الذى ستر غدر المغيرة بالامس لان المغيرة رضى الله عنه قتل قبل اسلامه ثلاثة عشر رجال من بنى مالك من ثقيف وفد هو واياهم مصر على المقوقس بهدايا قال وكنا سدنة اللات أى خدامها واستشرت عمى عروة فى مرافقتهم فأشار على بعدم ذلك ❊ قال فلم أطع رأيه فأنزلنا المقوقس فى كنيسة للضيافة ثم أدخلنا عليه فقدموا الهدية له فاستخبر كبير القوم عنى فقال ليس منا بل من الاحلاف فكنت

أهون القوم عليه فأكرمهم وقصر في حقي * فلما خرجوا لم يعرض على أحد منهم مواساة فكرهت ان يخبروا أهلنا باكرامهم وازدراء الملك بي فأجمعت قتلهم ونزلنا محلا فعصبت رأسي فعرضوا على الخمر فقلت رأسي تصدع * ولكن أسقيكم فسقيتهم وأكثرت لهم بغير مزج حتى همدوا فوثبت عليهم فقتلتهم جميعا وأخذت كل ما معهم وقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده فسلمت عليه وقلت أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك للاسلام يا مغيرة فقال أبو بكر رضى الله عنه من مصر قدمت قلت نعم قال فما فعل المالكيون الذين كانوا معك لانهم من بنى مالك فقلت كان بيني وبينهم ما يكون بين العرب وقتلتهم وجئت بأسلابهم ليخمسها النبي صلى الله عليه وسلم أو يرى فيها رأيه * فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما اسلامك فقبلته ولا آخذ من أموالهم شيأ ولا أخمسه فانه غدر والغدر لا خير فيه فقلت يا رسول الله انما قتلتهم وأنا على دين قومي ثم أسلمت فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله قال وبلغ ذلك ثقيفا فتداعوا للقتال واصطلحوا على أن يحمل عمي عروة ثلاث عشرة دية وفي رواية لما وردوا على المقوقس أعطى كل واحد منهم جائزة ولم يعط المغيرة شيأ فحقد عليهم فلما رجعوا نزلوا منزلا وشربوا الخمرا ولما سكروا وناموا وثب عليهم المغيرة فقتلهم وأخذ أموالهم وجاء وأسلم فاختصم بنو مالك مع رهط المغيرة وشرعوا في المحاربة فسعى عروة في اطفاء نائرة الحرب وصالح بنى مالك على ثلاث عشرة دية ودفعها عروة * ولما أسلم المغيرة قال له النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فأقبل واما المال فلست منه في شيء * وفيه ان هذا مال حربي قصد أخذه والتغلب عليهم الا أن يقال هؤلاء مؤمنون منه لانهم اطمأنوا اليه أى ويذكر ان المغيرة ابن شعبة هذا رضى الله عنه كان من دهاة العرب وأحصن في الاسلام ثمانين امرأة * ويقال ثلاثمائة امرأة وقيل ألف امرأة قيل لاحدى نساء المغيرة انه لذميم أعور فقالت هو والله عسيلة يمانية في ظرف سوء * ولما ولى رضى الله عنه الكوفة أرسل يخطب بنت النعمان بن المنذر فقالت لرسوله قل له ما قصدت الا أن يقال تزوج المغيرة الثقفي بنت النعمان بن المنذر والا فأى حظ لشيخ أعور في عجوز عمياء وهذه هى القائلة لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لما وفدت عليه وهو والى الكوفة وأكرمها في دعائها له ملكتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ولا جعل الله لك الى لئيم حاجة ولا أزال عن كريم نعمة الا جعلك السبب في عودها اليه انما يكرم الكريم والمغيرة بن شعبة رضى الله عنه أول من

حتى سيدنا عمر رضى الله عنه بأمير المؤمنين وعند مجيء عروة أخبر صلى الله عليه وسلم عروة بما أخبر به من تقدم من أنه لم يأت لحرب فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ أى يغسل يديه الا ابتدروا وضوءه أى كادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه أى يدلك به من وقع فى يده وجهه وجلده ولا يسقط من شعره شيء الا أخذوه أى واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه تعظيما له صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر قريش انى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه والله مارأيت ملكا فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم فانه عرض عليكم رشدا فاقبلوا ماعرض عليكم فانى لكم ناصح مع أنى أخاف أن لا تنصروا عليه فقالت له قريش لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور ولكن نرده عامنا هذا ويرجع الى قابل فقال ما أراكم الا ستصيبكم قارعة ثم انصرف هو ومن معه الى الطائف وعروة هذا هو ابن مسعود الثقفى وهو عظيم القريتين الذى عنته قريش بقولها لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * وقيل المعنى بذلك الوليد بن المغيرة * ويقال ان عروة هذا كان جد الحجاج لامه ويدل لذلك كما يدل للاول ما حكى عن الشعبى أنه سأل الحجاج وهو والى العراق حاجة فاعتل عليه فيها فكتب اليه والله لا أعذرك وأنت والى العراقين وابن عظيم القريتين *ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعى رضى الله عنه فبعثه الى قريش وحمله صلى الله عليه وسلم على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقر وابه جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى عقره عكرمة بن أبى جهل وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه وأرادوا قتله فمنعه الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بالتى ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يارسول الله انى أخاف قريشا على نفسى وما بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها *ولكن أدلك على رجل أعز بها منى عثمان بن عفان رضى الله عنه أى فان بنى عمه يمنعونه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه لم يأت الا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته * أى ولعل ذكر أبى سفيان من غلط بعض الرواة لما تقدم أنه لم يكن حاضرا بالحديبية أى صلحها وأمر صلى الله عليه وسلم عثمان أن يأتى رجالا مسلمين بمكة ونساء مسلمات ويدخل عليهم

ويبشرهم بالفتح ويخبرهم أن الله وشيك أى قريب أن يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان * وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم بعث عثمان رضى الله عنه بكتاب لقريش أى قيل فيه انه ما جاء لحرب أحد وانما جاء معتمرا ودليل ما يأتى فى ردهم عليه * وقيل فيه ما وقع بين النبى صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو وليقع الصلح بينهم على أن يرجع فى هذه السنة الحديث وانهم لما احتبسوه أمسك صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو عنده كذا فى شرح الهمزية لابن حجر وقدمه على الاول فليتأمل فخرج عثمان بن عفان رضى الله عنه الى مكة ودخل مكة من الصحابة عشرة أيضا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليزوروا أهاليهم لم أقف على أسمائهم ولم أقف على انهم هل دخلوا مع عثمان أم لا * فلقيه قبل أن يدخل مكة أبان بن سعيد بن العاص رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قبل خيبر فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله بين يديه فجاء الى أبى سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به أى وهم يردون عليه ان محمدا لا يدخل علينا أبدا * فلما فرغ عثمان من تبليغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف (٥) وفى رواية قال له أبان ان شئت أن تطوف بالبيت فطف قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال وقال المسلمون قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قال وما يمنعه يارسول الله وقد خلص اليه قال ذلك ظنى به أنه لا يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف به حتى أطوف * فلما رجع عثمان وقالوا له فى ذلك أى قالوا له طفت بالبيت * قال بئسما ظننتم بى دعتنى قريش الى أن أطوف بالبيت فأبيت والذى نفسى بيده لو مكثت بها معتمرا سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم اه * وكانت قريش قد احتبست عثمان عندها ثلاثة أيام فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان رضى الله عنه قد قتل أى وكذا قتل معه العشرة رجال الذين دخلوا مكة أيضا فقال صلى الله عليه وسلم عند بلوغه ذلك لا نبرح حتى نناجز القوم أى نقاتلهم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة أى بعد أن قال لهم أن الله أمرنى بالبيعة * وعن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه بينما نحن جلوس قائلون اذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وهو عمر بن الخطاب أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم

الله فبايعناه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة فبايعناه ﴿أي و بايعه الناس على عدم الفرار وأنهم اما الفتح واما الشهادة ﴿ وهذا هو المراد بما جاء في بعض الروايات فبايعناه على الموت ولم يتخلف منا أحد الا الجد بن قيس فقال لكأني أنظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس وقد قيل انه كان يرمى بالنفاق وقد نزل في حقه في غزوة أي غزوة تبوك من الآيات مايدل على ذلك كما سيأتي وهو ابن عمة البراء بن معرور رضي الله عنه وكان سيد بني مسلمة بكسر اللام في الجاهلية وقد قال صلى الله عليه وسلم لبني مسلمة من سيدكم قالوا الجد بن قيس أي على بخل فيه ﴿قال وأي داء أدوأ من البخل ثم قال صلى الله عليه وسلم بل سيدكم عمرو بن الجموح وقيل قالوا يارسول الله من سيدنا قال سيدكم بشر بن البراء بن معرور وهذا قال ابن عبد البر ان النفس اليه أميل ﴿ومما يدل للاول ما أنشده شاعر الانصار رضي الله عنهم من قوله

وقال رسول الله والحق قوله ﴿ لمن قال منا من تسمون سيدا

فقالوا له جد بن قيس على التي ﴿ نبخله فيها وان كان أسودا

فتى ما يخطى خطوة لدنية ﴿ ولامد يوما مالى سوءة يدا

فسود عمرو بن الجموح لجوده ﴿ وحق لعمرو بالندا أن يسودا

اذا جاءه السؤال أنهب ماله ﴿ وقال خذوه انه عائد غدا

ولو كنت ياجد بن قيس على التي ﴿ على مثلها عمرو لكنت المسودا

﴿ أي و بايع صلى الله عليه وسلم عن عثمان فوضع يده على يده أي وضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال اللهم ان هذه عن عثمان فانه في حاجتك وحاجة رسولك ﴿ أي وفي لفظ قال اللهم ان عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه فضرب بيمينه شماله وماذاك الا أنه صلى الله عليه وسلم علم بعدم صحة القول بأن عثمان قد قتل أو أن ذلك كان بعد مجيء الخبر له صلى الله عليه وسلم بأن القول بقتل عثمان رضي الله عنه باطل ﴿وفيه أنه حيث علم صلى الله عليه وسلم أن عثمان لم يقتل لامعنى للبيعة لان سببها كما علمت بلوغه الخبر أن عثمان قد قتل ﴿الا أن يقال سببها ماذكر وقتل العشرة من الصحابة ويدل لذلك مايأتي قريبا أن عثمان رضي الله عنه بايع بعد مجيئه من مكة فليتأمل أي وبهذا يرد ماتمسك به بعض الشيعة في تفضيل على كرم الله وجهه على عثمان رضي الله عنه لان عليا كان من جملة من بايع تحت الشجرة وقد خوطبوا بقوله صلى الله عليه وسلم أنتم خير أهل الارض فانه صريح في تفضيل اهل الشجرة على غيرهم وأيضا على حضريد رادون عثمان ﴿وقد جاء

مرفوعا لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية * وحاصل الرد أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع عن عثمان مع الاعتذار عنه بأنه في حاجة الله وحاجة رسوله صلى الله عليه وسلم وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه عن بدر لتمريض بنته صلى الله عليه وسلم وأسهم له كما تقدم فهو في حكم من حضرها على انه سيأتي انه رضي الله عنه بايع تحت تلك الشجرة بعد مجيئه من مكة * واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم أنتم خير أهل الارض على عدم حياة الخضر عليه الصلاة والسلام حينئذ لانه يلزم أن يكون غير النبي أفضل منه وقد قامت الادلة لواضحه على ثبوت نبوته كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى * وقد أشار الى امتناع عثمان رضي الله عنه من الطواف والى عدم صحة القول بأن عثمان قتل والى مبايعته صلى الله عليه وسلم عنه صاحب الهمزية بقوله رحمه الله

وأبى أن يطوف بالبيت اذلم * يدن منه الى النبي فناء
فجزته عنها ببيعة رضوا * ن يد من نبيه بيضاء
أدب عنده تضاعفت الاعـ * ـمال بالترك حبذا الادباء

* أي وامتنع رضي الله عنه أن يطوف بالبيت لاجل أنه لم يقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من البيت جانب فجزته عن تلك الفعلة وهي ذهابه اليهم وامتناعه من الطواف يد من نبيه عليه الصلاة والسلام تلك اليد البالغة في الكرم وذلك في بيعة رضوان وذلك أدب عظيم عند عثمان رضي الله عنه حصل منه أمر عظيم مستغرب وهو تضاعف ثواب الاعمال التي تركها بسبب تركها وهي الطواف * وذكر ان قريشا بعثت الى أبي بن سلول ان أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبد الله رضي الله عنه يا أبت أذكرك الله أن لا تفضحنا في كل موطن تطوف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى حينئذ وقال لا أطوف حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ قال ان لي في رسول الله أسوة حسنة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم امتناعه بذلك رضي عنه وأثنى عليه بذلك * وكانت البيعة تحت شجرة هناك أي من أشجار السمر أي ولما جاء عثمان رضي الله عنه بايع تحت تلك الشجرة * وقيل لها بيعة الرضوان أي لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة رواه مسلم وكانوا ألفا وأربعمائة على الصحيح وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية وتقدم ان الواو بمعنى أو في حديث لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية بدليل رواية مسلم هذه * ومن ثم قال ابن عبد البر رحمه الله ليس

في

في غزواته صلى الله عليه وسلم ما بعد لا بدرا أو يقرب منها الا غزوة الحديبية والراجح تقديم غزوة أحد على غزوة الحديبية وأنها التي تلي بدرا في الفضيلة * وأول من بايعه صلى الله عليه وسلم سنان بن أبي سنان الاسدي كذا في الاصل أنه الصواب بعد أن حكى أن أول من بايع أبو سنان أي وهو ما ذهب اليه في الاستيعاب حيث قال الاكثر الاشهر أن أبا سنان أول من بايع بيعة الرضوان أي لا ابنه سنان وأبو سنان هذا هو أخو عكاشة بن محصن رضي الله عنه وكان أكبر من أخيه عكاشة بعشرين سنة وضعفه في الاصل بأن أبا سنان رضي الله عنه مات في حصار بني قريظة ودفن بمقبرتهم أي كما تقدم * ولما بايعه سنان قال للنبي صلى الله عليه وسلم أبايعك على ما في نفسك قال وما في نفسي قال اضرب بسيفي بين يديك حتى يظهرك الله أو أقتل وصار الناس يقولون له صلى الله عليه وسلم نبايعك على ما بايعك عليه سنان * وقيل أول من بايع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وقيل سلمة بن الاكوع رضي الله عنه بايع ثلاث مرات أول الناس ووسط الناس وآخر الناس بأمره له صلى الله عليه وسلم في الثانية والثالثة بعد قول سلمة له قد بايعت فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا وذلك ليكون له في ذلك فضيلة أي لانه صلى الله عليه وسلم أراد أن يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وعنائه في الاسلام وشهرته في الثبات * أي بدليل ما وقع له رضي الله عنه في غزوة ذي قرد بناء على تقدمها على ما هنا أو تفرس فيه صلى الله عليه وسلم ذلك بناء على تأخرها أو بايع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرتين أي وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله الآية ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم فأنزل الله تعالى الآية أي لا تصدوا هؤلاء العمار أن صد كم أصحابهم * قال وكان محمد بن مسلمة رضي الله عنه على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثت قريش أربعين وقيل خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص أي وهو الذي بعثته قريش له صلى الله عليه وسلم ليسأله فيما جاء وقال صلى الله عليه وسلم ليلا في حقه هذا رجل غادر * وفي لفظ رجل فاجر ليطوفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجاء أن يصيبوا منهم أحدا ويجدوا منهم غرة أي غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه الا مكرزا فانه أفلت أو صدق فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم انه رجل فاجر أو غادر كما تقدم وأتى بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا وبلغ قريشا حبس أصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة * وقتل من المسلمين ابن زنيم رمي بسهم

فأسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا * وعند ذلك بعثت قريش الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم جماعة فيهم سهيل بن عمرو فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال
لاصحابه سهل أمركم فقال سهيل يا محمد ان الذي كان من حبس أصحابك أي عثمان
والعشرة رجال وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأي ذوي رأينا بل كنا
كارهين له حين بلغنا ولم نعلم به وكان من سفهائنا فابعث الينا بأصحابنا الذين أسرت
أولا وثانيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني غير مرسلهم حتى ترسلوا
أصحابي فقالوا نفعل فبعث سهيل ومن معه الى قريش بذلك فبعثوا بمن كان عندهم
وهو عثمان والعشرة رجال * فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابهم انتهى
ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا * وأشار أهل الرأي بالصلح على أن يرجع
ويعود من قابل فيقيم ثلاثا معه سلاح الراكب السيوف في القرب والقوس فبعثوا
سهيل بن عمرو أي ثانيا ومعه مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى الى رسول
صلى الله عليه وسلم ليصالحه على أن يرجع في عامه هذا لئلا تتحدث العرب
بأنه دخل عنوة أي وانه يعود من قابل فأتاه سهيل بن عمرو * فلما رآه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقبلا قال أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل أي ثانيا فلما
انتهى سهيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جثا على ركبتيه بين يديه صلى
الله عليه وسلم والمسلمون حوله جلوس وتكلم فأطال ثم تراجعا * أي ومن
جملة ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به
فقال له سهيل والله لا تتحدث العرب بنا انا أخذنا ضغطة بالضم أي بالشدة والاكراه
* ولكن ذلك من العام القابل ثم التأم الامر بينهما على الصلح على ترك القتال الى
آخر ما يأتي ولم يبق الا الكتاب بذلك وعند ذلك وثب عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال له يا أبا بكر أليس هو برسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بلى قال أولسنا بالمسلمين قال بلى قال أوليسوا بالمشركين قال بلى قال
فعلى م نعطي الدنية بفتح الدال وكسر النون وتشديد الياء النقيصة والخصلة
المذمومة في ديننا فقال له أبو بكر رضي الله عنه يا عمر الزم غرزه أي ركابه * وفي
رواية أنه قال له أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصي ربه وهو
ناصره استمسك بغرزه حتى تموت فاني أشهد أنه رسول الله قال عمر رضي الله عنه
وأنا أشهد أنه رسول الله ثم أتى عمر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له مثل ما قال لابي بكر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله لن
أخالف أمره ولن يضيعني ولقي عمر رضي الله عنه من ذلك الشروط الآتي ذكرها

أمراً عظيما وجعل يرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام حتى قال له أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول نعوذ بالله من الشيطان الرجيم فجعل يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم * حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر انى رضيت وتأبى فكان عمر رضي الله عنه يقول مازلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون هذا خيرا هذا والذي في الامتاع عكس ماهنا * أي أنه قال ماذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولا ثم لابي بكر ثانيا ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أي بعد أن كان أمر أوس بن خولة أن يكتب فقال له سهيل لا يكتب الا ابن عمك علي أو عثمان بن عفان فأمر عليا كرم الله وجهه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل ابن عمرو لا أعرف هذا أي الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم فكتبها لان قريشا كانت تقولها * وأول من كتبها أمية بن أبي الصلت ومنه تعلموها وتعلمها هو من رجل من الجن في خبر ذكره المسعودي أي وانما كتبها بعد ان قال المسلمون والله لا يكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فضج المسلمون وعن الشعبي رحمه الله كان أهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم فكتب النبي أول ما كتب باسمك اللهم * وتقدم أنه كتب ذلك في أربع كتب حتى نزلت بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أي فكتبها * وهذا السياق يدل على تأخر نزول الفاتحة عن هذه الآيات لان البسملة نزلت أولها الا وتقدم الخلاف في وقت نزولها فليتأمل ثم قال صلى الله عليه وسلم اكتب هذا ماصالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو * فقال سهيل بن عمرو لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أصدك عن البيت ولكن اكتب اسمك واسم أبيك * أي وفي لفظ لو أعلم انك رسول الله ماخالفتك واتبعتك أترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه امحه * وفي لفظ امح رسول الله فقال علي كرم الله وجهه ما أنا بالذي أمحاه وفي لفظ لا أمحوك وفي لفظ والله لا أمحوك أبدا فقال أرنيه فأراه اياه فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة وقال اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله سهيل ابن عمرو وقال أنا والله رسول الله وان كذبتموني وأنا محمد بن عبد الله وفي لفظ فجعل علي يتلكأ ويأبى أن يكتب الا محمد رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم اكتب

فان لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد أي مقهور وهو اشارة منه صلى الله عليه
وسلم لما سيقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فانهما في حرب صفين وقعت بينهما
المصالحة على ترك القتال الى رأس الحول وكان القتال في صفر دام مائة يوم وعشرة
أيام قتل فيه سبعون ألفا خمسة وعشرون ألفا من جيش علي كرم الله وجهه من
جملة تسعين ألفا وخمسة وأربعون ألفا من جيش معاوية من جملة مائة وعشرين ألفا
* فلما كتب الكاتب في الصلح هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فقال عمرو بن العاص
رضي الله عنهما الذي هو أحد الحكمين اكتب اسمه و اسم أبيه وأرسل معاوية
يقول لعمرو ولا تكتب أن عليا أمير المؤمنين لو كنت اعلم أنه أمير المؤمنين
ما قاتلته فبئس الرجل أنا ان أقررت أنه أمير المؤمنين ثم أقاتله * ولكن اكتب علي
ابن أبي طالب وامح أمير المؤمنين فقيل له يا أمير المؤمنين لا تمح اسم امارة المؤمنين
فانك ان محوتها لا تعود اليك * فلما سمع علي كرم الله وجهه ذلك وأمر بمحوها
وقال انها تذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم له في الحديبية ما تقدم ومن ثم قال
الله أكبر مثلا بمثل والله اني لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
اذ قالوا لست برسول الله ولا نشهد لك بذلك اكتب اسمك واسم أبيك محمد بن عبد
الله فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه سبحان الله أتتشبه بالكفار فقال له علي
كرم الله وجهه يا ابن النابغة أي العاهرة ومتى كنت عدوا للمسلمين هل تشبه
لا أمك التي وقعت بك فقال عمرو لا يجمع بيني وبينك مجلس أبدا فقال علي كرم
الله وجهه اني لأرجو الله أن يطهر مجلسي منك ومن أشباهك وذكر ان أسيد بن
حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهما أخذا بيد علي كرم الله وجهه ومنعاه ان
يكتب الا محمد رسول الله والا فالسيف بيننا وبينهم وضجت المسلمون وارتفعت
الاصوات وجعلوا يقولون لم نعط هذه الدنية في ديننا فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخفضهم ويومئ بيده اليهم أن اسكتوا ثم قال أرنيه الحديث وكان الصلح على
وضع الحرب عن الناس عشر سنين * وقيل سنتين وقيل أربع سنين أي وصححه
الحاكم تأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض * أي ويقال لهذا العقد
هدنة ومهادنة وموادعة ومسالمة وقال زيادة على اشتراط الكف عن الحرب على
انه من أتى محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش ممن هو على دين محمد بغير اذن وليه رده
اليه ذكرا كان أو أنثى قال السهيلي رحمة وفي رد المسلم الى مكة عمارة للبيت وزيادة
خير له في الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت فكان هذا من تعظيم حرمات الله

هذا كلامه * ومن أتى قريشا ممن كان مع محمد أي مرتدا ذكرا كان أو أنثى لم نرده
اليه * وهذا الثاني يوافق قول أئمتنا معاشر الشافعية يجوز شرط أن لا يردوا من
جاءهم مرتدا * والاول يخالف قولهم لا يجوز شرط رد مسلمة تأتينا منهم فان شرط
فسد الشرط والعقد * الا أن يقال هذا ما وقع عليه الامر أولا ثم نسخ كما سيأتي
وشرطوا أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل
في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وان بيننا وبينكم عيبة مكفوفة أي صدورا
منطوية على ما فيها لا تبدى عداوة وقيل صدور نقية من الغل والخداع منطوية على
الوفاء بالصلح وانه لا اسلال ولا اغلال أي لا سرقة ولا خيانة * قال سهيل وأنك
ترجع عامك هذا فلا تدخل مكة وأنه اذا كان عام قابل خرج منها قريش فتدخلها
بأصحابك فأقمت بها ثلاثة أي ثلاثة أيام معك سلاح الراكب السيوف في القرب
والقوس لا تدخلها بغيرها * ويقال انه صلى الله عليه وسلم هو الذي كتب الكتاب
بيده الشريفة وهو ما وقع في البخاري أي أطلق الله يده صلى الله عليه وسلم بالكتابة
في تلك الساعة خاصة وعد معجزة له * قال بعضهم لم يعتبروا أي القول بذلك أهل العلم
ومعنى كتب أمر بالكتابة * وفي النور وفي كون هذا أي انه كتب بيده في البخاري
فيه نظر والذي في البخاري وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب ليكتب
فكتب هذا ما قاضى عليه محمد الحديث أي فلفظة بيده ليست في البخاري ومع
اسقاطها التأويل ممكن * وتمسك بظاهر قوله فكتب أبو الوليد الباجي المالكي
رحمه الله على انه صلى الله عليه وسلم كتب بيده فشنع عليه علماء الاندلس في زمانه
بأن هذا مخالف للقرآن فناظرهم واستظهر عليهم بأن هذا لا ينافي القرآن وهو قوله
تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك لان هذا النفي مقيد بما قبل
ورود القرآن * وبعد ان تحققت أميته صلى الله عليه وسلم وتقررت بذلك معجزته
لا مانع من ان يعرف الكتابة من غير معلم فتكون معجزة أخرى ولا يخرجه ذلك
عن كونه أميا * أي ويقال ان الذي كتب هذا الكتاب محمد بن مسلمة رضي الله
عنه وعده الحافظ بن حجر رحمه الله من الاوهام * وجمع بأن أصل هذا الكتاب
كتبه علي كرم الله وجهه ونسخ مثله محمد بن مسلمة رضي الله عنه لسهيل بن عمرو
أي فان سهيلا قال يكون هذا الكتاب عندي وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل عندي فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كتب لسهيل نسخة
أخذها عنده * وعند كتابته اشتراط ان يرد اليهم من جاء مسلما قال المسلمون سبحان
الله كيف نرد للمشركين من جاء مسلما وعسر عليهم شرط ذلك وقالوا يا رسول الله

أتكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا وفي لفظ قال عمر يا رسول الله أترضى بهذا فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال من جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا ومن أعرض عنا وذهب اليهم فلسنا منه في شيء وليس مثابل هو أولى بهم * فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وسهيل بن عمرو يكتبان الكتاب بالشرط المذكورة اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو الى المسلمين يرسف في الحديد أي يمشي في قيوده متوشحا سيفه قد أفلت الى ان جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى نفسه بين أظهر المسلمين * فجعل المسلمون يرحبون به ويهنونه * فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام اليه فضرب وجهه وفي لفظ أخذ غصنا من شجرة به شوك وضرب به وجه أبي جندل ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا وأخذ بتلبيبه وقال يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه ان ترده الي لقد لجت القضية بيني وبينك أي وجبت وتمت قبل أن يأتيك هذا * قال صدقت فجعل ينتره بتلبيبه ويجره ليرده الى قريش وجعل أبو جندل رضي الله عنه يصرخ أعلى صوته يا معشر المسلمين أرد الى المشركين يفتنوني عن ديني ألا ترون ما لقيت فانه رضي الله عنه كان عذب عذابا شديدا على ان يرجع عن الاسلام فزاد الناس ذلك الى ما بهم أي فانهم كانوا لا يشكون في دخولهم مكة وطوافهم بالبيت للرؤيا التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا الصلح وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون خصوصا من اشتراط ان يرد الى المشركين من جاء مسلما منهم * أي ورد أبي جندل اليهم بعد ضربه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك واعطونا عهد الله أن لا نغدر بهم وبهذا استدل أئمتنا على أنه يجوز شرط رد من جاء منهم مسلما اليهم ولا نرده اليهم الا اذا كان حرا ذكرا غير صبي ومجنون وطلبته عشيرته * وفي لفظ آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسهيل انا لم نقض الكتاب بعد فقال بلى لقد لجت القضية بيني وبينك أي تم العقد فرده فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأجره لي فقال ما أنا بمجيره ذلك لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل فقال مكرز وحويطب قد أجرناه لك لا نعذبه * أي وهذا وما تقدم يخالف قول ابن حجر الهيتمي رحمه الله ان مجيء أبي جندل كان قبل عقد الهدنة معهم رواه البخاري وعند ذلك قال حويطب لمكرز ما رأيت قوما قط أشد حبا لمن دخل معهم من أصحاب محمد أما اني أقول لك

لا تأخذ

لا تأخذ من محمد نصفا أبدا بعد هذا اليوم حتى يدخلها عنوة فقال مكرز وأنا أرى ذلك ❊ وعند ذلك وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومشى الى جنب أبي جندل أي وأبوه سهيل بجنبه يدفعه وصار عمر رضي الله عنه يقول لابي جندل اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم كدم كلب أي ومعك السيف يعرض له بقتل أبيه ❊ أي وفي رواية أن دم الكافر عند الله كدم الكلب ويدني قائم السيف منه ❊ أي وفي لفظ وجعل يقول يا أبا جندل ان الرجل يقتل أباه في الله والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله فقال له أبو جندل مالك لا تقتله أنت فقال عمر نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقتل غيره فقال أبو جندل رضي الله عنه ما أنت أحق بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم مني قال عمر رضي الله عنه وودت أن يأخذ السيف فيضرب أباه فضن الرجل بأبيه وفيه كيف يظن عمر حينئذ جواز قتله لابيه حتى يعرض له به الا أن يقال ظن ذلك لكونه يريد أن يفتنه عن دينه ويرجع الى الكفر وان كان صلى الله قال له يا أبا جندل اصبر واحتسب ورجع أبو جندل الى مكة في جوار مكرز بن حفص أي وهو طلب فادخله مكانا وكف عنه أبوه وأبو جندل اسمه العاص وهو أخو عبد الله بن سهيل بن عمرو واسلام عبد الله سابق على اسلام أبي جندل لان عبد الله شهد بدرا أي فانه خرج مع المشركين لبدر ثم انحاز من المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد معه بدرا والمشاهد كلها وأبو جندل رضي الله عنه أول مشاهده الفتح ودخلت خزاعة في عقده صلى الله عليه وسلم وعهده ❊ أي وفي لفظ وثب من هناك من خزاعة فقالوا ونحن ندخل في عهد محمد وعقده ونحن على من وراءنا من قومنا ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ويذكر أن حويطبا قال لسهيل بادأن اخوالك يعني خزاعة بالعداوة وكانوا يستترون منا قد دخلوا في عهد محمد وعقده فقال له سهيل ما هم الا كغيرهم هؤلاء أقاربنا ولحمتنا قد دخلوا مع محمد قوم اختار والانفسهم أمرا فما نصنع بهم قال حويطب نصنع بهم ان ننصر عليهم حلفاءنا بني بكر ❊ قال سهيل اياك ان تسمع هذا منك بنو بكر فانهم أهل شؤم فيبيتوا خزاعة فيغضب محمد لحلفائه فينقض العهد بيننا وبينه ❊ ومن هذا التقرير يعلم أن بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه ❊ ووقع في المواهب ما يقتضي ان البيعة كانت بعد الصلح وان الكتاب الذي ذهب به عثمان كان متضمنا للصلح الذي وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو فحبست قريش عثمان فحبس صلى الله عليه وسلم سهيلا ولا يخفى عليك ما فيه ولما فرغ رسول الله

صلى الله عليه وسلم من الصلح وأشهد عليه رجالا من المسلمين أى أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة أى ورجالا من قريش حويطب ومكرز قام الى هديه فنحره * ومن جملته جمل لابى جهل * وكان نجيبا مهريا وكان يضرب فى لقاحه صلى الله عليه وسلم فى رأسه برة أى حلقة من فضة وقيل من ذهب ليغيظ به المشركين غنمه صلى الله عليه وسلم يوم بدر كما تقدم * قال وقد كان فر من الحديبية ودخل مكة وانتهى الى دار أبى جهل وخرج فى أثره عمرو بن غنمة الانصارى فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه ودفعوا فيه عدة نياب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنا سميناه فى الهدى فعلنا انتهى * وفى لفظ قال لهم سهيل بن عمرو أن تريدوه فاعرضوا على محمد مائة من الابل فان قبلها فأمسكوا هذا الجمل والافلا تتعرضوا له أى فعرضوا عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فأبى وقال لو لم يكن هذا الجمل للهدى لقبلت المائة * وفرق صلى الله عليه وسلم لحم الهدى على الفقراء الذين حضروا الحديبية * وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية حتى نحرت بالمروة وقسم لحمها على فقراء مكة ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه * وكان الحالق لرأسه خراش بن أمية الخزاعى الذى بعثه الى قريش فعقروا جمله وأرادوا قتله كما تقدم * فلما رأى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون وقصر بعضهم كعثمان وأبى قتادة * وفى كلام بعضهم أى وهو السهيلى انه لم يقصر غيرهما * ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة فقال اللهم ارحم المحلقين وفى لفظ يرحم الله المحلقين * وفى لفظ اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين فقال يرحم الله المحلقين أى قال اللهم ارحم المحلقين أو اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين فقال يرحم الله المحلقين والمقصرين * وفى رواية قال والمقصرين فى الرابعة * وقد قالوا له يارسول الله لم ظاهرت أى أظهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا أى لم يرجوا ان يطوفوا بالبيت بخلاف المقصرين أى لان الظاهر من حالهم أنهم أخروا وابقية شعورهم رجاء أن يحلقوها بعد طوافهم بالبيت * وأرسل الله سبحانه وتعالى ريحا عاصفة احتملت شعورهم فألقتها فى الحرم وفيه أنه تقدم أن الحديبية أكثرها فى الحرم فاستبشروا بقبول عمرتهم * وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من الكتاب أمرهم بالنحر والحلق قال ذلك ثلاث مرات فلم يقم منهم أحد فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضى الله عنها أى

وهو شديد الغضب فاضطجع فقالت مالك يا رسول الله مرارا وهو لا يجيبها ثم ذكر لها مالقي من الناس وقال لها هلك المسلمون أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا وفي لفظ قال عجبا يا أم سلمة ألا ترين الى الناس آمرهم بالامر فلا يفعلونه قلت لهم انحروا واحلقوا وحلوا مرارا فلم يجبني أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامي وينظرون وجهي فقالت يا رسول الله لا تلمهم فانهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح * ثم أشارت عليه صلى الله عليه وسلم أن يخرج ولا يكلم أحدا منهم وينحر بدنه ويحلق رأسه ففعل كذلك أي أخذ الحربة وقصد هديه وأهوى بالحربة الى البدن رافعا صوته بسم الله والله أكبر ثم دخل صلى الله عليه وسلم قبة له من أدم أحمر ودعا بخراش فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة فأخذه الناس وتحاصوه وأخذت أم عمارة رضي الله عنها طاقات منه فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرأ فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وحلقوا ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة أي بعد أن أقام بالحديبية تسعة عشر يوما وقيل عشرين يوما * فلما كان صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة أي بكراع الغميم أنزلت عليه سورة الفتح * أي وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أنزلت علي سورة هي أحب الي مما طلعت عليه الشمس وحصل للناس مجاعة فقالوا يا رسول الله جهدنا أي أصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع وفي الناس ظهر أي أبل فانحره لنا أكل من لحمه وندهن من شحمه ونحتذي من جلوده فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لا تفعل يا رسول الله فان الناس ان يكن فيهم بقية ظهر أمثل كيف بنا اذا لاقينا لعدو غدا جياعا رجالا أي ثم قال ولكن ان رأيت أن تدعو الناس الى أن يجمعوا بقايا أزوادهم ثم تدعو فيها بالبركة فان الله سيبلغها بدعوتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابسطوا أنطاعكم وعباء كم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ودعا لهم * ثم قال قربوا أوعيتكم فأخذوا ماشاء الله أي وحشوا أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا وبقي مثله * وفي مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فأخذنا جهد حتى هممنا ان ننحر بعض ظهرنا فأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم فجمعنا من أزوادنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع فكان كربضة البعير أي كقدر البعير وهي رابضة أي باركة وكنا أربع عشرمائة * قال الراوي فأكلنا حتى شبعنا * ثم حشونا جربنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه * وقال أشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله والله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما الا حجب من النار وقال

صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو ما يتوضأ به فجاء رجل بإداوة وهي الركوة فيها نطفة من ماء أي قليل من ماء وقيل للماء نطفة لأنه ينطف أي يصب فأفرغها في قدح * أي ووضع راحته الشريفة في ذلك الماء قال الراوي فتوضأنا كلنا أي الاربعة عشر مائة ندغفقه دغفقة أي نصبه صبا شديدا ثم جاء بعد ذلك ثمانية فقالوا هل من طهور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغ الوضوء والى تكثير الطعام والماء أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله في وصف راحته الشريفة

أحييت المؤمنين من موت جهد * أعوز القوم فيه زاد وماء

أي حفظت على المحتاجين الزاد والماء حياتهم فسلموا من موت قحط شديد أعوز القوم في ذلك القحط زاد وماء * وقال الامام السبكي في تائيته في تكثير الماء

وعقد عين لاعين بأن في * يمينك وكفا حيثما السحب ضنت

* ولما أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم سورة الفتح قال له جبريل عليه السلام يهنئك يا رسول الله وهنأه المسلمون وتكلم بعض الصحابة * وقال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك بئس الكلام بل هو أعظم الفتح لقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالبراح عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم الله تعالى سالمين مأجورين فهو أعظم الفتوح أنسيتم يوم أحد اذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم أنسيتم يوم الاحزاب اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * فقال المسلمون صدق الله ورسوله فهو أعظم الفتوح والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولانت أعلم بالله وبأمره منا * وقال له بعض الصحابة أي وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله ألم تقل انك تدخل مكة آمنا قال بلى أفقلت لكم من عامي هذا قالوا لا قال فهو كما قال جبريل عليه الصلاة والسلام فانكم تأتونه وتطوفون به * أقول فيه انه تقدم ان ذلك كان عن رؤيا لاعن وحي الا أن يقال يجوز أن يكون جاءه صلى الله عليه وسلم الوحي بمثل ما رأى ثم أخبرهم بذلك والله أعلم * وفي لفظ لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين وأخبرهم بذلك فلما تأخر قالوا له أين رؤياك يا رسول الله فأنزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية * أقول ولا يخالف هذا ما تقدم أن الرؤيا

المذكورة كانت بالمدينة وأنها السبب الحامل على الاحرام بالعمرة لجواز تكرر الرؤيا وان الاولى اقترن بها الوحي * وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة عام القضية وحلق رأسه قال هذا الذى وعدتكم فلما كان يوم الفتح وأخذ المفتاح قال ادعوا لى عمر بن الخطاب فقال هذا الذى قلت لكم * ولما كان فى حجة الوداع ووقف صلى الله عليه وسلم بعرفة فقال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه هذا الذى قلت لكم وفيه أنه لم يتقدم فى الرؤيا أنه صلى الله عليه وسلم يأخذ المفتاح ولا أن يقف بعرفة الا أن يقال يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك بعد الرؤيا أوان المراد من ذلك مجرد دخول مكة والله أعلم وأصابهم مطر فى الحديبية لم يبل أسفل نعالهم أى ليلا فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صلوا فى رحالكم أى ووقع مثل ذلك فى حنين أنه أصابهم مثله فأمر صلى الله عليه وسلم مناديه ينادى الا صلوا فى رحالكم * وقال صلى الله عليه وسلم صبيحة ليلة الحديبية لما صلى بهم أتدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال الله عز وجل أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا برحمة الله وبفضله فهو مؤمن بالله وكافر بالكواكب ومن قال مطرنا بنجم كذا * وفى رواية بنوء كذا وكذا فهو مؤمن بالكواكب كافر بى * وهذا عند أئمتنا مكروه لا حرام أى لان المراد بالايمان شكر نعمة الله حيث نسبها الى الله والكفر كفران كفر النعمة حيث نسبها لغيره فان اعتقد أن النجم هو الفاعل كان الكفر فيه على حقيقته وهو ضد الايمان والاول انما نهى عنه لانه كان من أمر الجاهلية * والا فهذا التركيب لا يقتضى ان يكون نوء كذا فاعلا ومن ثم لو قال مطرنا فى نوء كذا أى فى وقت نوء كذا لم يكره وكان أبى بن سلول قال هذا نوء الخريف مطرنا بالشعرى أى وسمى الخريف خريفا لانه تخترف فيه الثمار أى تقطع والنوء سقوط نجم ينزل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق من أنجم المنازل وذلك يحصل فى كل ثلاثة عشر يوما الا الجبهة النجم المعروف فان لها أربعة عشر يوما * قال بعضهم والانواء ثمانية وعشرون نوءا أى نجما كان العرب يعتقدون أن من ذلك يحدث المطر أو الريح وفى الحديث لو حبس الله القطر عن الناس سبع سنين ثم أرسله أصبح طائفة منهم به كافرين يقولون مطرنا بنوء المجدح بكسر الميم نجم يقال هو الدبران * وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا * ونقل عن عمر رضى الله عنه أنه قال مطرنا بنوء كذا ولعله لم يبلغه النهى عن ذلك حيث قال ذلك * قال العارف بالله ابن عطاء الله لعل هذا

يكون ناهيا لك أيها المؤمن عن التعرض الى علم الكواكب وافترانا تها وما نعا لك أن تدعى وجود تأثيراتها واعلم أن الله فيك قضاء لا بد أن ينفذ وحكما لا بدّ أن يظهره فما فائدة التجسس على غيب علام الغيوب وقد نهانا سبحانه أن نتجسس على غيبه ❊ وصارت تلك الشجرة التى وقعت عندها البيعة يقال لها شجرة الرضوان وبلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أى فى خلافته ان ناسا يصلون عندها فتوعدهم وأمر بها فقطعت أى خوف ظهور البدعة ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة هاجرت اليه أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى تلك المدّة وكانت أسلمت بمكة وبايعت قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى أوّل من هاجر من النساء بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأنها خرجت من مكة وحدها ❊ وصاحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة وفى الاستيعاب يقولون انها مشت على قدميها من مكة الى المدينة ولا يعرف لها اسم الا هذه الكنية وهى أخت عثمان بن عفان رضى الله عنه لامه أى ولما قدمت المدينة دخلت على أم سلمة رضى الله عنها وأعلمتها أنها جاءت مهاجرة وتخوفت أن يردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل صلى الله عليه وسلم على أم سلمة أعلمته بها فرحب بأم كلثوم رضى الله عنها فخرج أخواها عمارة والوليد فى ردّها بالعهد فقالا يا محمد أوف لنا بما عاهدتنا عليه فلم يفعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك أى بعد أن قالت له يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء الى الضعف فتردّنى الى الكفار يفتنونى عن دينى ولا صبر لى فنزل القرآن بنقض ذلك العهد بالنسبة للنساء لمن جاء منهن مؤمنا لكن بشرط امتحانهن بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات أى فى مدة هذا العهد والصلح مهاجرات فامتحنوهن ❊ قال السهيلى رحمه الله ❊ وكان الامتحان أن تستحلف المرأة المهاجرة أنها ما هاجرت ناشزا ولا هاجرت الا لله ولرسوله ❊ وفى لفظ كانت المرأة اذا جاءت للنبى صلى الله عليه وسلم حلفها عمر رضى الله عنه بالله ماخرجت رغبة بأرض عن أرض وبالله ماخرجت من بغض زوج وبالله ماخرجت لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وبالله ماخرجت الا حبا لله ورسوله فاذا حلفت لم ترد وردّ صداقها الى بعلها ❊ أى ولما قدم الوليد وعمارة مكة أخبرا قريشا بذلك فرضوا ان تحبس النساء ولم يكن لام كلثوم رضى الله عنها زوج بمكة ❊ فلما قدمت المدينة تزوّجها زيد بن حارثة ❊ وفى رواية لما كان صلى الله عليه وسلم بالحديبية جاءته جماعة من النساء المؤمنات مهاجرات من مكة من جملتهن سبيعة بنت الحارث فأقبل زوجها وهو مسافر المخزومى طالبا لها وأراد مشركوا مكة أن

يردوهن الى مكة * فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاستحلف صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فأعطى صلى الله عليه وسلم زوجها مسافرا ما أنفق عليها فتزوجها عمر رضي الله عنه وهذا السياق يدل على أن الآية الكريمة نزلت بالحديبية وما قبله يدل على أنها نزلت بالمدينة * وقد يقال لا مانع من تكرر نزول الآية واما في غير مدة هذا العهد أي بعد فسخه بفتح مكة فلم تستحلف امرأة جاءت الى المدينة ولا يرد صداقها الى بعلها * ومن ثم ذهب أئمتنا الى أنه اذا شرط رد المسلمة اليهم فسدت الهدنة كما تقدم ولا يجب دفع المهر لزوج لو جاءت مسلمة * وقوله تعالى وآتوهم أي الازواج ما أنفقوا أي من المهر محمول على الندب والصارف له عن الوجوب كون الاصل براءة الذمة لان البضع ليس بمال للكافر وفيه ان طلب رد المهر للازواج كان واجبا في مدة العهد خاصة كما علمت * وأنزل الله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر أي نهى المؤمنين عن البقاء على نكاح المشركات فطلق الصحابة رضي الله عنهم كل امرأة كافرة في نكاحهم حتى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان له امرأتان فطلقهما يومئذ فتزوج أحدهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية فكان صلى الله عليه وسلم في مدة العهد يرد الرجال ولا يرد النساء أي بعد امتحانهن * فقدم الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة أبو بصير رضي الله عنه وكان ممن حبس بمكة وكتب في رده أزهر بن عوف رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو من الطلقاء وهو عم عبد الرحمن بن عوف والاخنس ابن شريف رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك كتابا وبعثا به رجلا من بني عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقرأه أبي رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه قد عرفت ما شارطناك عليه من رد من قدم عليك من أصحابنا فابعث الينا بصاحبنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك قال يارسول الله أتردني الى المشركين يفتنوني عن ديني قال صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما * أي وصار المسلمون رضي الله عنهم يقولون له الرجل يكون خيرا من ألف رجل يغرونه بالذين معه حتى اذا كان بذي الحليفة جلس رضي الله عنه الى جدار ومعه صاحباه فقال أبو بصير رضي الله عنه لاحد صاحبيه ومعه سيفه

أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر قال نعم انظر اليه ان شئت فاستله أبو بصير رضي الله عنه ثم علاه به حتى قتله وفي لفظ ان الرجل هو الذي سل سيفه ثم هزه فقال لاضربن بسيفي هذا في الاوس والخزرج يوما الى الليل فقال له أبو بصير أوصارم سيفك هذا قال نعم فقال ناولنيه أنظر اليه فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد * وقيل تناوله بفيه وصاحبه نائم فقطع أساره أي كتافه ثم ضربه به حتى برد فطلب المولى فخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد * فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحصا يطن تحت قدميه * وفي لفظ والحصا يطير من تحت قدميه من شدة عدوه أي وأبو بصير في أثره حتى أزعجه قال صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل قد رأى فزعا * وفي لفظ قد لقي هذا ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد قال له ويحك مالك قال قتل صاحبكم صاحبي وأفلت منه ولم أكد واني لمقتوله * واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فاذا أبو بصير رضي الله عنه أناخ بعير العامري بباب المسجد ودخل متوشحا السيف ووثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله وفت ذمتك وادى الله عنك اسلمتني بيد القوم * وقد امتنعت بديني أن افتن فيه أو يفتن بي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب حيث شئت فقال يارسول الله هذا سلب العامري أي الذي قتلته رحله وسيفه فخمسه فقال له صلى الله عليه وسلم اذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه ولكن شأنك سلب صاحبك * ومن ثم قال فقهاؤنا يجوز رد المسلم الى الطالب له من غير عشيرته اذا قدر على قهر الطالب والهرب منه وعند ذلك ذهب أبو بصير رضي الله عنه الى محل من طريق الشام تمر به عيران قريش واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة أي لانهم لما بلغهم خبره رضي الله عنه أي وأنه صلى الله عليه وسلم قال في حقه ويل أمه مخش حربا لو كان معه رجال صاروا يتسللون اليه وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو رضي الله عنهما الذي رده يوم الحديبية وخرج من مكة في سبعين فارسا أسلموا فلحقوا بأبي بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المدة التي هي زمن الهدنة أي خوف أن يردهم الى أهليهم وانضم اليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن أسلم حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل فقطعوا مادة قريش لا يظفرون بأحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا أخذوها حتى كتبت قريش له صلى الله عليه وسلم تسأله بالارحام الا آواهم ولا حاجة لهم بهم * وفي رواية ان قريشا أرسلت أبا سفيان بن حرب رضي الله

عنه في ذلك وأن قريشا قالوا انا اسقطنا هذا الشرط من الشروط من جاء منهم اليك فأمسكه في غير حرج * أي وفي لفظ من أتاه فهو آمن فانا أسقطنا هذا الشرط فان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح اقراره فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي جندل والى أبي بصير رضي الله عنهما أن يقدما عليه أي وأن من معهما من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لاحد مر بهم من قريش ولا لعيرانهم فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وأبو بصير رضي الله عنه يموت فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يقرؤه فدفنه أبو جندل رضي الله عنه مكانه وجعل عند قبره مسجدا * وقدم أبو جندل رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ناس من أصحابه ورجع باقيهم الى أهليهم وأمنت قريش على عيرانهم * وعلمت أصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم الذين عسر عليهم رد أبي جندل الى قريش مع أبيه سهيل بن عمرو وان طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مما أحبوه وان رأيه صلى الله عليه وسلم أفضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك ان مصالحته صلى الله عليه وسلم كانت أولى لانها كانت سببا لكثرة المسلمين فان الكفار لما أمنوا القتال اختلطوا بالمسلمين فأثر فيهم الاسلام فأسلم كثير منهم * وقد ذكر بعض المفسرين أن الذين أسلموا في سنتي الفتح بناء على أن المدة كانت سنتين أو المعنى سنتين من الصلح أي من مدته يعدلون الذين أسلموا قبلهما * قال وعن بعضهم أي وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول ما كان فتح في الاسلام أعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد * لقد رأيت سهيل بن عمرو رضي الله عنه بعد اسلامه في حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده * ودعا الحلاق لحلق رأسه فأنظر الى سهيل كلما يلقط من شعره صلى الله عليه وسلم يضعه على عينيه وأذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم أي وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمدت الله وشكرته الذي هداه للاسلام وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ونحن محرمون قد حصرنا المشركون وكان لي وفرة فجعلت الهوام أي القمل تتساقط على وجهي فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي رواية ملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي * وفي رواية أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال أدن فدنوت يقول ذلك

مرتين أو ثلاثا * وفى رواية أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وانا أوقد تحت برمة وفى لفظ قدر لى فقال كأنك تؤذيك هوام رأسك قال أجل قال احلق واهد هديا فقال ما أجد هديا فقال صم ثلاثة أيام * وفى لفظ فقال أيؤذيك هوام رأسك وفى لفظ لعلك آذاك هوام رأسك * قلت نعم يا رسول الله قال ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا فأمرنى أن أحلق أى وفى رواية أصابتنى هوام فى رأسى وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى تخوفت على بصرى * وأنزل الله تعالى هذه الآية فمن كان منكم مريضا أو به اذى من رأسه أى فحلق ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق * أى زاد فى رواية من زبيب بين ستة مساكين والفرق بفتح الفاء والراء ثلاثة آصع * أى زاد فى رواية من تمر لكل مسكين نصف صاع أو انسك أى اذبح ما تيسر لك انتهى * زاد فى رواية أى ذلك فعلت أجزأ منك فحلقت ثم نسكت * أى وفى رواية الشيخين أنسك شاة أو صم ثلاثة أيام أو أطعم فرقا من الطعام على ستة مساكين * قال ابن عبد البر عامة الآثار عن كعب بن عجرة وردت بلفظ التخيير وهو نص القرآن وعليه عمل العلماء فى كل الامصار وفتواهم وما ورد من الترتيب فى بعض الاحاديث لو صح معناه الاختيار أولا فأولا * قال فى سفر السعادة أمر صلى الله عليه وسلم فى علاج القمل بحلق الرأس لتنفتح المسام وتتصاعد الابخرة وتضعف المادة الفاسدة التى يتولد القمل منها * وذكر فى الهدى أن أصول الطب ثلاثة الحمية وحفظ الصحة والاستفراغ فالى الاول شرع التيمم خوفا من استعمال الماء والى الثانى شرع الفطر فى رمضان فى السفر لئلا تتوالى مشقة السفر ومشقة الصوم والى الثالث بحلق رأس المحرم اذا كان به أذى من قمل ليستفرغ المادة الفاسدة والابخرة الرديئة * وعند أئمتنا لابد أن يكون ما يذبحه يجزى فى الاضحية وبعد الحديبية قبل خيبر وقيل بعد خيبر نزلت آية الظهار قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وسبب ذلك أن أوس بن الصامت لا عبادة بن الصامت كما قيل أى وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه * وفى لفظ كان به لمم أى نوع من الجنون وكان فاقد البصر قال لزوجته خولة بنت ثعلبة وفى لفظ بنت خويلد وكانت بنت عمه وقد راجعته فى شىء فغضب فقال لها أنت على كظهر أمى * وكان ذلك فى زمن الجاهلية طلاقا أى كالطلاق فى تحريم النساء ثم راودها عن نفسها فقالت كلا لا تصل الى وقد قلت ما قلت حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى لفظ انه لما قال لها أنت على كظهر

أني أسقط في يده وقال ما أراك الا قد حرمت علي انطلقي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاسأليه فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم وهو يمشط رأسه الشريف
أي عنده ماشطة أي وهي عائشة رضي الله عنها تمشط رأسه وفي لفظ كان الظهار
أشد الطلاق وأحرم الحرام اذا ظاهر الرجل من امرأته لم ترجع اليه أبدا فأخبرته
فقال لها صلى الله عليه وسلم ما أمرنا بشيء من أمرك ما أراك الا قد حرمت عليه
فقالت يارسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ماذكر الطلاق وانه أبو ولدي
وأحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي وتركي الى غير
أحد وقد كبر سني ودق عظمي * وفي لفظ انها قالت اللهم اني أشكو اليك شدة
وحدتي وما شق علي من فراقه ومنزل بي ومصيبتي * قالت عائشة رضي الله
عنها فلقد بكيت وبكى من كان في البيت رحمة لها ورقة عليها * وفي لفظ قالت
يارسول الله ان زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا ذات مال وأهل فلما أكل مالي
وذهب شبابي ونقصت بطني وتفرق أهلي ظاهر مني فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما أراك الا قد حرمت عليه فبكت وصاحت وقالت أشكو الى الله
فقري ووحدتي وصبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وصارت
ترفع رأسها الى السماء * فبينما هو صلى الله عليه وسلم قد فرغ من شق رأسه
وأخذ في الشق الآخر أنزل الله الآية فسري عنه وهو يتبسم فقال صلى الله عليه
وسلم مريه فليحرر رقبة فقالت والله ماله خادم غيري قال مريه فليصم شهرين
متتابعين فقالت والله انه لشيخ كبير انه ان لم يأكل في اليوم مرتين يسدر بصره أي
لو كان مبصرا فلا ينافي ما تقدم أنه كان فاقد البصر قال فليطعم ستين مسكينا فقالت
والله مالنا اليوم وقية فقال مريه فلينطلق الى فلان يعني شخصا من الانصار اخبرني
ان عنده شطر وسق من تمر يريد أن يتصدق به فليأخذه منه وفي رواية مريه فليأت
أم المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسق من تمر فليتصدق به على ستين مسكينا
وليراجعك ثم أتته فقصت عليه القصة فانطلق ففعل * أي وفي لفظ قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانا سأعينه بفرق من تمر فبكت وقالت وأنا يارسول الله
سأعينه بفرق آخر قال قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي
بابن عمك خيرا * وفي رواية لما قال لها صلى الله عليه وسلم ما أعلم الا قد حرمت
عليه قالت لها عائشة رضي الله عنها وراءك فتنحت فلما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم
الوحي وسري عنه قال يا عائشة أين المرأة قالت ها هي هذه قال ادعيها فدعوتها
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اذهبي فجيئي بزوجك فذهبت فجاءت به وأدخلته

على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو ضرير البصر فقير سيء الخلق فقال له صلى الله عليه وسلم أتجد رقبة قال لا * وفي لفظ قال مالي بهذا من قدرة قال أتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال والذي بعثك بالحق اني اذا لم آكل في اليوم مرتين كل بصري أي لو كان موجودا قال أفتستطيع أن تطعم ستين مسكينا قال لا الا أن تعينني بها فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفر عنه * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه مكتلا يأخذ خمسة عشر صاعا فقال أطعمه ستين مسكينا * قال بعضهم وكانوا يرون أن عند أوس رضي الله عنه مثلها حتى يكون لكل مسكين نصف صاع وفيه انه خلاف الروايات أنه لا يملك شيأ فقال على أفقر مني فوالذي بعثك بالحق ما بين لابتيها أهل بيت أحوج اليه مني فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اذهب به الى أهلك * وهذا أول ظهار وقع في الاسلام ومر عمر رضي الله عنه بخولة هذه في أيام خلافته فقالت له قف يا عمر فوقف لها ودنا منها وأصغى اليها وأطالت الوقوف وأغلظت له القول أي قالت له هيهات يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرا وأنت في سوق عكاظ ترعى القيان بعصاك فلم تذهب الايام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الايام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية * واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشي الفوت * فقال لها الجارود قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه دعها * وفي رواية فقال له قائل حبست الناس لاجل هذه العجوز قال ويحك وتدري من هذه قال لا قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني الى الليل ما انصرفت حتى تنقضي حاجتها قيل وفي هذه السنة التي هي سنة ست حرمت الخمر * وبه جزم الحافظ الدمياطي وقيل حرمت سنة أربع * أي ويدل له ما تقدم من اراقة الخمر وكسر جررها في بني قريظة * وقيل في السنة الثالثة وقيل انما حرمت في عام الفتح * قال بعضهم حرمت ثلاث مرات أي نزل تحريمها ثلاث مرات كان المسلمون يشربونها حلالا أي لغيره صلى الله عليه وسلم أما هو فحرمت عليه قبل البعثة بعشرين سنة فلم تبح له قط وقد جاء أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الاصنام شرب الخمر * وتقدم ان جماعة حرموها على أنفسهم وامتنعوا من شربها ولا زالت حلالا للناس حتى نزل قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس فعند ذلك اجتنبها قوم لوجود الاثم وتعاطاها آخرون لوجود النفع * أي وكانوا يشربونها وصلوا فلما نزل قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى امتنع من كان يشربها

لاجل النفع من شربها في أوقات الصلاة * ورجع قوم منهم عن شربها حتى في غير أوقات الصلاة وقالوا الاخير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة وسبب نزول هذه الآية ماجاء عن علي كرم الله وجهه قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما أي وشرابا من الخمر فأكلنا وشربنا فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة أي الجهرية وقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون الى أن قلت ولي دين ولكم دين ثم نزلت الآية الاخرى الدالة على تحريمها مطلقا وهي انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون الى قوله فهل أنتم منتهون أي ولعل هذه الآية الاخيرة هي التي عناها أنس رضي الله عنه بقوله كما في البخاري كنت ساقي القوم الخمر بمنزل أبي طلحة أي وهو زوج أمه رضي الله عنهم ونزل تحريم الخمر فرمناد ينادي الا ان الخمر قد حرمت * فقال أبو طلحة أخرج فانظر ما هذا الصوت قال فخرجت فقلت هذا مناد ينادي الا ان الخمر قد حرمت فقال لي اذهب فأهرقها فقال بعض القوم قتل قوم أي في أحد وهي في بطونهم * وفي رواية قالوا يا رسول الله كيف بمن مات من أصحابنا وكان شربها فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أي لان ذلك كان قبل تحريمها مطلقا * وقد جيء لعمر رضي الله عنه بشخص من المهاجرين الاولين قد سكر فأراد عمر جلده فاستدل على عمر بهذه الآية فقال عمر لمن حضره ألا تردون عليه فقال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية نزلت عذرا للماضين وحجة على الباقين ثم استشار عمر رضي الله عنه عليا كرم الله وجهه فأشار عليه أن يجلده ثمانين جلدة * ولعل هذا الشخص هو قدامة بن مظعون وتقدمت قصته في بدر وتقدم في ذلك ان الذي رد عليه بذلك عمر لا ابن عباس رضي الله عنهم وكذا وقع لابي جندل رضي الله عنه مثل ذلك وأنه أشفق أي خاف من ذلك فلما بلغ عمر رضي الله عنه كتب اليه ان الذي زين اليك الخطيئة هو الذي حظر أي منع عليك التوبة بسم الله الرحمن الرحيم

*(غزوة خيبر)

* على وزن جعفر سميت باسم رجل من العماليق نزلها يقال له خيبر وهو أخو يثرب أي الذي سميت باسمه المدينة كما تقدم * وفي كلام بعضهم الخيبر بلسان اليهود الحصن ومن ثم قيل لها خيابر لاشتمالها على الحصون وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة ثمانية برد كما في سيرة الحافظ الدمياطي ومعلوم أن البريد أربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال * ولما رجع

رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية أقام شهرا وبعض شهر أي ذي الحجة ختام سنة ست وأقام من المحرم افتتاح سنة سبع أياما قيل عشرين يوما أو قريبا من ذلك ثم خرج الى خيبر أي وهذا ما ذهب اليه الجمهور * ونقل عن الامام مالك رضي الله عنه ان خيبر كانت سنة ست واليه ذهب الامام بن حزم * وفي التعليقة للشيخ أبي حامد انها كانت سنة خمس * قال الحافظ بن حجر وهو وهم ولعله انتقل من الخندق الى خيبر * قال وقد استنفر صلى الله عليه وسلم من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاء المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال لا تخرجوا معي الا راغبين في الجهاد فأما الغنيمة فلا أي لا تعطوا منها شيأ ثم أمر مناديا ينادي بذلك فنادى به * قال أنس رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طلحة وهو زوج أم أنس كما تقدم حين أراد الخروج الى خيبر التمسوا الى غلاما من غلمانكم يخدمني فخرج أبو طلحة مردفي وانا غلام قد راهقت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل خدمته فسمعته كثيرا ما يقول اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال انتهى * أقول وهذا السياق يدل على ان أول خدمة أنس رضي الله عنه حينئذ وهو يخالف ما سبق ان عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه وقالت هذا ابني وهو غلام كيس وكان عمره عشر سنين وقيل تسع سنين وقيل ثمان سنين ففي مسلم عن أنس قال جاءت بي أمي أم أنس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت يا رسول الله هذا أنيس ابنك أتيتك به ليخدمك فادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده * وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم انما قال لابي طلحة ما ذكر رجاء أن يأتي له بمن هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس ومن ثم لم يخرجه صلى الله عليه وسلم معه وفيه أنه خرج معه في بدر فقد جاء أنه قيل لانس رضي الله عنه أشهدت بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أم لك وأين غبت عن بدر * وقد يقال جاز أن يكون عرض لانس رضي الله عنه حين خروجه صلى الله عليه وسلم الى خيبر ما يقتضي الشفقة عليه في عدم اخراجه معه والله أعلم واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة نميلة وقيل سباع بن عرفطة أي وصح وكان الله وعده وهو بالحديبية أي عند منصرفه منها في سورة الفتح بمغانم بقوله وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها أي مغانم خيبر وخرج معه صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة رضي الله عنها وقال صلى الله عليه وسلم في سيره لعامر بن الاكوع عم سلمة بن الاكوع رضي الله

عنهما

عنهم ما انزل فحدثنا من هناتك وفي رواية من هنيهاتك و في لفظ من هنياتك بقلب الهاء الثانية ياء أي من أراجيزك وأشعارك * وفي لفظ انزل فحرك بنا الركاب فقال يا رسول الله قد تولى قولي أي الشعر فقال له عمر رضي الله عنه اسمع وأطع فنزل يرتجز بقوله رضي الله عنه

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

الابيات وفي مسلم * اللهم لولا أنت ما اهتدينا

قيل وصوابه في الوزن لاهم أو يالله أو والله لكن في تلك الابيات فاغفر فداك ما اقتفينا أي اغفر ما اكتسبنا وأصل الاقتفاء الاتباع وفي خطاب الباري عز وجل بفداك ما لا ينبغي لانه لا يقال للباري عز وجل فديتك لان ذلك انما يستعمل في مكروه متوقع حلوله بالمفدى بالفتح فيجعل المفدى بالكسر نفسه فداء له من ذلك فيبذل نفسه عن نفسه * وأجيب عن ذلك بأن الشاعر لم يرد ذلك بل أراد أن يبذل نفسه في رضاه سبحانه وتعالى وعند انشاد الابيات المذكورة قال له النبي صلى الله عليه وسلم يرحمك ربك فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه والله وجبت أي الشهادة يا رسول الله لولا أي هلا أمتعتنا به أي أبقيته لنا لنتمتع به ومنه أمتعني الله ببقائك أي هلا أخرت الدعاء له بذلك الى وقت آخر لانه صلى الله عليه وسلم ما قال ذلك لاحد في مثل هذا الموطن الا واستشهد * وفي لفظ أن القائل له أسمعنا رجل من القوم قال الحافظ بن حجر لم أقف على اسمه صريحا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعه قال من هذا السائق قالوا عامر قال صلى الله عليه وسلم يرحمه الله فقتل في هذه الغزاة رجع اليه سيفه فقتله فانه أراد أن يضرب به ساق يهودي فجاءت ذبابته في ركبته فمات من ذلك رضي الله عنه فقال الناس قتله سلاحه * وفي رواية قتل نفسه أي فليس بشهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لشهيد وصلى عليه صلى الله عليه وسلم والمسلمون * وفي رواية قال سلمة بن الاكوع يا رسول الله فداك أبي وأمي زعموا أن أخي عامرا حبط عمله * وفي لفظ يزعم أسيد بن حضير وجماعة من أصحابك ان عامرا حبط عمله اذ قتل بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب من قال أي أخطأ في قوله وان له أجرين وجمع بين أصبعيه * وفي رواية انه لشهيد وفي لفظ انه لجاهد مجاهد وفي لفظ مات جاهدا مجاهدا والجاهد الجاد في أمره فلما قام بوصفين كان له أجران * وقيل هو من باب جاد مجد وشعر شاعر فهو تأكيد وكون عامر اخا سلمة هو خلاف ما تقدم أنه عمه وهو الصحيح المشهور * قال في النور ويمكن الجمع بأن

يكون عمه من النسب وأخاه من الرضاعة أي وحينئذ يكون هذا محل قول ابن الجوزي رحمه الله من الاخوة الذين حدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامر وسلمة ابنا الاكوع وفي فتح الباري عن بعض الصحابة فلما وصلنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب

اذا الحروب أقبلت تلتهب

فبرز له عامر رضي الله عنه يقول

قد علمت خيبر أني عامر * شاكي السلاح بطل مغامر

* فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر رضي الله عنه فذهب عامر يسفل لمرحب أي يضربه من أسفل فعاد سيفه على نفسه أي أصاب عين ركبة عامر فمات من ذلك الحديث وكون عامر ارتجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي حدا به لا ينافي ما جاء أن البراء بن مالك كان حسن الصوت وكان يرتجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أسفاره لان المراد في غالب أو في بعض أسفاره كما صرحت به بعض الروايات * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال له أي البراء اياك والقوارير وهو يدل على أنه كان يرتجز لنسائه صلى الله عليه وسلم وهو يخالف أن البراء كان حادي الرجال وأنجشة حادي النساء الا أن يقال جاز أن يكون البراء حدا للنساء في بعض الاسفار أو في بعض الاحيان وأنجشة كان في الغالب * قال بعضهم كان أنجشة رضي الله عنه عبدا أسود وكان حسن الصوت بالحدا اذا حدا أعنقت الابل أي سارت العنق وأسرعت فلما حدا بامهات المؤمنين قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنجشة رويدك رفقا بالقوارير * ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر وكان وقت الصبح قال لاصحابه رضي الله عنهم قفوا ثم قال أي في لفظ قال لهم قولوا اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله أي وفي لفظ ادخلوا على بركة الله وكان صلى الله عليه وسلم يقولها لكل قرية دخلها * أي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم أي ارفقوا بأنفسكم لا تبالغوا في رفع أصواتكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم * قال عبد الله بن قيس رضي

الله عنه وكنت خلف دابته صلى الله عليه وسلم فسمعني أقول لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم فقال يا عبد الله بن قيس قلت لبيك يارسول الله قال ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة قلت بلى يارسول الله فداك أبي وأمي قال لاحول ولاقوة الا بالله ويحتاج الى الجمع بين هذا وبين أمره صلى الله عليه وسلم بأن أصحابه يرفعون أصواتهم بالتلبية ❊ وقد يقال المنهي عنه هنا الرفع الخارج عن العادة الذي ربما آذى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم أي ارفقوا بها كما تقدم فلا منافاة ولما أبصر صلى الله عليه وسلم عمالها وقد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم قالوا محمد والخميس أي الجيش العظيم معه قيل له الخميس لانه خمسة أقسام المقدمة والساقة والميمنة والميسرة وهما الجناحان والقلب وادبروا هرابا ❊ قال وذكر أنه كان بها عشرة آلاف مقاتل وأنهم كانوا لا يظنون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزوهم يخرجون ويصطفون صفوفا ثم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات ❊ وذكر أن عبد الله بن أبي بن سلول أرسل اليهم يخبرهم بأن محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم وادخلوا أموالكم حصونكم واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه أن عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم الا القليل فلما كانت الليلة التي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحتها بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فأصبحوا أي قاموا من نومهم وأفئدتهم تخفق وفتحوا حصونهم وغدوا الى أعمالهم معهم الفوس ❊ ويقال لها الكرازين والمساحي ومعهم المكاتل أي وهي القفف الكبيرة فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوا هاربين الى حصونهم انتهى ❊ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ❊ أي وبذلك استدل على جواز الاقتباس من القرآن وانما قال صلى الله عليه وسلم خربت خيبر لانه لما رأى آلة الهدم التي هي الفوس والمساحي فقال صلى الله عليه وسلم بأن حصونهم ستخرب أو أخذ ذلك من اسمها أو أن ذلك دعا بلفظ الخبر ❊ قال الامام النووي رحمه الله والاصح أنه أعلمه الله بذلك ويوافقه ما في فتح الباري ❊ ويحتمل أن يكون قال ذلك بطريق الوحي ❊ ويؤيده قوله انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين أي لانه نزل بساحتهم وهي في الاصل الفضاء بين الابنية ❊ وابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم بحصون النطاة قبل حصون الشق وقيل بحصون الكتيبة وجمعوا المقاتلة في حصون النطاة فجاءه صلى الله عليه وسلم الحباب بن المنذر رضي الله عنه فقال يارسول الله انك نزلت منزلك هذا فان كان من أمر أمرت به فلا نتكلم وان كان

الرأى تكلمنا فقال يارسول الله ان أهل النطاة لى بهم معرفة ليس قوم أبعد سهم منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن من بياتهم يدخلون فى حمرة النخل أى النخل المجتمع بعضه على بعض تحول يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأى اذا أمسينا ان شاء الله تحولنا * ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة رضى الله عنه فقال انظر لنا منزلا بعيدا فطاف محمد رضى الله عنه وقال يارسول الله وجدت لك منزلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بركة الله وتحول لما أمسى * وأمر الناس بالتحول * أى وفى لفظ أن راحلته صلى الله عليه وسلم قامت تجر بزمامها فأدركت لترد فقال دعوها فانها مأمورة فلما انتهت الى موضع من الصخرة بركت عندها فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة وتحول الناس اليها واتخذوا ذلك الموضع معسكرا وفى الاصل أنه نزل بذلك ليحول بين أهل خيبر وبين غطفان لانهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقد يقال لا مخالفة بين هذه الروايات الثلاثة فليتأمل وابتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك مسجدا صلى به طول مقامه بخيبر أى وأمر صلى الله عليه وسلم بقطع نخيل أهل حصون النطاة فوقع المسلمون فى قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها * قال قيل وقاتل صلى الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب وفى يده قناة وترس * وما قيل انه صلى الله عليه وسلم يوم خيبر كان على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته اكاف من ليف أى ففى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على حمار وهو متوجه الى خيبر جاز أن يكون ركب ذلك الحمار فى الطريق وحال القتال ركب ذلك الفرس انتهى * أقول يرشد الى هذا الجمع قوله متوجه الى خيبر * وظاهر هذا الكلام أنه صلى الله عليه وسلم باشر القتال بنفسه وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم لم يباشر القتال بنفسه الا فى أحد ويبعد أن يكون باشر القتال بنفسه ولم يقتل أحدا اذ لو قتل أحدا لذكر لانه مما تتوفر الدواعى الى نقله * وقد يكون المراد بقولهم وقاتل صلى الله عليه وسلم أى قاتل جيشه ويدل لذلك ما فى الامتاع وألح على حصن ناعم أى وهو من حصون النطاة بالرمى ويهود تقاتل ورسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس يقال له الظرب وعليه درعان ومغفر وبيضة وفى يده قناة وترس وقد دفع صلى الله عليه وسلم لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيأ فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيأ وخرجت كتائب اليهود يقدمهم ياسر فكشف الانصار حتى

انتهى

انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في موقفه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى مهموما والله أعلم وفي ذلك قتل محمود بن مسلمة أخو محمد ابن مسلمة رضي الله عنه ما برحى ألقيت عليه من ذلك الحصن أي ألقاها عليه مرحب وقيل كنانة بن الربيع وقد يجمع بأنهما اجتمعا على ذلك وسيأتي ما يدل على أن قاتله غيرهما * وقد يقال لا مانع من أن يكونوا أي الثلاثة تجمعوا على قتله أي فان محمود بن مسلمة رضي الله عنه كان قد حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح وكان الحر شديدا فانحاز الى ظل ذلك الحصن فألقي عليه حجر الرحا فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه أي وندرت عينه فأدركه المسلمون فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فسوى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فمات رضي الله عنه من شدة الجراحة وجاء أخوه محمد بن مسلمة رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اليهود قتلوا أخي محمود بن مسلمة فقال صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به منهم فاذا لقيتموه فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تقتلهم أنت ثم الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا اهـ أي وفي سياق بعضهم ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم مكث سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة رضي الله عنه للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان فاذا أمسى رجع صلى الله عليه وسلم الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوي جرحه وكان صلى الله عليه وسلم يناوب بين أصحابه في حراسة الليل فلما كانت تلك الليلة السادسة من السبع استعمل صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه فطاف عمر بأصحابه حول العسكر وفرقهم فأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر به عمر رضي الله عنه أن يضرب عنقه فقال اذهب بي الى نبيكم حتى أكلمه فأمسك عنه وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يصلي فسمع صلى الله عليه وسلم عمر فسلم وأدخله عليه فدخل باليهودي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك فقال تؤمني يا أبا القاسم فقال نعم قال خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة قال فأين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤن للقتال ولعل المراد ما بقي من ذراريهم فلا ينافي ما تقدم من أنهم أدخلوا أموالهم وعيالهم في حصون الكتيبة أو أن ذلك المخبر أخبر بحسب ما فهم أنهم يجعلون ذراريهم في الشق والحال أنهم انما يذهبون ليجعلوا ذراريهم في حصون الكتيبة فليتأمل * وفي هذا الحصن الذي هو حصن

الصعب من حصون النطاة في بيت فيه تحت الارض منجنيق وذبابات ودروع وسيوف فاذا دخلت الحصن غدا وأنت تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله قال اليهودي ان شاء الله أوقفتك عليه فانه لا يعرفه غيري وأخرى قيل ماهي قال يستخرج المنجنيق وينصب على الشق ويدخل الرجال تحت الذبابات فيحفروا الحصن فتفتحه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ثم قال يا أبا القاسم احقن دمي قال أنت آمن قال ولي زوجة فهبها لي قال هي لك ثم دعاه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقال أنظرني أياما ثم قال صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه لاعطين الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبانه * وفي لفظ فقال صلى الله عليه وسلم لادفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله لا يولي الدبر يفتح الله عز وجل على يده فيمكنه الله من قاتل أخيك وعند ذلك لم يكن من الصحابة رضي الله عنهم له منزلة عند النبي صلى الله عليه وسلم الا يرجو ان يعطاها * وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال ما أحببت الامارة الا ذلك اليوم ولعل ذلك لا ينافي ما جاء أن وفد ثقيف لما جاؤه صلى الله عليه وسلم قال لهم تسلمن أو أبعثن اليكم رجلا مني * وفي رواية مثل نفسي فليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم وليأخذن أموالكم * قال عمر رضي الله عنه فوالله ما تمنيت الامارة الا يومئذ وجعلت أنصب صدري له صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول هو هذا فالتفت صلى الله عليه وسلم الى علي كرم الله وجهه فأخذ بيده وقال هو هذا هو هذا * وقد يقال لا يلزم من محبة الشيء تمنيه بخلاف العكس ففي هذه الغزاة أحب الامارة وما تمناها لان الوصف في ذلك أبلغ من الوصف هنا فليتأمل * ويروى أن عليا كرم الله وجهه لما بلغه مقالته صلى الله عليه وسلم أي في خيبر قال اللهم لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت فبعث صلى الله عليه وسلم الى علي كرم الله وجهه وكان أرمد شديد الرمد أي وكان قد تخلف في المدينة ثم لحق بالقوم أي فقيل له انه يشتكي عينيه فقال صلى الله عليه وسلم من يأتيني به فذهب اليه سلمة بن الاكوع رضي الله عنه وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبي صلى الله عليه وسلم قد عصب عينيه فعقد له صلى الله عليه وسلم اللواء أي لواءه الابيض * فعن ابن اسحاق وابن سعد لم تكن الرايات الا يوم خيبر أي فانه صلى الله عليه وسلم فرق الرايات يومئذ بين أبي بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضي الله عنهم * وانما كانت الالوية وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء من برد لعائشة رضي الله عنها تدعى العقاب * وفي كلام المقريزي لما ذكر رتب الرياسة في الجاهلية ذكر أن

العقاب كان فى الجاهلية راية تكون لرئيس الحرب * وجاء الاسلام وهى عند أبى سفيان وجاء الاسلام والسدانة واللواء عند عثمان بن أبى طلحة من بنى عبد الدار * وفى سيرة الحافظ الدمياطى رحمه الله وكانت له صلى الله عليه وسلم راية سوداء مربعة من نمرة مخملة يقال لها العقاب وكان له راية صفراء ولواؤه أبيض دفعه الى على كرم الله وجهه وفيه أن ذلك اللواء يقال له العقاب وفى سيرة الدمياطى رحمه الله وكانت رايته صلى الله عليه وسلم بيضاء وربما جعل فيها الاسود ولعل السواد كان كتابة فى ذلك العلم ولعل هذا اللواء الذى فيه الاسود هو المعنى بما جاء فى بعض الروايات كان له صلى الله عليه وسلم لواء أبيض مكتوب فيه لا اله الا الله أى بالسواد ولعله محمل قول بعضهم كان له صلى الله عليه وسلم لواء أغبر وربما كان من خز بعض نسائه فقال على كرم الله وجهه يا رسول الله انى أرمد كما ترى لا ابصر موضع قدمى فتفل صلى الله عليه وسلم وفى لفظ بصق فى عينه أى بعد ان وضع رأسه فى حجره وفى لفظ فتفل فى كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع * قال على رضى الله عنه فما رمدت بعد يومئذ وفى لفظ فما رمدت ولا صدعت وفى لفظ فما اشتكيتهما حتى الساعة وفى هذا السياق لطيفة وهى أن من طلب شيأ أو تعرض لطلبه يحرمه غالبا وأن من لم يطلب الشىء ولا يتعرض لطلبه ربما وصل اليه * وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله فى ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه ذلك أخر عنه سنة أى وبعد السنة دعاه الملك وتوجه ورداه وقلده بسيفه وأمر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب له عليه حلة من استبرق وفوض اليه أمر مصر * وقد قيل لو وقعت قلنسوة من السماء لا تقع على رأس من يريدها زاد فى رواية عن على كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله اللهم اكفه الحر والبرد * قال على كرم الله وجهه فما وجدت بعد ذلك لا حرا ولا بردا أى فكان يلبس فى الحر الشديد القباء المحشو الثخين ويلبس فى البرد الشديد الثوبين الخفيفين * وفى لفظ الثوب الخفيف فلا يبالى بالبرد وقد يخالف ذلك ما حكاه بعضهم قال دخل رجل على على كرم الله وجهه وهو يرعد تحت سمل قطيفة أى قطيفة خلقة فقال يا أمير المؤمنين ان الله جعل لك فى هذا المال وأنت تصنع بنفسك هكذا فقال والله لا أرزأ كم من مالكم وأنها قطيفتى التى خرجت بها من المدينة * وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن تكون رعدته رضى الله عنه ليست من البرد خلاف ما ظنه السائل لجواز أن تكون لحمى اصابته فى ذلك الوقت وقد أشار الى التفل صاحب

الهمزية رضي الله تعالى عنه بقوله

وعلي لما تفلت لعينيه * وكلتاهما معا رمداء

فغدا ناظرا بعيني عقاب * في غزاة لها العقاب لواء

* وفي قوله صلى الله عليه وسلم لادفعن الرايه اطلاق الراية على اللواء ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه خذ هذه الراية وتقدم أن الراية يطلق عليها اللواء هذا وفي كلام بعضهم أن أبا سفيان رضي الله عنه كانت اليه الراية المعروفة بالعقاب التي كان لا يحبسها الا رئيس اذا حميت الحرب هذا كلامه فلعل تسمية رايته صلى الله عليه وسلم بالعقاب لكونها كذلك * فقال علي كرم الله وجهه على م أقاتلهم يارسول الله قال ان يشهدوا أن لا اله الا الله وأني رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم * وفي رواية لما أعطاه صلى الله عليه وسلم الراية قال له أمش ولا تلتفت فسار شيأ ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يارسول الله على م أقاتل الناس قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى أي حساب بواطنهم وسرائرهم على الله لانه المطلع وحده على مافيها من ايمان خالص أو نفاق وكفر زاد في رواية وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم أي تتصدق بها في سبيل الله وقد جعل صلى الله عليه وسلم عصمة الدم بالنطق بالشهادتين لكنه لا يقر من نطق بهما على ترك الصلاة ولا على ترك الزكاة ومن ثم قال له صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما يجب عليهم * وفي لفظ قال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك * أي وعن حذيفة رضي الله عنه لما تهيأ علي كرم الله وجهه يوم خيبر للحملة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلي والذي نفسي بيده ان معك من لا يخذلك هذا جبريل عليه السلام عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها فاستبشر بالرضوان والجنة ياعلي انك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطي الراية كل يوم واحدا من أصحابه ويبعثه فبعث أبا بكر رضي الله عنه فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الغداة برايته فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث رجلا من الانصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح فقال عليه الصلاة والسلام لاعطين الراية أي اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يده ليس بفار وفي لفظ كرار غير فرار فدعا عليا كرم الله وجهه وهو ارمد فتفل في عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى

يفتح الله عليك أي ودعا له ولمن معه بالنصر * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار أي الذي هو سيفه في وسطه وأعطاه الراية ووجهه الى الحصن فخرج علي كرم الله وجهه بها يهرول حتى ركزها تحت الحصن فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت قال علي بن أبي طالب فقال اليهودي علوتم وما أنزل على موسى ثم خرج اليه أهل الحصن وكان أول من خرج منهم اليه الحارث أخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانكشف المسلمون وثبت علي كرم الله وجهه فقتله علي وانهزم اليهود الى الحصن ثم خرج اليه مرحب فحمل مرحب عليه وضربه فطرح ترسه من يده فتناول علي كرم الله وجهه بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه من يده أي وراء ظهره ثمانين شبرا قال الراوي فجهدت أنا وسبعة نفر على أن نقلب ذلك الباب فلم نقدر وقال بعضهم في هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر قال وقيل ولم يقدر على حمله أربعون رجلا وقيل سبعون وفي رواية أن عليا كرم الله وجهه لما انتهى الى باب الحصن اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالارض فاجتمع عليه بعده سبعون رجلا فكان جهدا أن أعادوه مكانه وقيل حمل الباب على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ودخلوا الحصن * قال بعضهم وطرق حديث الباب كلها واهية * وفي بعضها قال الذهبي انه منكر * وفي الامتاع وزعم بعضهم أن حمل علي كرم الله وجهه الباب لا أصل له وانما يروى عن رعاع الناس وليس كذلك ثم ذكر جملة ممن خرجه من الحفاظ وجاء أن مرحبا لما رأى أن أخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن في سلاحه * أي وقد كان لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا وحجرا قد نقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة اسنان وهو يرتجز ويقول من أبيات

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب

* ومعنى شاكي السلاح تام السلاح ومعنى مجرب أي معروف بالشجاعة وقهر الفرسان ثم يقول هل من مبارز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا قال محمد ابن مسلمة رضي الله عنه أنا له يا رسول الله أنا الموتور أي الذي قتل له قتيل فلم يؤخذ بثاره الثائر قتل أخي بالامس قال صلى الله عليه وسلم فقم اليه اللهم أعنه عليه فقتله محمد بن مسلمة رضي الله عنه أي فان مرحبا حمل على محمد بن مسلمة فاتقاه بدرقته فوقع سيف مرحب فيها فعضت به وأمسكته فضربه محمد رضي الله عنه فقتله * ويدل لذلك قول الامام المزني رحمه الله في المختصر ان النبي صلى الله عليه وسلم

يوم خيبر نفل محمد بن مسلمة سلب مرحب سيفه ودرعه ومغفرته وبيضته ووجد على سيفه مكتوب هذا سيف مرحب من يصيبه يعطب * وقيل القاتل له على كرم الله وجهه وبه جزم مسلم رحمه الله فى صحيحه * قال بعضهم والاخبار متواترة به وقال ابن الاثير الصحيح الذى عليه أهل السير والحديث أن عليا كرم الله وجهه قاتله * وفى الاستيعاب والصحيح الذى عليه أكثر أهل السير والحديث أن عليا قاتله * ويروى ان عليا كرم الله وجهه ورضى عنه لما خرج اليه ارتجز بقوله

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * ضرغام جام وليث قسوره

* وقيل بدله كليث غابات كريه المنظرة أى فان أم على كرم الله وجهه سمته أسدا باسم أبيها وكان أبوه أبو طالب غائبا فلما قدم كره ذلك وسماه عليا أى ومن أسماء الاسد حيدره والحيدرة الغليظ القوى * وقيل لقب بذلك فى صغره لانه كان عظيم البطن ممتلئا لحما ومن كان كذلك يقال له حيدرة ويقال ان ذلك كان كشفا من على كرم الله وجهه فان مرحبا كان رأى فى تلك الليلة فى المنام أن أسدا افترسه فذكره على كرم الله وجهه بذلك ليخيفه ويضعف نفسه * ويروى أن عليا كرم الله وجهه ضرب مرحبا فتترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذى تحته والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ السيف فى الاضراس والى ذلك يشير بعضهم وقد أجاد بقوله

وشادن أبصرته مقبلا * فقلت من وجدى به مرحبا

قد فؤادى فى الهوى قده * قد على فى الوغى مرحبا

أى وقد يجمع بين كون القاتل لمرحب عليا كرم الله وجهه وكون القاتل له محمد بن مسلمة بأن محمد بن مسلمة أثبته أى بعد ان شق على كرم الله وجهه هامته لجواز أن يكون شق هامته ولم يثبته فأثبته محمد بن مسلمة ثم ان عليا كرم الله وجهه وقف عليه أى ويدل لذلك ما فى بعض السير عن الواقدى رحمه الله لما قطع محمد ابن مسلمة ساقى مرحب قال له مرحب اجهز على فقال لا ذق الموت كما ذاقه أخى ومر به على كرم الله وجهه فضرب عنقه وأخذ سلبه فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سلبه فقال محمد يا رسول الله ما قطعت رجليه وتركته الا ليذوق الموت وكنت قادرا ان أجهز عليه فقال على كرم الله وجهه صدق فأعطى سلبه لمحمد ابن مسلمة رضى الله عنه ولعل هذا كان بعد مبارزة عامر بن الاكوع لمرحب فلا ينافى ما مر عن فتح البارى ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر أى وهو يرتجز بقوله

قد علمت خيبر أنى ياسر * شاكى السلاح بطل مغادر

* وكان

* وكان أيضا من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم وهو يقول من يبارز فخرج له الزبير رضي الله عنه فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انه يقتل ابني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ابنك يقتله ان شاء الله فقتله الزبير رضي الله عنه * أي وعند ذلك قال له صلى الله عليه وسلم فداك عم وخال لكل نبي حواري وحواريي الزبير * وذكر الزمخشري أن هذه الواقعة للزبير كانت في بني قريظة حيث قال انه يعني الزبير رضي الله عنه أول من استحق السلب وكان ذلك في بني قريظة برز رجل من العدو فقال رجل ورجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب واحدي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما علا صاحبه فقتله فعلاه الزبير رضي الله عنه فقتله فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه وقال السلب للقاتل هذا كلامه فليتأمل فاني لم أقف في كلام أحد على أن بني قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة * وفي رواية ان القاتل لياسر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أي ويمكن الجمع بمثل ما تقدم وكان شعار المسلمين أمت أمت * وفي رواية يا منصور أمت أمت ومن جملة من قتل من المسلمين الاسود الراعي كان أجير الرجل من اليهود وكان عبدا حبشيا يسمى أسلم * أي وفي الامتاع اسمه يسار فجاء اليه صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر وقال يا رسول الله اعرض علي الاسلام فعرضه عليه فأسلم وفي رواية انه قال ان أسلمت فماذا لي قال الجنة فأسلم فلما أسلم قال يا رسول الله اني كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم فكيف أصنع بها وفي لفظ انها أمانة وهي للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم له اضرب في وجهها فانها سترجع الى ربها فقام الاسود فأخذ حفنة من حصباء فرمى بها في وجهها وقال ارجعي الى صاحبك فوالله لا أصحبك فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم رضي الله عنه الى ذلك الحصن فقاتل مع المسلمين فأصابه حجر * وفي رواية سهم غرب بفتح الراء والاضافة وبتسكين الراء بلا اضافة وهو من لا يعرف راميه فقتله ولم يسجد لله سجدة فأتي به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقال يا رسول الله لم أعرضت عنه فقال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان له ترب الله وجه من ترب وجهك وقتل من قتلك * زاد في لفظ لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام من نفسه حقا وفتح الله ذلك الحصن الذي هو حصن ناعم * وهو أول حصن فتح من حصون

النطاة على يد علي كرم الله وجهه أي * وعن عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير والتمر حتى فتحت دار قمة أي وهي أول دار فتحت بخيبر وهي بالنطاة وهي منزل ياسر أخي مرحب * وظاهر السياق أنها حصن ناعم * و يروى أن عليا كرم الله وجهه لما فتح الحصن أخذ الرجل الذي قتل أخا محمد بن مسلمة وسلمه اليه فقتله وتقدم أن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قتل مرحبا لكونه قاتل أخيه على ما تقدم وسيأتي أنه صلى الله عليه وسلم دفع كنانة لمحمد ليقتله بأخيه وهذا يؤيد ما تقدم من أن الثلاثة أي مرحب و كنانة وذلك الرجل الذي سلمه علي له اشتركوا في قتل أخي محمد بن مسلمة قال وأصاب المسلمون رضي الله عنهم مجاعة وأرسلت أسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بن حارثة وأمرته أن يقول له صلى الله عليه وسلم ان أسلم يقرؤك السلام و يقولون أجهدنا الجوع فلامهم رجل و قال من بين العرب تصنعون هذا فقال هند بن حارثة أخو أسماء والله اني أرجو أن يكون البعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير فجاءه صلى الله عليه وسلم أسماء و بلغه ما قالت أسلم فدعى لهم فقال اللهم انك قد عرفت حالهم وأن ليس بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم اياه وقال اللهم افتح أكثر الحصون طعاما وودكا ودفع اللواء للحباب ابن المنذر رضي الله عنه وندب الناس وكان من سلم من يهود حصن ناعم انتقل الى حصن الصعب من حصون النطاة ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم بعد أن أقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر حصن أكثر طعاما منه أي من شعير وتمر وودك أي من سمن وزيت وشحم وماشية ومتاع منه * ولا يخالف هذا ما تقدم عن عائشة في وصف حصن ناعم من قولها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخره وما تقدم من أنهم ادخلوا أموالهم حصون الكتيبة لانه يجوز أن يكون المراد بأموالهم النقود ونحوها دون ما ذكرناه وكان في هذا الحصن الذي هو حصن الصعب خمسمائة مقاتل وقبل فتحه خرج منه رجل يقال له يوشع مبارزا فخرج له الحباب بن المنذر رضي الله عنه فقتله وخرج آخر مبارزا يقال له الديال فبرز له عمارة بن عقبة الغفاري رضي الله عنه فضربه على هامته فقتله فقال له خذها وانا الغلام الغفاري فقال الناس حبط جهاده فقال له صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك يؤجر ويحمد أي وحملت يهود حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف قد نزل عن فرسه فثبت الحباب بن المنذر رضي الله عنه فحرض صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد فأقبلوا وزحف بهم الحباب رضي الله عنهم فانهزمت يهود وأغلقت

الحصون عليهم * ثم ان المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون فوجدوا فى ذلك الحصن من الشعير والتمر والسمن والعسل والسكر والزيت والودك شيأ كثيرا ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا واعلفوا ولا تحملوا أى لا تخرجوا به الى بلادكم * وهذا دليل لما ذهب اليه امامنا رضى الله عنه من ان للغانمين أخذ ما تعم الحاجة اليه من الطعام ومايؤكل غالبا من الفواكه وعلف الدواب من الغنيمة بدار الحرب اذا كان الجهاد بدار الحرب مما يباع ذلك فيه وليس لهم أخذ ماتندر الحاجة اليه كالفانيد والسكر ولا ينافى ذلك ماذكرهنا لانه يجوز أن يكون الاذن فى أكل مجموع ماذكر * وفى السيرة الهشامية عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال أصبت من فىء خيبر أى من غنيمتها جراب شحم فاحتملته على عنقى أريد رحلى فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها أى وهو أبو اليسر كعب بن عمرو ابن زيد الانصارى رضى الله عنه فأخذ بناصيته وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين فقلت والله لا أعطيكه فجعل يجاذبنى الجراب فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب المغانم لا أبا لك خل بينه وبينه فأرسله فانطلقت به الى رحلى واصحابى فأكلناه وفى الامتاع أنهم وجدوا لهذا الحصن الذى هو حصن الصعب آلة حرب دبابات ومنجنيقا * أى وذلك موافق لما تقدم عن ذلك الخبر له صلى الله عليه وسلم بان فى حصن فى بيت منه تحت الارض منجنيق ودبابات ودروع وسيوف ولعل وجود ذلك كان بدلالة ذلك الرجل عليه ولما فتح ذلك الحصن تحول من سلم من أهله الى حصن قلة وهو حصن بقلة جبل أى ويعبر عن هذا بقلة الزبير رضى الله عنه أى الذى صار فى سهم الزبير بعد ذلك وهو آخر حصون النطاة أى فحصون النطاة ثلاثة ناعم وحصن الصعب وحصن قلة فأقام المسلمون على حصار هذا الحصن الذى هو حصن قلة ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود وقال له صلى الله عليه وسلم يا أبا القاسم تؤمنى أن أدلك على ماتستريح به فانك لومكثت شهرا لاتقدر على فتح هذا الحصن فان به دبولا وهى الانهر الصغيرة تحت الارض يخرجون ليلا فيشربون منها فان قطعت عنهم شربهم أهلكتهم فأمنه صلى الله عليه وسلم وسار الى دبولهم فقطعها فعند ذلك خرجوا وقاتلوا أشد القتال وفتح ذلك الحصن ثم سار المسلمون الى حصار الشق بفتح الشين المعجمة وكسرها والفتح أعرف عند أهل اللغة فكان أول حصن بدأ به من حصنى الشق حصن أبى فقاتل أهله قتالا شديدا وخرج رجل منهم يقال له غزوال يدعو الى البراز فبرز له الحباب رضى الله عنه وحمل عليه فقطع يده اليمين ونصف الذراع

فبادر راجعا منهزما الى الحصن فتبعه الحباب فقطع عرقوبه فوقع فذفف عليه فخرج آخر مبارزا فخرج له رجل من المسلمين فقتل ذلك الرجل وقام مكانه يدعو للبراز فخرج له أبو دجانة رضى الله عنه فضربه أبو دجانة رضى الله عنه فقطع رجله ثم ذفف عليه * وعند ذلك أحجمت يهود عن البراز فكبر المسلمون وتحاملوا على الحصن ودخلوه يقدمهم أبو دجانة رضى الله عنه فوجدوا فيه أثاثا ومتاعا وغنما وطعاما وهرب من كان فيه ولحق بحصن يقال له حصن البراء وهو الحصن الثانى من حصنى الشق فتمنعوا به أشد التمنع وكان أهله أشد رميا للمسلمين بالنبل والحجارة حتى أصاب النبل بثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلقت به فأخذلهم صلى الله عليه وسلم كفا من حصباء فحصب به ذلك الحصن فرجف بهم ثم ساخ فى الارض وأخذ المسلمون من فيه أخذا أى فحصون الشق اثنان حصن أبى وحصن البراء وحينئذ يتأمل فى قول الحافظ الدمياطى فى سيرته والشق وبه حصون منها حصن أبى وحصن البراء * أقول وفى الامتاع انهم وجدوا فى حصن الصعب الذى هو أحد حصون النطاة منجنيقا أى كما أخبر بذلك اليهودى الذى جاء به عمر رضى الله عنه وأدخله عليه صلى الله عليه وسلم وأمنه كما تقدم وانهم نصبوا المنجنيق الذى وجدوه فى حصن الصعب على هذا الحصن الذى هو حصن البراء من حصون الشق * أى وهو يخالف قول بعضهم لم ينصب المنجنيق الا فى غزوة الطائف * الا أن يقال يجوز أن يكون المراد بعدم نصبه انه لم يرم به الا فى غزوة الطائف * وأما هنا فنصب لم يرم به فلا مخالفة ووجدوا فى هذا الحصن آنية من نحاس وفخار كانت اليهود تأكل فيها وتشرب فقال صلى الله عليه وسلم اغسلوها واطبخوا وكلوا فيها واشربوا وحكمة تسخين الماء لانه فى وهى أن الماء الحار أنوى فى النظافة واخراج الدسومة والله أعلم ثم ان المسلمين لما أخذوا حصون النطاة وحصون الشق انهزم من سلم من يهود تلك الحصون الى حصون الكتيبة وهى ثلاثة حصون القموص كصبور واوطيح وسلالم بضم السين المهملة * وكان أعظم حصون خيبر القموص وكان منيعا حاصره المسلمون عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد على كرم الله وجهه ومنه سبيت صفية رضى الله عنها كما قاله الحافظ بن حجر * قال وقيل كان اسمها قبل أن تسبى زينب فلما صارت من الصفى سميت صفية والصفى ما كان يصطفيه صلى الله عليه وسلم لنفسه من الغنيمة قبل أن تقسم على ما تقدم وكان فى الجاهلية لامير الجيش ربع الغنيمة * ومن ثم قيل له المرباع * قال السهيلى رحمه الله كانت أموال النبى صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه من الصفى والهدية

وخمس الخمس هذا كلامه ولا يخفى أنه يزاد على ذلك الفيء وانتهى المسلمون الى حصار الوطيح بالحاء المهملة مأخوذ من الوطح وهو في الاصل ما تعلق بمخالب الطير من الطين سمي الوطيح باسم الوطيح بن مازن رجل من ثمود وحصن سلالم ✽ ويقال له السلاليم وهو حصن بني الحقيق آخر حصون خيبر ومكثوا على احصارهما أربعة عشر يوما فلم يخرج أحد منهما فهم صلى الله عليه وسلم أن يجعل عليهم أي على من فيهما المنجنيق أي ينصبه عليهم ولم يرم به ✽ فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم وأن لا يصحب واحد منهم الا ثوب واحد على ظهره ✽ وفي لفظ وتركوا مالهم من مال وأرض من الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة والبز الا ثوبا واحدا فصالحهم على ذلك وعلى أن ذمة الله ورسوله بريئة منهم أن يكتموه شيأ من متاعهم يسألهم عنه ✽ فعلم ان حصون خيبر فتحت عنوة الا الحصنين المذكورين وهما الوطيح وسلالم فانهما لم يفتحا عنوة بل صلحا فكانا فيأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على أنهم لم يقاتلوا في حال حصارهم لان الفيء ما جلوا عنه من غير مقاتلة كذا قيل وظاهر اطلاق قول الروضة من الفيء ما صولح عليه أهل بلده من الكفار انه وان كان بعد محاصرتهم ومقاتلتهم للمسلمين في حال حصارهم برمي الحجارة أو النبل ✽ وفي فتح الباري نقلا عن ابن عبد البر أنه جزم بأن حصون خيبر فتحت عنوة وانما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين الذين أسلمهما أهلهما لحقن دمائهم وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك الا بحصار وقتال هذا كلامه فليتأمل فان بالقتال يخرج عن كونه فيأ ولعل المراد قتال بالنبل ورمي بالحجارة والا فقد تقدم أنه لم يخرج منهما أحد للمقاتلة فليتأمل فان كلامه يقتضي ان بالحصار وبالقتال بنحو النبل يخرج ذلك عن كونه فيأ له صلى الله عليه وسلم ويكون غنيمة ولعله مذهب المالكية الذي هو مذهب بن عبد البر رحمه الله تعالى ✽ وفي الاصل عن ابن شهاب رحمه الله أنه قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال وترك من ترك من أهلها على الجلاء بعد القتال في حال حصارهم ✽ وسيأتي ما يصرح بأن ما جلوا عنه فيء لا غنيمة ووجدوا في الحصنين المذكورين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها ✽ أي ووجدوا في اثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فأمر صلى الله عليه وسلم بدفعها اليهم وهو يخالف ما قاله أئمتنا ان كتبهم التي يحرم الانتفاع بها لكونها

مبدلة تمحى أن أمكن أو تمزق وتجعل في الغنيمة فتباع * الآن يدعى أن تلك الصحف لم تكن مبدلة وغيبوا الجلد الذى كان فيه حلى بنى النضير أى وعقود الدر والجوهر الذى جلوا به لانهم لما جلوا كان سلام بن مشكم أبى الحقيق رافعاً له للمراء الناس وهو يقول بأعلى صوته هذا أعددناه لرفع الارض وخفضها كما تقدم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعية بن عمرو أى وهو عم حيي بن أخطب *وفي لفظ سعية بن سلام بن أبى الحقيق وفي الامتاع وسأل صلى الله عليه وسلم كنانة بن أبى الحقيق أى مسك أى جلد حيي بن أخطب أى وانما نسب اليه الجلد المذكور فقيل كنز حيي لان حيي كان عظيم بنى النضير والا فهو لا يكون الا عند بنى الحقيق فقال اذهبته الحروب والنفقات فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سعية للزبير رضى الله عنه فمسه بعذاب فقال رأيت حييا يطوف في خربة ههنا فذهبوا الى الخربة ففتشوها فوجدوا ذلك الجلد * قال وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم أتى بكنانة وهو زوج صفية تزوجها بعد ان طلقها سلام بن مشكم وبالربيع أخوه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أين آنيتكما التى كنتم تعيرونها أهل مكة أى لان أعيان مكة اذا كان لاحدهم عرس يرسلون فيستعيرون من ذلك الحلى انتهى * أى والآنية والكنز عبارة عن حلى كان أولا في جلد شاة ثم كان لكثرته في جلد ثور ثم كان لكثرته في جلد بعير كما تقدم فقالا اذهبته النفقات والحروب فقال صلى الله عليه وسلم العهد قريب والمال أكثر من ذلك أنما كتمتمانى شيأ فاطلعت عليه استحللت دماءكما وذراريكما فقالا نعم فأخبره الله بموضع ذلك الحلى أى فانه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الانصار اذهب الى محل كذا وكذا ثم أئت لنخل فانظر نخلة عن يمينك أو قال عن يسارك مرفوعة فائتنى بما فيها فانطلق فجاء بالانية ويمكن الجمع بين هذا وما تقدم وما يأتى أنهم فتشوا عليه في خربة حتى وجدوه بأن التفتيش كان في أول الامر واعلام الله تعالى بذلك كان بعد فجىء به فقوم بعشرة آلاف دينار * أى لانه وجد فيه أساور ودمالج وخلاخيل واقرطه وخواتيم الذهب وعقود الجوهر والزمرد وعقود اظفار مجزع بالذهب فضرب اعناقهما وسبى أهلهما * أى وفي لفظ آخر لما فتحت خيبر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن أبى الربيع * وفي لفظ ابن ربيعة بن أبى الحقيق وكان عنده كنز بنى النضير فسأله صلى الله عليه وسلم عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال انى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة *أى فان كنانة

حين

حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم فتح حصين النطاة وتيقن ظهوره عليهم دفنه في خربة * أي وفيه أن هذا لا يناسب ما سبق من ان حييا كان يطيف بتلك الخربة الا أن يقال جاز أن يكون دفنه في تلك الخربة في محل آخر غير الذي دفنه فيه حيي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت ان وجدته عندك أقتلك قال نعم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقي فأبى أن يؤديه فأمر به الزبير رضي الله عنه فقال عذبه حتى نستأصل ما عنده فكان الزبير رضي الله عنه يقدح بزند أي بالزناد الذي يستخرج به النار على صدره حتى أشرف على نفسه وأخذ منه جواز العقوبة لملزم التهم ليقر بالحق فهو من السياسة الشرعية ثم دفعه صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه فضرب عنقه بأخيه محمود * أي ولا مانع أن يكون السؤال وتعذيب الزبير وقع لسعية وكنانة أيضا * وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم أي التي غنمت قبل الصلح فجمعت وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا منها صفية رضي الله عنها ابنت حيي بن أخطب من سبط هارون بن عمران أخي موسى عليهم الصلاة والسلام فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه وجعلها عند أم سليم التي هي أم أنس خادمه صلى الله عليه وسلم حتى اعتدت وأسلمت ثم أعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها وجعل عتقها صداقها أي أعتقها بلا عوض وتزوجها بلا مهر لا في الحال ولا في المآل أي لم يجعل لها شيأ غير العتق * وقد سئل أنس رضي الله عنه عن صفية فقيل له يا أبا حمزة ما أصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها * وهذا يرد ما استدل به فقهاؤنا على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم عدم جواز نكاح الامة وجواز وطئها بملك اليمين من أنه صلى الله عليه وسلم كان يطأ صفية قبل اسلامها بملك اليمين * ويرد أيضا على من استدل من فقهائنا على استحباب الوليمة للسرية بأنه صلى الله عليه وسلم أولم على صفية كما علمت انها زوجة لا سرية * أي لكن ذكر بعض فقهائنا أنه صلى الله عليه وسلم لما أولم على صفية رضي الله عنها قالوا ان لم يحجبها فهي أم ولد وان حجبها فهي امرأته وذلك دليل على استحباب الوليمة للسرية اذ لو اختصت بالزوجة لم يترددوا في كونها زوجة أو سرية وذلك بعد أن خيرها صلى الله عليه وسلم بين أن يعتقها فترجع الى من بقي من أهلها أو تسلم فيتخذها لنفسه فقالت اختار الله ورسوله * وذكر في الاصل ان جعل عتق الامة صداقها من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد ذكره الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى وذهب الامام أحمد رحمه الله الى عدم

الخصوصية * وقال بن حبان لم ينقل دليل على انه خاص به صلى الله عليه وسلم دون أمته * وقيل ان دحية الكلبي رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية فوهبها له وقيل وقعت في سهمه رضي الله عنه ثم ابتاعها صلى الله عليه وسلم منه بتسعة أرؤس * أي واطلاق الشراء في ذلك على سبيل المجاز على انه مخالف ما تقدم أنها من صفيه صلى الله عليه وسلم قبل القسمة وفي البخاري فجمع السبي فجاء دحية رضي الله عنه فقال يا نبي الله أعطني جارية من السبي فقال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك فقال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها أي فأخذ غيرها * أي والذي أخذها غيرها هي أخت كنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق زوج صفية كما في الام لامامنا الشافعي عن سير الواقدي وقول الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله أعطيت دحية صفية يدل على انها سميت وحينئذ يخالف ما قيل ان اسمها زينب فسماها صلى الله عليه وسلم صفية كما تقدم * وفي رواية ان صفية سبيت هي وبنت عم لها وان بلالا جاء بهما فمر على قتلى يهود فلما رأتهم بنت عم صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها صلى الله عليه وسلم قال أعزبوا عني هذه الشيطانة * وقال صلى الله عليه وسلم لبلال أنزعت منك الرحمة تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ثم دفع صلى الله عليه وسلم بنت عمها لدحية الكلبي رضي الله عنه * وفي رواية واعطى دحية بنتي عمها عوضا عنها * أي وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل بصفية رأى بأعلى عينها خضرة فقال ما هذه الخضرة قالت كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق تعني زوجها أي وهي عروس وأنا نائمة فرأيت كأن القمر وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطمني وقال تمني ملك العرب * وفي لفظ حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانت عروسا رأت كأن الشمس نزلت حتى وقعت على صدرها فقصت ذلك على زوجها قال والله ما تمنين الا هذا الملك الذي نزل بنا فلطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها * ولا مانع من تعدد الرؤية أو انها رأت الشمس والقمر في وقت واحد * وسيأتي في الكلام على زوجاته صلى الله عليه وسلم أنها قصت ذلك على أبيها ففعل بها ذلك وتقدم ان جويرية رضي الله عنها رأت القمر أيضا وقع في حجرها وكون صفية رضي الله عنها كانت عروسا عند مجيئه صلى الله عليه وسلم خيبر ربما يدل على ان سلام بن مشكم طلقها قبل الدخول بها فقد

تقدم

تقدم ان كنانة تزوج بها بعد ان طلقها سلام بن مشكم فليتأمل وعن صفية رضي الله عنها انها قالت انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من الناس أحد أكره الي منه قتل أبي و زوجي وقومي فقال صلى الله عليه وسلم يا صفية اما اني أعتذر اليك مما صنعت بقومك انهم قالوا لي كذا وكذا وقالوا في كذا * وفي رواية ان قومك صنعوا كذا وكذا وما زال صلى الله عليه وسلم يعتذر الي حتى ذهب ذلك من نفسي فما قمت من مقعدي ومن الناس أحد أحب الي منه صلى الله عليه وسلم * وأعرس بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان طهرت من الحيض في قبة بعد ان دفعها صلى الله عليه وسلم لام سليم لتصلح من شأنها * وبات تلك الليلة أبو أيوب الانصاري رضي الله عنه متوشحا سيفه يحرسه ويطوف بتلك القبة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى مكان أبي أيوب فقال مالك يا أبا أيوب قال يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة قتلت ابنها وزوجها وقومها وهي حديثة عهد بكفر فبت أحفظك فقال اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني * قال السهيلي رحمه الله فحرس الله أبا أيوب بهذه الدعوة حتى ان الروم لتحرس قبره ويستشفون به فيستصحون أي ويستسقون به فيسقون فانه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين فلما بلغوا القسطنطينية مات أبو أيوب رضي الله عنه هنالك فأوصى يزيد أن يدفنه في أقرب موضع من مدينة الروم فركب المسلمون ومشوا به حتى اذا لم يجدوا مكانا مساغا دفنوه فسألتهم الروم عن شأنهم فأخبرهم أنه كبير من أكابر المسلمين الصحابة فقالت الروم ليزيد ما أحمقك وأحمق من أرسلك أأمنت أن ننبشه بعدك فنحرق عظامه فحلف لهم يزيد لئن فعلوا ذلك ليهدمن كل كنيسة بأرض العرب وينبش قبورهم فحينئذ حلفوا له بدينهم ليكرمن قبره وليحرسنه ما استطاعوا * أي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما قطع ستة أميال من خيبر وأراد أن يعرس بها فأبت فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه * فلما سار ووصل الصهباء مال الى دومة هناك فطاوعته فقال لها ما حملك على اباءك حين أردت المنزل الاول قالت يا رسول الله خشيت عليك قرب يهود وهذا المحل الذي هو الصهباء هو الذي ردت فيه الشمس لعلي بعد ما غربت كما تقدم وأقام صلى الله عليه وسلم بذلك المحل ثلاثة أيام وجعل وليمتها حيسا في نطع صغير والحيس تمر واقط وسمن * أي ففي البخاري فأصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجيء به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الرجل يجيء بالسمن أي وجعل الرجل يجيء بالاقط * وذكر أيضا السويق ولا يخفى ان الحيس

خلط السمن والتمر والاقط الا انه قد يخلط مع هذه الثلاثة السويق * وهذا يدل على أن الوليمة على صفية رضي الله عنها كانت نهارا وذهب ابن الصلاح من أئمتنا الى أن الافضل فعلها ليلا * قال بعضهم وهو متجه ان ثبت أنه صلى الله عليه وسلم فعلها ليلا أي لاحد من نسائه * وقد جاء لا بد للعرس من وليمة * وقال لانس آذن لمن حولك أي ليأكلوا من ذلك الحيس وكان صلى الله عليه وسلم يضع لها ركبته الشريفة حتى تركب * وفي لفظ لما وضع صلى الله عليه وسلم ركبته لتركب عليها أبت أن تضع قدمها على ركبته الشريفة ووضعت فخذها على ركبته الشريفة * أي ولعل هذا الثاني منها كان في أول الامر فلا مخالفة * وعن صفية رضي الله عنها ما رأيت أحدا قط أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيته ركب بي في خيبر وأنا على عجز ناقته ليلا فجعلت أنعس فتضرب رأسي مؤخرة الرحل فيمسني بيده ويقول يا هذه مهلا ونهى صلى الله عليه وسلم عن اتيان الحبالى من النساء اللاتي سبين وان لا يصيب أحد امرأة من السبي غير حامل حتى يستبرئها أي تحيض * أي وفي لفظ أمر صلى الله عليه وسلم مناديه ينادي ان من آمن بالله واليوم الآخر لا يسق بمائه زرع الغير ولا يطأ امرأة حتى تنقضي عدتها أي حتى تحيض وبلغه صلى الله عليه وسلم عن شخص أنه ألم بامرأة من السبي حبلى فقال لقد هممت ان ألعنه لعنة تدخل معه في قبره ونهى صلى الله عليه وسلم عن أكل الثوم * ورأيت في كلام بعضهم ان غالب اقتياتهم في خيبر كان أكل الثوم والكراث حتى تقرحت اشداقهم أي وذلك قبل النهي * ثم رأيت في الترغيب والترهيب عن أبي ثعلبة أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فوجدوا في جنانها بصلا وثوما فأكلوا منه وهم جياع فلما راح الناس الى المسجد اذا ريح بصل وثوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربنا وليس في ذلك نهي عن أكل الثوم والبصل أي مطلقا انما النهي عن اتيان المسجد لمن أكلهما تأمل * ومن ثم جاء أنه لما قال ذلك صلى الله عليه وسلم قال الناس حرم ذلك فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ما قالوا قال أيها الناس انه ليس بي تحريم ما أحل الله ولكنها شجرة أكره ريحها * وعن فرقد السبخي ما أكل نبي قط ثوما ولا بصلا ونهى صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء ففي مسلم عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر * قال بعضهم والراجح أن النهي عن متعة النساء لم يكن في خيبر فانه شيء لم يعرفه أهل السير ولا رواه أهل الاثر * ويدل لذلك ما قيل أن ثنية الوداع انما سميت بذلك

لانهم فيها اودعوا النساء لا تى تمتعوا بهن فى خيبر * أى وغب كان تحريمها عام الفتح أى ولا معارضة لانه أحل بعد ذلك أى بعد خيبر فى عام الفتح ثم حرم فيه بعد ثلاثة أيام كما سيأتى * وقيل حرمت فى حجة الوداع وقيل فى غزوة أوطاس وهذا هو الصحيح وسيأتى فى غزوة الفتح الجمع بين هذه الاقوال * قال السهيلى رحمه الله وأغرب ماروى فى ذلك رواية من قال ان ذلك كان فى غزوة تبوك * وفى حديث خرجه أبوداود أن تحريم نكاح المتعة كان فى حجة الوداع * ومن قال من الرواة انه كان فى غزوة أوطاس فهو موافق لمن يقول انه كان عام الفتح هذا كلامه * وعن امامنا الشافعى رضى الله عنه لا أعلم شيأ حرم ثم أبيح ثم حرم الا المتعة أى فقد حرمت مرتين * ونقل السهيلى رحمه الله وغيره عن بعضهم أنها أبيحت وحرمت ثلاث مرات * وعن بعضهم أبيحت وحرمت أربع مرات ولينظر هذا مع قول بعضهم ان أول من حرم المتعة سيدنا عمر رضى الله عنه * وقيل لم يحرمها صلى الله عليه وسلم مطلقا بل عند الاستغناء عنها وأباحها عند الحاجة اليها أى عند خوف الزنا وبذلك كان يفتى ابن عباس رضى الله عنهما * وفى كلام فقهائنا والنهى عن نكاح المتعة فى خبر الصحيحين الذى لو بلغ ابن عباس رضى الله عنهما لم يستمر على القول باباحتها لمن خاف الزنا مخالفا فى ذلك لكافة العلماء وقد وقعت مناظرة فى المتعة بين القاضى يحيى بن أكتم وأمير المؤمنين المأمون فان المأمون نادى باباحة المتعة فدخل عليه يحيى بن أكتم وهو متغير بسبب ذلك وجلس عنده فقال له المأمون مالى أراك متغيرا قال لما حدث فى الاسلام قال وما حدث قال النداء بتحليل الزنا قال المتعة زنا قال نعم المتعة زنا * قال ومن أين لك هذا قال من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أما الكتاب فقد قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الى قوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين قال لا قال أفهى الزوجة التى عند الله ترث وتورث ويلحق بها الولد قال لا قال فقد صار متجاوز هذين من العادين * وأما السنة فقد روى الزهرى بسنده الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنادى بالنهى عن المتعة وتحريمها بعد ان كان أمر بها فالتفت المأمون للحاضرين وقال أتحفظون هذا من حديث الزهرى قالوا نعم يا أمير المؤمنين فقال المأمون استغفر الله نادوا بتحريم المتعة ونهى صلى الله عليه وسلم فى خيبر عن لحوم الحمر الاهلية أى فانهم أصابهم جوع فوجدوا الحمر الاهلية أى ثلاثين حمارا خرجت من بعض الحصون * وقيل

لم يدخلوها الحصون فأخذها رهط من المسلمين وذبحوها وجعلوا لحومها في القدور
والبرام وجعلوا يطبخونها الليل كله فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فسألهم عما
في القدور والبرام قالوا لحوم الحمر لانسية أي المخالطة للانس فنهاهم صلى الله عليه
وسلم عن أكلها حتى ان القدور أكفيت وانها لتفور * أي وفي البخاري أن النبي
صلى الله عليه وسلم رأى نيرانا توقد يوم خيبر قال علام توقد هذه النيران قالوا على الحمر
الانسية قال اكسروها وأهريقوها قالوا لا نهريقها ونغسلها قال اغسلوا * وفي
رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال ما هذه النيران على أي شيء توقد قالوا على لحم قال
على أي لحم قالوا على لحم حمر انسية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهريقوها
واكسروها فقال رجل يا رسول الله أونهريقها ونغسلها فقال أوذاك وعدوله صلى
الله عليه وسلم الى هذا الثاني أما باجتهاد أو وحي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم عند
ذلك أمر عبد الله بن عوف أن ينادي في الناس ان لحوم الحمر الاهلية لا تحل لمن
يشهد أن محمدا رسول الله وأمر أن تكفأ القدور ولا يأكلوا من لحوم القدور شيأ
* وفي مسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا طلحة فنادى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينهاكم عن لحوم الحمر فانها رجس أو نجس * وهذا السياق كله
يدل على أنهم لم يأكلوا منها شيأ * وفي السيرة الهشامية وأكل المسلمون لحوم الحمر
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى الناس عن أمور سماها لهم * وهذا يرد
القول بأنه انما نهى عن أكلها للحاجة اليها أو لانها أخذت قبل القسمة * وروى
أبو داود باسناد على شرط مسلم عن جابر رضي الله عنه ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال
ولم ينهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخيل * وفي رواية ورخص في أكل
الخيل أي أباح أكلها * وفي مسلم عن أسماء رضي الله عنها قالت نحرنا فرسا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلناه أي وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك ولم ينكره * وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى عن أكل لحوم الحمر الاهلية والبغال والخيل * قال السهيلي رحمه الله
وحديث الاباحة أصح * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن أكل لحم
الجلالة وعن ركوبها حتى تعلف أربعين يوما والجلالة التي تأكل الجلة وهي الروث
والعذرة * وذكر الهروي أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يأكل الدجاج المخلاة
حتى تقصر أي تحبس ثلاثة أيام * وذكر فقهاؤنا ان الحمر الاهلية حلت بعد
تحريمها ثم حرمت فليتأمل * ونهى صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذي ناب
من السباع أي وذي مخلب من الطير وعن بيع المغانم حتى تقسم وحلت له صلى الله

عليه وسلم مائدة فأ كل متكئا واطلى بالنورة وكان ينوره الرجل فاذا بلغ عانته تولى ذلك صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة * وروى ابن ماجه بسند جيد كما قاله الحافظ ابن كثير أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا اطلى بدأ بعورته فطلاها وطلى سائر جسده أهله وحينئذ يكون المراد بعانته فى الرواية السابقة العورة على أن تلك الرواية مرسلة فلا يحتج بذلك لمن يقول ان العورة ماعدا السوءتين * وأخرج الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت أطلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنورة فلما فرغ منها قال يامعشر المسلمين عليكم بالنورة فانها طيبة وطهور وان الله تعالى يذهب بها عنكم أوساخكم وأشعاركم أى فهو من نعيم الجنة * ومن ثم كرهه عمر رضى الله عنه * وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قيل له وقد دخل الحمام أتدخل الحمام وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الحمام وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر وعمر رضى الله عنهما طاب حمامكما * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يتنور كل شهر ويقلم أظفاره كل خمسة عشر يوما * وماورد أنه صلى الله عليه وسلم لم يتنور فهو ضعيف معارض بما هو أقوى منه وأكثر عددا على ان المثبت مقدم على النافى * أى وفى الينبوع وقول أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يتنور كان يحلق محمول على الغالب من أمره صلى الله عليه وسلم * وفى الخصائص الصغرى وقال ابن عباس رضى الله عنهما ماتنورنبى قط وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم وقت لقص الشارب وتقليم الاظفار أن لا يدع ذلك أربعين يوما * أى وكان صلى الله عليه وسلم يقص اظفاره كل خمسة عشر يوما كما تقدم * وقد استفيد من هذا كما قال بعضهم فائدة نفيسة وهى ذكر التوقيت للتنور وقص الاظفار * قال بعضهم وفيه نظر فان بدنه صلى الله عليه وسلم كان فى غاية الاعتدال فلا يقاس به صلى الله عليه وسلم غيره فى ذلك نظير ما قالوه فيما صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يوضئه المد ويغسله الصاع ان ذلك خاص ببدن من يكون بدنه كبدنه عليه الصلاة والسلام نعومة واعتدالا والازيد ونقص المتفاوت فكذلك هنا * ومن ثم قال الائمة رحمهم الله فى نحو حلق العانة ونتف الابط والقلم للظفر وقص الشارب ان ذلك لا يتقيد بمدة بل يختلف باختلاف الابدان والحال فيعتبر وقت الحاجة الى ازالة ذلك * وبهذا يرد على من قال يكره التنور فى أقل من شهر وقدم عليه صلى الله عليه وسلم بخيبر الاشعريون أى ومنهم أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه

والدوسيون ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه فسأل صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم أن يشركوهم في الغنيمة ففعلوا * قال وعن موسى بن عقبة رحمه الله أن أحد الاشعريين ومن ذكر معهم أي وهم الدوسيون من هذين الحصنين الذين فتحا صلحا وتكون مشاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعطائهم ليست استنزالا لهم عن شيء من حقهم وانما هي المشورة العامة أي المأمور بها في قوله تعالى وشاورهم في الامر انتهى * أقول وهذا صريح في أن ذلك كان فيأ له صلى الله عليه وسلم فهما وما فيهما مما أفاء الله عليه صلى الله عليه وسلم لان الفيء ما جلوا عنه من غير قتال أي من غير مصادفة للقتال * والحاصل ان أرض خيبر ونخلها غنيمة لانه صلى الله عليه وسلم غلب على النخل والارض وألجأهم الى الحصون وفتح جميع الحصون عنوة الا الوطيح والسلالم فانهما فتحا صلحا على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم بشرط أن لا يكتموه شيأ من أموالهم وأن من كتم شيأ انتقض ذلك الصلح له بالنسبة لدمه وذراريه وهذان الحصنان هما المرادان بالكتيبة في قول بعضهم كان صلى الله عليه وسلم يطعم من الكتيبة أهله لما علمت أنهما من حصونها وأنهما وما فيهما مما أفاء الله عليه وكونه صلى الله عليه وسلم كان يطعم أهله مما فيها واضح * وأما اذا كان المراد يطعم من الارض والنخيل المتعلقين بالحصنين فقد يتوقف فيه لما تقدم أن أرض خيبر ونخلها غنيمة وذلك شامل للارض والنخيل المتعلقين بالحصنين فليتأمل والله أعلم * وفي لفظ وقدم عليه صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من أرض الحبشة ومعه الاشعريون أبو موسى الاشعري وأخواه أبو رهم وأبو بردة رضي الله عنهم وكان أبو موسى أصغرهم وأقواهم وكان قوم جعفر بالحبشة أي لانهم هاجروا الى الحبشة من اليمن كما تقدم وقبل قدومهم اليه صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبا فقدم الاشعريون * وذكر انهم عند مجيئهم صاروا يقولون غدا نلقى الاحبه * محمدا وحزبه * وفي كلام بعضهم ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم قال في حقهم أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية * ولما أقبل عليه صلى الله عليه وسلم جعفر رضي الله عنه قام صلى الله عليه وسلم الى جعفر وقبله بين عينيه * وفي رواية قبل جبهته * أي وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم جعفر رضي الله عنه من أرض الحبشة اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عينيه وجعل ذلك أصلا لاستحباب المعانقة وقال بعضهم انها مكروهة وحديث جعفر يحتمل أن يكون قبل النهي

عنها

عنها فانه نهى عن المعانكة وهى المعانقة وحمل ذلك بعضهم على ما اذا كانت المعانقة من غير حائل * أقول لم يجب بذلك سيدنا مالك رضى الله عنه فانه لما قدم عليه سفيان بن عيينة رضى الله عنه فصافحه مالك وقال لولا أنها بدعة لعانقتك فقال له سفيان قد عانق من هو خير منك ومنى النبى صلى الله عليه وسلم قال مالك تعنى جعفر بن أبى طالب قال نعم قال ذلك حبيب خاص ليس بعام أى فذلك من خصوصياته فقال له سفيان ما عم جعفرا يعمنا وما يخصه يخصنا أى فالاصل عدم الخصوصية ثم قال له سفيان أتأذن لى أن أحدثك بحديث قال نعم فقال حدثنى فلان عن فلان عن ابن عباس رضى الله عنهما وذكر الحديث المتقدم عنه * وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم التزم زيد بن حارثة رضى الله عنه حين قدم عليه من مكة * وأما المصافحة فقد جاء أن أهل اليمن لما قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان أهل اليمن قد سنوا لكم المصافحة وقال من تمام محبتكم المصافحة وقام صلى الله عليه وسلم لصفوان بن أمية لما قدم عليه والى عدى بن حاتم * قال السهيلى وليس هذا معارضا لحديث من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار لان هذا الوعيد انما توجه للمتكبرين والى من يغضب أن لا يقام له * وكان صلى الله عليه وسلم يقوم لفاطمة رضى الله عنها وكانت تقوم له صلى الله عليه وسلم هذا كلامه والله أعلم * ولما رآه صلى الله عليه وسلم جعفر حجل أى مشى على رجل واحدة اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان الحبشة يفعلون ذلك للتعظيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له أشبهت خلقى وخلقى * وفى لفظ جعفر أشبه الناس بى خلقا وخلقا وكان صلى الله عليه وسلم يسميه أبا المساكين لانه رضى الله عنه كان يحب المساكين ويجالس اليهم ويحدثهم ويحدثونه * وذكر بعضهم أنه لما قال له صلى الله عليه وسلم أشبهت خلقى وخلقى رقص من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم رقصه وجعل ذلك أصلا لجواز رقص الصوفية عندما يجدونه من لذة المواجيد فى مجالس الذكر والسماع * ثم قال صلى الله عليه وسلم والله ما أدرى بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر رضى الله عنه * وقيل قدم مع جعفر رضى الله عنه سبعون رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام * وفى لفظ قدم معه سبعون كانوا أصحاب الصوامع * وقيل كانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام وقيل كانوا ثمانين رجلا أربعون من أهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام

فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى صلى الله عليه وسلم أى ولعل هؤلاء الذين من الحبشة هم المرادون بقول بعضهم وفد عليه وفد النجاشي فقام صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى أحب أن أكافئهم * وفى لفظ وقدم عليه أيضا أبو هريرة رضى الله عنه وطائفة من قومه وهم دوس كما تقدم قال أبو هريرة رضى الله عنه قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفارى فأخبرنا أن النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر فزودنا سباع ثم جئنا خيبر وهو محاصر الكتيبة فأقمنا حتى فتح الله * أى وكان من جملة من قدم معهم من بلاد الحبشة أم حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله عنهما زوج النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها أى عقد عليها وهى بالحبشة فانها كانت ممن هاجر الهجرة الثانية للحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش فارتد عن الاسلام هناك وتنصر ومات على ذلك وبقيت هى على اسلامها كما تقدم وقد أرسل صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه فى المحرم افتتاح سنة سبع الى النجاشى ليزوجها منه صلى الله عليه وسلم قالت أم حبيبة رضى الله عنها رأيت فى المنام كأن قائلا يقول لى يا أم المؤمنين ففزعت فأولتها بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجنى قالت فما شعرت الا وقد دخلت على جارية النجاشى فقالت لى ان الملك يقول لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه أن يزوجك منه فقلت لها بشرك الله بالخير ويقول لك وكلى من يزوجك فأرسلت بالوكالة الى خالد بن سعيد رضى الله عنه * أى وأعطت تلك الجارية سوارين وخدمتين أى خلخالين وخواتيم فضة سرورا بما بشرت به * فلما كان العشى أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن معه من المسلمين فحضروا وخطب النجاشى رضى الله عنه فقال الحمد لله الملك القدوس * أى وفى لفظ بدل ذلك المؤمن المهيمن العزيز الجبار أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنه الذى بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام أما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى أن أزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان فأجبنا الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصدقها أربعمائة دينار * أى وفى لفظ أربعمائة مثقال ثم سكب الدنانير بين يدى القوم فتكلم خالد بن سعيد بن العاصى رضى الله عنه فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أظهره بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

ولو

ولو كره المشركون ✽ أما بعد فقد أجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ✽ أي ودفع النجاشي الدنانير لخالد بن سعيد فقبضها منه ✽ وقيل انه أنقدها لها النجاشي على يد جاريته التي بشرتها فلما جاءتها بتلك الدنانير أعطتها خمسين ✽ وقد يقال يجوز أن يكون النجاشي استردها من خالد ثم دفعها الملك أو أمر خالد بن سعيد بدفعها للجارية لتدفعها لام حبيبة فلا مخالفة ✽ وهذا السياق يدل على أن النجاشي كان هو الوكيل عنه صلى الله عليه وسلم ✽ وفي كلام بعض فقهائنا أنه صلى الله عليه وسلم وكل عمرو بن أمية في نكاح أم حبيبة ✽ وقد يقال معنى توكيل عمرو ارساله بالوكالة للنجاشي أي ثم لما أرادوا أن يقوموا بعد العقد قال لهم النجاشي اجلسوا فان من سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا ✽ قالت أم حبيبة رضي الله عنها فلما كان من الغد جاءتني جارية النجاشي فردت على جميع ما أعطيتها وقالت ان الملك عزم على أن لا أرزأك شيأ وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن اليك بكل ما عندهن من العطر فجاءت بورس وعنبر وزباد كثير وقالت حاجتي اليك أن تقرئي رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وتعلميه أني قد اتبعت دينه ✽ وكانت كلما دخلت علي تقول لا تنسي حاجتي اليك ثم أرسل النجاشي أم حبيبة مع شرحبيل بن حسنة ✽ أي قالت أم حبيبة ✽ ولما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت معي جارية النجاشي وأقرأته منها السلام فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وعليها السلام ورحمة الله وبركاته ✽ وجاء أنه لما رجعت اليه صلى الله عليه وسلم مهاجرة الحبشة قال ألا تخبروني بأعجب شيء رأيتم بأرض الحبشة فقال فتية منهم يا رسول الله بينما نحن جلوس اذ مرت بنا عجوز من عجائزهم وعلى رأسها قلة فيها ماء فمرت بصبي فدفعها فوقعت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت أي قامت التفتت اليه فقالت سوف تعلم يا غدر اذا وضع الله الكرسي وجمع الاولين والآخرين وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يكسبون تعلم أمري وأمرك عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ لضعيفهم من قويهم وذكر أنه لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر ودنا منها بعث محيصة بن مسعود الى أهل فدك يدعوهم الى الاسلام ويخوفهم قال محيصة فجئتهم فجعلوا يتربصون ويقولون ان بخيبر عشرة آلاف مقاتل فيهم عامر وياسر والحارث وسيد اليهود

مرحب ما ترى أن محمدا يقرب اليهم فكنت عندهم يومين ثم أردت الرجوع فقالوا نحن نرسل معك رجالا لأننا نأخذ من لنا الصلح كل ذلك وهم يظنون أنه صلى الله عليه وسلم لا يقدر على فتح خيبر حتى جاءهم أناس من حصن ناعم وأخبروهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحه فأرسلوا رجلا من رؤسائهم يقال له نون بن يوشع في نفر يصالحون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم ويجليهم ويخلوا بينه وبين الاموال ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تصالحوا معه على أن يكون لهم نصف الارض ولرسول الله صلى الله عليه وسلم النصف الآخر فكان فدك على الاول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الثانى كان له نصفها لانها لم تؤخذ بعنوة فكان صلى الله عليه وسلم ينفق منها ويعود منها على صغير بنى هاشم ويزوج منها أيمهم * ولما مات صلى الله عليه وسلم وولى أبو بكر رضى الله عنه الخلافة سألته فاطمة رضى الله عنها أن يجعلها أو نصفها لها فأبى وروى لها أنه صلى الله عليه وسلم قال انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة أى على المسلمين * ومما يؤيد الثانى ما قيل انه لما أجلاهم عمر رضى الله عنه مع يهود خيبر كما سيأتى اشترى منهم حصتهم التى هى النصف بمال بيت المال * فلما صارت الخلافة لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقيل له ان مروان اقتطعها أى جعلها اقطاعا له فقال أرأيتم أمرا منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة أى بقوله صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركناه صدقة ليس لى بحق وانى أشهدكم أنى قد رددتها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى صدقة على المسلمين * وطلب الصلح كان بعد أن أرادت غطفان وسيدهم عيينة بن حصن أن يعينوا أهل خيبر أى وكانوا أربعة آلاف فان يهود خيبر لما سمعوا بجيئه صلى الله عليه وسلم اليهم أرسلوا كنانة بن أبى الحقيق وهودة بن قيس فى أربعة عشر رجلا الى غطفان ليستمدوهم وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر ان غلبوا على المسلمين فجمعوا ثم خرجوا ليظاهروا يهود خيبر * أى ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم أن لا يعينوهم على أن يعطيهم من خيبر شيأ سماه لهم أى وهو نصف ثمارها فأبوا وقالوا جيراننا وحلفاؤنا * فلما ساروا قليلا سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهاليهم حسا ظنوه القوم أى ظنوا أن المسلمين أغاروا على أهاليهم أى فألقى الله الرعب فى قلوبهم فرجعوا على الصعب والذلول أى مسرعين على أعقابهم فأقاموا فى أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل خيبر * أى وفى رواية سمعوا صوتا أيها الناس أهليكم خولفتم اليهم فرجعوا فلم يروا لذلك نبأ * ويدل للثانى أن غطفان لما قدموا عليه صلى الله عليه وسلم خيبر قال

عيينة بن حصن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وجده صلى الله عليه وسلم فتح حصونها أعطنا الذى وعدتنا * وفى رواية أعطنى مما غنمت من حلفاءى فانى امتنعت عنك وعن قتالك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ولكن الصياح الذى سمعت أنفذك الى أهلك ولكن لك ذو الرقيبة قال عيينة وما ذو الرقيبة قال الجبل الذى رأيت فى منامك انك أخذته أى فان عيينة بن حصن لما سمع الصوت ورجع الى أهله ولم يجد شيأ رجع بعد ذلك بمن معه الى خيبر وانهم بالقرب منها عرسوا فى الليل فنام عيينة وانتبه وقال لقومه أبشروا فانى رأيت الليلة فى النوم أنى أعطيت ذا الرقيبة وهو جبل بخيبر لقد والله أخذت برقبة محمد فلما قدم خيبر وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر الحديث * وقدم عليه صلى الله عليه وسلم حينئذ أيضا حجاج بن علاط السلمى وأسلم والعلاط وسم فى العنق وهو أبو نصر بن حجاج الذى نفاه عمر رضى الله عنه لما سمع أم الحجاج بن يوسف الثقفى تهتف به وتقول الابيات التى منها

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج

ومن ثم قال عروة بن الزبير يوما للحجاج يا ابن المتمنية يعيره بذلك وكان الحجاج مكثرا من المال فقال يا رسول الله ان مالى عند امرأتى بمكة ومتفرق فى تجار مكة فأذن لى ان آتى مكة لآخذه لى قبل ان يعلموا باسلامى فلا أقدر على أخذ شىء منه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لابد لى ان أقول أى أتقول واذكر ما هو خلاف الواقع أى ما احتال به لما يوصل الى أخذ مالى قال قل قال فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فاذا رجال من قريش يتشممون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر أى أهل القوة والمنعة بعد ما وقع بينهم من المراهنة على مائة بعير فى ان النبى صلى الله عليه وسلم يغلب أهل خيبر أولا فقال حويطب بن عبد العزى وجماعة بالاول وقال عباس بن مرداس وجماعة بالثانى فقالوا الحجاج عنده والله الخبر ولم يكونوا علموا باسلامى يا حجاج انه قد بلغنا ان القاطع يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر فقلت عندى من الخبر ما يسركم فاجتمعوا على يقولون ايه يا حجاج فقلت لهم لم يلق محمد وأصحابه قوما يحسنون القتال غير أهل خيابر فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فنقتله بين أظهرهم * وفى لفظ يقتلونه بمن كان أصاب من رجالهم فصاحوا وقالوا لاهل مكة قد جاءكم الخبر هذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم * قال حجاج وقلت لهم أعينونى على غرماءى أريد أن أقدم فأصيب

من غنائم محمد وأصحابه قبل ان يسبقني التجار الى ماهناك فجمعوا الى مالي على أحسن ما يكون ففشا ذلك بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور وانكسر من كان بمكة من المسلمين وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فجعل لا يستطيع أن يقوم ثم بعث الى حجاج غلاما وقال قل له يقول لك العباس الله أعلى وأجل من أن يكون الذي جئت به حقا فقال له حجاج اقرأ على أبي الفضل السلام قل له ليخل لي بعض بيوته لآتيه بالخبر على ما يسره واكتم عني فأقبل الغلام فقال ابشر أبا الفضل فوثب العباس فرحا كأن لم يمسه شيء وأخبره بذلك فأعتقه العباس رضي الله عنه وقال لله على عتق عشر رقاب فلما كان ظهرا جاءه حجاج فناشده الله أن يكتم عنه ثلاثة أيام أي وقال اني أخشى الطلب فاذا مضت ثلاث فاظهر أمرك فوافقه العباس على ذلك فقال اني قد أسلمت وان لي مالا عند امرأتي ودينا على الناس ولو علموا باسلامي لم يدفعوه الى اني تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام رسوله فيها وتركته عروسا بابنة ملكهم حيي ابن أخطب وقتل ابن أبي الحقيق فلما أمسى حجاج خرج وطالت على العباس تلك الليالي الثلاث فلما مضى حجاج أي ومضت الثلاث عمد العباس رضي الله عنه الى حلة فلبسها وتخلق بخلوق وأخذ بيده قضيبا ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون اذا مر بهم لا يصيبك الا خيرا يا أبا الفضل هذا والله التجلد بحر المصيبة قال كلا والله الذي حلفتم به لم يصبني الا خير بحمد الله أخبرني حجاج أن خيبر فتحها الله على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرت فيها سهام الله وسهام رسوله الله واصطفى رسول الله صفية بنت ملكهم حيي بن أخطب لنفسه وانه تركه عروسا بها ❊ أي وانما قال ذلك لكم ليخلص ماله والا فهو ممن أسلم فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون الا يا عباد الله انفلت عدو الله يعنون حجاجا أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك هذا وفي الدلائل للبيهقي رحمه الله لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال حجاج بن علاط يا رسول الله ان لي بمكة مالا وان لي بها أهلا وأنا أريد ان آتيهم فأنا في حل ان أنا نلت منك وقلت شيأ فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ما شاء فقال لامرأته حين قدم أخفي علي واجمعي ما كان عندك فاني أريد ان أشتري من غنائم محمد وأصحابه فانهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم ففشا ذلك بمكة فاشتد ذلك على المسلمين وأظهر المشركون فرحا وسرورا ❊ وبلغ العباس رضي الله عنه الخبر فقعد وجعل لا يستطيع أن يقوم فأرسل العباس رضي الله عنه غلاما له

الى الحجاج ويلك ماتقول فالذى وعد الله خير مما جئت به فقال حجاج ياغلام اقرأ
أبا الفضل السلام وقل له فليخل بى فى بعض بيوته فآتيه بالخبر على مايسره فلما بلغ
العبد باب الدار قال أبشر يا أبا الفضل فوثب العباس فرحا حتى قبل ما بين عينيه
فأخبره بقول حجاج فاعتقه ثم جاء حجاج فأخبره بافتتاح رسول الله صلى الله عليه
وسلم خيبر وغنم أموالهم وأن سهام الله قد جرت فيها وأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصطفى صفية بنت حيي لنفسه وخيرها بين أن يعتقها وتكون له زوجة
أو يلحقها بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون له زوجة ولكن جئت لمالى
ههنا أن أجمعه وأذهب به * وانى استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان أقول فأذن لى ان أقول ما شئت فأخف على يا أبا الفضل ثلاثا ثم اذكر ما شئت
قال فجمعت له امرأته متاعه فلما كان بعد ثلاث أتى العباس رضى الله عنه امرأة
حجاج فقال ما فعل زوجك قالت ذهب وقالت لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق
علينا الذى بلغك فقال أجل لا يحزننى الله فلم يكن بحمد الله الا ما أحب فتح الله على
يد رسوله خيبر واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه فان كان
لك فى زوجك حاجة فالحقى به قالت أظنك والله صادقا قال فانى والله صادق والامر
على ما أقول ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش الحديث * قال لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيبر كان التمر أخضر فأكثر الصحابة من أكله فأصابتهم الحمى
فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بردوا الماء فى الشنان
أى القرب ثم صبوا عليكم منه بين أذانى الفجر واذكروا اسم الله عليه ففعلوا
فذهبت عنهم * وعن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه أصابتنى ضربة يوم خيبر
فقال الناس أصيب سلمة بن الاكوع فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفث
فيها ثلاث نفثات فما اشتكيت منها ساعة * وفى هذه الغزوة أراد صلى الله عليه وسلم
أن يتبرز فقال لابن مسعود رضى الله عنه يا عبد الله أنظر هل ترى شيأ فنظرت
فاذا شجرة واحدة فأخبرته فقال لى انظر هل ترى شيأ فنظرت شجرة أخرى متباعدة
من صاحبتها فأخبرته فقال قل لهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركما ان تجتمعان
فقلت له ماذلك فاجتمعا فاستتر بهما ثم قام فانطلقت كل واحدة الى مكانها
* وفى الامتاع عن جابر رضى الله عنهما سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فاتبعته
باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيأ يستتر به فاذا بشجرتين
بشاطىء الوادى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فأخذ بغصن

من أغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الاخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت معه كذلك حتى كان صلى الله عليه وسلم بالنصف مما بينهما أو ألأم بينهما وقال التئما علي باذن الله تعالى فالتأمتا * قال جابر رضي الله عنه فخلوت أحدث نفسي فحانت مني التفاتة فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا واذا الشجرتان افترقتا وذهبت كل واحدة الى محلها الحديث ولا بعد في تعدد الواقعة ووقع له صلى الله عليه وسلم مجيء الشجر اليه قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم خرج الى بعض شعاب مكة وقد دخله من الغم ماشاء الله من تكذيب قومه وقولهم له أتضلل آباك وأجدادك يا محمد ومن خضبهم له بالدماء فقال يارب أرني اليوم آية أطمئن اليها ولا أبالي من آذاني بعد وكان ذلك الوادي به شجر فأمر أن يدعو شجرة من تلك الشجر * وفي لفظ غصنا من أغصان شجرة فدعا ذلك فانتزع من مكانه وجاء اليه وسلم عليه ثم أمره صلى الله عليه وسلم بالعود فعاد الى مكانه فحمد الله وطابت نفسه وعلم أنه على الحق وقال لا أبالي من آذاني بعد هذا من قومي * أقول ووقع له صلى الله عليه وسلم اجابة الحجر فعن تفسير الفخر الرازي أنه صلى الله عليه وسلم كان مع عكرمة بن أبي جهل بشط ماء فقال عكرمة للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر لحجر كان في الجانب الآخر ليسبح في الماء ويجيء اليك ولا يغرق فأشار اليه صلى الله عليه وسلم فانقلع ذلك الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالرسالة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعكرمة يكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه فأشار اليه صلى الله عليه وسلم فرجع الى مكانه ولم يسلم عكرمة في ذلك الوقت وانما أسلم يوم فتح مكة والله أعلم * وعند خروجه صلى الله عليه وسلم الى هذه الغزوة أمر صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي من كان مضعفا أي ضعيفا أو مصعبا أي راكبا دابة صعبة فليرجع فرجع ناس * وارتحل مع القوم رجل على بكر صعب أو ناقة صعبة فنفر مركوبه فصرعه فاندقت فخذه فمات فلما جيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ماشأن صاحبكم فأخبروه قال يا بلال ما كنت أذنت في الناس من كان مصعبا أي راكبا دابة صعبة فليرجع قال بلى فأبى صلى الله أن يصلى عليه وأمر صلى الله عليه وسلم بلالا فنادى في الناس الجنة لا تحل لعاص ثلاثا وفيها مات شخص من الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم صلوا على صاحبكم وامتنع من الصلاة عليه فتغيرت وجوه



الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين وفيها أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من المسلمين هذا من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا أشد القتال فارتاب بعض الصحابة أي كيف يكون من أهل النار مع هذه المقاتلة الشديدة * فلما كثرت الجراحات في ذلك الرجل ووجد ألمها أخرج سهما من كنانته ونحر نفسه فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا بلال فأذن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة الحديث * وفي رواية ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار * وتقدم في غزوة أحد مثل ذلك ولا بعد في التعدد ان لم يكن الاشتباه على الراوي * أقول في سيرة الحافظ الدمياطي لما فتحت خيبر واطمأن الناس جعلت زينب ابنة الحارث أخي مرحب وهي امرأة سلام بن مشكم تسأل أي الشاة أحب الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون الذراع قيل وانما أحب صلى الله عليه وسلم الذراع لانه هادي الشاة وأبعدها من الاذى فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم لا يلبث أن يقتل من ساعته فسمت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتف فلما غابت الشمس وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب بالناس انصرف وهي جالسة عند رحله فسأل عنها فقالت يا أبا القاسم هدية أهديتها لك فأمر بها صلى الله عليه وسلم فأخذت منها فوضعت بين يديه صلى الله عليه وسلم وأصحابه حضور أو من حضر منهم وفيهم بشر بن البراء بن معرور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنوا فقعدوا وتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منه فلما ازدرد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة ازدرد بشر ما في فيه وأكل القوم منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع أو الكتف تخبرني أنها مسمومة فقال بشر والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي أي لقمتي التي أكلت فما منعني أن ألفظها الا أني أنغص عليك طعامك فلما أكلت لم أرغب بنفسي عن نفسك ورجوت أن لا تكون ازدردتها فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان أي أسود وماطله وجعه سنة لا يتحول الا ما حول ثم مات فقال بعضهم فلم يقم بشر من مكانه حتى توفي أي والمتبادر من المكان مكان الاكل وربما يدل له عدم ذكر بشر في الحجامة وطرح منها لكلب فمات انتهى أي فلم يأكل الا بشر رضي الله عنه وحينئذ يكون المراد بقوله وأكل القوم منها أي أرادوا الاكل أي ووضعوا أيديهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم ويدل له ما يأتي عن الامتناع

* وفى الاصل أنها أهدتها لصفية رضى الله عنها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور فقدمت اليه تلك الشاة فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتف وفى رواية الذراع فانتهش منه قطعة فلاكها ثم ألقاها أى ولم يبتلعها وانتهش من الشاة بشر قطعة فابتلعها ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تناول شىء منها * وقال ان كتف هذه الشاة تخبرنى أنى نعيت فيها فقال بشر والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فيما أكلته فما منعنى من لفظه الا انى أعظمت أن أنغصك طعاما فلم يقم بشر رضى الله عنه من مكانه حتى كان لا يتحوّل الا أن حوّل والى هذا أشار الامام السبكى فى تائيته بقوله رحمه الله

وأحييت عضو الشاة بعد مماتها * فجاء بنطق موضح للنصيحة
وقال رسول الله لا تك آكلى * فزينب سامتنى الهوان وسمّت

* وهذا يؤيد القول الثانى بأن كلام نحو الجماد يكون بعد أن يخلق الله فيه الحياة * ومذهب الاشعرى رحمه الله أن الله يخلق فى نحو الجماد حروفا وصوتا يحدث ذلك فيه أى فليس من لازم ذلك وجود الحياة واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله أى حجمه أبوطيبة مولى لبنى بياضة وقيل أبوهند وهو مولى بنى بياضة أيضا أى وأمر أصحابه فاحتجموا أوساط رؤسهم * أى وهم كما فى الامتاع ثلاثة وضعوا أيديهم فى الطعام ولم يصيبوا منه شيأ * وفيه أنه لا معنى لاحتجام أصحابه اذلم يأكلوا شيأ ومن ثم قال فى سفر السعادة واحتجم صلى الله عليه وسلم بين الكتفين فى ثلاثة مواضع وأمر من أكل معه بذلك الا أن يقال مجرد وضع اليد ربما بسببه سرى السم الى باق الجسد وقال صلى الله عليه وسلم الحجامة فى الرأس هى المعتقة أمرنى بها جبريل عليه السلام حين أكلت طعام اليهودية * وقد احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير هذه الواقعة مرارا فى محال مختلفة فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم احتجم على الاخدعين مرتين واحتجم وسط رأسه الشريف وكان يسميها منقذا أى وذلك لما سحر فى سفر السعادة لما سحره اليهود ووصل المرض الى الذات المقدسة النبوية أمر صلى الله عليه وسلم بالحجامة على قبة رأسه المباركة واستعمال الحجامة فى كل متضرر بالسحر غاية الحكمة ونهاية حسن المعالجة * ومن لا حظ له فى الدين والايمان يستشكل هذا العلاج هذا كلامه ودخل عليه صلى الله عليه وسلم الاقرع بن حابس وهو يحتجم فى القمحدوة فقال يا ابن أبى كبشة لم احتجمت وسط رأسك فقال يا ابن حابس ان فيها شفاء من وجع الرأس والاضراس والنعاس والجنون * أى وفى الحديث الحجامة فى الرأس شفاء من

سبع

سبع من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها في عينيه ❊ وفي الحديث اجتنبوا الحجامة يوم الجمعة والسبت والاحد ❊ وفي بعض الروايات يوم الاحد شفاء وهو يحتاج للجمع وجاء النهي عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهي وقال فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم ❊ وفي حديث بعض رواته واهي الحديث احتجم صلى الله عليه وسلم ثلاثا في النقرة والكاهل ووسط الرأس وسمى واحدة النافعة والاخرى المعينة والاخرى المنقذة ❊ وقال صلى الله عليه وسلم خير ما تداويتم به الحجامة وما مررت ليلة أسري بي بملأ من الملائكة لا قالوا يا محمد مر أمتك بالحجامة ❊ قال في الهدى والحجامة في البلاد الحارة أنفع من الفصد والاولى أن تكون في الربع الثالث من الشهر لانه وقت هيجان الدم ❊ وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين كانت شفاء من كل داء والحجامة على الريق دواء وعلى الشبع داء وتكره في الاربعاء والسبت ❊ قيل ويوم الجمعة وفي الحديث من احتجم يوم الاربعاء أو السبت وحصل له برص لا يلومن الا نفسه ❊ وجاء أمره صلى الله عليه وسلم باجتناب الحجامة يوم الاربعاء فانه اليوم الذي أصيب فيه أيوب عليه السلام بالبلاء وما يبدو جذام ولا برص الا يوم الاربعاء وليلة الاربعاء ❊ ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تلك اليهودية فقال أسممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتني هذه التي في يدي وهي الذراع قالت نعم قال ما حملك على ما صنعت قالت بلغت من قومي ما لا يخفى عليك ❊ أي وفي لفظ قتلت أبي وعمي وزوجي ونلت من قومي ما نلت فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

ثم سمت اليهودية الشا ❊ ة وكم سام الشقوة الاشقياء
فأذاع الذراع ما فيه من سـ ❊ ـر بنطق اخفاؤه ابداء
وبخلق من النبي كريم ❊ لم يقاصص بجرحها العجماء

❊ أي ثم جعلت اليهودية السم القاتل لوقته في الشاة ومرات كثيرة يطالب الشقوة ويتحلى بها الاشقياء الذين لا خلاق لهم فأخبر ذلك الذراع النبي صلى الله عليه وسلم بالنطق بما فيه من سم اخفاء ذلك النطق عن الحاضرين ابداء واظهار له صلى الله عليه وسلم وبسبب ما تحلى به صلى الله عليه وسلم من كمال الحلم والعفو لم تقاصص تلك المرأة بجرحها أي بجرح سمها لان السم يجرح الباطن كما يجرح الحديد

الظاهر فلما مات بشر رضي الله عنه أمر بها فقتلت * أي وقيل وصلبت كما في أبي داود وعبارة السهيلي رحمه الله وقد روى أبو داود أنه قتلها ووقع في كتاب شرف المصطفى أنه قتلها وصلبها هذا كلامه * وقيل انما تركها لانها أسلمت فالعفو عنها أي عدم مؤاخذتها كان قبل أن يموت بشر رضي الله عنه فلما مات بشر دفعها صلى الله عليه وسلم الى أولياء بشر فقتلوها * وفي الامتاع واختلفت الآثار في قتلها ففي صحيح مسلم أنه لم يقتلها * وقال ابن اسحاق أجمع أهل الحديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها وقد علمت أنه لا مخالفة لكن قتلها مشكل على ما عليه أئمتنا معاشر الشافعية من أن من ضيف بمسموم يقتل غالبا مميزا فمات كان شبه عمد لا قود فيه * وفي كلام بعضهم أنها قالت قد استبان لي الآن أنك صادق واني أشهدك ومن حضر أني على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فانصرف عنها حين أسلمت كذا في جامع معمر عن الزهري أنها أسلمت قال معمر هكذا قال الزهري أنها أسلمت والناس يقولون قتلها وانها لم تسلم وأمر صلى الله عليه وسلم بتلك الشاة فأحرقت * وفي رواية انه بعد سؤال اليهودية واعترافها بسط صلى الله عليه وسلم يده الى الشاة وقال لاصحابه كلوا باسم الله فأكلوا وقد سموا الله فلم يضر ذلك أحدا منهم قال ابن كثير وفيه نكارة وغرابة شديدة هذا كلامه ويذكر ان أخت بشر بن البراء دخلت عليه صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فقال لها هذا أوان انقطاع أبهري من الاكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر والابهر العرق المتعلق بالقلب * وقد قسم صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر فأعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة أسهم بعد أن خمسها خمسة أجزاء * ومن جملة من أعطاه صلى الله عليه وسلم أبو سبيعة بن المطلب بن عبد مناف واسمه علقمة ولم يقسم صلى الله عليه وسلم لمن غاب من أهل الحديبية الا لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما ورضخ صلى الله عليه وسلم للنساء أي وكن عشرين امرأة فيهن صفية عمته صلى الله عليه وسلم وأم سليم وأم عطية الانصارية * وعن بعضهم قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقلت يا رسول الله قد أردن الخروج معك نعين المسلمين ما استطعنا فقال على بركة الله قالت فخرجنا معه فلما افتتح خيبر رضخ لنا وأخذ هذه القلادة ووضعها في عنقي فوالله لا تفارقني أبدا وأوصت أنها تدفن معها زاد في السيرة الهشامية أنها قالت وكنت جارية حديثة السن فأردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله قالت فلما كان الصبح وأناخ راحلته ونزلت عن حقيبة رحله واذا بها دم مني وكانت أول حيضة حضتها قالت فتقبضت الى الناقة

واستحييت

واستحييت فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حالى قال مالك أملك نفست
قالت قلت نعم قال فأصلحي من نفسك ثم خذى اناء من ماء فاطرحى فيه ملحا ثم
اغسلى ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك قالت فكنت لا أتطهر من
حيضة الا جعلت في طهوري ملحا وأوصت أن يجعل ذلك في غسلها حين ماتت * ثم
دفع صلى الله عليه وسلم لاهل خيبر الارض لما قالوا له صلى الله عليه وسلم نحن أعلم
بها منكم وأعمرها بشطر ما يخرج منها من تمر أوزرع وقال لهم على أنا اذا شئنا أن
نخرجكم أخرجناكم * أى وهذا يخالف ما عليه أئمتنا من أنه لا يجوز في عقد
الجزية أن يقول الامام أو نائبه أقركم ما شئنا بخلاف ما شئتم لانه تصريح بمقتضى
العقد لان لهم نبذ العقد ما شاؤا وذكر أئمتنا أنه يجوز زمنه صلى الله عليه وسلم لا منا
أن يقول أقركم ما شاء الله لانه يعلم مشيئة الله دوننا والشطر في هذا ظاهر
في النصف ولم أقف على تعيينه في رواية * وكان صلى الله عليه وسلم يرسل
الى خيبر عبد الله بن رواحة رضى الله عنه خارصا قيل وانما خرص عليهم عبد الله
عاما واحدا ثم مات * وهذا يخالفه قول بعضهم كان عبد الله بن رواحة رضى
عنه يأتيهم كل عام يخرصها يعنى الثمار عليهم ثم يضمنهم الشطر فشكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه فقال يا أعداء الله تطعمونى
السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس الى ولانتم أبغض الى من القردة
والخنازير ولا يحملنى بغضى اياكم وحبى اياه على أن لا أعدل فقالوا بهذا قامت
السموات والارض وكان يخرص عليهم بعده جبار بن صخر وكان خارصا لاهل
المدينة * أقول أى ساقاهم على النخل وزارعهم على الارض هكذا استدل بذلك
أئمتنا على ما ذكر أى على جواز المساقاة وجواز المزارعة تبعا لها ويكون ذلك
مخصصا للنهى عن المزارعة أى ما لم تكن تبعا للمساقاة وهو ولا يتم الا ان كانت
أرض خيبر جميعها بين النخل بحيث يعسر سقيها بدون النخل وأنه صلى الله عليه وسلم
دفع لهم بذرا لان في المزارعة يجب أن يكون البذر من المالك لا من العامل ولم أقف
في شيء من الطرق على أنه صلى الله عليه وسلم دفع لهم بذرا بل ظاهر الروايات يدل
على ان البذر منهم وصرحت به رواية مسلم ويبعد أن تكون أراضى خيبر كلها كانت
بين النخل بحيث يعسر سقيها بدون النخل وحينئذ يكون الواقع في خيبر انما هى
المخابرة وهى المعاملة على الارض ببعض ما يخرج منها والبذر من العامل وهى
باطلة عندنا بل قيل عند المذاهب الاربعة ولو تبعا للمساقاة والله أعلم * ثم ان
الصديق رضى الله عنه أقرهم بعده صلى الله عليه وسلم ثم أقرهم عمر رضى الله عنه

الى أن خرج ولده عبدالله رضى عنهما فى خلافة أبيه الى خيبر فعدى عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه فقام عمر رضى الله عنه خطيبا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل أهل خيبر على أموالهم أى أرضهم ونخيلهم وقال لهم نقركم على ما أقركم الله وأن عبد الله بن عمر خرج الى ماله هناك فعدى عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه وليس لنا هناك عدو غيرهم * وقد رأيت اجلاءهم أى ووافقه الصحابة على ذلك فان عمر رضى الله عنه قام خطيبا فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس أن يهود فعلوا بعبد الله بن عمر ما فعلوا وفعلوا بمطهر ابن رافع ما فعلوا مع عدوتهم على عبد الله بن سهيل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أشك أنهم أصحابه وأنا أريد أن أجلو يهود فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقركم ما أقركم الله وقد أذن الله فى اجلائهم فقام طلحة بن عبد الله فقال قد والله أحسنت يا أمير المؤمنين ووفقت فهم أهل سوء * فقال عمر رضى الله عنه من معك على مثل رأيك قال المهاجرون جميعا والانصار فسر بذلك عمر رضى الله عنه * وقوله وفعلوا بمطهر ما فعلوا أى لان مطهر بن رافع قدم خيبر بأعلاج من الشام عشرة عبيد له ليعملون له بأرضه وأقام بخيبر ثلاثة أيام فقال لهم رجل من يهود أنتم نصارى ونحن يهود وهذا سيدكم من قوم عرب قد قهرونا بالسيف وأنتم عشر رجال ورجل واحد يسوقكم الى الجهد والبؤس وتكونون فى رق شديد فاذا خرجتم من قريتنا فاقتلوه فقالوا له ليس معنا سلاح فدست اليهود لهم سكينتين أو ثلاثة فلما خرجوا عن خيبر أقبلوا على مطهر بسكاكينهم فخرج مطهر يعدو الى سيفه وكان فى قرابة على راحلته فأدركوه قبل الوصول اليه وبعجوا بطنه ثم انصرفوا سراعا حتى دخلوا خيبر على يهود فآووهم وزودوهم الى الشام وجاء عمر رضى الله عنه الخبر بقتل مطهر وما صنعت به يهود وقوله مع عدوتهم على عبد الله بن سهيل أى فانه وجد قتيلا فى خيبر لاهل حصن الشق فسألهم أخوه محيصة فقالوا لا والله ما لنا به من علم قال فجئت أنا وأخى عبد الرحمن وأخى حويصة وهو أكبرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أخى عبد الرحمن يتكلم وهو أصغرنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر فسكت فأردت أن أتكلم فقال كبر كبر فسكت فتكلم أخى حويصة وذكر أن اليهود تهمتنا وظنتنا فقال صلى الله عليه وسلم اما أن يدوا صاحبكم واما أن يأذنوا بحرب وكتب صلى الله عليه وسلم اليهم فى ذلك وكتبوا اليه ما قتلناه فقال صلى الله عليه وسلم لى ولاخوى تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم فقلنا يا رسول الله لم نحضر

ولم نشهد قال فتحلف لكم يهود قلنا يا رسول الله ليسوا بمسلمين فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده بمائة ناقة خمس وعشرين جذعة وخمس وعشرين حقة وخمس وعشرين ابنة لبون وخمس وعشرين بنت مخاض ❋ وعن ابن المسيب رحمه الله كانت القسامة في الجاهلية ثم أقرها صلى الله عليه وسلم في الاسلام في الانصاري الذي وجد قتيلا في جب من جباب يهود ❋ فلما أجمع الصحابة على ذلك أي على ما أراده سيدنا عمر رضي الله عنه جاءه أحد بني الحقيق فقال يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا محمد صلى الله عليه وسلم وعاملنا على أموالنا وشرط ذلك لنا فقال له عمر رضي الله عنه أظننت أني نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لك كيف بك اذا أخرجت من خيبر يعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة فقال كانت هذه هزيلة من أبي القاسم فقال كذبت يا عدو الله ثم بلغه رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبقى دينان في جزيرة العرب وقوله لاخرجن اليهود والنصارى وفي لفظ المشركين من جزيرة العرب ❋ وفي رواية آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم أخرجوا اليهود من الحجاز وفي لفظ ان عشت أخرجت اليهود والنصارى من الحجاز أي وهو مكة والمدينة واليمامة وطرقها وقراها كالطائف لمكة وخيبر للمدينة والمراد بجزيرة العرب الحجاز المشتملة عليه أي فالمراد بجزيرة العرب بعضها وهو الحجاز خاصة لان عمر لما أجلاهم ذهب بعضهم الى تيما وبعضهم الى أريحا وتيما من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز وقيل له حجاز لانه حجز بين نجد وتهامة ففحص عمر رضي الله عنه عن ذلك حتى تيقنه وثلج صدره وأجلى يهود خيبر أي وأعطاهم قيمة ما كان لهم من تمر وغيره وأجلى يهود فدك ونصارى نجران فلا يجوز اقامتهم بذلك أكثر من ثلاثة أيام غير يومي الدخول والخروج ❋ ثم ركب في المهاجرين والانصار وخرج معه جبار ابن صخر ويزيد بن ثابت فقسما خيبر على أصحاب السهمان التي كانت عليها كما قسمت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ❋ وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لا يركبهم الا نبي ❋ وقد كنت أتوقعك لتركبني لم يبق من نسل جدي غيري ولم يبق من الانبياء غيرك قد كنت لرجل يهودي وكنت أتعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأنت يعفور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه الى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فاذا خرج اليه

صاحب الدار أوماء اليه ان أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ألقى نفسه فى بئر جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات * قال ابن حبان هذا خبر لا أصل له واسناده ليس بشيء وقال ابن الجوزى لعن الله واضعه فانه لم يقصد الا القدح فى الاسلام والاستهزاء به * وقد قال شيخنا العماد بن كثير هذا شيء باطل لا أصل له من طريق صحيح ولا ضعيف وسألت شيخنا المزى رحمه الله فقال ليس له أصل وهو ضحكة وقد أودعه كتبهم جماعة منهم القاضى عياض فى الشفاء والسهيلى فى روضه وكان الاولى ترك ذكره ووافقه على ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وغفر لنا وله وللمسلمين

(غزوة وادى القرى)

ثم عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من خيبر أتى وادى القرى وأهله يهود فدعاهم صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فامتنعوا من ذلك وقاتلوا أى برز رجل منهم فقتله الزبير رضى الله عنه فبرز آخر فقتله على كرم الله وجهه ثم برز آخر فقتله أبو دجانة رضى الله عنه فقاتلهم المسلمون الى المساء وقتل منهم أحد عشر رجلا ففتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموال أهلها وأصاب المسلمون منهم أثاثا ومتاعا فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك الارض والنخيل فى أيدى أهلها أى من بقى وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر وفى لفظ ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهود وترك فى أيديهم أراضى وادى القرى والبساتين والحدائق يعملون فيها ويأخذون الاجرة * وقيل حاصرهم ليالى ثم انصرف راجعا الى المدينة فعلى الاول تضم للغزوات التى وقع فيها القتال * ولما بلغ أهل تيما ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل خيبر وفدك ووادى القرى صالحوه صلى الله عليه وسلم على الجزية فأقاموا ببلادهم وأرضهم فى أيديهم * قال وقتل عبده صلى الله عليه وسلم الاسود الذى كان يرحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يحط رحله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم فقتله فقال الناس هنيأ له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى أخذها من خيبر من الغنائم قبل أن تقسم تشتعل عليه نارا انتهى * ولما قرب من المدينة سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليلة فلما كان قبيل الصبح نزل وعرس وقال الا رجلا حافظا لعينه يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام قال بلال رضى الله عنه أنا يا رسول الله أحفظه عليك * وفى لفظ قال يا بلال اكلأ لنا الليل فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقام بلال رضى الله عنه يصلى ما شاء الله ثم استند الى بعيره واستقبل

الفجر برمقه فغلبته عينه فنام فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم حتى ضربتهم الشمس * وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماصنعت يابلال قال يارسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك قال صدقت أي وتبسم صلى الله عليه وسلم * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم التفت الى أبي بكر الصديق وقال له ان الشيطان أتى بلالا وهو قائم يصلي فلم يزل يهدئه كما يهدئ الصبي حتى نام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأخبر بلال رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم الصديق فقال أبو بكر رضي الله عنه أشهد أنك رسول الله ثم سار صلى الله عليه وسلم بالناس يقود بعيره غير كثير ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس وأمر بلالا فأقام الصلاة * وفي رواية فاقتادوا رواحلهم وفي رواية فاستيقظ القوم وقد فزعوا فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي وقال هذا واد به شيطان فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي الحديث فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا نسيتم الصلاة فصلوها اذا ذكرتموها فان الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكري * وفي رواية ان الله قبض أرواحنا ولو شاء ردها الينا في حين غير هذا فاذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها ثم فزع اليها فليصلها في وقتها * أي وقيل ان ذلك كان في مرجعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية وقيل في مرجعه من حنين وقيل في مرجعه من تبوك * قال في الامتاع وهذا لا يصح لان الآثار الصحاح على خلافه أي دالة على أن ذلك كان في رجوعه صلى الله عليه وسلم من وادي القرى * وقد يقال لا مانع من التعدد ويدل للقول بأن ذلك كان في مرجعه من الحديبية ماجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه فعنه رضي الله عنه أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية * وفي رواية لما انصرفنا من غزوة الحديبية قال النبي صلى الله عليه وسلم من يحرسنا الليلة فقلت أنا يارسول الله قال انك تنام ثم أعاد من يحرسنا الليلة فقلت أنا حتى أعاد ذلك مرارا وأنا أقول أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت قال فحرستهم حتى اذا كان وجه الصبح أدركني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تنام فنمت فما أيقظنا الا حر الشمس في ظهورنا وسيأتي في تبوك عن الحافظ بن حجر اختلاف العلماء في التعدد وكان بين الحديبية وعمرة القضاء اسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي وعثمان بن طلحة الحجبي رضي الله عنهم * وقيل كان بعد عمرة القضاء ويشهد له ماجاء عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال لما أراد الله عز وجل

ما أراد بي من الخير قذف في قلبي الاسلام وحضر لي رشدي وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم فليس موطن أشهده الا انصرف وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيء وأن محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر * فلما جاء صلى الله عليه وسلم لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله فكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه صلى الله عليه وسلم فطلبني فلم يجدني فكتب الى كتابا فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ومثل الاسلام يجهله أحد قد سألني عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن خالد فقلت يأتي الله به فقال ما مثله يجهل الاسلام ولو كان يجهل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخي ما فاتك فقد فاتك مواطن صالحة فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام وسرتني مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضر أو اسعة فلما اجتمعنا للخروج الى المدينة لقيت صفوان فقلت يا أبا وهب اما ترى أن محمدا صلى الله عليه وسلم ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه فاتبعناه فان شرفه شرف لنا قال لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدا فقلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذي قال صفوان قلت فاكتم ذكر ما قلت لك قال لا أذكره ثم لقيت عثمان بن طلحة أي الحجبي قلت هذا لي صديق فأردت أن أذكر له ثم ذكرت من قتل من آبائه أي قتل أبيه طلحة وعمه عثمان أي وقتل اخوته الاربعة مسافع والجلاس والحارث وكلاب كلهم قتلوا يوم أحد كما تقدم فكرهت أن أذكر له ثم قلت وما علي فقلت له انما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج * ثم قلت له ما قلته لصفوان وعكرمة فاسرع الاجابة فواعدني ان سبقني أقام في محل كذا وان سبقته اليه انتظرته فلم يطلع الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا الى الهدة اسم محل فنجد عمرو بن العاصي بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك قال اين مسيركم قلنا الدخول في الاسلام * قال وذلك الذي أقدمني وفي لفظ قال عمرو لخالد يا أبا سليمان أين تريد قال والله لقد استقام الميسم أي تبين الطريق وظهر الامر وان هذا الرجل لنبي فاذهب فأسلم فحتى متى قال عمرو وأنا ما جئت الا لاسلم فاصطحبنا جميعا ثم دخلنا المدينة الشريفة فأنخنا بظهر الحرة ركابنا فأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بنا أي وقال رمتكم مكة بافلاذ كبدها فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيني أخي فقال أسرع فان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فأسرعنا المشى فاطلعت عليه فما زال صلى الله عليه وسلم يتبسم الى حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك الا الى خير قلت يارسول الله ادع الله يغفر لى تلك المواطن التى كنت أشهدها عليك فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما كان قبله أى وتقدم عثمان وعمرو فأسلما وفى رواية عن عمرو بن العاصى * قال قدمنا المدينة فانخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودى بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه صلى الله عليه وسلم وان لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان ابن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ماهو الا أن جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فما استطعت أن أرفع طرفى حياء منه صلى الله عليه وسلم قال فبايعته على أن يغفر لى ماتقدم من ذنبى ولم يحضرنى ما تأخر فقال ان الاسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها فوالله ماعدل بى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بخالد بن الوليد أحدا من الصحابة فى أمر حربه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبى بكر رضى الله عنه بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر رضى الله عنه بتلك الحالة وكان عمر رضى الله عنه على خالد كالعاتب وتقدم أن عمرا رضى الله عنه أسلم على يد النجاشى رضى الله عنه * قال بعضهم وفى اسلام عمرو على يد النجاشى لطيفة وهى صحابى أسلم على يد تابعى ولا يعرف مثله ومن حين أسلم خالد رضى الله عنه لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوليه أعنة الخيل فيكون فى مقدمها والله أعلم

* (عمرة القضاء أى ويقال لها عمرة القضيه) *

أى لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا عليها أى صالحهم عليها ومن ثم قيل لها عمرة الصلح ويقال لها عمرة القصاص * قال السهيلى رحمه الله وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص * قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فتحصل من أسمائها أربعة القضاء والقضية والصلح والقصاص أى لانها كانت فى شهر ذى القعدة من السنة السابعة أى وهو الشهر الذى صده فيه المشركون عن البيت منها سنة ست وليست قضاء عن العمرة التى صد عن البيت فيها فانها لم تكن فسدت بصدهم له عن البيت بل كانت عمرة تامة معدودة فى عمره صلى الله عليه وسلم التى اعتمرها صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وهى أربعة عمرة الحديبية وعمرة القضاء وعمرة الجعرانة لما قسم غنائم حنين والعمرة التى

قرنهما مع حجه في حجة الوداع بناء على ماهو الراجح من أنه كان قارنا وكلها في ذى القعدة الا التى كانت مع حجه وقد مكث صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة لم ينقل عنه أنه اعتمر خارجا من مكة الى الحل في تلك المدة أصلا ولم يفعل هذا على عهده صلى الله عليه وسلم الا عائشة رضى الله عنها كما سيأتى في حجة الوداع وكون العمرة لا تفسد بالصد انما هو على ما يراه امامنا الشافعى رضى الله عنه اما على من يرى أن العمرة تفسد بالصد عنها وأنه يجب قضاؤها كما هو المنقول عن أبى حنيفة رضى الله عنه فواضح أنها قضاء وهذه العمرة ليست من الغزوات وانما ذكرها البخارى فيها لانه صلى الله عليه وسلم خرج مستعدا بالسلاح للمقاتلة خشية أن يقع من قريش غزو وليس من لازم الغزو وقوع المقاتلة * ومن ثم قيل لها غزوة الامن * وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدا مكة للعمرة على ما عاقد عليه قريشا في الحديبية أى من أنه يدخل مكة في العام القابل معه سلاح المسافر ولا يقيم بها أكثر من ثلاثة أيام * و في أنس الجليل ما يفيد أن اشتراط الثلاثة أيام كان في عمرة القضاء ففيه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا عمرة القضاء فأبى أهل مكة أن يدعوه صلى الله عليه وسلم يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم ثلاثة أيام وأن لا يخرج من أهلها أحدا ان اراد أن يتبعه وأن لا يمنع من أصحابه أحدا أن يقيم بها وأصحابه كانوا ألفين * أى وأمر أن لا يتخلف عنه أحد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف أحد الا من استشهد في خيبر ومن مات وخرج معه جمع ممن لم يشهد الحديبية واستخلف على المدينة أبا ذر الغفارى * وقيل غيره وساق ستين بدنة وقلدها أى جعل في عنق كل بعير قطعة من جلد أو نعلا بالية ليعلم أنه هدى فيكف الناس عنه ولم يذكر هنا الاشعار أى وجعل عليها ناجية بن جندب * قال وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس عليها محمد بن مسلمة رضى الله عنه أى وعلى السلاح بشير بن سعد وأحرم صلى الله عليه وسلم من باب المسجد * فلما انتهى الى ذى الحليفة قدم الخيل امامه فقيل يا رسول الله حملت السلاح * وقد شرطوا أن لا تدخلها عليهم بسلاح الا بسلاح المسافر السيوف في القرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل عليهم الحرم بالسلاح * ولكن يكون قريبا منا فان هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريبا منا فمضى بالخيل محمد ابن مسلمة فلما كان بمر الظهران وجد نفرا من قريش فسألوه فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله أى وقد رأوا سلاحا كثيرا فخرجوا سراعا

حتى أتوا قريشا فأخبروهم بالذى رأوا من الخيل والسلاح ففزعت قريش وقالوا ما أحدثنا حدثا وانا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد فى أصحابه * ثم ان قريشا بعثت مكرز ابن حفص فى نفر من قريش اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا والله يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك * وقد شرطت عليهم أن لا تدخل الا بسلاح المسافر السيوف فى القرب فقال صلى الله عليه وسلم انى لا أدخل عليهم بسلاح فقال مكرز هو الذى تعرف به البر والوفاء * ثم رجع مكرز الى مكة مسرعا وقال ان محمدا لا يدخل بسلاح وهو على الشرط الذى شرط لكم انتهى * فلما اتصل خروجه لقريش خرج كبراؤهم من مكة حتى لا يروه صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت هو وأصحابه عداوة و بغضا وحسدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة أى راكبا ناقته القصواء وأصحابه محدقين به قد توشحوا السيوف يلبون * ثم دخل من الثنية التى تطلعه على الحجون وهى ثنية كداء بالمد أى وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل مكة قال اللهم لا تجعل منيتنا بها يقول ذلك من حين يدخل حتى يخرج منها أى وجعل صلى الله عليه وسلم السلاح فى بطن ناجج موضع قريب من الحرم وتخلف عنده جمع من المسلمين من أصحابه عليهم أوس بن خولى وقعد جمع من المشركين بجبل قينقاع ينظرون اليه صلى الله عليه وسلم والى أصحابه وهم يطوفون بالبيت * وقد قالوا أى كفار قريش ان المهاجرين أوهنتهم أى أضعفتهم حمى يثرب * وفى لفظ قالوا انه قدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا * ثم قال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ أراهم من نفسه قوة فأمر أصحابه أن يرملوا الاشواط الثلاثة أى ليروا المشركين أن لهم قوة أى فعند ذلك قال المشركون أى قال بعضهم لبعض هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا انهم لينفرون أى يثبون نفر الظبى أى الغزال * وانما لم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بالرمل فى الاشواط كلها رفقا بهم واضطبع صلى الله عليه وسلم بردائه وكشف عضده اليمنى ففعلت الصحابة رضى الله عنهم كذلك * وهذا أول رمل واضطباع فى الاسلام وأقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثلاثة أيام فلما تمت الثلاثة التى هى أمد الصلح جاء حويطب بن عبد العزى ومعه سهيل بن عمرو رضى الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرانه بالخروج هو وأصحابه من مكة فقالوا انا نناشدك الله والعقد الا ما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث * فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه

منها * وكان صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى عنها * أى وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهى أخت أم الفضل زوج العباس رضى الله عنهما وأخت أسماء بنت عميس لامها زوج حمزة رضى الله عنه * وكان تزوجه صلى الله عليه وسلم ميمونة قبل أن يحرم بالعمرة * وقيل بعد أن أحل منها * وقيل وهو محرم أى وهو ما رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما ورواه الدارقطنى من طريق ضعيف عن أبى هريرة رضى الله عنه فانه صلى الله عليه وسلم كان قد بعث اليها جعفر رضى الله عنه ليخطبها * ولما انتهت اليها خطبة النبى صلى الله عليه وسلم كانت على بعيرها فقالت البعير وما عليه لله ولرسوله أى * ومن ثم قيل انها التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم * وقيل جعلت أمرها الى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وقيل جعلت أمرها الام الفضل أختها فجعلت أم الفضل أمرها للعباس فزوجها العباس وأصدقها عنه صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ولامانع من نكاحه صلى الله عليه وسلم وهو محرم فان من خصائصه صلى الله عليه وسلم حل عقد النكاح فى الاحرام * أى وفى كلام السهيلى كان من شيوخنا من يتأول قول ابن عباس تزوجها محرما أى فى الشهر الحرام وفى البلد الحرام ولم يرد الاحرام بالحج أى كما أراد ذلك الشاعر بقوله فى عثمان بن عفان رضى الله عنه

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما   أى فى شهر حرام فانه قتل فى أيام التشريق

هذا كلام السهيلى * قال بن كثير رحمه الله وفيه نظر لان الروايات عن بن عباس رضى الله عنهما متظافرة بخلاف ذلك التى منها تزوجها وهو محرم هذا كلامه * وعن بن المسيب غلط بن عباس أو قال وهم ابن عباس ما تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم الا وهو حلال * ومن ثم روى الدارقطنى عن عكرمة عن بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال قال السهيلى فهذه الرواية عن ابن عباس موافقة لرواية غيره فقف عليها فانها غريبة عن ابن عباس * وذكر بعض فقهائنا أنه صلى الله عليه وسلم وكل أبا رافع رضى الله عنه فى نكاح ميمونة رضى الله عنها * وفى بعض السير وعن ابن رافع قال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال وأنا الرسول بينهما رواه البيهقى والترمذى والنسائى * وأراد صلى الله عليه وسلم ان يبنى بها فى مكة فلم يمهلوه يبنى بها * قال وقد قال لهم ماعليكم لوتركتمونى فأعرست بين أظهركم فصنعت لكم طعاما فقالوا لاحاجة لنا فى طعامك أخرج

عنا من أرضنا هذه الثلاثة قد مضت * وفي لفظ قال لهم اني قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم ان مكثت حتى أدخل بها واصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا * وفي رواية جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم في قبته التي نصبها بالابطح وذلك وقت * وقيل وقت الصبح ولا مخالفة لجواز مجيئهم له في الوقتين وعند مجيئهم له صلى الله عليه وسلم كان مع الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة فصاح حويطب ناشدتك الله والعقد الاما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث فغضب سعد بن عبادة رضي الله عنه لما رأى من غلظ كلامهم للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لذلك القائل كذبت لا أم لك ليس بأرضك ولا أرض آبائك * أي وفي لفظ قال يا عاض بظر أمه أرضك وأرض امك دونه ليست بأرضك ولا بأرض آبائك والله لا يبرح منها الا طائعا راضيا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا سعد لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا وأسكت الفريقين ثم انه صلى الله عليه وسلم أمر أبا رافع رضي الله عنه أن ينادي بالرحيل ولا يمسي بها أحد من المسلمين وخلف أبا رافع ليأتي له بميمونة حين يمسي فخرج بها ولقيت ميمونة رضي الله عنها من سفهاء مكة عناء * فعن أبي رافع رضي الله عنه لقينا عناء من أهل مكة من سفهاء المشركين من أذى ألسنتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ولميمونة فقلت لهم ما شئتم هذه والله الخيل والسلاح ببطن يأجج وأنتم تريدون نقض العهد والمدة فولوا راجعين منكشفين * وأقام صلى الله عليه وسلم بسرف بكسر الراء وهو محل بين مساجد عائشة وبطن مرو وهو أقرب الى مساجد عائشة وفيه دخل صلى الله عليه وسلم بميمونة أي تحت شجرة هناك * وكان محل موتها ودفنها دفنت فيه بعد ذلك فانه صلى الله عليه وسلم أخبرها بأنها لا تموت بمكة فلما ثقل عليها المرض وهي بمكة قالت أخرجوني من مكة فاني لا أموت بها فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر في ذلك فحملوها حتى أتوا بها ذلك الموضع فماتت به ودفنت به أي وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر من توفي من أزواجه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن وحين دخوله صلى الله عليه وسلم مكة أخذ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بغرزه أي ركابه صلى الله عليه وسلم أي وقيل بزمام الناقة وهو رضي الله عنه وعنا وعن المسلمين يقول من أبيات

خلوا بني الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير في رسوله

قد أنزل الرحمن في تنزيله * بأن خير القتل في سبيله

فاليوم نضربكم على تأويله * كما ضربناكم على تنزيله

وفي لفظ

نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله

وما قيل

انحن قتلناكم على تأويله * كما ضربناكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * أو يذهل الخليل عن خليله

* قاله عمار بن ياسر يوم صفين لا يمنع أن يكون ذلك من كلام بن رواحة رضي الله عنه وتمثل به عمار رضي الله عنه أي وأما ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا أقاتل على تنزيل القرآن وعلى يقاتل على تأويله فقال الدارقطني رحمه الله تفرد به بعض الرافضة * قال وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال مه يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فله أسرع فيهم من نضح النبل * وذكر أنه صلى الله عليه وسلم قال ايها يا ابن رواحة قل لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها وقالها الناس * أي وفي الامتاع وكان بن رواحة يرتجز في طوافه وهو آخذ بزمام الناقة فقال عليه الصلاة والسلام ايها يا ابن رواحة قل لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها وقالها الناس وطاف صلى الله عليه وسلم على راحلته وأستلم الحجر بمحجنه * وذكر أنه صلى الله عليه وسلم دخل البيت فلم يزل به حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة فقال عكرمة بن أبي جهل لقد أكرم الله تعالى أبا الحكم يعني والده أبا جهل حيث لم يسمع حداء العبد يقول ما يقول * وقال صفوان ابن أمية الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا وقال خالد بن أسيد الحمد لله الذي أذهب أبي ولم يشهد هذا اليوم حيث يقوم بلال ينهق فوق الكعبة وسهيل بن عمرو لما سمع ذلك غطى وجهه وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضي الله عنهم * قال بعضهم وكون ما ذكر أي من دخوله صلى الله عليه وسلم داخل الكعبة وآذان بلال رضي الله عنه فوق ظهرها كان في عمرة القضاء خلاف المشهور اذ المشهور أن ذلك كان في يوم الفتح ويدل لذلك ما قيل لم يدخل صلى الله عليه وسلم الكعبة وأنه أراد ذلك فأبوا وقالوا لم يكن في شرطك فأمر بلالا فأذن فوق ظهر الكعبة مرة واحدة ولم يعد بعدها * قال الواقدي في هذا القيل انه أثبت * أقول ويؤيد الاول ما جاء دخلت الكعبة ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما دخلتها اني أخاف أن أكون قد شققت على أمتي من بعدي أي لاتخاذهم ذلك سنة الا أن يقال يجوز أن يكون ذلك كان منه صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وينبغي أن يكون هذا من اعلام النبوة

فان الناس يحصل لهم من التعب بسبب دخولها سيما زمن الموسم مالا يعبر عنه من
التلاعب والامور الفظيعة والله أعلم ثم سعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة
أي وأوقف الهدى عند المروة وقال هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر فنحر عندها وحلق
ولم أقف على من حلق رأسه الشريف في هذه العمرة * ثم رأيته في الامتاع قال
حلقه معمر بن عبد الله العدوي وفعل كفعله صلى الله عليه وسلم المسلمون أي ومن
لم يجد منهم بدنة رخص له في البقرة وكان قدم رجل مكة ببقر فاشتراه الناس منه
*وأمر صلى الله عليه وسلم من تحلل أن يذهب الى السلاح ويأتي آخرون فيقضوا
نسكهم ففعلوا ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة تبعته عمارة أي وقيل
اسمها أمامة وقيل أمة الله * قال ابن عبد البر والبنت أمامة وأمها
سلمى بنت عميس بنت عمه حمزة رضي الله عنه تنادي يا عم يا عم أي وفي لفظ ان أبا
رافع خرج بها فتناولها علي كرم الله وجهه فأخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة
عمك فلما وصلوا المدينة اختصم فيها علي وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم
فقال زيد بن حارثة رضي الله عنه أنا أحق بها لانها بنت أخي أي وأنا وصيه لانه
صلى الله عليه وسلم آخى بين حمزة وزيد أي وجعله حمزة رضي الله عنه وصيه
*وقال علي كرم الله وجهه أنا أحق بها لانها ابنة عمي وجئت بها من مكة
*وقال جعفر رضي الله عنه أنا أحق بها لانها بنت عمي وخالتها تحتي أي وهي أسماء
بنت عميس فقضى بها صلى الله عليه وسلم لجعفر رضي الله عنه وقال الخالة بمنزلة
الام هذا وفي الامتاع وكلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عمارة بنت حمزة رضي الله عنهما وكانت مع أمها سلمى بنت عميس بمكة
فقال علي م نترك بنت عمنا يتيمة بين أظهر المشركين وأنه لما قضى بها لجعفر رضي الله
عنه حجل جعفر حول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا يا جعفر فقال يا رسول
الله كان النجاشي اذا أرضى أحدا قام فحجل حوله وفيه أنه فعل مثل ذلك بخيبر
وما بالعهد من قدم الآن يقال يجوز أن يكون في خيبر فعل ذلك ولم يره النبي صلى الله
عليه وسلم وفي لفظ لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وفيه تقديم الخالة
في الحضانة على العمة لان عمتها صفية رضي الله عنها كانت موجودة وقال صلى الله
عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه في هذا الموطن أنت أخي وصاحبي * وفي لفظ
أنت مني وأنا منك وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر رضي الله عنه أشبهت خلقي
وخلقي * أي وقد تقدم منه ذلك له في خيبر وقال صلى الله عليه وسلم لزيد رضي الله
عنه أنت أخي ومولاي وفي لفظ أنت مولى الله ومولى رسوله صلى الله عليه وسلم

* (غزوة مؤتة) *

بضم الميم وبالهمزة ساكنة وبترك الهمزة موضع معروف عند الكرك وفى كلام
السهيلى مؤتة مهموز الفاء واما الموتة بلا همز فضرب من الجنون وفى الحديث
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى صلاته أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وفسره راوى الحديث فقال نفثه السحر ونفخة الكبر
وهمزه الموتة هذا كلامه كانت هذه الغزوة فى جمادى الاولى سنة ثمان وكان
سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الازدى بكتاب الى
هرقل عظيم الروم بالشام * أى فلما نزل مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى
أى وهو من أمراء قيصر على الشام فقال أين تريد لعلك من رسل محمد قال نعم فأوثقه
رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره
فلما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد الامر عليه فجهز جمعا من أصحابه
وعدتهم ثلاثة آلاف وبعثهم الى مقاتلة ملك الروم * وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال
ان أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس وان أصيب جعفر فعبد الله بن
رواحة على الناس * قال وفى رواية فان أصيب بن رواحة فليرتض المسلمون
برجل منهم فليجعلوه عليهم وقد حضر ذلك المجلس رجل من يهود فقال يا أبا القاسم
ان كنت نبيا يصاب جميع من ذكرت لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من
بنى اسرائيل كان الواحد منهم اذا استعمل رجلا على القوم وقال ان أصيب فلان
لا بد أن يصاب أى ولو عد مائة أصيبوا جميعا ثم صار يقول لزيد اعهد فلن ترجع الى
محمد أبدا ان كان نبيا وزيد يقول أشهد أنك نبى وعقد صلى الله عليه وسلم لواء
أبيض ودفعه لزيد بن حارثة رضى الله عنه وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير
ويدعوا من هناك الى الاسلام فان أجابوا والا استعانوا عليهم بالله تبارك وتعالى
وقاتلوهم * وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم نهاهم أن يأتوا مؤتة فغشيتهم
ضبابة فلم يبصروا حتى أصبحوا على مؤتة انتهى وودعهم الناس وقالوا لهم صحبكم
الله ودفع عنكم وردكم الينا صالحين * قال ويقال ان رسول صلى الله عليه
وسلم خرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف فقال أى بعد قوله أوصيكم بتقوى
الله وبمن معكم من المسلمين خيرا أغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام
وستجدون فيها رجالا فى الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيرا
ولا بصيرا فانيا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء انتهى وقال لهم المسلمون دفع الله
عنكم وردكم غانمين فمضوا حتى نزلوا من أرض الشام فبلغهم ان هرقل ملك الروم

فى

فى مائة ألف من الروم وانضم اليه من قبائل العرب أى المتنصرة أى من بنى بكر ولخم وجذام مائة ألف * وفى رواية كانوا مائتى ألف من الروم وخمسين ألفا من العرب ومعهم من الخيول والسلاح ماليس مع المسلمين وكان المسلمون ثلاثة آلاف كما مر فلما بلغهم ذلك أقاموا فى ذلك المحل ليلتين ينتظرون فى أمرهم هل يبعثون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بعدد عدوهم فاما أن يمدهم برجال أو يأمرهم بأمر فيمضوا اليه فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال لهم ياقوم والله ان الذى تكرهون للذى خرجتم له خرجتم تطلبون الشهادة ونحن مانقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة مانقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله تعالى به فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة أى فقال الناس صدق والله ابن رواحة فمضوا للقتال فلقيتهم جموع هرقل ملك الروم من الروم والعرب فانحاز المسلمون الى مؤتة فالتقى الجمعان عندها واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة رضى الله عنه ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لواؤه حتى قتل رضى الله عنه فأخذ الراية جعفر رضى الله عنه وقاتل على فرس أشقر ثم نزل عنه وعقره أى وهو أول رجل من المسلمين عقر وفرسه أول فرس عقر فى سبيل الله عقره خوفا أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين * ومن ثم لم ينكر عليه أحد من الصحابة وبه استدل من جوز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به الكفار ويقاتل عليه المسلمين ثم قاتل رضى الله عنه فقطعت يمينه فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره فاحتضن الراية وقاتل حتى قتل رضى الله عنه فأخذها عبد الله بن رواحة رضى الله عنه وتقدم بها وهو على فرسه وجعل يتردد فى النزول عن فرسه ثم نزل وقاتل حتى قتل أى وحينئذ اختلط المسلمون والمشركون وأراد بعض المسلمين الانهزام فجعل عقبة بن عامر رضى الله عنه يقول ياقوم يقتل الانسان مقبلا أحسن من أن يقتل مدبرا فأخذ الراية ثابت ابن أرقم رضى الله عنه وقال يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فقالوا أنت فقال ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد رضى الله عنه أى ويقال ان ثابت بن أرقم دفعها الى خالد رضى الله عنه وقال أنت أعلم بالقتال منى أى فقال له خالد أنت أحق به منى لانك ممن شهد بدرا ثم أخذه خالد رضى الله عنه ومانع القوم وثبت ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر من غير هزيمة على أحدهما * قال وفى رواية قاتلوا المشركين حتى هزموهم فعند ابن سعد أن خالدا رضى الله عنه لما أخذ أمر اللواء حمل على القوم فهزمهم الله أسوأ هزيمة حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤا وأظهر الله المسلمين قيل وسبب ذلك أن خالدا رضى الله عنه

لما أصبح جعل مقدمة الجيش ساقه وساقته مقدمة وميمنته ميسرة وميسرته ميمنة فظن المشركون مجيء عدد للمسلمين فرعبوا وانهزموا فقتلوا قتلة لم يقتلها قوم ويجوز أن يكون ذلك بعد انحياز المسلمين فلا منافاة بين الروايتين وكانت مدة القتال سبعة أيام * وروى البخاري عن خالد رضي الله عنه قال اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يدي الا صحيفة يمانية انتهى واطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك فأخبر به أصحابه أي فانه لما اطلع على ذلك نادى في الناس الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال أيها الناس باب خير باب خير ثلاثا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي أنهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد رضي الله عنه شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية جعفر رضي الله عنه فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفروا له * ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له * ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء وهو أمير نفسه ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره * وفي لفظ ثم أخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين من غير امرة حتى فتح الله عليهم * قال وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انه سيف من سيوفك فانصره فمن يومئذ سمي خالد سيف الله وفي لفظ ثم أخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على يديه وعن عبد الله بن أبي أوفى * قال اشتكى عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خالد لم تؤذي رجلا من أهل بدر لو أنفقت مثل أحد ذهبا لم تدرك عمله فقال يا رسول الله انهم يقعون في فارد فقال لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار * قال بعضهم وكون هذا نصرا وفتحا واضح لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لانهم كانوا مائتي ألف والصحابة ثلاثة آلاف أي كما تقدم اذ كان مقتضى العادة أن يقتلوا بالكلية * وفي رواية أصاب خالد رضي الله عنه منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وهذا لا يخالف ما يأتي أن طائفة منهم فروا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم فصار أهل المدينة يقولون لهم أنتم الفرارون الى آخر ما يأتي * وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها أي زوج جعفر رضي الله عنه قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أصيب جعفر وأصحابه فقال ائتيني ببني جعفر فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه أي وبكى حتى تقطرت لحيته الشريفة فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء قال نعم أصيبوا هذا اليوم فقمت أصيح واجتمع

على

على النساء أى وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها يا أسماء لا تقولى هجرا ولا تضربى خدا وجاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ان النساء عيننا وفتننا قال فارجع اليهن فأسكتهن فذهب ثم رجع فقال له مثل الاول وقال نهيتهن فلم يطعننى فقال اذهب فأسكتهن فان أبين فاحث فى أفواههن التراب وقال صلى الله عليه وسلم اللهم قد قدم يعنى جعفرا الى أحسن الثواب فأخلفه فى ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك فى ذريته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله وقال لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم انتهى * أى وفى لفظ دخل صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضى الله عنها وهى تقول واعماه فقال صلى الله عليه وسلم على مثل جعفر فلتبك الباكية * فى لفظ البواكى ثم قال صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم * وفى رواية فانهم قد شغلهم ما هم فيه وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما أن سلمى مولاة النبى صلى الله عليه وسلم عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم طبخته وأدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا قال عبد الله رضى الله عنه فأكلت من ذلك الطعام وحبسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخوتى * وفى لفظ أنا وأخى فى بيته ثلاثة أيام ندور معه صلى الله عليه وسلم كلما صار فى بيت احدى نسائه ثم رجعنا الى بيتنا وهذا الطعام الذى فعل لآل جعفر رضى الله عنهم قال السهيلى هو أصل فى طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمى طعام العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة * قال عبد الله رضى الله عنه ودعا لى صلى الله عليه وسلم وقال اللهم بارك له فى صفقة يمينه فما بعت شيأ ولا اشتريت شيأ الا بورك لى فيه * ولما قدم عليه صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بخبر الجيش قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فأخبرنى وان شئت فأخبرتك قال فأخبرنى يا رسول الله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم كله ووصف له فقال والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره وان أمرهم لكما ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفع لى الارض حتى رأيت معركتهم أى وحين رأى ذلك صلى الله عليه وسلم قال قد حمى الوطيس أى حميت الحرب واشتدت وقال صلى الله عليه وسلم مثل لى جعفر وزيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة فى خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا وابن رواحة فى أعناقهما صدودا أى اعراضا ورأيت جعفرا مستقيما ليس فى عنقه صدود فسألت فقيل لى انهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما وأما جعفر فانه لم يفعل * وعن

قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قتل زيد أخذ الراية
جعفر رضي الله عنه فجاءه الشيطان لعنه الله فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت
ومناه الدنيا ثم مضى حتى استشهد رضي الله عنه * قال وفي رواية رأيتهم أي فيما
يرى النائم وفي رواية لقد رفعوا الي أي في الجنة فيما يرى النائم على سرير من ذهب
فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا على سريري صاحبيه أي انحرافا فقلت
عم هذا فقيل لي مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى انتهى أي فانه كما تقدم
صار يستنزل نفسه ويتردد في النزول بعض التردد * وفي لفظ دخل عبد الله بن
رواحة الجنة معترضا فقيل يا رسول الله ما اعتراضه قال لما أصابته الجراحة نكل
فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أبدل جعفرا
بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
وجدنا فيما بين صدر جعفر ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة
بالسيف وطعنة بالرمح * وفي لفظ طعنة ورمية وفي لفظ آخر ضربة ورمي وقد
نصفين فوجدوا في احدى شقيه بضعة وثمانين جرحا وفيما أقبل من بدنه اثنين
وسبعين ضربة بسيف وطعنة برمح أي وقيل أربعا وخمسين ورواية التسعين أثبت
* قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه
الماء فقال اني صائم فضعه في ترسي عند رأسي فان عشت حتى تغرب الشمس
أفطرت قال فمات صائما قبل غروب الشمس شهيدا وعمره أحد وأربعون سنة
* وقيل ثلاث وثلاثون سنة وفيه أنه تقدم أنه كان أسن من علي بعشر سنين وكان
عقيل أسن من جعفر بعشر سنين وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين ثم رأيت ابن
كثير رحمه الله قال وعلى ما قيل انه كان أسن من علي بعشر سنين يقتضي أن عمره يوم
قتل سبع وثلاثون سنة لان عليا كرم الله وجهه أسلم وهو ابن ثمان سنين على
المشهور فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر وعمره احدى وعشرون سنة ويوم مؤته
كان في سنة ثمان من الهجرة وكونه رضي الله عنه مات صائما لا يناسب كونه شق
نصفين * وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرفع رأسه الى السماء فقال وعليكم السلام ورحمة الله فقال الناس يا رسول الله
ما كنت تصنع هذا قال مر بي جعفر بن أبي طالب في ملا من الملائكة فسلم
علي ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
ولقيهم الصبيان ينشدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة
فقال خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر فأتى بعبد الله بن جعفر فأخذه

فحمله

فحمله بين يديه وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيأ لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء * وفي الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا دخلت البارحة الجنة فرأيت فيها جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة وفي رواية يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله تعالى من يديه * وروى جناحان من ياقوت أي وذكر السهيلي رحمه الله أن الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية اعطيها جعفر رضي الله عنه يقتدر بها على الطيران لا أنهما جناحان كجناح الطائر كما يسبق للوهم أي لان الصورة الادمية أشرف الصور أي ولا يضر في ذلك وصفهما بأنهما من ياقوت ولا كونهما مضرجين بالدم * وصار المسلمون يحثون في وجوههم التراب ويقولون لهم يا فرارون فررتم في سبيل الله فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل هم الكرارون * وفي لفظ أنهم قالوا يا رسول الله نحن الفارون فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنتم العكارون أي الكرارون وهو دليل على أنه كان بينهم محاجزة وترك للقتال * وعن بعض الصحابة لما قتل ابن رواحة رضي الله عنه انهزم المسلمون رضي الله عنهم أسوء هزيمة * ثم تراجعوا ولقد لقوا من أهل المدينة لما رجعوا شراحتى ان الرجل يجيء الى أهل بيته يدق عليهم بابه فيأبون يفتحون له ويقولون له هلا تقدمت مع أصحابك فقتلت حتى ان كبراء الصحابة رضي الله عنهم جلسوا في بيوتهم استحياء كلما خرج واحد منهم صاحوا به * وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل اليهم رجلا رجلا ثم يقول أنتم الكرارون في سبيل الله ويعنون بالفرار انحيازهم مع خالد رضي الله عنه حين انحاز العدو عنهم * وانما انحاز خالد رضي الله عنه لترتيبه العسكر * وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم خالدا رضي الله عنه على ذلك وأثنى عليه وقتل رجل من المسلمين رجلا من الروم فأراد أخذ سلبه فمنعه خالد رضي الله عنه فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال لخالد ما منعك أن تعطيه سلبه قال استكثرته عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفعه له وكان عوف بن مالك رضي الله عنه كلم خالدا في دفع ذلك لذلك الرجل قبل أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مر خالد بعوف بن مالك أطلق لسانه في خالد رضي الله عنه وقال له أما ذكرت لك ذلك ونحوه فغضب صلى الله عليه وسلم وقال لخالد لا تعطه يا خالد هل أنتم تاركون لي أمرائي وفيه أن القاتل استحق السلب فكيف منعه * وأجيب بأنه يجوز أن يكون دفعه له بعد وانما أخر دفعه تعزيرا لعوف رضي الله عنه حين أطلق لسانه في خالد وانتهك حرمته

وتطييبا للقلب خالد رضي الله عنه للمصلحة في اكرام الامراء وهذا السياق يدل على أن الجيش كله رضي الله عنهم قيل لهم الفرارون وانما كان لطائفة من الجيش فروا الى المدينة لما رأوا من كثرة العدو فليتأمل وعد هذه غزوة تبعت فيه الاصل والحق أنها ليست من الغزوات بل من السرايا الآتي ذكرها لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن فيها

(فتح مكة شرفها الله تعالى)

كان في رمضان سنة ثمان وكان السبب في ذلك * أنه لما كان صلح الحديبية * بين رسول الله صلى الله عليه وسلم * وبين قريش كان فيه أن من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل * ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش * ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم * وكان قبل ذلك بينهما دماء أي فحجز الاسلام بينهما لتشاغل الناس به وهم على ماهم عليه من العداوة * وكانت خزاعة حلفاء عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم أي يناصرونه على عمه نوفل بن عبد مناف فان المطلب لما مات وثب نوفل على ساحات وأفنية كانت لعبد المطلب واغتصبه اياها فاضطرب فلم ينهض معه أحد منهم وقالوا له لا ندخل بينك وبين عمك وكتب الى أخواله بني النجار فجاءه منهم سبعون راكبا فأتوا نوفلا وقالوا له ورب البنية لتردن على ابن أختنا ما أخذت والا ملأنا منك السيف فرده * ثم حالف خزاعة بعد أن حالف نوفل ابن أخيه عبد شمس * وكان صلى الله عليه وسلم يعلم بذلك الحلف فانهم أوقفوه على كتاب عبد المطلب وقرأه عليه أبي بن كعب رضي الله عنه أي بالحديبية وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم بخزاعة اذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأي منهم غائبهم يقر بما قاضا عليه شاهدهم أن بيننا وبينكم عهود الله وعقوده ومالا ينسى أبدا اليد واحدة والنصر واحد ما أشرق ثبير وثبت حراء مكانه وما بل بحر صوفة * وفي الامتاع أن نسخة كتابهم باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة تحالفوا على التناصر والمواساة مابل بحر صوفة حلفا جامعا غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاصاغر والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير وما أقام الاخشبان وعمر بمكة انسان حلف أبد لطول أمد يزيده طول الشمس شدا وظلام الليل مدا وأن عبد

المطلب

المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكاثفون متظاهرون فعلى عبد المطلب النصرة لهم عن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب فى شرق أو غرب أو حزن أو سهل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى بالله جميلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعرفنى بحقكم وأنتم على ما أسلفتم عليه من الحلف * فلما كانت المدنة وهى ترك القتال التى وقعت فى صلح الحديبية اغتنمها بنو بكر أى طائفة منهم يقال لهم بنو نفاثة * أى وفى الامتاع وسببها أن شخصا من بنى بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين مما كان بينهم من العداوة فطلب بنو نفاثة من أشراف قريش أن يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك فبيتوا خزاعة أى جاؤا اليلا بغتة وهم آمنون على ماء لهم يقال له الوتير فأصابوا منهم أى قتلوا منهم عشرين أو ثلاثة وعشرين * وقاتل معهم جمع من قريش مستخفيا منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى أى وعكرمة ابن أبى جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو رضى الله عنهم فأسلموا بعد ذلك ولا زالوا بهم الى أن أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعى بمكة أى ولم يشاوروا فى ذلك أبا سفيان * وقيل شاوروه فأبى عليهم ذلك وظنوا أنهم لم يعرفوا وأن هذا لا يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ناصرت قريش بنى بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ندموا وجاء الحارث بن هشام الى أبى سفيان وأخبره بما فعل القوم * فقال هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه وانه لشر والله ليغزونا محمد ولقد حدثتنى هند بنت عتبة يعنى زوجته أنها رأت رؤيا كرهتها رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة فكره القوم ذلك * وعند ذلك خرج عمرو * وقيل عمر بضم العين وصحح الذهبى بن سالم الخزاعى أى سيد خزاعة فى أربعين راكبا * أى من خزاعة فيهم بديل بن ورقاء الخزاعى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة * ودخل المسجد ووقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد بين الناس رضى الله عنهم وقال من أبيات

يارب انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا
أن قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

* فقال النبى صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم أى ودمعت عينا رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال وقال لا نصرني الله وفي لفظ لا نصرت ان لم أنصر بني كعب يعني خزاعة مما أنصر به نفسي * وفي رواية لامنعنهم مما أمنع منه نفسي وزاد في رواية وأهل بيتي ثم مرت سحابة في السماء وأرعدت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا السحاب يستهل * أي وفي لفظ لينصب بنصر بني كعب يعني خزاعة أي وعن بشر بن عصمة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خزاعة مني وأنا منهم * وقبل قدوم عمرو بن سالم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعلامه بذلك حدثت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الوقعة قال لها لقد حدث في خزاعة حدث قالت فقلت يارسول الله أترى قريشا يجترئون على نقض العهد الذي بينك وبينهم فقال ينقضون العهد لامر يريده الله فقلت خير قال خير * وفي لفظ قالت لخير أو لشر قال لخير وعن ميمونة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بات عندها الليلة فقام ليتوضأ للصلاة قالت فسمعته يقول لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يارسول الله سمعتك تقول لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم انسانا فهل كان معك أحد قال فهذا راجز بني كعب يعني خزاعة يزعم أن قريشا أعانت عليهم بكر بن وائل أي بطنا منهم وهم بنو نفاثة قالت ميمونة فأقمنا ثلاثا ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فسمعت الراجز يقول يارب انى ناشد محمدا الى آخر ما تقدم انتهى * وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن سالم وأصحابه فيمن تهمتكم قالوا بنو بكر قال كلها قالوا لا ولكن بنو نفاثة قال هذا بطن من بكر * ولما ندمت قريش على نقضهم العهد أرسلوا أبا سفيان ليشد العقد ويزيد في المدة فقالوا ما لها سواك اخرج الى محمد فكلمه في تجديد العهد وزيادة * فخرج أبو سفيان ومولى له على راحلتين فأسرع السير لانه يرى أنه أول من خرج من مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس قبل قدوم أبي سفيان كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة وهو راجع بسخطه * ثم رجع أولئك الركب من خزاعة فلما كانوا بعسفان لقوا أبا سفيان أي ومولى له كل على راحلة وقد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقد ويزيد في المدة وقد خافوا مما صنعوا فسألهم هل ذهبتم الى المدينة قالوا لا وتركوه وذهبوا فجاء الى مبركهم بعد أن فارقوه فأخذ بعر راحلته فوجد فيه النوى فعلم أنهم ذهبوا الى المدينة الشريفة * قال وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن سالم وأصحابه

ارجعوا وتفرقوا فى الاودية أى ليخفى مجيئهم للنبى صلى الله عليه وسلم فرجعوا وتفرقوا فذهبت فرقة الى الساحل أى وفيهم عمرو بن سالم وفرقة فيهم بديل بن ورقاء لزمة الطريق وأن أبا سفيان لقى بديل بن ورقاء بعسفان فأشفق أبو سفيان أن يكون بديل جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال للقوم أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها فقالوا لا علم لنا بها أى وقالوا انما كنا فى الساحل نصلح بين الناس فى قتل * ثم صبر أبو سفيان حتى ذهب أوائك القوم * وفى لفظ قال من أين أقبلت يا بديل قال سرت الى خزاعة فى هذا الساحل قال ما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة أى توجه اليها قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى فجاء منزلهم ففتت أبعار أباعرهم فوجد فيها النوى قال أبو سفيان أحلف بالله لقد جاء القوم محمدا انتهى فلما قدم أبو سفيان المدينة دخل على ابنته أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها * ولما أراد أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى قالت بل هو فراش النبى صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس * قال والله لقد أصابك بعدى شر فقالت بل هدانى الله تعالى للاسلام وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر واعجبا منك يا أبت وأنت سيد قريش وكبيرها فقال أنا أترك ما كان يعبد آباءى وأتبع دين محمد ثم خرج حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم أى وقال له انى كنت غائبا فى صلح الحديبية فامدد العهد وزدنا فى المدة فقال رسول صلى الله عليه وسلم لذلك جئت يا أبا سفيان قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان فيكم من حدث قال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن على مدتنا وصلحنا فأعاد أبو سفيان القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيأ * هذا وفى كلام سبط ابن الجوزى رحمهما الله أن مجيئه لام حبيبة رضى الله عنها بعد مجيئه للنبى صلى الله عليه وسلم ثم ذهب الى أبى بكر رضى الله عنه فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل * وفى رواية قال لابى بكر جدد العقد وزدنا فى المدة فقال أبو بكر جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو وجدت الذر تقاتلكم لاعنتها عليكم * ثم أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكلمه فقال أنا أشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم * وفى رواية أنه قال له ما كان من حلفنا جديدا أخلقه الله وما كان منقطعا فلا وصله الله نعند ذلك قال له أبو سفيان جزيت من ذى رحم شرا وفى لفظ سوءا

ثم جاء الى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال انه ليس في القوم أقرب بي رحما منك فزد في المدة وجدد العقد فان صاحبك لا يرده عليك أبدا فقال عثمان جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى ثم جاء فدخل على على بن أبي طالب كرم الله وجهه وعنده فاطمة وحسن رضى الله عنه غلام يدب بين يديها فقال يا على انك أمس القوم بي رحما وأني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا اشفع لي الى محمد فقال ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فالتفت الى فاطمة رضى الله عنها فقال يا ابنة محمد هل لك أن تأمرى ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر قالت والله ما بلغ بنى ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم * أى وفي رواية أنه قال لفاطمة أجيرى بين الناس فقالت انما أنا امرأة قال قد أجارت أختك يعنى زينب أبا العاص بن الربيع تعنى زوجها وأجاز ذلك محمد قالت انما ذاك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فأمرى أحد ابنيك قالت انهما صبيان ليس مثلهما يجير قال فكلمى عليا فقالت أنت تكلمه فكلم عليا فقال يا أبا سفيان انه ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتات على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوار * وقول فاطمة رضى الله عنها في حق ابنيها انهما صبيان ليس مثلهما يجير هو الموافق لما عليه أئمتنا من أن شرط من يؤمن أن يكون مكلفا * وأما قولها وانما أنا امرأة فلا يوافق ما عليه أئمتنا من أن للمرأة والعبد أن يؤمنا لان شرط المؤمن عند أئمتنا أن يكون مسلما مكلفا مختارا * وقد آمنت زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم زوجها أبا العاص بن الربيع وقال صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت وقال المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم كما سيأتى في السرايا وقد تقدم ذلك قريبا عن أبي سفيان وسيأتى قريبا أن أم هانىء أجارت وأنه صلى الله عليه وسلم قال لها أجرنا من أجرت يا أم هانىء لكن سيأتى أن هذا كان تأكيدا للامان الذى وقع منه صلى الله عليه وسلم لاهل مكة لا أمان مبتدأ ثم ان أبا سفيان أتى أشراف قريش والانصار وكل يقول جوارى في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الى على كرم الله وجهه وقال يا أبا الحسن انى أرى الامور قد انسدت على فانصحنى قال والله لا أعلم لك شيأ يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم وأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أو ترى ذلك مغنيا عنى شيأ قال والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد فقال أيها الناس أنى أجرت بين الناس * زاد في رواية ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد

ولا يرد جوارى قال * وفى رواية أنه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انى أجرت بين الناس أى وقال لا والله ما أظن أحدا يخفرنى ويرد جوارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة وفى لفظ يا أبا سفيان انتهى * ثم ركب بعيره فانطلق حتى قدم على قريش وقد طالت غيبته واتهمته قريش أنه صبأ واتبع محمدا سرا وكتم اسلامه وقالت له زوجته ان كنت مع طول الاقامة جئتهم بنجح فأنت الرجل فلما أخبرها أى وقد دنا منها وجلس منها مجلس الرجل من امرأته فضربت برجلها فى صدره وقالت قبحت من رسول قوم فما جئت بخير * فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند اساف ونائلة وذبح عندهما البدن ومسح رؤسهما بالدم ليدفع عنه التهمة فلما رأته قريش قالوا ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد قال لا والله لقد أبى على وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوما لملك أطوع منهم له * وفى رواية قال جئت الى ابن أبى قحافة فلم أجد فيه خيرا ثم جئت عمر بن الخطاب فوجدته أدنى العدو * أى وفى رواية أعدى العدو ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم وقد أشار على بشىء صنعته فوالله لا أدرى أيغنى عنى شيأ أم لا قالوا وبم أمرك قال أمرنى أن أجير بين الناس أى قال لم تلتمس جوار الناس على محمد ولا تجير أنت عليه وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها أن لا يخفر جواره ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا أى وانما قال أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة والله لم يزدنى قالوا رضيت بغير رضى وجئت بما لا يغنى عنا ولا عنك شيأ ولعمر الله ما جوارك بجائز وان أخفارك أى ازالة خفارتك عليهم لهين والله اراد الرجل يعنون عليا كرم الله وجهه أن يلعب بك قال والله ما وجدت غير ذلك وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه أى قال لعائشة جهزينا وأخفى أمرك فدخل أبو بكر رضى الله عنه على ابنته عائشة رضى الله عنها وهى تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم أى تجعل قمحا سويقا ودقيقا * وفى لفظ وجد عندها حنطة تنسف وتنقى فقال أى بنية أمركن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجهيز قالت نعم فتجهز قال فأين تريه يريد قالت لا والله ما أدرى أى وذلك قبل أن يستشير صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فى السير الى مكة كما سيأتى * ثم انه صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمرهم بالجد والتجهيز * أى وفى الامتاع أن أبا بكر رضى الله عنه لما سأل عائشة رضى الله عنها دخل عليه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أردت سفرا قال نعم قال أفأتجهز قال نعم قال فأين تريد يا رسول الله قال قريشا

وأخفى ذلك بأبا بكر وأمر صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذى يريده وقد قال له أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله أوليس بيننا وبينهم مدة قال انهم غدروا ونقضوا العهد واطو ماذكرت لك * وفى رواية أن أبا بكر رضى الله عنه قال يارسول الله أتريد أن تخرج مخرجا قال نعم قال لعلك تريد بنى الاصفر قال لا قال أتريد أهل نجد قال لا قال فلعل تريد قريشا قال نعم قال يارسول الله أليس بينك وبينهم مدة قال أولم يبلغك ماصنعوا ببنى كعب يعنى خزاعة * قال وأرسل صلى الله عليه وسلم الى أهل البادية ومن حوله من المسلمين فى كل ناحية يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة * أى وذلك بعد أن تشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى السير الى مكة فذكر له أبو بكر رضى الله عنه مايشير به الى عدم السير حيث قال له هم قومك وحضه عمر رضى الله عنه حيث قال نعم هم رأس الكفر زعموا أنك ساحر وأنك كذاب * وذكر له كل سوء كانوا يقولون وايم الله لاتذل العرب حتى تذل أهل مكة فعند ذلك ذكر صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر كابراهيم وكان فى الله ألين من اللبن وأن عمر كنوح وكان فى الله أشد من الحجر وأن الامر أمر عمر وتقدم نحو هذا لما استشارهما صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر أى ثم قدمت المدينة من قبائل العرب أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها * أى وفى رواية قال اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرون الابغتة ولايسمعون بنا الافجأة وأخذ بالانقاب أى الطرق أى أوقف بكل طريق جماعة ليعرف من يمر بها أى وقال لهم لاتدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه الارددتموه * ولما أجمع صلى الله عليه وسلم المسير الى قريش وعلم بذلك الناس كتب حاطب بن أبى بلتعة الى قريش أى الى ثلاثة منهم من كبرائهم وهم سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل رضى الله عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك كما تقدم كتابا يخبرهم بذلك ثم أعطاه امرأة وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا ويقال أعطاها عشرة دنانير وكساها بردا أى وقال لها أخفيه مااستطعت ولاتمرى على الطريق فان عليه حرسا فسلكت غير الطريق * قال وتلك المرأة هى سارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب بن عبد مناف وكانت مغنية بمكة وكانت قد قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وطلبت منه الميرة وشكت الحاجة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان فى غناك مايغنيك فقالت ان قريشا منذ قتل منهم من قتل

ببدر تركوا الغناء فوصلها صلى الله عليه وسلم وأوقر لها بعيرا طعاما فرجعت الى قريش وارتدت عن الاسلام وكان ابن خطل يلقى عليها هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغنى به انتهى فجعلت الكتاب فى قرون رأسها أى ضفائر رأسها خوفا أن يطلع عليها أحد ثم خرجت به وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث عليا والزبير وطلحة والمقداد ❊ أى وقيل عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد وأبا مرثد أى ولا مانع أن يكون أرسل الكل وبعض الرواة اقتصر على بعضهم فقال صلى الله عليه وسلم أدركا امرأة بمحل كذا قد كتب معها حاطب بكتاب الى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم فخذوه منها وخلوا سبيلها فان أبت فاضربوا عنقها فخرجا حتى أدركاها فى ذلك المحل الذى ذكره صلى الله عليه وسلم فقالا لها أين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فاستنزلاها وفتشاها والتمسا فى رحلها فلم يجدا شيأ فقال لها على كرم الله وجهه أنى أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ولا كذبنا ولتخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك أو أضرب عنقك ❊ فلما رأت الجد منه قالت أعرض فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منه وفى البخارى أخرجته من عقاصها ولا منافاة وفيه فى محل آخر أخرجته من حجزتها والحجزة معقد الازار والسراويل ❊ قال بعضهم ولا مانع أن يكون فى ضفائرها وأنها جعلت الضفائر فى حجزتها فدفعته اليه وسيأتى أنها ممن أباح صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح ثم أسلمت وعفا عنها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وصورة الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لينصرنه الله تعالى عليكم فانه منجز له ما وعده فيكم فان الله تعالى ناصره ووليه ❊ وقيل فيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد نفر اما اليكم وأما الى غيركم فعليكم الحذر وقيل فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آذن بالغزو ولا أراه الا يريدكم وقد أحببت أن تكون لى يد بكتابى اليكم ❊ أقول لا مانع أن يكون جميع ما ذكر فى الكتاب بأن يكون فيه أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد آذن أى أعلم بالغزو وقد نفر أى عزم على أن ينفر اما اليكم واما الى غيركم ولا أراه الا يريدكم ❊ وهذا كان قبل أن يعلم بسيره الى مكة فلما علم ألحق بالكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه أى يريد التوجه اليكم بجيش الى آخره وبعض الرواة اقتصر على ما فى بعض الكتاب والله أعلم ❊ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال له أتعرف هذا الكتاب قال نعم فقال ما حملك على هذا

فقال والله انى لمؤمن بالله ورسوله ماغيرت ولابدلت وفى لفظ ما كفرت منذ أسلمت ولاغششت منذ نصحت ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكنى ليس لى فى القوم أهل ولاعشيرة ولى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم * أى وفى لفظ قال يارسول الله لا تعجل على انى كنت امرأ ملصقا أى حليفا من قريش وفى كلام بعضهم ما يفيد أن الملصق هو الذى لا نسب له ولا دخل فى حلف قال ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أموالهم وأهليهم بمكة ولم يكن لى قرابة فأحببت أن أتخذ فيهم يدا أحمى بها أهلى أى أمه ففى بعض الروايات كنت غريبا فى قريش وأمى بين أظهرهم فأردت أن يحفظونى فيها وما فعلت ذلك كفرا بعد اسلام وقد علمت أن الله تعالى منزل بهم بأسه لا يغنى عنهم كتابى شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر بن الخطاب يارسول الله دعنى لاضرب عنقه فان الرجل قد نافق * وفى لفظ قال له قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش تحذرهم * وفى رواية دعنى أضرب عنقه لانه يعلم أنك يارسول الله أخذت على الطريق وأمرت أن لا ندع أحدا يمر ممن تنكره الا رددناه انتهى * وأقول مراد سيدنا عمر بقوله قد نافق أى خالف الامر لا أنه أخفى الكفر لقوله صلى الله عليه وسلم قد صدقكم ورأى أن مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم مقتضية للقتل ولكن رواية البخارى انه قد صدقكم ولا تقولوا له الا خيرا وعليها يشكل قول عمر المذكور ودعاؤه عليه بقوله قاتلك الله الا أن يقال يجوز أن يكون قول عمر بذلك قبل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكر وعند قول عمر رضى الله عنه دعنى لاضرب عنقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم * وفى رواية فقد وجبت لكم الجنة وفى رواية لا يدخل النار أحد شهد بدرا * فعند ذلك فاضت عينا عمر رضى الله عنه بالبكاء أى وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الآيات * وفى قوله عدوى وعدوكم منقبة عظيمة لحاطب رضى الله عنه لان فى ذلك الشهادة له بالايمان * وقوله تلقون اليهم بالمودة أى تبدون لهم وذكر بعضهم أن البلتعة فى اللغة التظرف بالظاء المشالة * يقال تبلتع فى كلامه اذا تظرف فيه ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفارى * وقيل ابن أم مكتوم وبه جزم الحافظ الدمياطى فى سيرته وخرج لعشر وقيل لليلتين وقيل لثنتى عشرة * وقيل ثلاث عشرة وقيل

سبع عشرة وقيل ثمان عشرة وهو في مسند الامام أحمد بسند صحيح قال ابن القيم
انه أصح من قول من قال انه خرج لعشر خلون من رمضان أي وصدر به في الامتاع
وقيل خرج لتسع عشرة مضين من شهر رمضان في سنة ثمان * قال في النور لا أعلم
خلافا في الشهر والسنة * ومافي البخاري أن خروجه صلى الله عليه وسلم من
المدينة كان على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة أي فيكون في السنة
التاسعة فيه نظر وكان صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف أي باعتبار من لحقه
في الطريق من القبائل كبني أسد وسليم ولم يتخلف عنه أحد من المهاجرين
والانصار وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلاثمائة فرس وكانت الانصار أربعة
آلاف ومعهم خمسمائة فرس وكانت مزينة ألفا وفيها مائة فرس وكانت أسلم
أربعمائة معها ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة معها خمسون فرسا * وقيل
كان صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألفا ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى الابواء
أوقريبا منها لقيه أبوسفيان بن عمه الحارث وكان الحارث أكبر أولاد عبد المطلب
وكان يكنى به كما تقدم وكان أبوسفيان أخاه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على حليمة
كما تقدم ولقيه عبد الله بن أمية بن المغيرة ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب أخو
أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها لابيها لان والدة أم سلمة عاتكة بنت جدل
الطعان وكان عند أبيها أمية بن المغيرة زوجتان أيضا كل منهما يسمى عاتكة
فكان عنده أربع عواتك * وكان مجيء الحارث وعبد الله له صلى الله عليه وسلم
يريدان الاسلام وكانا رضي الله عنهما من أكبر القائمين على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن أشد الناس اذاية له صلى الله عليه وسلم أي بعد أن كان الحارث
قبل النبوة آلف الناس له لا يفارقه كما تقدم * وقد تقدم ذكر أذيتهما له صلى الله
عليه وسلم فأعرض صلى الله عليه وسلم عنهما فكلمته أم سلمة رضي الله عنها فيهما
أي قالت له لا يكون ابن عمك وابن عمتك أي وصهرك أشقى الناس بك فقال صلى الله
عليه وسلم لا حاجة لي بهما أما ابن عمي يعني أباسفيان فهتك عرضي وأما ابن
عمتي وصهري يعني عبد الله أخا أم سلمة فهو الذي قال لي بمكة ما قال أي قال له والله
لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر اليه ثم تأتي بصك
وأربعة من الملائكة يشهدون لك أن الله أرسلك الى آخر ما تقدم * فلما خرج الخبر
اليهما قال أبوسفيان ومعه ابن له والله ليأذنن لي أولآخذن بيدبني هذا ثم لنذهبن
في الارض حتى نموت جوعا أوعطشا فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
رق لهما ثم أذن لهما فدخلا وأسلما وقبل صلى الله عليه وسلم اسلامهما * وقيل

الى عليا كرم الله وجهه قال لابي سفيان ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال أخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولا منه ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين * وكان أبو سفيان رضى الله عنه بعد ذلك لا يرفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه لانه عاداه صلى الله عليه وسلم نحو عشرين سنة يهجوه ولا يتخلف عن قتاله * وكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يحبه ويشهد له بالجنة ويقول ارجو أن يكون خلفا من حمزة رضى الله عنهما * أى وقال له صلى الله عليه وسلم يوما الصيد كل الصيد فى جوف الفرا وفى رواية قال له صلى الله عليه وسلم أنت يا أبا سفيان كما قيل كل الصيد فى جوف الفرا * وفى سفره صلى الله عليه وسلم صام وصام الناس حتى اذا كانوا بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة الاولى أى وهو محل بين عسفان وقديد أفطر * أى وقيل أفطر بعسفان وقيل أفطر بقديد وقيل أفطر بكراع الغميم ولا منافاة لتقارب الامكنة * وقال بعضهم لا مانع أن يكون صلى الله عليه وسلم كرر الفطر فى تلك الاماكن لتتساوى الناس فى رؤية ذلك فأخبر كل منهم عن محل رؤيته أنه * قال وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج ووصل الى محل يقال له الصلصل قدم أمامه الزبير بن العوام رضى الله عنه فى مائتين ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يصوم فليصم ومن أحب أن يفطر فليفطر * أى وفى الامتاع لما خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة نادى مناديه من أحب ان يصوم فليصم * وفى بعض الايام صب صلى الله عليه وسلم على رأسه الماء ووجهه من شدة العطش وفى لفظ من شدة الحر وهو صائم * وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ الكديد بلغه أن الناس شق عليهم الصيام أى وأنهم ينظرون فيما فعلت فاستوى صلى الله عليه وسلم على راحلته بعد العصر ودعا باناء فيه ماء وقيل لبن فشرب وناوله لرجل بجنبه فشرب فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس صام فقال أولئك العصاة أى لانهم خالفوا أمره صلى الله عليه وسلم لهم بالفطر ليقووا على مقاتلة العدو ولانه صلى الله عليه وسلم قال للصحابة لما دنوا من عدوهم انكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم فلم يزل صلى الله عليه وسلم يفطر حتى انسلخ الشهر انتهى أى وفى قديد عقد صلى الله عليه وسلم الالوية والرايات ودفعها للقبائل ثم سار حتى نزل بمر الظهران أى وهو الذى يقال له الآن بطن مرو عشاء * أى وقد أعمى الله الاخبار عن قريش اجابة

لدعائه صلى الله عليه وسلم فلم يعلموا بوصوله اليهم أى ولم يبلغهم حرف واحد من مسيره اليهم فأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان العباس رضى الله عنه قد خرج قبل ذلك بعياله مسلما أى مظهرا للاسلام مهاجرا فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة * وقيل بذى الحليفة فرجع معه الى مكة أى وأرسل أهله وثقله الى المدينة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرتك ياعم آخر هجرة كما ان نبوتى آخر نبوة قال العباس رضى الله عنه ورقت نفسى لاهل مكة أى وقال واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه أى لهلاك قريش الى آخر الدهر قال العباس رضى الله عنه فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء * أى زاد بعضهم التى أهداها له دحية الكلبى فخرجت عليها حتى جئت الاراك فقلت لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة يخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة فوالله انى لاسير اذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان أى وقد خرجا وحكيم بن حزام فلقيا بديلا فاستصحباه وخرجوا يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به أى لانهم علموا بسيره صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا الى أى جهة وفى سيرة الدمياطى ولم يبلغ قريشا مسيره اليهم فلا ينافى ما قبله وهم مغتمون يخافون من غزوه اياهم فبعثوا أبا سفيان بن حرب يتجسس الاخبار وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا * أى فلما سمعوا صهيل الخيل راعهم ذلك وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا هذه كنيران عرفة وبديل يقول له هذه والله خزاعة حمشتها الحرب وحمشتها بالحاء المهملة والشين المعجمة أى أحرقتها * وقيل بالسين المهملة أى اشتدت عليها الحماسة وهى الشدة وأبو سفيان يقول خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها أو عسكرها أى * وفى رواية أن القائل هذه خزاعة غير بديل وأن بديلا هو القائل هؤلاء أكثر من خزاعة وهو المناسب لان بديلا من خزاعة * قال العباس رضى الله عنه فعرفت صوت أبى سفيان أى وكان أبو سفيان صديقا للعباس ونديمه قال العباس فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتى فقال أبو الفضل فقلت نعم قال مالك فداك أبى وأمى قلت والله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به * أى وفى رواية قد جاءكم بعشرة آلاف فقال واصباح قريش والله فما الحيلة فداك أبى وأمى قلت والله لئن ظفر بك ليضربن

عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتيك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك فركب خلفي أي ورجع صاحباه فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا واذا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال من هذا وقام الي فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي قد أمكن منك من غير عقد ولا عهد * ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة فسبقته فاقتحمته عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر في أثري فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان أي عدو الله قد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعني لاضرب عنقه قال قلت يا رسول الله اني قد أجرته ولعل العباس وعمر رضي الله عنهما لم يبلغهما قوله صلى الله عليه وسلم انكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه ان صح قال العباس رضي الله عنه ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة رجل دوني * فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت مثل هذا أي ولكنك قد عرفت أنه من رجال عبد مناف قال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الي من اسلام الخطاب لو أسلم ومابي الا اني قد عرفت ان اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فائتني به * وفي البخاري ان الحرس ظفروا بأبي سفيان ومن معه وجاؤا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا وجمع بعضهم بأنه يجوز أن يكون العباس أخذهم من الحرس أي ويؤيده قول ابن عقبة رحمه الله لما دخل الحرس بأبي سفيان وصاحبيه لقيهم العباس ابن عبد المطلب فأجارهم أي وأتى بأبي سفيان وتأخر صاحباه قال وفي لفظ أخذهم نفر من الانصار بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عيونا فأخذوا بخطم أبعرتهم فقالوا من أنتم قالوا نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وها هو فقال أبو سفيان هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم فجاؤا بهم الى عمر رضي الله عنه لانه كان في تلك الليلة على الحرس كما تقدم فقالوا جئناك بنفر من أهل مكة فقال عمر وهو يضحك اليهم والله لو جئتموني بأبي سفيان ما زدتم فقالوا والله أتيناك بأبي سفيان فقال احبسوه فحبسوه حتى أصبح فغدوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وفيه ما لا يخفى فان الجمع بينه وبين ما قبله بعيد * قال

العباس ولما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحالك فذهبت به فلما أصبح غدوت به على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعد ان نودي بالصلاة ونادى الناس ففزع أبو سفيان وقال للعباس يا أبا الفضل ما يريدون قال الصلاة * وفي رواية ما للناس أأمروا في بشئ قال لا ولكنهم قاموا الى الصلاة ورأى المسلمين يتلقون وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رآهم يركعون اذا ركع ويسجدون اذا سجد فقال للعباس يا عباس ما يأمرهم بشيء الا فعلوه * فقال له العباس لو نهاهم عن الطعام والشراب لاطاعوه * فقال ما رأيت ملكا مثل هذا لا ملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بني الاصفر ثم قال للعباس كلمه في قومك هل عنده من عفو عنهم فانطلق العباس بأبي سفيان حتى أدخله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا اله الا الله قال بأبي وأمي أنت ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره لما أغنى عني شيأ بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله قال بأبي أنت وأمي أما والله فان في النفس حتى الآن منها شيأ * قال وفي رواية أن بديلا وحكيم بن حزام لم يرجعا بل جاء بهم العباس وأن العباس قال يا رسول الله أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قد أجرتهم وهم يدخلون عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم أي عن أهل مكة ودعاهم الى الاسلام فقالوا نشهد أن لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا أني رسول الله فشهد بذلك بديل وحكيم بن حزام فقال أبو سفيان ما أعلم ذلك والله ان في النفس من هذا شيأ فارجئها انتهى أي أخرها الى وقت آخر * وفي أسد الغابة أنه صلى الله عليه وسلم قال ليلة قرب من مكة في غزوة الفتح ان بمكة أربعة نفر من قريش أربأ بهم عن الشرك وأرغب بهم في الاسلام عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو * أي وهذا يدل على القول بأن جبيرا أسلم يوم الفتح لكن ذكر مع ما * وذكر بعضهم أنه أسلم يوم الحديبية وقبل الفتح فقال العباس رضي الله عنه لابي سفيان ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فشهد شهادة الحق فأسلم * وذكر عبد بن حميد أن النبي صلى الله عليه وسلم حين عرض الاسلام على أبي سفيان قال له كيف أصنع بالعزى فسمعه عمر رضي الله عنه من وراء القبة فقال له تخرأ عليها فقال له أبو سفيان ويحك يا عمر انك رجل فاحش دعني مع ابن عمي فاياه أكلم * وكان في هذا تصديق أمية بن أبي الصلت فانه كان يقول كنت أرى في كتبي أن نبيا

عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتيك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأستأمنه لك فركب خلفي أي ورجع صاحباه فجئت به كلما مررت بنار من نيران
المسلمين قالوا من هذا واذا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فقال من هذا وقام الي فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو الله
الحمد لله الذي قد أمكن منك من غير عقد ولا عهد * ثم خرج يشتد نحو رسول الله
صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة فسبقته فاقتحمته عن البغلة فدخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر في أثري فقال يا رسول الله هذا
أبو سفيان أي عدو الله قد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعني لاضرب عنقه
قال قلت يا رسول الله اني قد أجرته ولعل العباس وعمر رضي الله عنهما لم يبلغهما
قوله صلى الله عليه وسلم انكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه ان صح
قال العباس رضي الله عنه ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت
برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة رجل دوني * فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلا
يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت مثل هذا أي ولكنك
قد عرفت أنه من رجال عبد مناف قال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت
كان أحب الي من اسلام الخطاب لو أسلم وما بي الا اني قد عرفت ان اسلامك كان
أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله
عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فأتني به * وفي البخاري
ان الحرس ظفروا بأبي سفيان ومن معه وجاؤا بهم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأسلموا وجمع بعضهم بأنه يجوز أن يكون العباس أخذهم من الحرس أي
ويؤيده قول ابن عقبة رحمه الله لما دخل الحرس بأبي سفيان وصاحبيه لقيهم العباس
ابن عبد المطلب فأجارهم أي وأتى بأبي سفيان وتأخر صاحباه قال وفي لفظ أخذهم
نفر من الانصار بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عيونا فأخذوا بخطم أبعرتهم
فقالوا من أنتم قالوا نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وها هو فقال
أبو سفيان هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم فجاؤا بهم
الى عمر رضي الله عنه لانه كان في تلك الليلة على الحرس كما تقدم فقالوا جئناك بنفر
من أهل مكة فقال عمر وهو يضحك اليهم والله لو جئتموني بأبي سفيان ما زدتم فقالوا
والله أتيناك بأبي سفيان فقال احبسوه فحبسوه حتى أصبح فغدوا به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انتهى وفيه ما لا يخفى فان الجمع بينه وبين ما قبله بعيد * قال

العباس

العباس ولما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فذهبت به فلما أصبح غدوت به على رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعد أن نودى بالصلاة ونادى الناس ففزع أبو سفيان وقال للعباس يا أبا الفضل ما يريدون قال الصلاة * وفى رواية ما للناس أأمروا فى بشئ قال لا ولكنهم قاموا الى الصلاة ورأى المسلمين يتلقون وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رآهم يركعون اذا ركع ويسجدون اذا سجد فقال للعباس يا عباس ما يأمرهم بشئ الا فعلوه * فقال له العباس لو نهاهم عن الطعام والشراب لأطاعوه * فقال ما رأيت ملكا مثل هذا ملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بنى الاصفر ثم قال للعباس كلمه فى قومك هل عنده من عفو عنهم فانطلق العباس بأبى سفيان حتى أدخله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا اله الا الله قال بأبى وأمى أنت ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره لما أغنى عنى شيأ بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله قال بأبى أنت وأمى أما والله فان فى النفس حتى الآن منها شيأ * قال وفى رواية أن بديلا وحكيم بن حزام لم يرجعا بل جاء بهم العباس وأن العباس قال يا رسول الله أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قد أجرتهم وهم يدخلون عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم أى عن أهل مكة ودعاهم الى الاسلام فقالوا نشهد أن لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا أنى رسول الله فشهد بذلك بديل وحكيم بن حزام فقال أبو سفيان ما أعلم ذلك والله ان فى النفس من هذا شيأ فارجئها انتهى أى أخرها الى وقت آخر * وفى أسد الغابة أنه صلى الله عليه وسلم قال ليلة قرب من مكة فى غزوة الفتح ان بمكة أربعة نفر من قريش أربأ بهم عن الشرك وأرغب بهم فى الاسلام عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو * أى وهذا يدل على القول بأن جبيرا أسلم يوم الفتح لكن ذكر معه * وذكر بعضهم أنه أسلم يوم الحديبية وقبل الفتح فقال العباس رضى الله عنه لابى سفيان ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فشهد شهادة الحق فأسلم * وذكر عبد بن حميد أن النبى صلى الله عليه وسلم حين عرض الاسلام على أبى سفيان قال له كيف أصنع بالعزى فسمعه عمر رضى الله عنه من وراء القبة فقال له تخرأ عليها فقال له أبو سفيان ويحك يا عمر انك رجل فاحش دعنى مع ابن عمى فاياه أكلم * وكان فى هذا تصديق أمية بن أبى الصلت فانه كان يقول كنت أرى فى كتبى أن نبيا

يبعث في حرمنا فكنت أظن بل كنت لا أشك انى أنا هو فلما دارست أهل العلم اذا هو في بني عبد مناف فنظرت في بني عبد مناف فلم أجد أحدا يصلح لهذا الامر الا عتبة ابن ربيعة فلما جاوز الاربعين سنة ولم يوح اليه علمت أنه غيره قال أبو سفيان فخرجت في ركب أريد اليمن في تجارة فمررت بأمية بن أبي الصلت فقلت كالمستهزىء به يا أمية قد خرج النبي الذى قد كنت تنعته قال انه حق فاتبعه قلت ما يمنعك من اتباعه قال ما يمنعني من اتباعه الا الاستحياء من بنيات ثقيف انى كنت أحدثهن انى هو ثم يريننى تابعا لغلام من بني عبد مناف ثم قال لابي سفيان كأنى بك يا أبا سفيان ان خالفته قد ربطت كما يربط الجدي حتى يؤتى بك اليه فيحكم فيك بما يريد رواه الطبراني في معجمه ❊ وذكر بعضهم أن أمية هذا كان يتفرس في بعض الاحيان في لغات الحيوان فمر يوما على بعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه اليها ويرغو فقال هذا البعير يقول ان في رحلها مسلة تصيب ظهره فأنزلوا تلك المرأة وحلوا ذلك الرحل فوجدوا المسلة كما قال ❊ وذكر أن حكيم بن حزام قال يا رسول الله أجئت بأوباش الناس من يعرف ومن لا يعرف الى أهلك وعشيرتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أظلم وأغدر قد غدرتم بعقد الحديبية وتجاهرتم على بني كعب يعنى خزاعة بالاثم والعدوان في حرم الله وأمنه ❊ فقال بديل صدقت يا رسول الله فقد غدروا بنا والله لو أن قريشا خلوا بيننا وبين عدونا ما نالوا منا الذى نالوا فقال حكيم قد كنت يا رسول الله حقيقا أن تجعل عدتك وكيدك لهوازن فانهم أبعد رحما وأشد عداوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لارجو أن يجمعها لى ربي فتح مكة وإعزاز الاسلام بها وهزيمة هوازن وأخذ أموالهم وذراريهم ❊ وقال له أبو سفيان يا رسول الله أدع الناس بالامان أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها آمنون هم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم من كف يده وأغلق داره فهو آمن ❊ قال العباس فقلت يا رسول الله ان أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن أى فحكيم بن حزام من مسلمة الفتح وكان عمره ستين سنة وبقي في الاسلام مثل ذلك كان من أشراف قريش في الجاهلية والاسلام وأعتق في الجاهلية مائة رقبة وفي الاسلام مثل ذلك فانه حج في الاسلام وأوقف بعرفة مائة وصيف في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام وأهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة وأهدى ألف شاة ❊ وعقد صلى الله عليه وسلم لابي رويحة الذى آخا صلى الله عليه وسلم بينه وبين بلال لواء ❊ وأمره أن ينادي من دخل

تحت لواء أبى رويحة فهو آمن أى وانما قال ذلك لما قال له أبو سفيان وما تسع دارى وما يسع المسجد ✲ ولما قال صلى الله عليه وسلم ذلك قال أبو سفيان هذه واسعة ✲ ثم أمر صلى الله عليه وسلم العباس أن يحبس أبا سفيان وبديلا وحكيم بن حزام أى وعليه انما خص أبو سفيان بالذكر فى بعض الروايات لشرفه قال احبسه بمضيق الوادى حتى تمر به جنود الله فيراها ✲ قال العباس ففعلت فمرت القبائل كلها كلما مرت قبيلة كبرت ثلاثا عند محاذاته قال يا عباس من هذه فأقول سليم فيقول مالى ولسليم أى فان أول القبائل من سليم وفيهم خالد بن الوليد رضى الله عنه ثم تمر القبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالى والمزينة حتى نفدت بالغاء وابدال المهملة القبائل كلها ما تمر قبيلة الا سألنى عنها فاذا قلت له بنو فلان قال مالى ولبنى فلان ✲ أى وقد ذكرها بعضهم مرتبة فقال أول من مر خالد بن الوليد فى بنى سليم بضم السين فقال أبو سفيان يا عباس من هؤلاء قال هذا خالد بن الوليد قال الغلام قال ومن معه قال بنو سليم قال مالى ولسليم ✲ ثم مر على أثره الزبير بن العوام رضى الله عنه فى خمسمائة من المهاجرين وفتيان العرب فقال أبو سفيان من هؤلاء قال الزبير قال ابن أخيك قال نعم ✲ ثم مرت بنو غفار بكسر الغين المعجمة ثم أسلم ثم بنو كعب ثم مزينة ثم جهينة ثم كنانة ثم أشجع ✲ ولما مرت أشجع قال أبو سفيان للعباس هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد قال العباس أدخل الله الاسلام قلوبهم فهذا فضل الله حتى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء للبسهم الحديد والعرب تطلق الخضرة على السواد كما تطلق السواد على الخضرة وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق أى فيها الفا دارع وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رويدا حتى يلحق أولكم آخركم قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء فقلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصار فقال مالاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة فقال أبو سفيان والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما فقلت يا أبا سفيان انها النبوة فقال نعم اذن ثم قلت له النجاء بالفتح والمد الى قومك حتى اذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن فقامت اليه زوجته هند بنت عتبة أم معاوية رضى الله عنهما فأخذت بشاربه وقالت كلاما معناه اقتلوا الخبيث الذى لا خير فيه قبح من طليعة قوم ✲ أى وفى رواية أنها أخذت بلحيته ونادت يا آل غالب اقتلوا الشيخ الاحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم أو بلادكم فقال لها ويحك اسكتى وادخلى بيتك وقال ويحكم لا تغرنكم هذه من

أنفسكم فانه قد جاءكم ما لا قبل لكم به من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا قبحك الله وما تغني عنا دارك * قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن أي ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن أي ومن دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد * أي وبهذا استدل على أن مكة فتحت صلحا لا عنوة وبه قال امامنا الشافعي رحمه الله * وقال غيره فتحت عنوة * وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم وجه حكيم بن حزام مع أبي سفيان بعد اسلامهما الى مكة وقال من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن وكانت بأسفل مكة ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن وكانت بأعلى مكة واستثنى صلى الله عليه وسلم جماعة أمر بقتلهم وهم أحد عشر رجلا * أي وفي الامتاع ستة نفر وأربع نسوة وان وجدوا متعلقين بأستار الكعبة منهم عبد الله بن أبي سرح وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة وكان فارس بني عامر وكان أحد النجباء الكرام من قريش رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وعبد الله بن خطل وقينتاه وعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك والحويرث بن نفيل ومقيس بن صبابة وهبار بن الاسود رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو صاحب بانت سعاد والحارث بن هشام رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو أخو أبي جهل لابويه * وزهير بن أمية رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك * وسارة مولاة لبعض بني المطلب رضي الله عنها فانها أسلمت وعاشت الى خلافة أبي بكر رضي الله عنه * وتقدم أنها كانت حاملة لكتاب حاطب وصفوان بن أمية رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وزهير بن أبي سلمى أي وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان ووحشي بن حرب رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك * وفي رواية أن سعد بن عبادة رضي الله عنه كان معه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم أي على الانصار * ولما مر على أبي سفيان وهو واقف بمضيق الوادي قال أبو سفيان من هذه قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فلما حاذاه سعد قال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أي الحرب والقتال اليوم تستحل الحرمة * وفي لفظ الكعبة اليوم أذل الله قريشا فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال بعضهم ورأيته مع الزبير رضي الله عنه فلما مر بأبي سفيان وحاذاه أبو سفيان ناداه يا رسول الله أمرت بقتل قومك فانه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا فانه قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا أنشدك الله في قومك فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف

رضى الله عنهما يا رسول الله ما نأمن من سعد أن يكون له فى قريش صولة * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان كذب سعد اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشا * أى وفى رواية ليوم يعظم الله فيه الكعبة اليوم تكسى فيه الكعبة * وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن عبادة أى أرسل عليا كرم الله وجهه أن ينزع اللواء منه ويدفعه لابنه قيس رضى الله عنهما * وقيل أعطاه للزبير وقيل لعلى كرم الله وجهه خشية أن يقع من ابنه قيس ما لا يرضاه صلى الله عليه وسلم أى لان قيسا رضى الله عنه كان من دهاة العرب وأهل الرأى والمكيدة فى الحرب مع النجدة والبسالة والشجاعة من وقف على ما وقع بينه وبين معاوية لما ولاه سيدنا على كرم الله وجهه بعد قتل سيدنا عثمان رضى الله عنه مصر لرأى العجب من وفور عقله ومع ذلك كان له من الكرم ما لا مزيد عليه وقفت له رضى الله عنه عجوز وقالت له أشكو اليك قلة الجرذان ببيتى والجرذان بالذال المعجمة نوع من الفيران فقال ما أحسن هذا السؤال وقال لها لاكثرن الجرذان ببيتك فلا بيتها طعاما وأدما * وقيل قالت له مشت جرذان بيتى على العصا فقال لادعهن يثبون وثبة الاسود ثم ملا بيتها طعاما ولا مانع من تعدد الواقعة ومن هذا الوادى ما كتب بعضهم الى عبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين أشكو اليك الشرف فقال له ما أحسن ما استمنحت وأعطاه عشرة آلاف درهم فقيل له فى ذلك فقال يسأل ما لا يقدر عليه ويعتذر فلا يعذر * ولما أشرف أبوه سعد رضى الله عنهما على الموت قسم ماله فى أولاده وكان له حمل لم يشعر به فلما مات سعد ولد له ذلك الحمل كلمه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فى أن ينقض ما صنع أبوه من تلك القسمة فقال نصيبى للمولود ولا أغير ما صنع أبى ولم يكن فى وجه قيس رضى الله عنه شعر * وكان مع ذلك جميلا وكانت الانصار رضى الله عنهم تقول وددنا أن نشترى لقيس بن سعد لحية بأموالنا وكان له ديون على الناس كثيرة * فلما مرض رضى الله عنه استبطأ عواده فقيل له انهم مستخفون من أجل دينك فأمر مناديا ينادى كل من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له فأتاه الناس حتى هدموا درجة كان يصعد عليها اليه * ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللواء لم يخرج عن سعد اذ صار لابنه قيس رضى الله عنهما قال وروى أن سعدا أبى أن يسلم اللواء الا بأمارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل صلى الله عليه وسلم اليه بعمامته فدفع اللواء لابنه قيس رضى الله عنهما انتهى * وفى صحيح البخارى أن كتيبة الانصار كانت مع سعد بن عبادة رضى الله عنه ومعه الراية ولم ير مثلها ثم جاءت

كتيبة وهي أقل وفي رواية الحميدي وهي أجل الكتائب بالجيم قال في الاصل وهي أظهر من رواية أقل لانها كانت خاصة المهاجرين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والراية مع الزبير رضي الله عنه * وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد أن يدخل مع جملة من قبائل العرب من أسفل مكة أي وأن يغرز رايته عند ادنى البيوت وقال لا تقاتلوا الا من قاتلكم وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو أي رضي الله عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك قد جمعوا ناسا بالخندمة وهو جبل بمكة ليقاتلوا وكان من جاتهم رجل كان يعد سلاحا ويصلح من شأنه فتقول له زوجته * أي وقد كانت أسلمت سرا الماذا تعد ما أرى فيقول لمحمد وأصحابه فتقول والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء قال والله اني لأرجو أن أخدمك بعضهم وفي تاريخ مكة للازرقي قال رجل من قريش لامرأته وهي تبري نبالا له وكانت أسلمت سرا فقالت له لم تبري هذا النبل * قال بلغني أن محمدا يريد أن يفتح مكة ويغزوها فلئن كان لاخدمنك خادما من بعض من نستأسر فقالت له والله لكأني بك وقد رجعت تطلب مخبأ أخبيك فيه لو رأيت خيل محمد فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح قيل أقبل ذلك الرجل اليها فقال ويحك هل من مخبأ فقالت له فأين الخادم فقال لها دعي عنك وأنشد الابيات الآتية هذا كلامه * وسبب ذلك أن خالد بن الوليد رضي الله عنه لما لقيهم بالمحل المذكور منعوه الدخول ورموه بالنبل وقالوا له لا تدخلها عنوة فصاح خالد في أصحابه فقتل من قتل وانهزم من لم يقتل * وكان من جملة من انهزم ذلك الرجل * وفي رواية أنه لما دخل بيته قال لامرأته أغلقي علي بابي قالت وأين ما كنت تقول أين الخادم الذي كنت وعدتني تسخر به فقال انك لو شهدت يوم الخندمه

عبارة الازرقي وأنت لو أبصرتنا بالخندمه

اذ فر صفوان وفر عكرمه * واستقبلتنا بالسيوف المسلمه

يقطعن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه

لهم نهيت حولنا وهمهمه * لا تنطقي في اللوم أدنى كلمه

والغمغمة الصوت الذي لا يفهم والنهيت بالمثناة تحت وفوق الزحير والهمهمة صوت في الصدر أي واستمر خالد رضي الله عنه يدفعهم الى أن وصل الحزورا الى باب المسجد أي وصعدت طائفة منهم الجبل فتبعهم المسلمون فرأى صلى الله عليه وسلم وهو على العقبة بارقة السيوف فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقيل له لعل خالدا قوتل وبدىء بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتل من يقاتله وما كان يا رسول الله ليخالف أمرك

فقتل من المشركين أربعة وعشرون من قريش وأربعة من هذيل * وفي رواية جعل صلى الله عليه وسلم الزبير رضي الله عنه على أحد المجنبتين أي وهما الكتيبتين تأخذ احداهما اليمين والاخرى اليسار والقلب بينهما وخالدا على الاخرى وأبا عبيدة على الرجالة * وفي لفظ على الحسر بضم الحاء المهملة وبشد السين المهملة أي الذي لادروع لهم * قال في شرح مسلم فهم رجالة لادروع عليهم * وقد أخذوا بطن الوادي ولعل ذلك كان قبل الدخول الى مكة فلاينافي ماسيأتي أنه صلى الله عليه وسلم أعطى الزبير رضي الله عنه راية * وأمره أن يغرزها بالحجون لايبرح حتى يأتيه في ذلك المحل * وفي ذلك المحل بني مسجد يقال له مسجد الراية * وقد بوشت قريش أبواشا أي جمعوها من قبائل شتى فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا هريرة رضي الله عنه وقال له اهتف أي صح لي بالانصار فهتف بهم فجاؤا وطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ترون الى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال صلى الله عليه وسلم بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا * أي ودخلوا من أعلى مكة قال أبو هريرة رضي الله عنه فانطلقنا فماشاء أحدمنا أن يقتل منهم ماشاء وما أحد يوجه الينا منهم شيأ * وفي لفظ فماشاء أن تقتل أحدا منهم الا قتلناه أي لايقدر أن يدفع عن نفسه * فجاء أبو سفيان رضي الله عنه فقال يارسول الله أبيحت خضراء قريش لاقريش أي لاجماعة لقريش بعد اليوم لان الجماعة المجتمعة يعبر عنها بالسواد الاعظم فيقال السواد الاعظم ويعبر عنها بالخضرة كماهنا فالمراد جماعة قريش * وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن * قال ووجه صلى الله عليه وسلم اللوم على خالد بن الوليد رضي الله عنه وقال له لم قاتلت وقد نهيت عن القتال قال هم يارسول الله بدؤنا بالقتال ورمونا بالنبل ووضعوا فينا السلاح وقد كففت مااستطعت ودعوتهم الى الاسلام فأبوا حتى اذا لم أجد بدا قاتلتهم فظفرنا الله بهم فهربوا من كل وجه وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الانصار عنده يافلان قال لبيك يارسول الله قال ائت خالد بن الوليد وقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان لاتقتل بمكة أحدا فجاء الانصاري فقال ياخالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تقتل من لقيت من الناس فاندفع خالد فقتل سبعين رجلا بمكة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم رجل من قريش فقال يارسول الله هلكت قريش لاقريش بعد اليوم قال ولم قال هذا خالد بن الوليد لايلقى أحدا من الناس الا قتله قال ادع لي خالدا فدعاه له فقال ياخالد ألم أرسل اليك أن لاتقتل أحدا قال بل أرسلت أن أقتل

من قدرت عليه قال صلى الله عليه وسلم أدع لي الانصاري فدعاه له فقال أما أمرتك أن تأمر خالدا أن لا يقتل أحدا قال بلى ولكن أردت أمرا وأراد الله غيره فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل للانصاري شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن الطلب قال قد فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى الله ثم قال كفوا السلاح الا خزاعة عن بني بكر الى صلاة العصر وهي الساعة التي أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم * أي وهذه المقاتلة التي وقعت لخالد رضي الله عنه لا تنافي كون مكة فتحت صلحا كما تقدم أي لانه صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة * وأما قوله صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن فهو من زيادة الاحتياط لهم في الامان * وقوله احصدوهم حصدا محمول على من أظهر من الكفار القتال ولم يقع قتال * ومن ثم قتل خالد رضي الله عنه من قاتل من الكفار وارادة علي كرم الله وجهه قتل الرجلين اللذين آمنتهما أخته أم هانيء كما سيأتي لعله تأول فيهما شيأ أو جرى منهما قتال له وتأمين أم هانيء لهما من تأكيد الامان الذي وقع للعموم فلا حجة في كل ما ذكر على أن مكة فتحت عنوة كما قاله الجمهور وقيل أعلاها فتح صلحا أي الذي سلكه أبو هريرة والانصار لعدم وجود المقاتلة فيه وأسفلها الذي سلكه خالد رضي الله عنه فتح عنوة لوجود المقاتلة فيه كما تقدم ودخل صلى الله عليه وسلم مكة وهو راكب على ناقته القصواء أي مردفا أسامة بن زيد بكرة يوم الجمعة معتجرا بشقة برد حبرة حمراء واضعا رأسه الشريف على رحله تواضعا لله حين رأى ما رأى من فتح الله مكة وكثرة المسلمين ثم قال اللهم ان العيش عيش الآخرة * وقيل دخل صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه المغفر * وقيل وعليه عمامة سوداء حرقانية قد أرخى طرفيها بين كتفيه بغير احرام ورايته سوداء ولواؤه أسود * وعن جابر رضي الله عنه كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض * وعن عائشة رضي الله عنها كان لواؤه يوم الفتح أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب أي وهي التي كانت بخيبر وتقدم أنها كانت من برد عائشة وعنها رضي الله عنها أنها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من كداء بفتح الكاف والمد والتنوين من أعلى مكة * وهذا هو المعروف خلافا لمن قال انه دخل من أسفل مكة وهي ثنية كدا بضم الكاف والقصر والتنوين وسيأتي أنه عند الخروج خرج صلى الله عليه

وسلم

وسلم من هذه وبهذا استدل أئمتنا على أنه يستحب دخول مكة من الاولى والخروج منها من الثانية ❊ أى واغتسل صلى الله عليه وسلم لدخول مكة كما حكاه امامنا الشافعى فى الام وبه استدل على استحباب الغسل لداخل مكة ولو حلالا أى وسيأتى ذلك عن أم هانى رضى الله عنها أى وكان شعار المهاجرين يابنى عبد الرحمن وشعار الخزرج يابنى عبد الله وشعار الاوس يابنى عبيد الله أى شعارهم الذى يعرف به بعضهم بعضا فى ظلمة الليل وعند اختلاط الحرب لووجد ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة واطمأن الناس قال وذلك بالحجون موضع ماغرز الزبير رضى الله عنه رايته صلى الله عليه وسلم عند شعب أبى طالب الذى حصرت فيه بنو هاشم أى وبنو المطلب قبل الهجرة بقبة من أدم نصبت له هنالك ومعه صلى الله عليه وسلم فيها أم سلمة وميمونة زوجتاه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهما ❊ فعن جابر رضى الله عنه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة وقف فحمد الله وأثنى عليه ونظر الى موضع قبته وقال هذا منزلنا ياجابر حيث تقاسمت قريش علينا ❊ قال جابر رضى الله عنه فذكرت حديثا كنت سمعته منه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بالمدينة منزلنا اذا فتح الله تعالى علينا مكة فى خيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر لان قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر ما تقدم فى قصة الصحيفة انتهى ❊ وفيه أنه سيأتى فى حجة الوداع أنهم تحالفوا بالمحصب ففى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى بالمحصب ❊ وعن اسامة بن زيد رضى الله عنهما قال يارسول الله أين تنزل غدا تنزل فى دارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار وتقدم ما يغنى عن اعادته هنا فكان صلى الله عليه وسلم يأتى المسجد من الحجون لكل صلاة وكان دخوله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الاثنين فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ووضع الحجر يوم الاثنين وخرج من مكة أى مهاجرا يوم الاثنين أى ودخل المدينة يوم الاثنين ونزلت عليه سورة المائدة يوم الاثنين ❊ ثم سار صلى الله عليه وسلم والى جانبه أبو بكر رضى الله عنه يحادثه ويقرأ سورة الفتح حتى جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته أى ومحمد بن مسلمة رضى الله عنه آخذ بزمامها يستلم الحجر بمحجن فى يده وعن ابن عباس رضى الله عنهما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاث مائة وستون صنما لكل حى من أحياء العرب

صنم قد شد ابليس أقدامها بالرصاص فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل
يهوى به الى كل صنم منها فيخر لوجهه * وفى لفظ لقفاه وفى لفظ فما أشار
لصنم من ناحية وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع على وجهه من غير
أن يمسه بما فى يده يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
حتى مر عليها كلها * وفى رواية وأقبل صلى الله عليه وسلم الى الحجر فاستلمه
ثم طاف بالبيت وفى يده قوس أخذ بسيته والسية ما انعطف من طرف القوس
فأتى صلى الله عليه وسلم فى طوافه على صنم الى جنب البيت أى من جهة بابه
يعبدونه وهو هبل وكان أعظم الاصنام فجعل يطعن بها فى عينيه ويقول جاء
الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا أى فأمر به صلى الله عليه وسلم فكسر فقال
الزبير بن العوام رضى الله عنه لابى سفيان قد كسر هبل أما انك قد كنت فى يوم
أحد فى غرور حين تزعم أنه قد أنعم فقال أبو سفيان رضى الله عنه دع هذا عنك
يا ابن العوام فقد أرى لو كان مع اله محمد صلى الله عليه وسلم غيره لكان غير
ما كان اى وانتهى صلى الله عليه وسلم الى المقام وهو يومئذ لاصق بالكعبة * قال
وعن على كرم الله وجهه قال انطلق بى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا
حتى أتى الى الكعبة فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة فصعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على منكبى ثم قال انهض فنهضت فلما رأى ضعفى تحته
قال اجلس فجلست ثم قال صلى الله عليه وسلم يا على اصعد على منكبى ففعلت
* أى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى كرم الله وجهه اصعد
على منكبى واهدم الصنم فقال يا رسول الله بل اصعد أنت فانى أكرمك أن أعلوك
فقال انك لا تستطيع حمل ثقل النبوة فاصعد أنت فجلس النبى صلى الله عليه وسلم
فصعد على كرم الله وجهه على كاهله ثم نهض به قال على فلما نهض بى فصعدت
فوق ظهر الكعبة وتنحى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وخيل لى حين
نهض بى انى لو شئت لنلت أفق السماء * أى وفى رواية قيل لعلى كرم الله وجهه
كيف كان حالك وكيف وجدت نفسك حين كنت على منكب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال كان من حالى أنى لو شئت أن أتناول الثريا لفعلت * وعند
صعوده كرم الله وجهه قال له صلى الله عليه وسلم ألق صنمهم الاكبر وكان من نحاس
* أى وقيل من قوارير أى زجاج * وفى رواية لما ألقى الاصنام لم يبق الا صنم خزاعة
موتدا بأوتاد من حديد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عالجه فعالجته
وهو يقول ايه ايه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فلم أزل أعالجه

حتى

حتى استمكنت منه نقذفته فتكسر * أقول وهذا السياق يدل على أن هذا الصنم
غير هبل وأن هبل ليس أكبر أصنامهم بل هذا أكبر منه ولم أقف على اسمه ومما يدل
على أن الذى كسر هو هبل قول الزبير رضى الله عنه كما تقدم لابى سفيان أن هبل
الذى كنت تفتخر به يوم أحد قد كسر قال دعنى ولا توبخنى لو كان مع اله محمد اله آخر
لكان الامر غير ذلك * وفى الكشاف ألقاها جميعها وبقى صنم خزاعة فوق
الكعبة * وكان من قوارير صفر فقال صلى الله عليه وسلم ياعلى ارم به فحمله رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون
ما رأينا أسحر من محمد * وفى خصائص العشرة لصاحب الكشاف زيادة وهى
ونزلت من فوق الكعبة وانطلقت أنا والنبى صلى الله عليه وسلم نسعى وخشينا
أن يرانا أحد من قريش هذا كلامه * وهذا يدل على أن ذلك لم يكن يوم فتح مكة
فليتأمل * وفى الكشاف أيضا كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم
بحيالهم * وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون اليها ينحرون
لها فشكى البيت الى ربه عز وجل فقال يارب الى متى تعبد هذه الاصنام حولى
دونك فأوحى الله تعالى الى البيت انى سأحدث لك نوبة جديدة فلأملؤك خزورا
سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج
حولك بالبيت هذا كلامه * ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة أى
بعد أن أرسل بلالا رضى الله عنه الى عثمان بن أبى طلحة يأتى بمفتاح الكعبة الى آخر
ما سيأتى وبعد أن محيت منها الصور أى فانه صلى الله عليه وسلم أمر عمر رضى الله عنه
وهو بالبطحاء أن يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها وكان عمر رضى الله عنه قد ترك
صورة ابراهيم فقال صلى الله عليه وسلم يا عمر ألم آمرك أن لا تترك فيها صورة قاتلهم الله
حيث جعلوه شيخا يستقسم بالازلام ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا مسلما وما كان من المشركين * هذا وفى كلام سبط ابن الجوزى * قال
الواقدى رحمه الله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وعثمان بن
عفان رضى الله عنهما أن يقدما الى البيت * وقال لعمر لا تدع صورة حتى تمحوها
الا صورة ابراهيم هذا كلامه فليتأمل * وفى رواية عن أسامة بن زيد رضى الله
عنهما قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكعبة فرأى صورا فدعا
بدلو من ماء فأتيته به فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها أى وتلك الصور هى صور
الملائكة وصور ابراهيم واسماعيل فى أيديهما الازلام يستقسمان بها واسحاق وبقية
الانبياء كما تقدم فى بنيان قريش الكعبة وصورة مريم فقال قاتل الله قوما يصورون

ما لايخلقون قاتلهم الله لقد علموا أنهما لم يستقسما بالازلام قط أى ولامنافاة لانه يجوز
أن يكون عمر رضى الله عنه ترك مع صورة ابراهيم صورة اسماعيل ومريم وصور
الملائكة * ووجد صورة حمامة من عيدان بفتح العين المهملة وكسرها بيده ثم طرحها
ودعا بزعفران فلطخه بتلك التماثيل أى بموضعها وصلى بها ركعتين بين اسطوانتين
* وفى لفظ بين العمودين اليمانيين * وفى لفظ القدمين وبينه وبين الجدار ثلاثة
أذرع انتهى أى وفى الترمذى دخل صلى الله عليه وسلم البيت وكبر فى نواحيه ولم
يصل * وفى رواية لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان
ابن أبى طلحة زاد فى رواية والفضل بن العباس * قال الحافظ ابن حجر وفى رواية شاذة
فأغلقوا عليهم الباب وفى لفظ فأغلقا أى عثمان وبلال فأجاف أى أغلق عليهم عثمان
الباب وجمع بأن عثمان هو المباشر لذلك لانه من وظيفته وبلال رضى الله عنه كان
مساعدا له فى الغلق * أى ولما دخلوا كان خالد بن الوليد يذب الناس وهو واقف
على باب الكعبة * قال ابن عمر رضى الله عنهما فلما فتحوا كنت أول من ولج
ولقيت بلالا فسألته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم * وذهب
عنى أن أسأله كم صلى وهذا يدل على أن قول بلال رضى الله عنه انه صلى الله عليه
وسلم صلى أى بالصلاة المعهودة لا الدعاء كما ادعاه بعضهم * وفى كلام السهيلى
فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما أنه صلى فيها ركعتين * وعن ابن عباس رضى الله
عنهما قال أخبرنى أسامة بن زيد أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا فى نواحيه
كلها ولم يصل فيه حتى خرج فلما خرج ركع فى قبل البيت ركعتين أى بين الباب
والحجر الذى هو الملتزم وقال هذه القبلة فبلال رضى الله عنه مثبت للصلاة فى الكعبة
وأسامة رضى الله عنه ناف والمثبت مقدم على النافى على أنه جاء أن أسامة رضى الله
عنه أخبر أيضا بأنه صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة * وأجيب بأن أسامة
حيث أثبت اعتمد قول بلال وحيث نفى اعتمد ماعنده * أى وفى مجمع الزوائد
للحافظ الهيثمى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة
فصلى بين الساريتين ركعتين ثم خرج فصلى بين الباب والحجر ركعتين * ثم قال
هذه القبلة ثم دخل صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقام يدعو ولم يصل فالنقل عن ابن
عباس رضى الله عنهما اختلف وسبب الاختلاف تعدد دخوله صلى الله عليه وسلم
فى المرة الاولى دخل وصلى * وفى المرة الثانية دخل ولم يصل وهذا السياق يدل
على أن ذلك كان يوم الفتح وفى كلام بعضهم رواية ابن عباس ورواية بلال رضى الله
عنهم صحيحتان لانه صلى الله عليه وسلم دخلها يوم النحر فلم يصل ودخلها من الغد

فصلى وذلك فى حجة الوداع هذا كلامه فليتأمل أى ثم انه صلى الله عليه وسلم جاء الى مقام ابراهيم وكان لاصقا بالكعبة فصلى ركعتين ثم أخره على ما تقدم * ودعا صلى الله عليه وسلم بماء فشرب منه وتوضأ وفى لفظ ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى زمزم فاطلع فيها وقال لولا أن تغلب بنو عبد المطلب أى يغلبهم الناس على وظيفتهم وهى النزع من زمزم لنزعت منها دلوا أى فان الناس يقتدون به صلى الله عليه وسلم فى ذلك مع أن النزع من وظيفة بنى عبد المطلب * وانتزع له العباس رضى الله عنه دلوا فشرب منه وتوضأ فابتدر المسلمون يصبون على وجوههم * وفى لفظ لا تسقط قطرة الا فى يد انسان ان كان قدر ما يشربها شربها والا مسح بها جلده والمشركون يقولون ما رأينا ولا سمعنا ملكا قط بلغ هذا * ولما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد أى والناس حوله خرج أبو بكر وجاء بأبيه رضى الله عنهما يقوده * وقد كان كف بصره فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه * وفى لفظ لو أقررت الشيخ فى بيته لا تيناه تكرمة لابى بكر فقال أبو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمشى اليك من أن تمشى أنت اليه فأجلسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال اسلم تسلم فأسلم رضى الله عنه وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر باسلام أبيه رضى الله عنهما * أى وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق لاسلام أبى طالب كان أقر لعينى من اسلامه يعنى أباه أبا قحافة وذلك أن اسلام أبى طالب كان أقر لعينك كذا فى الشفاء وكان رأس أبى قحافة ولحيته بيضاء كالثغامة فقال غيروهما وجنبوهما السواد * أى وفى رواية واجتنبوا السواد وجاء غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود والنصارى * وفى رواية اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم * وجاء ان أحسن ما غير به هذا الشيب الحناء والكتم * وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب بالحناء والكتم * قال ابن عبد البر رحمه الله والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم لم يخضب ولم يبلغ من الشيب ما يخضب له وقد اختضب أبو بكر رضى الله عنه بالحناء والكتم واختضب عمر رضى الله عنه بالحناء * وجاء يا معشر الانصار حمروا أو صفروا وخالفوا أهل الكتاب * وكان عثمان رضى الله عنه يصفر وعن أنس رضى الله عنه دخل رجل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو أبيض الرأس واللحية قال ألست مؤمنا قال بلى قال فاختضب لكن قيل انه حديث منكر * وجاء من اختضب بالسواد

سوّد الله وجهه يوم القيامة قيل انه حديث منكر وجاء يكون آخر الزمان رجال من أمتي يغيرون بالسواد لا ينظر الله اليهم يوم القيامة * قيل هو غريب جدا قال بعضهم ولعل من خضب بالسواد من الصحابة رضي الله عنهم كسعد بن أبي وقاص والحسن والحسين رضي الله عنهم أي وعقبة بن عامر المدفون بمصر * قال بعضهم ليس بمصر قبر صحابي متفق عليه الا قبر عقبة بن عامر رضي الله عنه فانه كان يخضب بالسواد وهو القائل في ذلك

تسوّد أعلاها وتأبى أصولها * ولا خير في الاعلى اذا فسد الاصل

* وكان واليا على مصر من جهة معاوية رضي الله عنه فعزله بمسلمة بن مخلد وأمره بالغزو في البحر وكان عقبة رضي الله عنه يقول ما أنصفنا معاوية عزلنا وغربنا ما بلغهم النهي أو فهموا أن النهي للكراهة وقد جاء أوّل من جزع من الشيب ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين رآه في عارضه فقال عليه الصلاة والسلام يارب ما هذه الشوهة بخليلك فأوحى الله اليه هذا سربال الوقار ونور الاسلام وعزتي وجلالي ما ألبسته أحدا من خلقي يشهد أن لا اله الا أنا وحدي الا استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا أو أعذبه بالنار فقال يارب زدني فأصبح رأسه مثل الثامة البيضاء * وفي المشكاة قال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بهذا السواد لا يجدون رائحة الجنة رواه أبو داود والنسائي * أي وفي كلام ابن الجوزي رحمه الله أوّل من خضب بالسواد فرعون ومن أهل مكة أي من العرب عبد المطلب بن هاشم وعن عمر رضي الله عنه اخضبوا بالسواد فانه أنكى للعدوّ وأحب للنساء فليتأمل * وكان لابي بكر رضي الله عنه أخت صغيرة في عنقها طوق من فضة اقتلعه انسان من عنقها فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيد أخته وقال أنشدتكم بالله وبالاسلام طوق أختي فما أجابه أحد ثم قال الثانية والثالثة فما أجابه أحد فقال رضي الله عنه احتسبي طوقك فوالله ان الامانة في الناس اليوم لقليل * قال بعضهم ولم يعش لابي قحافة رضي الله عنه ولد ذكر الا أبو بكر ولا يعرف له بنت الا أم فروة التي أنكحها أبو بكر من الاشعث بن قيس * وكانت قبله تحت تميم الداري وهي هذه المذكورة هنا * وقيل كانت له بنت أخرى تسمى قريبة وعليه فيحتمل أن تكون هي المذكورة هنا وتقدم اسلام أبي بكر رضي الله عنهما لما كان المسلمون في دار الارقم وأمه بنت عم أبيه * قال بعضهم لم يكن أحد من الصحابة المهاجرين والانصار أسلم هو ووالداه وجميع ابنائه وبناته غير أبي بكر وبنوه ثلاثة عبد الله وهو أكبرهم مات أوّل

خلافة والده وعبد الرحمن ومحمد رضي الله عنهم ولد محمد في حجة الوداع وهو المقتول بمصر وبناته ثلاثة أيضا أسماء وهي أكبرهن وهي شقيقة عبد الله وعائشة وهي شقيقة عبد الرحمن وأم كلثوم رضي الله عنهم وعنهن مات أبو بكر رضي الله عنه وهي ببطن أمها * وقد أنزل الله تعالى في حقه رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي الآيات * قال بعضهم لا يعرف في الصحابة أربعة أسلموا وصحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وكل واحد أبو الذي بعده الا في بيت أبي بكر رضي الله عنه أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ويكنى بأبي عتيق * وقد قيل هل تعرفون أربعة رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في نسق أي من المذكور كل ابن الذي قبله * أجيب بأنهم هؤلاء الاربعة أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد وبقولنا من الذكور لا يرد ما أورد على ذلك أن هذا يصدق على أبي قحافة وابنه أبي بكر وبنته أسماء وابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم * نعم يرد على ذلك حارثة أبو زيد فانه أسلم على ما ذكره الحافظ المنذري * ورأى النبي صلى الله عليه وسلم بعد اسلامه وابنه زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد وجاء أسامة يولد في حياته صلى الله عليه وسلم أي ويحتاج الى اثبات كونه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك المولود الا أن يقال كان من شأنهم اذا ولد لاحدهم مولود جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيحنكه ويسميه خصوصا وهذا المولود ابن حب الحب ولم أقف على اسم هذا المولود فليراجع في أسماء الصحابة وحينئذ يقال لاجل عدم ورود من ذكر ليس لنا أربعة ذكور معروفة أسماؤهم وبعد الوقوف على اسم ذلك المولود يقال لاجل عدم الورود ليس لنا أربعة ليسوا من الموالي الا أبو قحافة وابنه أبو بكر وابن أبي بكر عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد أبو عتيق فليتأمل * لا يقال هذا موجود في غير بيت الصديق * فقد ذكروا في الصحابة أربعة كذلك أي ذكور كل واحد أبو الذي بعده عرفت أسماؤهم وليس فيهم مولى وهم اياس بن سلمة بن عمرو بن لال لانا نقول المراد المتفق على صحبتهم وهؤلاء لم يقع الاتفاق على صحبتهم ومن الفوائد المستحسنة أنه ليس في الصحابة قال بعضهم بل ولا في التابعين من اسمه عبد الرحيم وثلاثة ذكور أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم على نسق وهو السائب والد أمامنا الشافعي رضي الله عنه وأبوه عبيد وجده عبد يزيد * ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فعلاه حيث ينظر الى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه والانصار تحته * قال بعضهم لبعض

أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته فنزل الوحى عليه صلى الله عليه وسلم بما ذكر القوم فلما انقضى الوحى رفع صلى الله عليه وسلم رأسه وقال يا معشر الانصار قلتم أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك يا رسول الله قال صلى الله الله عليه وسلم فما اسمى اذا أى ان فعلت ذلك كيف اسمى وأوصف بأنى عبد الله ورسوله كلا لا أفعل ذلك انى عبد الله ورسوله أى ومن كان هذا وصفه لا يفعل ذلك هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم فأقبلوا اليه صلى الله عليه وسلم يبكون ويقولون والله ما قلنا الذى قلنا الا الضن أى البخل بالله وبرسوله أى لا نسمح أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير بلدتنا يعنون المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله ورسوله يعذرانكم ويصدقانكم * وفى رواية أن الانصار رضى الله عنهم قالوا فيما بينهم أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله أرضه وبلده يقيم بها * فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شىء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم * أى وتقدم له صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة نظير ذلك وهو أن الانصار قالوا يا رسول الله هل عسيت ان نحن نصرناك وأظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم * وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتل عبد الله بن أبى سرح لانه كان أسلم قبل الفتح وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى وكان صلى الله عليه وسلم اذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا أملى عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما وكان يفعل مثل هذه الجنايات حتى صدر عنه أنه قال ان محمدا لا يعلم ما يقول فلما ظهرت خيانته لم يستطع أن يقيم بالمدينة فارتد وهرب الى مكة * وقيل انه لما كتب ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر تعجب من تفصيل خلق الانسان فنطق بقوله فتبارك الله أحسن الخالقين قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب ذلك هكذا أنزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبى يوحى الى فارتد ولحق بمكة فقال لقريش انى كنت أصرفه حيث كيف شئت كان يملى على عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وكلما أقوله يقول اكتب هكذا نزلت * فلما كان يوم الفتح وعلم باهدار النبى صلى الله عليه وسلم دمه جاء الى عثمان بن عفان أخيه من الرضاعة فقال له يا أخى استأمن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقى فغيبه

عثمان رضي الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا فاستأمن له ثم أتى به النبي صلى
الله عليه وسلم فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فصار عثمان رضي الله عنه
يقول يارسول الله أمنته والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ثم قال نعم فبسط يده
فبايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال صلى الله عليه وسلم لمن حوله أعرضت عنه مرارا
ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه وقال صلى الله عليه وسلم لعباد بن بشر وكان نذر ان
رأى عبد الله قتله أي وقد أخذ بقائم السيف ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم يشير
اليه أن يقتله فقال له صلى الله عليه وسلم انتظرتك أن توفي بنذرك قال يارسول الله
خفتك أفلا أومضت الي فقال انه ليس لنبي أن يومض * وفي رواية الايماض خيانة
ليس لنبي أن يومي * وفي رواية لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين أي وهذا يدل
على أن خائنة الاعين الايماء بالعيون أي ان يومي بطرفه خلاف ما يظهره بكلامه
وهو اللمز هذا * وقيل انه أسلم وبايع والنبي صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وصار
يستحي من مقابلته صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لعثمان أما بايعته
وآمنته قال بلى ولكن يذكر جرمه القديم فيستحي منك قال الاسلام يجب ما قبله
وأخبره عثمان رضي الله عنه بذلك ومع ذلك فصار اذا جاء جماعة للنبي صلى الله عليه
وسلم يجيء معهم ولا يجيء اليه منفردا * وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتل ابن
خطل لانه كان ممن أسلم أي قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم وكان اسمه عبد العزى
فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الانصار يخدمه * وفي لفظ كان معه مولى يخدمه
وكان مسلما فنزل منزلا وأمره أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام ثم استيقظ فلم
يجده صنع له شيأ وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعرا يهجو رسول
الله صلى الله عليه وسلم في شعره * وكان له قينتان تغنيانه بهجاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي يصنعه * وقد قيل انه ركب فرسه لابسا الحديد وأخذ بيده
قناة وصار يقسم لا يدخلها محمد عنوة فلما رأى خيل الله دخله الرعب فانطلق الى
الكعبة فنزل عن فرسه وألقى سلاحه ودخل تحت أستارها فأخذ رجل سلاحه
وركب فرسه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون فأخبره خبره فأمر
بقتله * وقيل لما طاف صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل هذا ابن خطل معلقا
بأستار الكعبة فقال اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد
واجب أي فقتله سعد بن حريث وأبو برزة * وقيل قتله الزبير رضي الله عنه
وقيل سعد بن ذؤيب وقيل سعيد بن زيد * قال في النور والظاهر اشتراكهم

فيه جمعا بين الاقوال * وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه فقتلت احداهما واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للاخرى فأمنها وأسلمت والحويرث بن نقيد * وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ويعظم القول فى أذيته وينشد الهجاء وكان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنه حمل فاطمة وأم كلثوم بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة فنخس الحويرث البعير الحامل لهما فرمى به الارض قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى ذلك اليوم * وقد خرج يريد أن يهرب ومقيس بن ضبابة انما أمر بقتله لانه كان قد أتى النبى صلى الله عليه وسلم مسلما طالبا الدية أخيه هشام بن ضبابة رضى الله عنه قتله رجل من الانصار فى غزوة ذى قرد خطأ يظنه من العدو ودفع له النبى صلى الله عليه وسلم دية أخيه ثم انه عدا على الانصارى قاتل أخيه بقتله بعد أن أخذ دية أخيه ثم لحق بمكة مرتدا كما تقدم قتله ابن عمه نميلة بن عبد الله الليثى أى بعد أن أخبر نميلة بأن مقيس مع جماعة من كبار قريش يشربون الخمر فذهب اليه فقتله وذلك بردم بنى جمح * وقيل قتل وهو معلق بأستار الكعبة وأما هبار بن الاسود رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفهاء من قريش حين بعث بها زوجها أبو العاص الى المدينة فأهوى اليها هبار ونخس بعيرها * وفى رواية ضربها بالرمح فسقطت من على الجمل على صخرة أى وكانت حاملا فألقت ذا بطنها واهراقت الدماء ولم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت كما تقدم * فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان لقيتم هبارا فاحرقوه * ثم قال انما يعذب بالنار رب النار ان ظفرتم به فاقطعوا يده ورجله ثم اقتلوه فلم يوجد يوم الفتح ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه ويذكر أنه لما أسلم وقدم المدينة مهاجرا جعلوا يسبونه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال سب من سبك فانتهوا عنه * وهذا السياق يدل على انه أسلم قبل أن يذهب الى المدينة وفى لفظ ولما رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة جاء هبار رافعا صوته وقال يا محمد أنا جئت مقرا بالاسلام وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واعتذر اليه أى قال له صلى الله عليه وسلم بعد أن وقف عليه وقال السلام عليك يا نبى الله لقد هربت منك فى البلاد فأردت اللحوق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وفضلك فى صفحك عمن جهل عليك وكنا يا نبى الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا بك من الهلكة فاصفح عن جهلى وعن ما كان عنى فانى

مقر بسوء فعلي معترف بذنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا وهبار عفوت عنك وقد أحسن الله اليك حيث هداك الى الاسلام والاسلام يجب ما كان قبله * وقوله مهاجرا فيه انه لاهجرة بعد فتح مكة الاان يقال هي مجاز عن مجرد الانتقال عن محل الى آخر أخذ امساياً تي ان شاء الله في عكرمة وأما عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فانه صلى الله عليه وسلم انما أمر بقتله لانه كان أشد الناس هو وأبوه أذية للنبي صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس على المسلمين ولما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدر دمه فر الى اليمن فاتبعته امرأته بنت عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد أن أسلمت فوجدته في ساحل البحر يريد ان يركب السفينة * وقيل وجدته في السفينة فردته أي بعد أن قالت له يا ابن عم جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس لاتهلك نفسك فقد استأمنت لك فجاء معها فأسلم وحسن اسلامه * أي بعد ان قال يا محمد هذه يعني زوجتي أخبرتني أنك آمنتني قال صدقت انك آمن فقال عكرمه أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وطأطأ رأسه من الحياء فقال له صلى الله عليه وسلم يا عكرمة ما تسئلني شيأ أقدر عليه الا أعطيتكه قال استغفر لي كل عداوة عاديتكها فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به أي ولما قدم عليه صلى الله عليه وسلم وثب صلى الله عليه وسلم اليه قائما فرحا به أي ورمى صلى الله عليه وسلم رداءه وقال مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا * وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة * وفي بهجة المجالس في أنس المجالس لابن عبد البر رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم رأى في منامه أنه دخل الجنة ورأى فيها عذقا فأعجبه وقال لمن هذا فقيل لابي جهل فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وقال لا يدخلها الا نفس مؤمنة فلما جاءه عكرمة بن أبي جهل مسلما فرح به وأوّل ذلك العذق بعكرمة له والعكرمة الانثى من الحمير واستدل بذلك على تأخر الرؤيا أوانها تكون لغير من ترى له * قال وصار عكرمة قبل اسلامه يطلب امرأته أم حكيم قبل اسلامه يجامعها فتأبى وتقول أنت كافر وأنا مسلمة والاسلام حائل بيني وبينك * فقال ان أمرا منعك عني لامر كبير * أي ولما قتل عكرمة رضي الله عنه في اليرموك في قتال الروم وانقضت عدتها تزوجها خالد بن سعيد فجعلت تقول له لو أخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع يعني الروم فقال خالد ان نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم قالت فدونك فدخل بها في خيمته فما أصبح الصبح الا والروم قد اصطفت فخرج خالد رضي الله عنه فقاتل حتى قتل فشدت أم حكيم رضي الله

عنها ثيابها وأخذت عمود الخيمة التي دخل بها فما دفيها فقتلت بها سبعة من الروم
* وقال صلى الله عليه وسلم قبل أن يقدم عليه عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه
ولمن أباه يأتيكم عكرمة مؤمنا مهاجرا فلا تسبوا أباه فان سب الميت يؤذي الحي ولا
يلحق الميت انتهى * أي وفي رواية لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا
* وفي أخرى لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء وفي أخرى أذكروا محاسن موتاكم
وكفوا عن مساويهم * وجاء أنه شكى اليه صلى الله عليه وسلم قولهم عكرمة ابن أبي
جهل فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات
* وقد كان قبل اسلامه بارز رجلا من المسلمين فقتله فضحك النبي صلى الله عليه
وسلم فقال له بعض الانصار ما أضحكك يا رسول الله وقد فجعنا بصاحبنا فقال
أضحكني أنهما في درجة واحدة في الجنة * ومن ثم قتل عكرمة شهيدا في قتال
الروم في وقعة اليرموك كما مر * وسارة رضي الله عنها فانها أسلمت وانما أمر صلى
الله عليه وسلم بقتلها لانها هي التي كانت مغنية بمكة وكانت تغني بهجائه
صلى الله عليه وسلم وهي التي وجد معها كتاب حاطب وقد استؤمن لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأمنها وأسلمت كما تقدم * والحارث بن هشام وزهير بن أمية
استجارا بأم هانىء بنت أبي طالب أخت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شقيقته
ولم تكن أسلمت اذ ذاك فأراد علي قتلهما * فعنها رضي الله عنها أنها قالت لما نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر الي رجلان من أحمائي أي من أقارب
زوجها هبيرة بن أبي وهب مستجيران بي فأجرتهما * وذكر الازرقي بدل زهير بن أمية
عبد الله بن أبي ربيعة فدخل علي أخي علي بن أبي طالب فقال والله لاقتلنهما
* أي وقال تجيري المشركين فحلت بينه وبينهما فخرج فأغلقت عليهما بيتي ثم جئت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر
العجين وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه فقلت أم هانىء بنت
أبي طالب فقال مرحبا بأم هانىء * وفي الرواية الاولى فلما اغتسل أخذ ثوبه وتوشح
به ثم صلى ثماني ركعات من الضحى * ثم أقبل علي فقال مرحبا وأهلا بأم هانىء
ما جاء بك فأخبرته الحديث فقال أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا نقتلهما
* وفي البخاري أيضا انه صلى الله عليه وسلم اغتسل في بيتها ثم صلى الضحى
ثماني ركعات * أي ولما ذكر ذلك لابن عباس رضي الله عنهما قال اني كنت أمر
على هذه الآية يسبحن بالعشي والاشراق فأقول أي صلاة صلاة الاشراق فهذه
صلاة الاشراق * وفي لفظ ما عرفت صلاة الاشراق الا الساعة * وهذا يدل

لما أفتى به والد شيخنا الرملي رحمهما الله تعالى أن صلاة الضحى صلاة الاشراق خلافا
لما في العباب من أنها غيرها ويحتاج للجمع بين هذه الرواية والتي قبلها على ثبوت
صحتهما وبهذه الواقعة * قال المحاملي من أئمتنا في كتابه اللباب الذي هو أصل
التنقيح الذي هو أصل التحرير * ومن دخل مكة وأراد أن يصلي الضحى أول يوم
اغتسل وصلاها كما فعله عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة وبه الغز فقيل شخص
يستحب له الاغتسال لصلاة الضحى في مكان خاص * وعن عائشة رضي الله عنها
ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى قط واني لاسبحها
أي أصليها وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله ما أخبرني أحد أنه رأى النبي
صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى الا أم هانىء * وهذا ينازع فيه ما يأتي أن صلاة
الضحى مما اختص بوجوبها صلى الله عليه وسلم وأسلمت أم هانىء ذلك اليوم الذي
هو يوم الفتح * أي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لها هل عندك من طعام نأكله
فقالت ليس عندي الا كسر يابسة وأنا استحي أن أقدمها اليك فقال هلمي هن
فكسرهن في ماء وجاءت بملح فقال هل من أدم فقالت ما عندي يا رسول الله الا شيء
من خل فقال هلميه فصبه على الكسر وأكل منه ثم حمد الله ثم قال نعم الادم الخل
يا أم هانىء لا يفقر بيت فيه خل * اي وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم سأل أهله
الادام فقالوا ما عندنا الا الخل فدعى به فجعل يأكل به ويقول نعم الادم الخل * وفي
الحديث عن جابر رضي الله عنهما مرفوعا ان الله يوكل بآكل الخل ملكين
يستغفران له حتى يفرغ وجاء نعم الادم الخل اللهم بارك في الخل فانه كان ادام الانبياء
قبلي ولم يفتقر بيت فيه خل * وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أخذني
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ذات يوم الى بعض حجر نسائه فدخل
ثم أذن لي فدخلت فقال هل من غداء فقالوا نعم فأتى بثلاثة أقرصة فأخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرصا فوضعه بين يديه وأخذ قرصا فوضعه بين يدي ثم أخذ
الثالث فكسره فجعل نصفه بين يديه ونصفه بين يدي ثم قال صلى الله عليه وسلم
هل من أدم فقالوا الا شيء من خل قال هاتوه فنعم الادم الخل * وفي رواية قال
الخل نعم الادام قال جابر رضي الله عنه فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من رسول
الله صلى الله عليه وسلم * وقال بعضهم ما زلت أحب الخل منذ سمعتها من جابر
* وصفوان بن أمية استأمن له عمير بن وهب أي قال له يا نبي الله ان صفوان سيد قومي
قد هرب ليقذف نفسه في البحر فآمنه فانك آمنت الاحمر والاسود فقال صلى الله
عليه وسلم أدرك ابن عمك فهو آمن فقال أعطني آية يعرف بها أمانك فأعطى صلى الله

عليه وسلم لعمير عمامته التي دخل بها مكة * أي وفي لفظ أعطاه برده أي بعد أن طلب منه العود فقال لا أعود معك الا أن تأتيني بعلامة أعرفها فقال أمكث مكانك حتى آتيك به فلحقه عمير وهو يريد أن يركب البحر فرده أي بعد أن قال له اعزب عني لا تكلمني فقال أي صفوان فداك أبي وأمي جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك وأكرم فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هذا يزعم أنك أمنتني قال صدق فقال يا رسول الله أمهلني بالخيار شهرين * فقال صلى الله عليه وسلم أنت بالخيار أربعة أشهر أي ثم خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى حنين * ولما فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمها أي بالجعرانة رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمق شعبا ملآن نعما وشاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبك هذا قال نعم قال هو لك وما فيه فقبض صفوان ما في الشعب وقال ما طابت نفس أحد بمثل هذا الا نبي فأسلم كما سيأتي وهند امرأة أبي سفيان رضي الله عنهما فانها أسلمت بعد * وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتلها لانها مثلت بعمه حمزة رضي الله عنه يوم أحد ولاكت قلبه كما تقدم * وكعب ابن زهير رضي الله عنه فانه أسلم بعد وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان ممن يهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووحشي رضي الله عنه فانه أسلم بعد وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه قتل عمه حمزة رضي الله عنه يوم أحد وكانت الصحابة أحرص شيء على قتله ففر الى الطائف وقد قدمنا اسلامه استطرادا * قال وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم الفتح على الصفا يبايع الناس فجاءه الكبار والصغار والرجال والنساء يبايعهم على الاسلام أي على شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ودخل الناس في دين الله أفواجا أفواجا * أي وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل فأخذته الرعدة فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد أي وكان من جملة من بايعه النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما * فعن معاوية رضي الله عنه لما كان عام الحديبية وقع الاسلام في قلبي * فذكرت ذلك لامي فقالت اياك أن تخالف أباك فيقطع عنك القوت فأسلمت وأخفيت اسلامي فقال لي يوما أبو سفيان وكأنه شعر باسلامي أخوك خير منك هو على ديني * فلما كان عام الفتح أظهرت اسلامي ولقيته صلى الله عليه وسلم فرحب بي وكتبت له أي بعد ان استشار فيه جبريل عليه السلام

قال اسكتبه فانه أمين وأردفه النبي صلى الله عليه وسلم يوما خلفه فقال ما يليني منك قلت بطني * قال اللهم املأه حلما وعلما * وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب * زاد في رواية ومكن له في البلاد * وعن بعض الصحابة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لمعاوية يقول اللهم اجعله هاديا مهديا واهده واهد به ولا تعذبه * وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لمعاوية يا معاوية انت مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين * وأشار بأصبعيه الوسطى والتي تليها ويذكر أنه كان عنده قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وإزاره ورداءه وشيء من شعره فقال عند موته كفنوني في القميص وأدرجوني في الرداء وأزروني بالازار واحشوا منخري وشدقي من الشعر وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين * وقد بشر بمعاوية رضي الله عنه بعض كهان اليمن * وسبب ذلك أن أمه هند كانت قبل أبيه أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان الفاكه من فتيان قريش * وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا ذلك البيت يوما من الضيفان فاضطجع الفاكه وهند فيه في وقت القائلة ثم خرج الفاكه لبعض حاجته وأقبل رجل كان يغشاه فولج البيت فلما رأى المرأة التي هي هند ولى هاربا وأبصره الفاكه وهو خارج من البيت فأقبل الى هند فضربها برجله وقال لها من هذا الذي كان عندك قالت ما رأيت رجلا ولا انتبهت حتى أيقظتني فقال لها الحقي بأبيك وتكلم فيها الناس فقال لها أبوها عتبة يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك فأنبئيني نبأك فان كان الرجل عليك صادقا دسست اليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة وان يكن كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فحلفت له انه لكاذب عليها فقال عتبة للفاكه يا هذا انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف * وخرجوا معهم بهند ونسوة معها فلما شارفوا البلاد وقالوا غدا نرد على الكاهن الفلاني تنكرت حالة هند وتغير وجهها فقال لها أبوها اني قد أرى ما بك من تنكر الحال وما ذاك الا لمكروه عندك كان هذا قبل أن يشهد الناس مسيرنا قالت لا والله يا أبتاه وما ذاك لمكروه وعندي ولكني أعرف أنكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنت أن يسمني ميسما يكون علي سبة في العرب قال اني سوف اختبره من قبل أن ينظر في أمرك فصفر بفرس حتى أدلى ثم أخذ حبة من حنطة فأدخلها في احليله وأوكى عليها بسير فلما وردوا

على الكاهن أكرمهم ونحر لهم فلما تعدوا قال له عتبة انا قد جئناك فى أمر وانى قد خبأت لك خباء أختبرك به فانظر ما هو قال ثمرة فى كمره قال أريد أبين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر * قال صدقت انظر فى أمر هذه النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب كتفها ويقول انهضى حتى دنى من هند فضرب كتفها وقال انهضى غير وسخاء ولا زانية ولتلدن ملكا يقال له معاوية فوثب اليها الفاكه فأخذ بيدها فنترت يدها من يده وقالت اليك عنى فوالله لاحرصن على أن يكون من غيرك فتزوجها أبو سفيان فجاءت منه بمعاوية رضى الله عنهم * وقد قال له صلى الله عليه وسلم يا معاوية اذا ملكت فأحسن * وفى رواية اذا ملكت من أمر أمتى شيأ فاتق الله واعدل ويؤثر عنه رضى الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى اللهم أقل عثرتى واغفر زلتى وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك * ثم بكى رضى الله عنه حتى علا نحيبه كتب الى عائشة رضى الله عنها اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى فكتبت من عائشة الى معاوية سلام عليك * أما بعد فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام وكتبت اليه رضى الله عنها مرة أخرى أما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيأ والسلام * ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان رضى الله عنهما متنقبة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم * فلما دنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهن بايعننى على أن لا تشركن بالله شيأ ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن أى وذلك اسقاط الاجنة زاد فى لفظ ولا تلحقن بأزواجكن غير أولادهم أى ولا تقعدن مع الرجال فى خلاء أى لا تجتمع امرأة مع رجل فى خلوة ولا تأتين ببهتان ولا تفترينه بين أيديكن وأرجلكن * قال ابن عباس رضى الله عنهما البهتان أن تلحق بزوجها ولدا ليس منه أى ولا يغنى عنه الزنا كما أن ذلك لا يغنى عن الزنا وقد تحبل ولا تلحقه بأحد ولا تعصين فى معروف * وجاء أن بعض النسوة قالت ما هذا المعروف الذى لا ينبغى لنا أن نعصيك فيه قال لا تنحن * أى وفى لفظ لا تنحن ولا تخمشن وجها ولا تنشرن شعرا * وفى لفظ ولا تحلقن شعرا ولا تحرقن قرنا ولا تشققن جيبا ولا تدعين بالويل * وجاء هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين صفا عن اليمين وصفا عن اليسار ينبحن كما ينبح الكلاب * وجاء تخرج

النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة ودرع من جرب واضعة يدها على رأسها تقول ويلاه * وجاء النائحة اذا لم تتب تقوم يوم القيامة عليها سربال من قطران ودرع من جرب وجاء لا تقبل الملائكة على نائحة * وجاء ليس للنساء في اتباع الجنائز من أجر * وجاء أن هندا قالت له صلى الله عليه وسلم انك لتأخذ علينا مالا تأخذه على الرجال أي لان الرجال كان صلى الله عليه وسلم يبايعهم على الاسلام وعلى الجهاد فقط * وأنها قالت لما قال صلى الله عليه وسلم ولا تسرقن والله اني كنت أصيب من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك حلالا أم لا فقال أبو سفيان وكان حاضرا * اما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل عفا الله عنك أي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبي الله * وأنها قالت لما قال صلى الله عليه وسلم ولا تزنين أوتزني الحرة يا رسول الله * ولما قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا * وفي لفظ هل تركت لنا ولدا الا قتلته يوم بدر وفي لفظ أنت قتلت آباءهم يوم بدر وتوصيني بأولادهم * وفي لفظ ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم صلى الله عليه وسلم * وفي لفظ فضحك صلى الله عليه وسلم * ولما قال صلى الله عليه وسلم ولا تأتين ببهتان تفترينه قالت والله أن اتيان البهتان لقبيح * زاد في لفظ وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال صلى الله عليه وسلم ولا تعصينني في معروف قلت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في معروف * وفي لفظ انها أتته منتقبة بالابطح وقالت اني امرأة مؤمنة أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله ثم كشفت عن نقابها وقالت أنا هند بنت عتبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك قال بعضهم وفي اسلام أبي سفيان قبل هند واسلامها قبل انقضاء عدتها أي لانها أسلمت بعده بليلة واحدة واقرارهما على نكاحهما حجة للشافعي رضي الله عنه * ثم أرسلت اليه صلى الله عليه وسلم بهدية وهي جديان مشويان مع مولاة لها فاستأذنت فأذن لها فدخلت عليه وهو صلى الله عليه وسلم بين نسائه أم سلمة وميمونة ونساء من بني عبد المطلب * وقالت له ان مولاتي تعتذر اليك وتقول ان غنمها اليوم قليلة الوالدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لكم في غنمكم وأكثر والدتها فكثر الله ذلك * تقول تلك المولاة لقد رأينا من كثرة غنمنا ووالدتها مالم نكن نرى قبل * وجاءت اليه وقالت يا رسول الله ان أبا سفيان رجل ممسك فهل علي من حرج أن أطعم من الذي له عيالنا

فقال لها لا عليك أن تطعميهم بالمعروف * وفي لفظ ان أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي الا ما أخذت منه [illegible] لا يعلم قال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف * أي وجاء أن بعض النساء [illegible] نبايعك يا رسول الله [illegible] لا أصافح النساء * وانما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة [illegible] في لفظ وما قولي لألف امرأة كقولي لامرأة واحدة * وعن عائشة رضي الله عنها [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط وانما كان يبايعهن [illegible] الشعبي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وعلى يده ثوب [illegible] على أن يكون يده في اناء وأمرهن فغمسن أيديهن فيه فكانت هذه البيعة [illegible] قد قال له [illegible] الجوزي والقول الاول أثبت وقد ذكر المبايعات له صلى الله عليه وسلم [illegible] يوم الفتح على حروف المعجم في كتابه التلقيح وتقدم عن أم عطية رضي الله عنها أنها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار في بيت * ثم أرسل اليهن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام على الباب فسلم فرددن عليه السلام فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيأ وقرأ الى قوله تعالى في معروف فقلن نعم فمد يده من خارج ومددن أيديهن من داخل البيت * ثم قال اللهم اشهد ولعل ذلك كان بحائل والفتنة مأمونة وقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس أين ابنا أخيك يعني أبا لهب عتبة ومعتب لا أراهما قال العباس رضي الله عنه قد تنحيا فيمن تنحى من مشركي قريش قال ائتني بهما فركبت اليهما فأتيت بهما فدعاهما للاسلام فأسلما فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهما ودعا لهما ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى أتى الملتزم فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى في وجهه صلى الله عليه وسلم فقلت له سرك الله يا رسول الله اني أرى السرور في وجهك قال اني استوهبت ابني عمي هذين من ربي فوهبهما لي وشهدا معه حنينا والطائف ولم يخرجا من مكة ولم يأتيا المدينة وقلعت عين معتب في حنين وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح هذا ما وعدني ربي ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح انتهى * وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية رضي الله عنه بقوله

واستجاب له بنصر وفتح * بعد ذاك الخضراء والغبراء
وتوالت للمصطفى الآية الكبرى * عليهم والغارة الشعواء
فاذا ما تلى كتابا من الله * تليه كتيبة خضراء

* أي أجاب دعوته صلى الله عليه وسلم الرفيع والوضيع [وعن الاول كنى بالخضراء التي هي السماء فقد جاء في حديث سنده واه السماء الدنيا زمردة خضراء وذكر انها أشد بياضا من اللبن وخضرتها من صخرة خضراء تحت الارض وكنى عن الثاني بالغبراء التي هي الارض * وانما كانت غبراء لان جميع طبقاتها من طين مع حصول نصره له صلى الله عليه وسلم على أعاديه وفتح لبلادهم بعد ذلك الضعف الذي كان به صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وقلتهم وكثرة عدوهم مع التصميم على أذيتهم وتتابعت العلامات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وتوالت له عليهم الاغارة المحيطة بهم من سائر الجوانب وجاء أنه صلى الله عليه وسلم * لما فرغ من طوافه دعا عثمان بن طلحة رضي الله عنه فانه كان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي قبل الفتح وأسلموا كما تقدم واستمر في المدينة الى أن جاء معه صلى الله عليه وسلم الى فتح مكة * وبه يرد ما روى أنه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه الى عثمان بن طلحة لاخذ المفتاح فأبى أن يدفعه له * وقال لو علمت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أمنعه منه ولوى على كرم الله وجهه يده وأخذ المفتاح منه قهرا وفتح الباب وأنه لما نزل قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها * أمره صلى الله عليه وسلم أن يدفع له المفتاح متلطفا به فجاءه على كرم الله وجهه بالمفتاح متلطفا به فقال له أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال على كرم الله وجهه لان الله أمرنا برده عليك فأسلم ثم لما دعاه صلى الله عليه وسلم عثمان وجاء اليه أخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده * ثم ذكر صلى الله عليه وسلم خطبة بين فيها جملة من الاحكام * منها أن لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعي واليمين على من أنكر ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث ليال الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ولا يصام يوم الاضحى ولا يوم الفطر * ثم قال يا معشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الآية * ثم قال يا معشر قريش ما تريدون وفي لفظ ماذا تقولون ماذا تظنون أني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم * وقد قدرت أي وفي لفظ لما خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة يوم الفتح وضع يده على

[illegible] ماذا تظنون أني فاعل فيكم قالوا خيرا فقال

[illegible] ونقول خيرا [illegible] أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال

أقول كما قال أخي يوسف لاتثريب عليكم اليوم * وفي لفظ فاني أقول كما قال أخي يوسف لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء أي الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا والطليق في الاصل الاسير اذا أطلق فخرجوا فكأنما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام * قال وذكر أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه أرسل بلالا رضي الله عنه الى عثمان بن طلحة يأتي بمفتاح الكعبة فجاء الى عثمان فأخبره فقال اه عند أمي فرجع بلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن المفتاح عند أمه فبعث اليها رسولا فقالت لا واللات والعزى لا أدفعه أبدا فقال عثمان يارسول الله أرسلني أخلصه لك منها فأرسله فجاء اليها فطلبه منها فقالت لا واللات والعزى لا أوصله اليك أبدا فقال يا أمه ادفعيه الي فانه قد جاء أمر غير ما كنا عليه ان لم تفعلي قتلت أنا وأخي وليأخذه منك غيري فأدخلته حجرتها وقالت أي رجل يدخل يده ههنا أي وقالت له أنشدك الله أن يكون ذهاب مأثرة قومك على يديك كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم ينتظر حتى انه لينحدر منه مثل الجمان من العرق فبينما هو يكلمها اذ سمعت صوت أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الدار وعمر رضي الله عنه رافعا صوته وهو يقول يا عثمان أخرج فقالت يابني خذ المفتاح فان تأخذه أحب الي من أن تأخذه تيم وعدي أي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذه عثمان فخرج يمشي حتى اذا كان قريبا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عثر عثمان فسقط منه المفتاح * فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المفتاح فجثى عليه وتناوله * أي وفي رواية فاستقبلته ببشر واستقبلني ببشر فأخذه مني وفتح الكعبة وفي رواية أنه قال له هات المفتاح بأمانة الله * وفي لفظ لما أبت أمه أن تعطيه المفتاح قال والله لتعطينه أو لاخرجن هذا السيف من منكبي فلما رأت ذلك أعطته اياه فجاء به ففتح عثمان له الباب يحتاج الى الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها وقد أشار صاحب الهمزية رحمه الله الى بعض هذه القصة بقوله

صرعت قومه حبائل بغي * مدها المكر منهم والدهاء

فأتتهم خيل الى الحرب تختا * ل وللخيل في الوغى خيلاء

قصدت منهم القنا فقوافي الـ * ـطعن منها ما شانها الايطاء

وأثارت بأرض مكة نقعا * ظن أن الغدو منها عشاء

احمت

أحجمت عنده الحجون وأكدى * دون أعطائه القليل كداء
ودهت أوجها بها وبيوتا * مل منها الاقواء والاكفاء
فدعوا أحلم البرية والعفو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التي من قريش * قطعتها التراد والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه * من سواه الملام والاطراء
ولو ان انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الامور فأرضى الله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينضح الا بما حواه الاناء

* أي ألقت قومه الذين لم يؤمنوا به بين يديه حبائل نعيمهم التي مدها المكر والدهاء حالة كون ذلك منهم فبسبب مكرهم أتتهم من قبله خيل تتبختر بها ركبوها الى الحرب والخيل عليها الشجعان كبر وترفع في الحرب قصدت في أبدانهم الرماح فبسبب قصدها بهم كانت الطعنات المشبهة بالقوافي في تتابعها حالة كون ذلك الطعن من تلك الرماح ما عابها الايطاء أي لم يعدم وجوده فيها والايطاء في القافية تكريرها متحدة اللفظ والمعنى وهو معيب على الشاعر لانه يدل على قصوره والطعنات المتوالية في محل واحد تدل على قصر ساعد الشجاع ورفعت تلك الخيل غبارا أظلم الجو حتى ظن ان وقت الغدو من تلك الغبرة وقت العشاء وذلك بأرض مكة عند فتحها أمسكت عند ذلك الغبار لكثرته الحجون وهو كدا بالفتح والمد اعلا مكة لكثرة ما أعطاه صلى الله عليه وسلم في الناس وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم القليل من الناس كداء بالضم والمد وهو أسفل مكة وهذه لغة فيه قليلة وعند ذلك قل غباره وأهلكت تلك الخيول أوجها من الناس بمكة ممن أباح دمه ومن قاتل وأهلكت بيوتا كان أهل مكة يرجعون اليها مل من تلك البيوت خلوها عن أنس بها وعند ذلك طلبوا منه العفو عما مضى منهم وجواب الحليم ان سأله المعفو عنه العفو وارخاء الجفون من الحياء وحلفوه بالقربى التي وصلت اليه من بطون قريش وهو ولد النضر ابن كنانة التي قطعتها المقاتلة والتباغض والتحاسد فبسبب ذلك عفا صلى الله عليه وسلم عفو قادر لم يكدر ذلك العفو عنهم أغراء سفهائهم به حالة كون ذلك الاغراء منهم فيما مضى واذا كان القطع والوصل لله تساوى عنده على ذلك التقريب للاقارب والبعد أو الايعاد للاقارب والبعد أو الذي تقريبه وأبعاده لله لا لغيره

يستوى عنده سبه والمبالغة فى مدحه اذا أتاه ذلك من غيره ومن ثم لو كان انتقامه لهوى النفس الامارة بالسوء لاستمرت قطيعة الرحم ودام ابعاده لهما كيف وقد قام لله فى أموره كلها فبسبب ذلك أرضى الله تبا ين منه صلى الله عليه وسلم لاعدائه ووفاء لاوليائه فعله صلى الله عليه وسلم كله جميل ولا بدع فى ذلك اذ ما يسيل مما فى الاناء على ظاهره الا ما كان فى تلك الاناء فمن امتلاء قلبه خيرا كانت أفعاله كلها خيرا ومن امتلاء قلبه شرا كانت أفعاله كلها شرا * ثم جلس صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومفتاح الكعبة فى يده فى كمه فقام اليه على كرم الله وجهه فقال يا رسول الله اجمع لنا وفى لفظ اجمع لى الحجابة مع السقاية صلى الله عليك وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أعطيكم ما تبذلون فيه أموالكم للناس أى وهو السقاية لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم وهى الحجابة لشرفكم وعلو مقامكم وفى رواية ان العباس رضى الله عنه تطاول يومئذ لاخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم أى منهم على كرم الله وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عثمان فدعى له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم بر ووفاء وقيل نزلت هذه الآية ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فى شأن عثمان ابن طلحة رضى الله عنه ودفع المفتاح له أى لما أخذه على كرم الله وجهه وقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية فقال صلى الله عليه وسلم لعلى كرهت وأذيت وأمره صلى الله عليه وسلم أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه فقد أنزل الله فى شأنك أى أنزل الله عليه ذلك فى جوف الكعبة وقرأ عليه الآية ففعل على كرم الله وجهه ذلك وسياق هذه الرواية يدل على ان عليا كرم الله وجهه أخذ المفتاح على أن لا يرده لعثمان فلما نزلت الآية أمره صلى الله عليه وسلم أن يرد المفتاح لعثمان والسقاية كما تقدم كانت أحواضا من ادم يوضع فيها الماء العذب لسقاية الحجاج ويطرح فيها التمر والزبيب فى بعض الاوقات * وفى كلام الازرقى كان لزمزم حوضان حوض بينها وبين الركن يشرب منه وحوض من ورائه للوضوء * أى ولعل هذا كان بعد الفتح والسقاية قام بها العباس رضى الله عنه بعد موت أبيه عبد المطلب وقام بها بعده ولده عبد الله بن عباس رضى الله عنهما * وقد تكلم فيها محمد بن الحنفية مع ابن عباس فقال له ابن عباس مالك ولها نحن أولى بها فى الجاهلية والاسلام قام بها العباس بعد موت أبيه عبد المطلب وأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس يوم الفتح * واستمر المفتاح مع عثمان رضى الله عنه الى أن أشرف على الموت ولم يعقب دفعه الى أخيه شيبة * ومن ثم عرفت ذريته

بالشيبيين أي وفي رواية دفع صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة الى عثمان والى شيبة بن عمه * وقال خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم أي وكون شيبة بن عم عثمان هو الموافق لقول الحافظ بن حجر الشيبيون نسبة الى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عم عثمان بن طلحة وأبو طلحة له ولدان عثمان وطلحة أبي عثمان بشيبة وأبي طلحة بعثمان * وفي كلام ابن الجوزي ما يوافقه وهو ان عثمان لما هاجر الى المدينة وأسلم سنة ثمان لم يزل مقيما بالمدينة حتى خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة * أي وقد تقدم ثم رجع الى المدينة ولم يزل مقيما بها حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الى مكة * واستمر مقيما بها حتى مات في أول خلافة معاوية رضي الله عنه فلم يزل عثمان رضي الله عنه يلي فتح البيت الى أن أشرف على الموت دفع المفتاح الى شيبة ابن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عمه فبقيت الحجابة في ولد شيبة * وكان عثمان بن طلحة هذا خياطا وهي صناعة نبي الله ادريس عليه الصلاة والسلام * وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما دعا عثمان بن طلحة وقال له أرني المفتاح فأتاه به فلما بسط يده اليه قام العباس فقال يا رسول الله اجعله لي مع السقاية فكف عثمان يده فقال صلى الله عليه وسلم أرني المفتاح فبسط يده يعطيه فقال العباس مثل كلمته الاولى فكف عثمان يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاتني المفتاح فقال هاك بأمانة الله * ولعل هذا كان قبل دخوله صلى الله عليه وسلم الكعبة فيكون طلب العباس رضي الله عنه أن يكون المفتاح له تكرر قبل دخوله الكعبة وبعده * وفي رواية أنه قال له ائتني بالمفتاح قال فأتيته به فأخذه مني ثم دفعه الي وقال خذوها تالدة خالدة لا ينزعها منكم الا ظالم * وفي لفظ غيره أن الله رضي لكم بها في الجاهلية والاسلام أي لم أدفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم لا ينزعها منكم الا ظالم * وفي لفظ لا يظلمكموها الا كافر ولا مانع أن يكون ذلك بعد أن دفعه علي كرم الله وجهه له بأمره صلى الله عليه وسلم وكأنه صلى الله عليه وسلم أحب أن يؤدي الامانة بيده الشريفة من غير واسطة قال له يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف فقال عثمان رضي الله عنه فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال ألم يكن الذي قلت لك قال رضي الله عنه * فذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لي بمكة قبل الهجرة وقد أراد صلى الله عليه وسلم أن يدخل الكعبة مع الناس وكنا نفتحها في الجاهلية يوم الاثنين والخميس * فلما أقبل

ليدخلها أغلظت عليه ونلت منه وحلم على * ثم قال صلى الله عليه وسلم يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت فقلت قد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال صلى الله عليه وسلم بل عمرت وعزت يومئذ فوقعت كلمته صلى الله عليه وسلم منى موقعا وظننت ان الامر سيصير الى ما قال صلى الله عليه وسلم قال فلما قال لى يوم الفتح ذلك قلت بلى أشهد أنك رسول الله * وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم دخل يومئذ الكعبة ومعه بلال فأمره ان يؤذن أى للظهر على ظهر الكعبة وأبوسفيان وعتاب بن سعيد * وفى لفظ خالد بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة * فقال عتاب بن أسيد أى وخالد بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون يسمع هذا فيسمع منه ما يغيظه فقال الحارث أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته * أى وفى رواية أنه قال ماوجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا ولا مانع من وجود الامرين منه أى وتقدم فى عمرة القضاء وقوع مثل ذلك من جماعة لما أذن بلال رضى الله عنه على ظهر الكعبة أيضا * أى وقال غير هؤلاء من كفار قريش لقد أكرم الله فلانا يعنى أباه اذ قبضه قبل أن يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة * وفى لفظ والله الحدث العظيم أن يصيح عبد بنى جمح ينهق على بيته فقال أبوسفيان لا أقول شيأ لو تكلمت لاخبرت عنى هذه الحصباء * فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم لقد علمت الذى قلتم ثم ذكر ذلك لهم فقال أما أنت يا فلان فقد قلت كذا * وأما أنت يا فلان فقد قلت كذا وأما أنت يا فلان فقد قلت كذا فقال أبوسفيان أما أنا يا رسول الله فما قلت شيأ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد معنا فنقول أخبرك وجاء أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على أبى سفيان وهو فى المسجد فلما نظر اليه أبوسفيان قال فى نفسه ليت شعرى بأى شىء غلبنى فأقبل رسول الله صلى الله وسلم عليه حتى ضرب يده بين كتفيه فقال بالله غلبتك يا أبا سفيان فقال أبوسفيان أشهد أنك رسول الله وصار بعض قريش يستهزؤن ويحكون صوت بلال غيظا وكان من جملتهم أبو محذورة رضى الله عنه * وكان من أحسنهم صوتا فلما رفع صوته بالاذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال فامتلأ قلبى والله ايمانا ويقينا فعلمت أنه رسول الله فألقى عليه صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه وأمره أن يؤذن لاهل مكة وكان سنه ستة عشر سنة وعقبه بعده يتوارثون الاذان بمكة وتقدم أن أذان أبى محذورة وتعليمه

صلى الله عليه وسلم الاذان كان مرجعه من حنين وتقدم طلب تأمل الجمع بينهما
* وفي تاريخ الازرقي أن جويرية بنت أبي جهل قالت عند أذان بلال على ظهر
الكعبة والله لا نحب من قتل الأحبة ولقد جاء لأبي الذي جاء لمحمد من النبوة فردها
ولم يرد خلاف قومه * وعن الحارث بن هشام قال لما أجارتني أم هانىء وأجاز
رسول الله صلى الله عليه وسلم جوارها فصار لا أحد يتعرض لي وكنت أخشى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فمر علي وأنا جالس فلم يتعرض لي وكنت أستحي أن يراني
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أذكر برؤيته اياي في كل موطن مع المشركين
فلقيته وهو داخل المسجد فلقيني بالبشر ووقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت
شهادة الحق فقال الحمد لله الذي هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام وجاءه صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومي أي * وقيل عبد الله بن السائب
ابن أبي السائب بن عويم قال في الاستيعاب وهذا أصح ما قيل في ذلك ان شاء الله
تعالى وكان شريكاله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية فقال فأخذ عثمان وغيره يثنون
علي فقال صلى الله عليه وسلم لهم لا تعلموني به كان صاحبي * وفي لفظ لما أقبلت
عليه قال مرحبا بأخي وشريكي كان لا يداري ولا يماري قد كنت تعمل أعمالا
في الجاهلية لا تتقبل منك أي لتوقف صحتها على الاسلام وهي الاعمال المتوقفة على
النية التي شرطها الاسلام وهي اليوم تتقبل منك أي لوجود الاسلام * وأرسل
سهيل بن عمرو رضي الله عنه ولده عبد الله ليأخذ له أمانا منه صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله أبي تؤمنه فقال صلى الله عليه وسلم نعم هو آمن بالله فليظهر
* ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من لقي سهيل بن عمرو فلا يحد اليه
النظر فلعمري ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه
عبد الله اليه فأخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سهيل كان والله برا
صغيرا برا كبيرا فكان سهيل رضي الله عنه يقبل ويدبر وخرج الى حنين مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة وذكر ان فضالة بن عمير
ابن الملوح حدث نفسه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح
قال فلما دنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افضالة قال فضالة نعم يا رسول الله
قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت اذكر الله فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه
* فكان فضالة رضي الله عنه يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله
شيأ أحب الي منه * قال ولما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل

من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الشريف الى الكعبة * وقيل كان على راحلته فحمد الله واثنى عليه وقال أيها الناس ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين فهي حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرة ولم تحل لاحد كان قبلي ولم تحل لاحد يكون بعدي ولم تحل لي الا هذه الساعة أي من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على أهلها الا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب * فمن قال لكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا ان الله قد أحلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحلها لكم * وقد جاء في صحيح مسلم لا يحل ان يحمل السلاح بمكة يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل بعد مقامي فأهله بخير النظرين ان شاؤا فدم قاتله وان شاؤا فعقله ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة وهو ابن الاقرع الهذلي من بني بكر فانه دخل مكة وهو على شركه فعرفته خزاعة فأحاطوا به فطعنه منهم خراش بمشقص في بطنه حتى قتله فلامه صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراش أي والمشقص ما طال من النصال وعرض * قال بن هشام وبلغني أنه أول قتيل وداه النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أنه تقدم في خبر أنه ودى قتيلا * وقال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا تغزى مكة بعد الى يوم القيامة * قال العلماء أي على الكفر أي لا يقاتلوا على أن يسلموا ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره * ولما أسلمت هند رضي الله عنها عمدت الى صنم كان في بيتها وجعلت تضربه بالقدوم وتقول كنا منك في غرور * ثم بعث صلى الله عليه وسلم السرايا الى كسر الاصنام التي حول مكة أي لانهم كانوا اتخذوا مع الكعبة أصناما جعلوا لها بيوتا يعظمونها كتعظيم الكعبة وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان في كل حي صنم من ذلك كما تقدم * العزى وسواع ومناة وسيأتي الكلام على ذلك في السرايا ان شاء الله تعالى * أي وفي هذا العام الذي هو عام الفتح كانت غزوة أوطاس * وأوطاس هي هوازن حلل صلى الله عليه وسلم المتعة ثم بعد ثلاثة أيام حرمها ففي صحيح مسلم عن بعض الصحابة لما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المتعة خرجت أنا ورجل الى امرأة من بني عامر كأنها بكرة غيطاء

*وفي لفظ

* وفى لفظ مثل البكرة الغنطنطية فعرضنا عليها أنفسنا فقلنا لها هل لك ان يستمتع منك حدنا فقالت ماتدفعان قلنا بردينا * وفى لفظ ردائينا فجعلت تنظر فترانى أجمل من صاحبى وترى برد صاحبى أحسن من بردى فاذا نظرت الى أعجبتها واذا نظرت الى برد صاحبى أعجبها فقالت أنت وبردك تكفينى فكنت معها ثلاثا * والحاصل ان نكاح المتعة كان مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم أبيح يوم الفتح ثم نسخ فى أيام الفتح واستمر تحريمه الى يوم القيامة وكان فيه خلاف فى الصدر الاول ثم ارتفع واجمعوا على تحريمه وعدم جوازه * قال بعض الصحابة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما بين الركن والباب وهو يقول أيها الناس انى كنت أذنت لكم فى الاستمتاع الا وان الله حرمها الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيأ أى لكن فى مسلم عن جابر رضى الله عنه انه قال استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر * وفى رواية عنه حتى نهى عنه عمر رضى الله عنه وقد تقدم فى غزاة خيبر عن امامنا الشافعى رضى الله عنه لا أعلم شيأ أحرم ثم أبيح ثم حرم الا المتعة وهو يدل على أن اباحتها عام الفتح كانت بعد تحريمها بخيبر ثم حرمت به * وهذا يعارض ماتقدم أن الصحيح أنها حرمت فى حجة الوداع الا أن يقال يجوز أن يكون تحريمها فى حجة الوداع تأكيد التحريمها عام الفتح فلا يلزم أن تكون أبيحت بعد تحريمها أكثر من مرة كما يدل عليه كلام امامنا لكن يخالفه ما فى مسلم عن بعض الصحابة رخص لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أوطاس المتعة ثلاثا ثم نهى عنها وقد يقال مراد هذا القائل بعام أوطاس عام الفتح لان غزاة أوطاس كانت فى عام الفتح كما تقدم وما تقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما من جوازها رجع عنه * فقد قال بعضهم والله ما فارق ابن عباس رضى الله عنهما الدنيا حتى رجع الى قول الصحابة فى تحريم المتعة ونقل عنه رضى الله عنه أنه قام خطيبا يوم عرفة * وقال أيها الناس ان المتعة حرام كالميتة والدم ولحم الخنزير * والحاصل أن المتعة من الامور الثلاثة التى نسخت مرتين الثانى لحوم الحمر الاهلية الثالث القبلة كذا فى حياة الحيوان * قال واستقرض صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية رضى الله عنه خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن أبى ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها صلى الله عليه وسلم فى أصحابه من أهل الضعف ثم وفاها مما غنمه من هوازن وقال انما جزاء السلف الحمد والاداء انتهى * أى وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة أى بعد

[illegible] عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتمده البخاري يقصر الصلاة في مدة اقامته * وبهذا الثاني قال أئمتنا ان من أقام بمحل لحاجة يتوقعها كل وقت قصر ثمانية عشر يوما غير يومي الدخول والخروج ولعل سبب اقامته المدة المذكورة أنه كان يترجى حصول المال الذي فرقه في أهل الضعف من أصحابه فلما لم يتم له ذلك خرج من مكة الى حنين لحرب هوازن * وجاء اليه صلى الله عليه وسلم سعد ابن أبي وقاص وقد أخذ بيد ابن وليدة زمعة ومعه عبد بن زمعة فقال سعد يا رسول الله هذا ابن أخي عتبة بن أبي وقاص عهد اليه انه ابنه أي قال اذا قدمت مكة انظر الى ابن وليدة أبي زمعة فانه مني فاقبضه اليك فقال عبد بن زمعة يا رسول الله هذا أخي ابن وليدة أبي زمعة ولدته على فراشه أي مع كونها فراشا له فنظر صلى الله عليه وسلم الى ذلك الولد فاذا هو اشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص فقال لعبد بن زمعة هو أخوك يا عبد بن زمعة من أجل أنه ولد على فراش أبيك زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر وقال لزوجته سودة بنت زمعة احتجبي منه يا سودة لما رأى عليه من شبه عتبة أي فخشي أن يكون ابن خاله فأمرها بالاحتجاب ندبا واحتياطا فلم يرها حتى لقي الله * وفي بعض الروايات احتجبي منه يا سودة فليس لك بأخ وسرقت امرأة وأراد صلى الله عليه وسلم قطعها ففزع قومها الى أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهم يستشفعون به فلما كلمه أسامة فيها تلون وجهه صلى الله عليه وسلم وقال أتكلمني في حد من حدود الله تعالى فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله ثم قام صلى الله عليه وسلم خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله * ثم قال أما بعد فانما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها * ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها * وفي كلام بعضهم كانت العرب في الجاهلية يقطعون يد السارق اليمنى * وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضي الله عنه وعمره احدى وعشرون سنة أمر مكة وأمره صلى الله عليه وسلم أن يصلي بالناس وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة وترك صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه بمكة معه معلما للناس السنن والفقه * وفي الكشاف وعنه صلى الله عليه وسلم أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله أي وقال ذلك ثلاثا * فكان رضي الله عنه شديدا على المريب لينا على المؤمن * وقال والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت

عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال أهل مكة يارسول الله لقد استعملت
على أهل الله عتاب بن أسيد اعرابيا جافيا * فقال صلى الله عليه وسلم انى
رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب
فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام لنصرته للمسلمين على
من يريد ظلمهم هذا * وفى تاريخ الازرقى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت
أسيدا فى الجنة وأنى أى كيف يدخل أسيد الجنة فعرض له عتاب بن أسيد فقال صلى
الله عليه وسلم هذا الذى رأيت ادعوه لى فدعى له فاستعمله يومئذ على مكة * ثم قال
ياعتاب أتدرى على من استعملتك استعملتك على أهل الله فاستوص بهم
خيرا يقولها ثلاثا * فان قيل كيف يقول صلى الله عليه وسلم عن أسيد
انه رآه فى الجنة * ثم يقول عن ولد أسيد انه الذى رآه فى الجنة * قلنا لعل
عتابا كان شديد الشبه بأبيه أسيد فظن صلى الله عليه وسلم عتابا أباه * فلما
رآه عرف أنه عتاب لا أسيد * وفى كلام سبط ابن الجوزى عتاب بن أسيد
استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل مكة لما خرج الى حنين وعمره
ثمانى عشرة سنة * وفى كلام غيره ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم انما استخلف
عتاب بن أسيد وترك معه معاذ بن جبل بعد عوده من الطائف وعمرته من الجعرانة
الا أن يقال لا مخالفة * ومراده باستخلافه ابقاءه على ذلك وينبغى أن يكون ما تقدم
عن الكشاف من قول أهل مكة له صلى الله عليه وسلم لقد استخلفت على أهل الله
عتاب بن أسيد الى آخره بعد ابقائه على استخلافه لما لا يخفى * وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام أن أسيدا والد عتاب واليا على مكة مسلما فمات على
الكفر فكانت الرؤيا بالولد كما تقدم مثل ذلك فى أبى جهل وولده عكرمة رضى
الله عنه * ولما ولاه صلى الله عليه وسلم على مكة جعل له فى كل يوم درهما فكان
رضى الله عنه يقول لا أشبع الله بطنا جاع على درهم فى كل يوم ويروى أنه قام
فخطب الناس فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم أى له درهم فقد
رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما فى كل يوم فليست لى حاجة الى أحد
* وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن
أسيد على مكة * وفرض له عمالته أربعين أوقية من فضة ولعل الدرهم كل يوم يحرز
القدر المذكور أى أربعين أوقية فى السنة فلا مخالفة وفى السنن الكبرى
للبيهقى * وولد عتاب هذا عبد الرحمن الذى قطعت يده يوم الجمل واحتملها النسر
وألقاها بمكة وقيل بالمدينة كان يقال له يعسوب قريش

﴿غزوة حنين﴾

اسم موضع قريب من الطائف وفى كلام بعضهم الى جنب ذى المجاز وهو سوق الجاهلية تقدم ذكره * وفى كلام بعض آخر اسم لما بين مكة والطائف ويقال لها غزوة هوازن ويقال لها غزوة أوطاس باسم الموضع الذى كانت به الوقعة فى آخر الامر * أى وسببها أنه لما فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة أطاعت له قبائل العرب الا هوازن وثقيفا فان أهلها كانوا طغاة عتاة مردة قال قال أئمة المغازى لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض فأشفقوا أى خافوا أن يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقالوا قد فرغ لنا فلا ناهية أى لا مانع له دوننا والرأى أن نغزوه قبل أن يغزونا فحشدوا وبغوا وقالوا والله ان محمدا الا فى قوما لا يحسنون القتال فأجمعت هوازن أمرها انتهى * أى جمعوا وكان جماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصيرى أى بالصاد المهملة رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم وحضر معهم دريد بن الصمة وكان شجاعا مجربا لكنه كبر * أى لانه بلغ مائة وعشرين سنة * وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين أى وقيل قارب المائتين قاله ابن الجوزى وقد عمى وصار لا ينتفع الا برأيه ومعرفته بالحرب أى لانه كان صاحب رأى وتدبير ومعرفة بالحروب وكان قائد ثقيف ورئيسهم كنانة بن عبد ياليل رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك * وقيل قارب بن الاسود وكان سن مالك بن عوف اذ ذاك ثلاثين سنة فأمر الناس بأخذ أموالهم ونسائهم وأبنائهم معهم فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد ابن الصمة فقال دريد للناس بأى واد أنتم قالوا بأوطاس * قال نعم محل الخيل وفى لفظ مجال الخيل بالجيم لا حزن ضرس ولا حزنه بفتح الحاء المهملة واسكان الزاى وبالنون ما غلظ من الارض والضرس بكسر الضاد المعجمة واسكان الراء وبالسين المهملة ما صلب من الارض ولا سهل دهس والسهل ضد الحزن والدهس بفتح الدال المهملة والهاء وبالسين المهملة اللين كثير التراب مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير بضم النون أى صوتها وبكاء الصغير ويعار الشاء واليعار بضم المثناة تحت وبالعين المهملة المخففة والراء صوت الشاء أى وخوار البقر أى صوتها قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم * قال ابن مالك أى وكان توافق معه على أن لا يخالفه فانه قال لها انك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود الحجاز أى غالبهم اما قتلا واما

خروجا عن ذل وصغار فقال له لا تخالفنك فى أمر تراه فقيل له هذا مالك فقال يا مالك
أما انك قد أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كائن له ما بعده من الايام مالى أسمع
رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قال سقت مع
الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال ولم قال أردت أن أجعل خلف كل رجل
أهله وماله ليقاتل عنهم فانقض به قال أبوذر أى زجره كما تزجر الدابة وهو أن يلصق
اللسان بالحنك الاعلى ويصوت به وهو معنى قول الاصل أى صوت بلسانه فى فيه
ثم قال له راعى ضأن * وفى لفظ رويعى ضأن والله ماله وللحرب أى ومن كان هذه صفته
ماله وللحرب * ثم أشار عليه برد الذرية والاموال وقال هل يرد المنهزم شىء ان كانت
لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك
ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم أحد قال غاب الحد والجد الاول
بفتح الحاء المهملة والثانى بالمعجمة مكسورة ضد الهزل وبفتحها الحظ لو كان يوم علاء
ورفعة ما غابا * ثم أشار عليه بأمور لم يقبلها مالك منه وقال والله لا أطيعك انك
قد كبرت وضعف رأيك فقال دريد لهوازن قد شرط يعنى مالكا أن لا يخالفنى
فقد خالفنى فأنا أرجع الى أهلى فمنعوه وقال مالك والله لتطيعننى يا معشر هوازن
أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى وكره أن يكون لدريد فيها رأى
أو ذكر قالوا أطعناك أى ثم جعل النساء فوق الابل وراء المقاتلة صفوفا ثم جعلوا
الابل صفوفا والبقر والغنم وراء ذلك لئلا يفروا * وفى لفظ صفت الخيل ثم الرجالة
المقاتلة ثم صفت النساء على الابل ثم صفت الغنم ثم صفت النعم ثم قال للناس اذا
رأيتموهم شدوا عليهم شدة رجل واحد * وبعث عيونا له أى وهم ثلاثة أنفار أرسلهم
لينظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا وقد تفرقت أوصالهم قال ويلكم
ما شأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيول بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا
ما ترى وان أطعتنا رجعنا بقومك فقال أف لكم بل أنتم أجبن العسكر فلم يرده ذلك
ومضى على ما يريده * ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم أرسل اليهم
رجلا من أصحابه أى وهو عبد الله بن أبى حدرد الاسلمى وأمره أن يدخل فيهم ويسمع
منهم ما أجمعوا عليه فدخل فيهم أى ومكث فيهم يوما أو يومين وسمع * ثم أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر * أى وجاءه رجل فقال يا رسول الله انى
انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا فاذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم
بظعنهم ونعمهم وشبابهم اجتمعوا الى حنين فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال تلك
غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى فأجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر

السير الى هوازن * وذكر له صلى الله عليه وسلم أن صفوان بن أمية ولم يكن أسلم يومئذ بل كان مؤمنا أدرعا وسلاحا فأرسل صلى الله عليه وسلم اليه فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك نلقى به عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم بل عارية وهى مضمونة حتى نؤديها اليك قال ليس بهذا بأس * وفى رواية الامام أحمد قال صفوان عارية مؤداة فقال صلى الله عليه وسلم العارية مؤداة فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح * قيل وسأله صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم حملها ففعل وذكر أن بعض تلك الادراع ضاع فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له فقال أنا اليوم يارسول الله فى الاسلام أرغب * قال واستعار صلى الله عليه وسلم من ابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح فقال له كأنى أنظر الى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين انتهى * أى وتقدم أن نوفلا هذا افدى نفسه وكان فى أسرى بدر بألف رمح * وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اثنى عشر ألفا ألفان من أهل مكة والعشرة آلاف الذين فتح الله تعالى بهم مكة أى على ماتقدم * قال بعضهم وخرج أهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء يمشين على غير دين يرجون الغنائم ولا يكرهون أى من لم يصدق ايمانه أن الصدمة * وفى لفظ أن الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أى فقد خرج معه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو فلما اقتربوا من محل العدو صفهم * ووضع الالوية والرايات مع المهاجرين والانصار فلواء المهاجرين أعطاه عليا كرم الله وجهه وأعطى سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه راية وأعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه راية ولواء الخزرج أعطاه الحباب بن المنذر رضى الله عنه ولواء الاوس أعطاه أسيد بن حضير رضى الله عنه * وفى سيرة الدمياطى وفى كل بطن من الاوس والخزرج لواء وراية يحملها رجل منهم وكذلك قبائل العرب فيها الالوية والرايات يحملها رجال منهم * وركب صلى الله عليه وسلم بغلته ولبس درعين والمغفر والبيضة والدرعان هما ذات الفضول والسغدية بالسين المهملة والغين المعجمة وهى درع داود عليه السلام التى لبسها حين قتل جالوت * ومر بشجرة سدرة كان المشركون يعظمونها وينوطون بها أسلحتهم أى يعلقونها بها فقالت الصحابة رضى الله عنهم يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم * فلما كان بحنين وانحدروا فى الوادى أى وذلك عند

غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه وذلك باشارة دريد بن الصمة فانه قال لمالك اجعل لك كمينا يكون لك عونا ان حمل القوم عليك جاءتهم الكمين من خلفهم وكررت أنت بمن معك وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم أحد فحملوا عليهم حملة رجل واحد أى وكانوا رماة فاستقبلوهم بالنبل كأنهم جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم * أى وعن البراء رضى الله عنه وسأله رجل فقال فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر * وأما ما روى عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما فمنهزما حال من سلمة لا من النبى صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم ينهزم فى موطن من المواطن كما تقدم * قال البراء رضى الله عنه كانت هوازن ناسا رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأخذ المسلمون راجعين منهزمين لا يلوى أحد على أحد * أى ويقال ان الطلقاء وهم أهل مكة * قال بعضهم لبعض أى من كان اسلامه مدخولا منهم اخذلوه هذا وقته فانهزموا فهم أول من انهزم وتبعهم الناس وعند ذلك قال أبو قتادة رضى الله عنه لعمر رضى الله عنه ما شان الناس قال أمر الله * وهذا السياق يدل على أنهم انهزموا مرتين الاولى فى أول الامر والثانية عند انكباب المسلمين على أخذ الغنائم * والذى فى الاصل الاقتصار على الاولى * وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين * ومعه نفر قليل منهم أبو بكر وعمر وعلى والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن أخيه الحارث وربيعة بن الحارث ومعتب بن عمه أبى لهب وفقئت عينه ولم أقف على أنهما كانت * أى ووردت فى عدد من ثبت معه روايات مختلفة فقيل مائة وقيل ثمانون * وقيل اثنا عشر وقيل عشرة وقيل كانوا ثلاثمائة ولا مخالفة لامكان الجمع وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا محمد بن عبد الله انى عبد الله ورسوله * وعن العباس رضى الله عنه كنت آخذا بحكمة بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وهى الشهباء التى أهداها له فروة بن عمرو الجذامى أى صاحب البلقاء وعامل ملك الروم على فلسطين يقال لها فضة * وقيل التى يقال لها دلدل التى أهداها له المقوقس * وفى البخارى التى أهداها له ملك أيلة * قال بعضهم والاول أثبت ويدل للثانى ما أخرجه أبو نعيم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال انهزم المسلمون بحنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء * وكان يسميها دلدل فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم دلدل البدى فألزقت بطنها

بالأرض الحديث * وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه صلى الله عليه وسلم وهو يقول حين رأى ما رأى من الناس الى أين أيها الناس فلم أر الناس يلوون على شيء * فقال صلى الله عليه وسلم يا عباس اصرخ يا معشر الانصار يا أصحاب السمرة يعني الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان * وفي لفظ يا عباس اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة وبالانصار الذين آووا ونصروا * أي وانما خص صلى الله عليه وسلم العباس بذلك لانه كان عظيم الصوت كان صوته يسمع من ثمانية أميال كان يقف على سلع وينادي غلمانه آخر الليل وهم بالغابة فيسمعهم وبين سلع والغابة ثمانية أميال وغارت الخيل يوما على المدينة فنادى واصباحاه فلم تسمعه حامل الا وضعت من عظم صوته * وفي لفظ آخر نادى يا أصحاب الشجرة يوم الحديبية يا أصحاب سورة البقرة أي وخص سورة البقرة بالذكر لانها أول سورة نزلت في المدينة لان فيها كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وفيها وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وفيها ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله * وفي لفظ نادى يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بني الخزرج خصهم بالذكر بعد التعميم لانهم كانوا صبروا في الحرب أي أغلبه فأجابوا لبيك لبيك * وفي لفظ يا لبيك يا لبيك * أي وفي البخاري لما أدبر واعنه صلى الله عليه وسلم حتى بقي وحده فنادى يومئذ نداءين التفت عن يمينه فقال يا معشر الانصار قالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ثم التفت عن يساره فقال يا معشر الانصار قالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك * ويجوز أن يكون هذا بعد نداء العباس وقربهم منه صلى الله عليه وسلم وصار الرجل يلوي بعيره فلا يقدر على ذلك أي لكثرة الاعراب المنهزمين فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال بعضهم فما شبهت عطفة الانصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عطفة الابل وفي لفظ عطفة البقر على أولادها فلرماحهم أخوف عندي على رسول الله صلى الله عليه وسلم من رماح الكفار حتى اذا انتهى اليه من الناس مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القوم وهم يجتلدون أي وكان شعارهم كيوم فتح مكة فقال صلى الله عليه وسلم اليوم حمي الوطيس وهو حجارة توقد العرب تحتها النار يشوون عليها اللحم والوطيس في الاصل التنور * وهذه من الكلمات التي لم تسمع الا منه صلى الله عليه وسلم وهي مثل يضرب لشدة الحرب أي وصار يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب * وهذا السياق يدل

على

على أن المائة انتهت اليه صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وهو يؤيد القول بأن الذين ثبتوا معه صلى الله عليه وسلم لم يبلغوا المائة * وفي رواية لما انكشف الناس عنه يوم حنين قال لحارثة بالحاء المهملة بن النعمان يا حارثة كم ترى الناس الذين ثبتوا فحزرتهم مائة فقلت يارسول الله مائة فلما كان يناجي جبريل عليه السلام عند باب المسجد فقال جبريل عليه السلام يا محمد من هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حارثة بن النعمان فقال جبريل عليه السلام هو أحد المائة الصابرة يوم حنين لو سلم لرددت عليه السلام * قال فلما أخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له ما كنت أظنه الا دحية الكلبي واقفا معك * وفي رواية لما فر الناس يوم حنين عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا أربعة ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم علي بن أبي طالب والعباس وهما بين يديه وأبو سفيان ابن الحارث آخذ بالعنان وابن مسعود من جانبه الايسر ولا يقبل أحد من المشركين جهته صلى الله عليه وسلم الا قتل * وذكر بعضهم أنه رأى سفيان بن الحارث حينئذ آخذا بزمام بغلته صلى الله عليه وسلم ولا ينافي ما تقدم أن الآخذ بذلك العباس رضي الله عنه وأن أبا سفيان بن الحارث كان آخذا بركابه صلى الله عليه وسلم لجواز أن يكون أخذ بزمامها بعد أخذه بركابه * وعن أبي سفيان بن الحارث قال لما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسي وبيدي السيف مصلتا والله يعلم أني أريد الموت دونه وهو ينظر الي فقال له العباس يارسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه فقال غفر الله له كل عداوة عادانيها ثم التفت الي وقال يا أخي فقبلت رجله في الركاب * وقال صلى الله عليه وسلم في حقه أبو سفيان بن الحارث من شبان أهل الجنة أو من سيد فتيان أهل الجنة * وليس قوله صلى الله عليه وسلم أنا النبي لا كذب الى آخره من الشعر لان شرطه كما تقدم في بناء المسجد أن يكون عن قصد وروية بناء على أن مشطور الرجز ومنهوكه شعر وهو الصحيح خلافا للاخفش حيث رد على الخليل في قوله ان الرجز شعر بأنه وقع منه صلى الله عليه وسلم في قوله المذكور * وقد قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ورد بأن ما يقع موزونا لا عن قصد لا يقال له شعر * ولا يقال لقائله انه شاعر كما تقدم مع زيادة وانما قال صلى الله عليه وسلم أنا ابن عبد المطلب ولم يقل أنا ابن عبد الله لان العرب كانت تنسبه صلى الله عليه وسلم الى جده عبد المطلب لشهرته ولموت عبد الله في حياته كما تقدم فليس من الافتخار بالآباء الذي هو من عمل الجاهلية كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك والفواطم * وأخذ من هذا أنه

لا بأس بالانتساب في موطن الحرب ✽ وذكر الخطابي أنه صلى الله عليه وسلم انما قال أنا ابن عبد المطلب على سبيل الافتخار ولكن ذكرهم صلى الله عليه وسلم بذلك رؤيا كان رآها عبد المطلب أيام حياته وكانت القصة مشهورة عندهم فعرفهم بها وذكرهم اياها وهي احدى دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ✽ ثم نزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته وقيل لم ينزل بل قال يا عباس ناولني من الحصباء فانخفضت به بغلته حتى كادت بطنها تمس الارض ثم قبض قبضة من تراب ✽ قال بعضهم كأن الله أفقه أي فهم البغلة كلامه صلى الله عليه وسلم أي علمت مراده وفي رواية كما تقدم أنه قال لها يا دلدل البدى فلبدت أي انخفضت ✽ وفي رواية قال أن أربضي دلدل فربضت ✽ وقيل ناوله العباس ذلك وقيل ناوله علي وقيل ابن مسعود رضي الله عنهم فعنه حادت به بغلته فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فناولته ثم استقبل بها وجوههم فقال شاهت الوجوه أي ✽ وفي رواية قال حم لا ينصرون وفي رواية جمع بينهما فما خلف الله منهم انسانا الا ملئت عينيه وفمه ترابا تلك القبضة وقال انهزموا ورب محمد فولوا مدبرين ✽ أي وقال بعضهم ما خيل الينا الا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا وحدث رجل كان من المشركين يوم حنين ✽ قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لنا حلبة شاة أن كشفناهم قال فبينما نحن نسوقهم ونحن في آثارهم اذ صاحب بغلة بيضاء واذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه وقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا من قولهم وركبوا أجسادنا فكانت اياها ✽ والى رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

ورمى بالحصى فأقصد جيشا ✽ ما العصا عنده وما الالقاء

✽ أي ورمى صلى الله عليه وسلم بالحصى فأهلك ذلك الجيش العظيم أي شيء عصا موسى عند ذلك العصا وأي شيء القاء موسى عليه السلام لتلك العصا عند القاء ذلك الحصى شتان ما بينهما فلا يقاس هذا بذلك لان هذا أعظم لان انقلاب العصا حية كان مشابها لانقلاب حبالهم وعصيهم حيات ولأن ابتلاعها لحبالهم وعصيهم لم يقهر العدو ولم يشتت شملهم بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى عليه السلام بخلاف هذا الحصى فانه أهلك العدو وشتت شمله أي ذكر أنه عند القتال أنزل الله تعالى قوله ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ الى قوله غفور

رحيم

رحيم * فقد جاء أن بعض أصحابه أى وهو أبو بكر رضى الله عنه كما فى سيرة الحافظ الدمياطى قال يارسول الله لن نغلب اليوم من قلة وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءته تلك الكلمة وقيل بل قائل ذلك هو صلى الله عليه وسلم لما رأى كثرة المسلمين * وقيل قال ذلك فتى من الانصار أى وهو سلمة بن سلامة بن قيس أى وجاء أنه صلى الله عليه وسلم رفع يومئذ يديه * وقال اللهم أنشدك ما وعدتنى اللهم لا ينبغى لهم أن يظهروا علينا * أى وأخرج البيهقى فى الاسماء والصفات عن الضحاك قال دعاء موسى عليه الصلاة والسلام حين توجه الى فرعون لعنه الله * ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين كنت وتكون وأنت حى لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ياحى ياقيوم وكان أمام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل وهوازن خلفه اذا أدرك طعن برمحه واذا فاته رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو كذلك اذ اهوى اليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورجل من الانصار يريدانه فأتى على من خلفه وضرب عرقوبى الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصارى على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه واجتلد الناس فوالله مارجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من أهل مكة بما فى نفوسهم من الضعف ومنهم أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه قيل وكان اسلامه بعد مدخولا وكانت الازلام فى كنانته فقال لا تنتهى هزيمتهم يعنى المسلمين دون البحر أى وقال والله غلبت هوازن فقال له صفوان بفيك الكثيب أى الحجارة والتراب وقد وصلت الهزيمة الى مكة وسر بذلك قوم من أهل مكة وأظهروا الشماتة * وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائها * أى وقال آخر أى وهو أخو صفوان لامه الا قد بطل السحر اليوم فقال له صفوان وهو يومئذ مشرك اسكت فض الله فاك أى أسقط أسنانك والله لان يربنى من الربوبية أى يملكنى ويدبر أمرى رجل من قريش أحب الى من أن يربنى رجل من هوازن * وفى رواية مر رجل من قريش على صفوان بن أمية فقال أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبدا فغضب صفوان رضى الله عنه وقال أتبشر فى بظهور الاعراب فوالله لرب رجل من قريش أحب الى من رجل من الاعراب وقال عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه وكونهم لا يجبرونها أبدا هذا ليس بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شىء أن أديل عليه اليوم فان له العاقبة غدا فقال له سهيل بن عمرو

[illegible] فقال يا أبا يزيد إنا كنا على غير شيء مع عقولنا
[illegible] حجرا لا يضر ولا ينفع * [illegible] عن شيبة الحجبي رضي الله عنه أي لحاجب
البيت ويقال لبنيه بنو شيبة وهم حجبة البيت كما تقدم انه كان يحدث عن سبب
اسلامه قال مارأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم مامضى عليه آباؤنا من الضلالات
* ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وسار الى حرب
هوازن قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين [illegible] اختلطوا أن أصيب من
محمد غرة فأقتله فأكون أنا الذي قت[illegible] أر قريش [illegible] * أي وفي لفظ اليوم
ادرك ثأري من محمد أي لان أباه وعمه قتلا [illegible] حمزة رضي الله عنه كما
تقدم * وأقول لولم يبق من العرب [illegible] لا اتبع محمدا ما اتبعته لا يزداد
ذلك الامر عندي الا شدة * فلما اختلط [illegible] ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته
أصلت السيف حتى كدت أو قع به [illegible] رفع الى شواظ من نار كالبرق كاد
يهلكني فوضعت يدي على بصري خوفا عليه * وفي رواية لما هممت به حال
بيني وبينه خندق من نار وسور من حديد فنادانى صلى الله عليه وسلم ياشيبة ادن
مني فدنوت منه فالتفت الي وتبسم وعرف الذي أريد منه فمسح صدري * ثم قال
اللهم أعذه من الشيطان * قال شيبة فوالله لهو كان الساعة اذا أحب الي
من سمعي وبصري ونفسي واذهب الله ما كان في * ثم قال صلى الله عليه وسلم
اذا فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي الله اعلم أني أحب أن أقيه بنفسي كل
شيء ولو كان أبي حيا ولقيته تلك الساعة لاوقعت به السيف فجعلت الزمه فيمن
لزمه حتى تراجع المسلمون وكروا كرة واحدة وقربت اليه صلى الله عليه وسلم
بغلته فاستوى عليها قائما وخرج في أثرهم حتى تفرقوا في كل وجه أي لا يلوي
أحد منهم على أحد * وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل من قدر
عليه واتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى قتلوا الذرية فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم
عن قتل الذرية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه * وفي
رواية من أقام بينة على قتيل قتله فله سلبه * وفي الاصل في غزوة بدر ان المشهور
ان قول النبي صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه انما كان يوم حنين * وأما
ماروى أنه قال ذلك يوم بدر ويوم أحد فأكثر مايوجد في رواية من لا يحتج به ومن
ثم قال الامام مالك رضي الله عنه لم يبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك
الا يوم حنين * وتعقب ما في الاصل بأنه وقع ذلك في غزوة مؤتة كما في مسلم
وهي قبيل الفتح * وفي كلام بعضهم كون السلب للقاتل أمر مقرر من أول

الامر

للامر وانما تجدد يوم حنين الاعلام العام والمناداة لامتروعيته وحدث أنس رضي الله عنه ان أبا طلحة رضي الله عنه استلب وحده عشرين رجلا * أي قتلهم وأخذ أسلابهم وقال أبو قتادة رضي الله عنه رأيت يوم حنين مسلما ومشركا يقتتلان واذا رجل من المشركين يريد إعانة المشرك على المسلم فأتيته وضربت يده فقطعتها فاعتنقني بيده الاخرى فوالله ما أرسلني حتى وجدت ريح الموت ولولا ان الدم نزفه لقتلني فسقط وضربته فقتلته وأجهضني القتال عن استلابه * فلما وضعت الحرب أوزارها قلت يارسول الله لقد قتلت قتيلا ذا سلب وأجهضني عنه القتال فما أدري من استلبه فقال رجل من أهل مكة صدق يارسول الله فأرضه عني من سلبه * فقال أبو بكر رضي الله عنه والله لا يرضيه تعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلب قتيله * وفي لفظ قال أبو بكر رضي الله عنه أي للنبي صلى الله عليه وسلم كلا تعطيه أضيبع من قريش وتدع أسدا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله والاضيبع تصغير ضبع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أردد عليه سلبه * قال أبو قتادة رضي الله عنه فأخذته منه فاشتريت بثمنه أي السلب الذي جعته بستانا * وأدرك ربيعة بن رفيع دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة فاذا هو شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد قال أقتلك قال ومن أنت قال أنا ربيعة بن رفيع السلمي ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيأ فقال له بئس ما سلحتك امك خذ سيفي هذا من مؤخرة الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فاني كذلك كنت أضرب الرجال * ثم اذا أتيت أمك فأخبرها انك قتلت دريد ابن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أخبر ربيعة أمه بقتله فقالت له أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا وقالت له ألا تكرمت عن قتله لما أخبرك بمنه علينا فقال ما كنت لاتكرم عن رضى الله ورسوله * وقيل القاتل لدريد بن الصمة الزبير بن العوام رضي الله عنه * وقيل عبد الله بن قبيع وكانت أم سليم رضي الله عنها مع زوجها أبي طلحة رضي الله عنه وهي حازمة وسطها ببرد لها وفي حزامها خنجر وكانت حاملا بابنها عبد الله فقال لها زوجها أبو طلحة ما هذا الخنجر معك ياأم سليم قالت ان دنا مني أحد من المشركين بججته به فقال أبو طلحة ألا تسمع يارسول الله ما تقول أم سليم الرمصاء فأعادت عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك أي وكان يقال لها الغميصاء والرميصاء وهي التي يخرج القذاء من عينها ومن ثم قال بعضهم قيل لها الرميصاء لرمص كان في عينها * وعن

ولدها أنس بن مالك رضي الله عنه قد مات أبي مالك عنها مشركا ثم خطبها أبو
طلحة وهو مشرك فأبت ودعته الى الإسلام فأسلم فقالت له انى أتزوجك ولا
آخذ منك صداقا غيره فتزوجها * قال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله
عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت من هذا فقالوا هذه الغميصاء بنت
ملحان أم أنس بن مالك * وعنه رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يدخل على أحد من النساء ألا أزواجه وألا أم سليم فانه كان يدخل عليها فقيل له
في ذلك فقال انى أرحمها قتل أخوها معي ولعل المراد أنه كان يكثر الدخول عليها
كأزواجه ولا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم كان يدخل على غيرها من نساء
الانصار لان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز الاختلاء بالاجنبية * فكان
يدخل على أخت أم سليم وهي أم حرام بالراء رضي الله عنها وتفلي له رأسه وينام
عندها ويدخل على الربيع * ثم رأيته في الامتاع أشار الى ذلك وفي مزيل
الخفاء أن أم سليم وأختها خالتا النبي صلى الله عليه وسلم من جهة الرضاع وعليه
فلا دلالة في دخوله صلى الله عليه وسلم عليهما والخلوة بهما على جواز الخلوة بالاجنبية
* وعن أنس رضي الله عنه قال مات ابن لابي طلحة من أم سليم أي وهو أبو عمير الذي
كان صلى الله عليه وسلم يداعبه ويقول أبا عمير ما فعل النغير ذكره السيوطي
في كتابه تبريد الاكباد * وفي كلام بعضهم ما يفيد أنه غيره فقالت لاهلها
لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه فجاء فقال ما فعل ابني قالت هو
أسكن ما كان فقربت اليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت
تصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت يا أبا طلحة أرأيت
لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت وطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوا قال لا قالت
فاحتسب ابنك فغضب ثم انطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره
بما كان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما في غابر ليلتكما قال
فحملت بعبد الله المذكور * قال ولما ولدته حملته وجئت به الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال هل معك تمر فقلت نعم فناولته تمرات فألقاهن صلى الله عليه
وسلم في فيه التمر يف فلاكهن ثم فغر فاه الصبي فمجه فيه فجعل الصبي يتلمظ * فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الانصار التمر وسماه عبد الله أي وجاء لعبد الله
هذا الذي جاء من جماع تلك الليلة تسعة أولاد كلهم قد قرؤا القرآن * ولما أخبر
أبو طلحة النبي صلى الله عليه وسلم بما تقدم عن أم سليم قال الحمد لله الذي جعل
في أمتي مثل صابرة بني اسرائيل فقيل يا رسول الله ما كان من خبرها قال كان في بني

اسرائيل

أسماء بنت عميس امرأة وكان لها زوج وكان له منها غلامان وكان زوجها أمرها بطعام تصنعه ليدعو عليه الناس ففعل واجتمع الناس في داره فانطلق الغلامان يلعبان فوقعا في بئر كانت في الدار فكرهت أن تنغص على زوجها الضيافة وأدخلتهما البيت وسجتهما بثوب فلما فرغوا دخل زوجها فقال أين ابناي قالت هما في البيت وانها كانت تمسحت بشيء من الطيب وتعرضت للرجل حتى وقع عليها ثم قال أين ابناي قالت هما في البيت فناداهما أبوهما فخرجا يسعيان فقالت المرأة سبحان الله والله لقد كانا ميتين ولكن الله أحياهما ثوابا لصبري * ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم أبا عامر الاشعري رضي الله عنه وسيأتي في السرايا ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معسكره قال شيبة فدخل خباءه فدخلت عليه ما دخل عليه غيري حبا لرؤية وجهه وسرورا به فقال يا شيبة الذي أراد الله خير مما أردت بنفسك ثم حدثني بكل ما أضمرته في نفسي مما لم أذكره لاحد قط فقلت اني أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ثم قلت استغفر لي فقال غفر الله لك * أي وقالت له صلى الله عليه وسلم أم سليم رضي الله عنها بأبي أنت وأمي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد كفى وأحسن * وعن عائذ بن عمرو قال أصابتني رمية يوم حنين في جبهتي فسال الدم على وجهي وصدري فسلت النبي صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهي وصدري الى ترقوتي * ثم دعا لي فصار أثر يده صلى الله عليه وسلم غرة سائلة كغرة الفرس * وجرح خالد ابن الوليد رضي الله عنه فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في جرحه فلم يضره أي * فعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بعدما هزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشي في المسلمين ويقول من يدلني على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد أسند الى مؤخرة رحله لانه قد أثقل بالجراحة فتفل صلى الله عليه وسلم في جرحه فبرىء * وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون شيأ أسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فاذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي لم أشك أنها الملائكة ولم تكن الا هزيمة القوم وفي سيرة الحافظ الدمياطي رحمه الله أن سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر أرخوها بين أكتافهم * أي فعن جمع من هوازن قالوا لقد رأينا يوم حنين رجالا بيضا على خيل بلق عليهم عمائم حمر قد أرخوها بين أكتافهم بين السماء والارض كتائب لا نستطيع أن نقاتلهم من

بالرعب منهم ولما وقعت الهزيمة أسلم ناس من كفار مكة وغيرهم لما رأوا نصر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم * وعن شيبة الحجبي قال خرجت مع رسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين والله ما خرجت اسلاما ولكن خرجت اتقاء أن تظهر هوازن على قريش فوالله انى لم أقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انى لارى خيلا بلقا قال ياشيبة انه لا يراها الا كافر فضرب بيده صدرى * ثم قال اللهم اهد شيبة فعل ذلك ثلاثا فما رفع صلى الله عليه وسلم يده عن صدرى الثالثة حتى ما أحد من خلق الله أحب الى منه * ويحتاج الى الجمع بينه وبين ما تقدم على تقدير صحتهما * وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبي والغنائم أن تجمع فجمع ذلك كله وأخذوه بالجعرانة أى بسكون العين وتخفيف الراء وكثير من أهل الحديث يشددها * وسمى المحل باسم امرأة كانت تلقب بذلك قبل وهى التى نقضت غزلها من بعد قوة فكان بها الى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم * أى من غزوة الطائف * وفى هذه الغزوة سمى طلحة ابن عبيد الله طلحة الجواد لكثرة انفاقه على العسكر

(غزوة الطائف)

* ولما علم صلى الله عليه وسلم ان مالك بن عوف وجمعا من أشراف قومه لحقوا بالطائف عند انهزامهم * أى والطائف بلد كبير كثير الاعناب والنخيل والفاكهة قيل سمى بذلك لان جبريل عليه السلام طاف بها حين نقلها من الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام * أى أن الله يرزقهم أى أهل مكة من الثمرات * أى وقيل انهم بنوا حواليها حائطا وأطافوا به تحصينا لهم * وقيل هى جنة أصحاب الصريم كانوا نواحى صنعاء نقلها جبريل عليه السلام فسار بها الى مكة وطاف بها حول البيت * ثم أنزلها فى ذلك المكان أى ويقال له وج سمى ذلك باسم شخص من العماليق أول من نزل به وأن أولئك القوم تحصنوا فى حصن به وأدخلوا فيه ما يصلحهم سنة خرج صلى الله عليه وسلم من حنين وتوجه اليهم وترك السبي بالجعرانة * أى وفى الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم بعث بالسبي والغنائم الى الجعرانة مع بديل بن ورقاء الخزاعى * وفى كلام السهيلى وكان سبي حنين ستة آلاف رأس قد ولى صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب أمرهم وجعله أمينا عليهم هذا كلامه * أى ولعل هذا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف لان أبا سفيان كان معه صلى الله عليه وسلم بالطائف كما سيأتى فلا معارضة * أى ومر صلى الله عليه وسلم بحصن مالك بن عوف فأمر به فهدم ومر

بحائط أي بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل اليه صلى الله عليه وسلم اما أن تخرج واما ان نخرب عليك حائطك فأبى أن يخرج فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحراقه ومر صلى الله عليه وسلم بقبر فقال هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف ﴿ أي وكان من ثمود قوم صالح ﴿ أي وقد أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان ثم دفن فيه أي بعد أن كان بالحرم ولم تصبه تلك النقمة ﴿ فلما خرج من الحرم الى المكان المذكور أصابته النقمة ﴿ فعن بعض الصحابة حين خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف فمررنا بقبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف ﴿ وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه الحديث ﴿ وفي العرائس عن مجاهد قيل له هل بقي من قوم لوط أحد قال لا الا رجل بقي أربعين يوما وكان بالحرم فجاءه حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله تعالى فرجع فوقف خارجا من الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته وخرج من الحرم الى هذا المحل أصابه الحجر فقتله فدفن فيه وأبو رغال هذا هو الذي كان دليلا لابرهة ليوصله الى مكة لما مر أبرهة بالطائف وتلقاه أهله وأظهروا له الطاعة وقالوا له نرسل معك من يدلك على الطريق فأرسلوا أبا رغال معه دليلا كما تقدم ﴿ وقال صلى الله عليه وسلم آية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ان أنتم بنشتم عنه أصبتموه فابتدره الناس فنبشوه واستخرجوا منه الغصن ﴿ وقدم صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه على مقدمته ﴿ أي وهي خيل بني سليم مائة فرس قدمها من يوم خرج من مكة واستعمل عليهم خالد بن الوليد فلم يزل كذلك حتى وصل ﴿ فلما وصل نزل قريبا من الحصن وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحات ﴿ أي وممن أصيب أبو سفيان بن حرب أصيبت عينه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وعينه في يده فقال يا رسول الله هذه عيني أصيبت في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت دعوت فردت عينك وان شئت فالجنة ﴿ وفي لفظ فعين في الجنة قال فالجنة ورمى بها من يده ﴿ أي وقلعت عينه الثانية في القتال يوم اليرموك عند مقاتلة الروم فان أبا سفيان رضي الله عنه كان في ذلك اليوم يحرض المسلمين على قتال الروم والثبات لهم ويقول لهم الله الله عباد الله انصروا الله ينصركم اللهم هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك ﴿ وذلك في آخر خلافة الصديق

فان الصديق رضي الله عنه مات وهم في الاستعداد للقتال باليرموك * وكان الامير على العسكر خالد بن الوليد رضي الله عنه * ولما ولي سيدنا عمر رضي الله عنه أرسل البريد بعزل خالد وولاية أبي عبيدة ابن الجراح على العسكر فجاء البريد * وقد التحم القتال بين المسلمين والروم وأخذته خيول المسلمين وسألوه عن الخبر فلم يخبرهم الا بخير وسلامة وأخبرهم عن امداد يجيء اليهم وأخفى موت أبي بكر رضي الله عنه وتأمير أبي عبيدة فأتوا به الى خالد بن الوليد رضي الله عنه فأسر اليه موت أبي بكر وولاية عمر رضي الله عنهما وأخبره بما أخبر به الجند فاستحسن ذلك منه وأخذ الكتاب فجعله في كنانته وخاف ان هو أظهر ذلك يتخاذل العسكر * ثم لما هزم الله الروم وجمعوا الغنائم ودفنوا قتلى المسلمين وقد بلغوا ثلاثة آلاف دفع خالد رضي الله عنه الكتاب الى أبي عبيدة رضي الله عنه فتولى أبو عبيدة ثم بعث أبو عبيدة أبا جندل رضي الله عنه بشيرا الى سيدنا عمر رضي الله عنه بالفتح على المسلمين * ولما عزل سيدنا عمر رضي الله عنه خالد بن الوليد وولى أبا عبيدة خطب الناس وقال اني اعتذر اليكم من خالد بن الوليد اني نزعته وأثبت أبا عبيدة بن الجراح فقام اليه عمرو بن حفص وهو ابن عم خالد بن الوليد وابن عم أم سيدنا عمر فقال والله ما عدلت يا عمر لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وغمدت سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد قطعت الرحم وحسدت ابن العم * فقال عمر رضي الله عنه انك قريب القرابة وحديث السن غضبت لابن عمك * ومات ممن جرح بالطائف اثنا عشر رجلا فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع مسجد الطائف الآن * وكان معه صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة وزينب رضي الله عنهما فضرب لهما قبتين * وكان يصلي بين القبتين الصلاة مقصورة مدة حصار الطائف وكانت ثمانية عشر يوما أي غير يومي الدخول والخروج * وهذا هو المراد بقول فقهائنا لانه صلى الله عليه وسلم أقامها بمكة عام الفتح لحرب هوازن يقصر الصلاة * وقيل في مدة حصاره غير ذلك ودخل صلى الله عليه وسلم خيمة أم سلمة وعندها أخوها عبد الله ومخنث واذا المخنث يقول يا عبد الله ان فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان فلما سمعه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل هذا عليكن وأراد المخنث بالاربع التي تقبل بهن عكنها الاربع التي في بطنها ولكل عكنة طرفان فتكون ثمانية من خلفها فهي الثمانية التي تدبر بهن * أي وفي الامتاع كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى لخالته بنت عمرو بن عائذ يقال له ماتع * وكان يدخل بيوته صلى الله عليه

وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كان يرى انه لا يفطن لشىء من أمر النساء ولا اربة له فسمعه صلى الله عليه وسلم وهو يقول لخالد بن الوليد * ويقال لعبد الله أخى أم سلمة ان فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف غدا فعليك ببادية أى رضى الله عنها فانها أسلمت وبادية بالياء المثناة تحت لا بالنون بنت غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان اذا قامت تثنت واذا جلست تبنت واذا تكلمت تغنت بين رجليها مثل الاناء المكفو ثم نغر كأنه الاقحوان فقال صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا الخبيث يفطن لما أسمع * وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال له قاتلك الله لقد أمعنت النظر ما كنت أظن هذا الخبيث يعرف شيأ من أمر النساء وفى الاغانى أن هيتا بكسر الهاء وقيل بفتحها واسكان التحتية بعدها مثناة والهيت الاحمق المخنث قال لعبد الله بن أمية ان فتح الله عليكم الطائف فاسئل النبى صلى الله عليه وسلم بادية بنت غيلان فانها رداح شموع نجلاء ان تكلمت تغنت يعنى من الغنة واذا قامت تثنت موردة الخد بن مخطة المتنين لفعاء الخد بن مسرولة الساقين كأنها قضيب بان * وفى لفظ كأنها خوط بانة قصفت تقبل بأربع وتدبر بثمان وبين فخذيها شىء مخبوء كأنه الاناء المكفو فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه قال لقد غلغلت النظر يا عدو الله ثم نفاه من المدينة الى الحما * وقال لا يدخل على أحد من نسائكم وقيل له صلى الله عليه وسلم انه يموت جوعا فأذن له أن يدخل المدينة كل جمعة يسأل الناس * وقيل نفى صلى الله عليه وسلم كلا من ماتع وهيت الى الحما فشكيا الحاجة فأذن لهما ان ينزلا كل جمعة يسألان الناس ثم يرجعان الى مكانهما فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلا المدينة فأخرجهما أبو بكر رضى الله عنه * فلما توفى دخلا المدينة فأخرجهما عمر رضى الله عنه فلما مات دخلا وغيلان أبو بادية هو الذى أسلم وعنده عشر نسوة فأمره صلى الله عليه وسلم أن يمسك أربعا ويفارق سائرهن واختلف الفقهاء فى ذلك فقال فقهاء الحجاز يختار أربعا وقال فقهاء العراق يمسك التى تزوج أولا ثم الذى تليها الى الاربع واحتج فقهاء الحجاز بترك الاستفصال * وغيلان هذا لما وفد على كسرى قال له أى ولدك أحب اليك فقال الغائب حتى يقدم والمريض حتى يعافى والصغير حتى يكبر * وكان المخنثون فى زمانه صلى الله عليه وسلم ثلاثة هيت وماتع وهذم * وقيل لهم ذلك لانه كان فى كلامهم لين وكانوا يختضبون بالحناء كخضاب النساء لا انهم يأتون الفاحشة الكبرى * ويحتمل ان يكون كل من ماتع وهيت كان معه صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة وقد سمع منهما ما تقدم عنهما ويدل لهذا الاحتمال أنه نفاهما

* وفى البخارى أن القائل لعبد الله ما تقدم هو عيينة ويحتمل ان الذى كان معه صلى الله عليه وسلم أحدهما وتكرر منه ذكر ما تقدم وتسميته باسم الآخر خلط من بعض الرواة فليتأمل وقال أقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه * ونادى من يبارز فلم يطلع اليه احد ثم كرر ذلك فلم يطلع اليه أحد وناداه عبد يا ليل لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم فى حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يذهب هذا الطعام خرجنا اليك بأسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا انتهى ونصب عليهم المنجنيق * أى ورمى به كما فى كلام غير واحد من أئمتنا وهو أول منجنيق رمى به فى الاسلام * أى أرشده اليه سلمان الفارسى رضى الله عنه * قال انا كنا بأرض فارس ننصب المنجنيقات على الحصون فنصيب من عدونا * أى ويقال ان سلمان رضى الله عنه هو الذى عمله بيده وفيه أنه تقدم فى خيبر أنه لما فتح حصن الصعب وجدوا فيه آلة حرب ودبابات ومنجنيقات الا أن يقال سلمان صنع هذا المنجنيق الذى بالطائف لانه يجوز أن يكون الذى وجدوه فى خيبر لم يكن معهم فى الطائف * وتقدم فى خيبر أنه صلى الله عليه وسلم لما حاصر الوطيح والسلالم أربعة عشر يوما ولم يخرج أحد منهم هم صلى الله عليه وسلم أن يجعل عليهم المنجنيق وتقدم عن الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على حصن البراء وقد قدمنا أن ذلك لا يخالف قول بعضهم لم ينصب المنجنيق الا فى غزوة الطائف أى كما أشرنا اليه * وأول من صنع المنجنيق ابليس فان نمروذ لعنهما الله لما أراد أن يلقى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى النار بنى الى جنب الجبل جدارا طوله ستون ذراعا ولما ألقوا الحطب وجعلوا فيه النار ووصلت النار الى رأس ذلك الجدار لم يدروا كيف يلقون ابراهيم فتمثل لهم ابليس لعنه الله فى صورة نجار فصنع لهم المنجنيق ونصبوه على رأس الجبل ووضعوه فيه وألقوه فى تلك النار * وأول من رمى به فى الجاهلية خزيمة الابرش وهو أول من أوقد الشمع ودخل نفر من الصحابة تحت دبابة وزحفوا بها الى جدار الحصن ليحرقوه * وفى الامتاع دخلوا تحت دبابتين وكانا من جلود البقر فأرسلت اليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتل منهم رجال أى والدبابة بفتح الدال المهملة ثم موحدة مشددة وبعد الالف موحدة ثم تاء التأنيث وهى آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون الاسوار لينقبوها * وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم أى ونخيلهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا فسألوه أن يدعها لله وللرحم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أدعها لله وللرحم * ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد

نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر * أى وقيل ثلاثة وعشرون رجلا * ونزل منهم شخص فى بكرة فقيل له أبو بكرة أى وكان عبد الحارث ابن كلدة فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع لهم كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة * قال واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن فى أن يأتى ثقيف فى حصنهم ليدعوهم الى الاسلام فأذن له فى ذلك فأتاهم فدخل فى حصنهم فقال لهم تمسكوا فى حصنكم فوالله لنحن أذل من العبيد * أى زاد بعضهم ولا تعطوا بأيديكم ولا تتكاثرن أى لا يشق عليكم قطع هذا الشجر فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما قلت يا عيينة قال أمرتهم بالاسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت انما قلت لهم كذا وقص عليه القصة فقال صدقت يا رسول الله أتوب الى الله واليك من ذلك انتهى * ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتح الطائف أى فان خولة بنت حكيم امرأة عثمان ابن مظعون قالت له يا رسول الله ما يمنعك أن تنهض الى أهل الطائف قال لم يؤذن لنا الآن فيهم وما أظن أن نفتحها الآن * وقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك فقال لم يؤذن لنا فى قتالهم فقال رضى الله عنه كيف نقيل فى قوم لم يأذن الله فيهم * وفى لفظ أن خولة قالت يا رسول الله أعطنى ان فتح الله عليك الطائف حلى بادية بنت غيلان أو حلى الفارغة بنت عقيل وكانتا من أخلاء نساء ثقيف فقال لها صلى الله عليه وسلم وان كان لم يؤذن لنا فى ثقيف يا خولة فذكرت خولة ذلك لعمر بن الخطاب فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما حديث حدثتنيه خولة زعمت أنك قلته لها قال قلته قال أو ما أذن الله فيهم يا رسول الله قال لا قال أوذن بالرحيل قال بلى * واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الناس أى وهو نوفل بن معاوية الديلى فى الذهاب أو المقام فقال له يا رسول الله ثعلب فى جحران أقمت أخذته وان تركته لم يضرك * فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأذن فى الناس بالرحيل فضج الناس ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغدوا على القتال فغدوا فأصابت الناس جراحات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان شاء الله فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك أى تعجبا من سرعة تغير رأيهم لانهم رأوا أن رأيه صلى الله عليه وسلم أبرك وأنفع من رأيهم فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قولوا لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما رحلوا واستقبلوا قال قولوا آيبون تائبون لربنا حامدون * وقيل يا رسول الله ادع على ثقيف أهل الطائف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين ولعل صاحب الهمزية يشير الى ذلك بقوله

جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء
وسع العالمين حلما وعلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

* أى آذاه صلى الله عليه وسلم قومه من قريش وغيرهم فأرخى جفنه حياء وصاحب عدم الانتقام شأنه ارخاء الجفن وسع علمه علوم العالمين من الانس والجن والملك ووسع حلمه كل من صدر منه نقص فهو بسبب ذلك بحر واسع لم تتعبه الاحمال الثقيلة ومن جملة من جرح سيدنا عبد الله بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهما رماه بسهم أبو محجن وطاوله ذلك الجرح الى أن مات به فى خلافة أبيه ورثته زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكان يحبها حبا شديدا امر عليه أبوه يوم جمعة وهو يلاعبها * وقد صلى الناس فقال عبد الله أوجمع الناس فسمعه أبوه فقال أشغلتك عن الصلاة لا جرم لا تبرحن حتى تطلقها فطلقها ثم تعب عبد الله بسبب طلاقها فاطلع عليه أبوه يوما فسمعه يقول أبياتا من جملتها

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غير جرم تطلق

* فقال له يا عبد الله راجع عاتكة فقال لابيه قف بمكانك وكان معه غلام مملوك له فقال للغلام أنت حر لوجه الله اشهد أنى قد راجعت عاتكة فلما مات رضى الله عنه رثته بقولها فى أبيات

آليت لا تنفك عينى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

ثم تزوجها سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أعرس بها قال على كرم الله وجهه أتأذن لى أن أكلم عاتكة فقال لا غيرة عليك كلمها فقال لها على كرم الله وجهه أنت القائلة آليت

آليت لا تنفك عينى قريرة * عليك ولا ينفك جلدى أصفرا

* قالت لم أقل هكذا وبكت وعادت الى حزنها فقال له عمر رضى الله عنه يا أبا الحسن ما أردت الا افسادها على * فلما قتل عمر رضى الله عنه رثته بأبيات منها

من لنفس عادها أحزانها * ولعين شفها طول السهد
جسد لفف فى أكفانه * رحمة الله على ذاك الجسد

ثم تزوجها الزبير رضى الله عنه فلما قتل رثته بأبيات منها تخاطب قاتله

ثكلتك أمك ان قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد

* ثم خطبها سيدنا علي كرم الله وجهه فقالت له لم يبق للاسلام غيرك وأنا أنفس لك عن القتل * ومن ثم قيل في حقها من أراد الشهادة فعليه بعاتكة * وعند منصرفه صلى الله عليه وسلم من ذلك * أي و بينا هو يسير ليلا بواد بقرب الطائف اذ غشي سدرة في سواد الليل وهو في وسن النوم فانفرجت السدرة له نصفين * فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نصفيها و بقيت منفرجة على حالها أي وعند انحداره صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة لقيه سراقة وهو واضع الكتاب الذي كتبه له صلى الله عليه وسلم عند الهجرة بين أصبعيه وينادي أنا سراقة وهذا كتابي فقال صلى الله عليه وسلم هذا يوم وفاء ومودة أدنوه فأدنوه منه وساق اليه الصدقة وسأله عن الضالة من الابل ترد حوضه الذي ملأه لابله هل له في ذلك من أجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم في كل ذات كبد حراء أجر * وعند وصوله صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة أحصى السبي فكانت ستة آلاف رأس والابل أربعة وعشرين ألفا والغنم أكثر من أربعين ألفا وأربعة آلاف وقية فضة فأعطى صلى الله عليه وسلم للمؤلفة أي من أسلم من أهل مكة فكان أولهم أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه أعطاه أربعين أوقية ومائة من الابل وقال ابني يزيد * ويقال له يزيد الخير فأعطاه كذلك * وقال ابني معاوية فأعطاه كذلك فأخذ أبو سفيان رضي الله عنه ثلاثمائة من الابل ومائة وعشرين أوقية من الفضة وقال بأبي أنت وأمي يارسول الله لانت كريم في الحرب وفي السلم * أي وفي لفظ لقد حاربتك فنعم المحارب كنت وقد سالمتك فنعم المسالم أنت هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا * وأعطى حكيم بن حزام رضي الله عنه مائة من الابل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه اياها * أي وفي الامتاع وسأله حكيم بن حزام مائة من الابل فأعطاه ثم سأله مائة فأعطاه ثم سأله مائة فأعطاه وقال له يا حكيم هذا المال خضر حلو من أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه * وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى * فأخذ حكيم المائة الاولى وترك ما عداها أي وقال يارسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزاء أحدا بعدك شيأ حتى أفارق الدنيا * فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيأ * ثم ان عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله فقال يا معشر المسلمين اني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من الفيء فيأبى أن يأخذه * وأعطى صلى الله عليه وسلم الاقرع بن حابس مائة من الابل وأعطى

عيينة مثله وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الابل * فقال فى ذلك شعرا أى يعاتبه صلى الله عليه وسلم حيث فضل الاقرع بن حابس وعيينة عليه أتجعل نهبى ونهب العبيد يعنى فرسه يعنى عيينة والاقرع

فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فأعطاه صلى الله عليه وسلم تمام المائة * أى وفى رواية أنه قال اقطعوا عنى لسانه وفى الكشاف أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أبابكر اقطع لسانه عنى وأعطه مائة من الابل هذا كلامه وحينئذ يتوقف فى قولهم فظن ناس أنه صلى الله عليه وسلم أمر أن يمثل به وفزع هو أيضا لذلك فأتى به الى الغنائم وقيل له خذ منها ماشئت فقال انما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطع لسانى بالعطاء فكره أن يأخذ منها شيأ * فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلة * وفى رواية فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة * وروى بدل فما كان حصن ولا حابس فما كان بدر ولا حابس وهو الصحيح أيضا لان بدرا جد حصن أبى أبيه فانتسب تارة الى أبيه حصن وتارة الى جد أبيه بدر فان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر * ويروى بدل مرداس شيخى بالافراد يعنى والده ويروى بالتثنية يعنى والده وجده * وفى كلام بعضهم كانت المؤلفة ثلاثة أصناف صنف يتألفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا كصفوان بن أمية وصنف ليثبت اسلامهم كأبى سفيان بن حرب وصنف لدفع شرهم كعيينة بن حصن والعباس بن مرداس والاقرع بن حابس * لكن فى رواية قيل يارسول الله أعطيت عيينة بن حصن والاقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة فقال أما والذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الارض كلهم مثل عيينة والاقرع ولكنى تألفتهما ووكلت جعيل بن سراقة الى اسلامه * وتقدم أن جعيلا هذا كان من فقراء المسلمين وكان رجلا صالحا دميما قبيحا وهو الذى تصور الشيطان بصورته يوم أحد وقال ان محمدا قد مات * وجاء أنى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكب فى النار على وجهه وقال صلى الله عليه وسلم ان من الناس ناسا نكلهم الى ايمانهم منهم فرات ابن حباب وأعطى صفوان بن أمية ماتقدم ذكره وهو جميع ما فى الشعب من غنم وابل وكان مملوأ وكان ذلك سببا لاسلامه كما تقدم * أقول فى كلام ابن الجوزى رحمه الله اعلم أن من المؤلفة قلوبهم أقواما تألفوا فى بدىء الاسلام ثم تمكن الاسلام فى قلوبهم فخرجوا بذلك عن حد المؤلفة وانما ذكرهم العلماء فى المؤلفة اعتبارا

بداية أحوالهم وفيهم من لم يعلم منه تحسين الاسلام والظاهر بقاؤه على حالة التأليف ولا يمكن أن يفرق بين من حسن اسلامه وبين من لم يحسن اسلامه لجواز أن يكون من ظننا به شرا أنه على خلاف ذلك اذ الانسان قد يتغير عن حاله ولا ينقل الينا أمره فالواجب أن يظن بكل من نقل عنه الاسلام خيرا * وقد جاء عن أنس رضي الله عنه قال كان الرجل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسلم لشيء يعطاه من الدنيا فلا يمسي حتى يكون الاسلام أحب اليه من الدنيا وما فيها هذا كلام ابن الجوزي والعباس بن مرداس أسلم قبل الفتح بيسير وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية والله أعلم * ولا زال صلى الله عليه وسلم يعطي الرجل ما بين مائة وخمسين من الابل أي وذلك من الخمس كما سيأتي * ثم أمر صلى الله عليه وسلم زيد ابن ثابت باحصاء الناس والغنائم أي ما بقي منها وهي الاربعة الاخماس الباقية بعد اعطاء من تقدم ما تقدم من الخمس وقسمها عليهم أي بعد أن اجتمعوا اليه وصاروا يقولون يا رسول الله اقسم علينا حتى ألجأه صلى الله عليه وسلم الى شجرة فاختطفت ردائي فقال ردائي أيها الناس والله ان كان لي فيه شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلا ولا جبانا ولا كذودا ثم قام صلى الله عليه وسلم الى جنب بعيره فأخذ وبرة من سنامه ثم رفعها ثم قال أيها الناس والله مالي من فيئكم أي غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط فان الغلول يكون على أهله عارا وشنارا ونارا يوم القيامة فجاء شخص من الانصار بكبة من خيوط شعر وقال يا رسول الله أخذت هذه الكبة اعمل بها برذعة بعير لي دبر فقال أما نصيبي منها فلك قال أما اذا بلغت هذا فلا حاجة لي بها وألقاها * وروى أن عقيلا كان دفع لامرأته ابرة أخذها من الغنيمة أي فانها قالت له اني قد علمت أنك قد قاتلت فماذا أصبت من الغنيمة فقال دونك هذه الابرة تخيطين بها ثيابك فسمع منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شيأ فليرده حتى الخياط والمخيط فرجع وأخذها منها وألقاها في الغنائم * وفي كلام السهيلي ان أبا جهم ابن حذيفة العدوي كان على الانفال يوم حنين * فجاءه خالد بن البرصاء وأخذ من الانفال زمام شعر فانعه أبو جهم فلما تمانعا ضربه أبو جهم بالقوس فشجه منقلة فاستعدى عليه خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خذ خمسين شاة ودعه فقال اقدني منه فقال خذ مائة ودعه فقال أقدني منه فقال خذ خمسين ومائة ودعه وليس لك الا ذلك ولا أقدك من وال عليك فقومت المائة وخمسين بخمس عشرة فريضة من الابل فمن هنا جعلت دية المنقلة خمس عشرة فريضة ولما قسم ما بقي خص كل رجل أربعا من الابل

وأربعين شاة فان كان فارسا أخذ ثنتي عشرة بعيرا وعشرين ومائة شاة وان كان معه أكثر من فرس لم يسهم الا لفرس واحد ❊ ومن ثم لم يعط الزبير رضي الله عنه الا لفرس واحد وكان معه أفراس ❊ وبه أخذ امامنا الشافعي رضي الله عنه فقال لا يعطي الا لفرس واحد ❊ وقال بعض المنافقين قيل وهو معتب هذه القسمة ما عدل فيها ولا أريد بها وجه الله فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغير وجهه الشريف أي حتى صار كالصرف بكسر الصاد المهملة وهو شيء أحمر يدبغ به الجلد ❊ وفي رواية غضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا واحمر وجهه ❊ وقال من يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله رحمة الله على أخي موسى عليه السلام لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر انتهى ❊ ولعل من ذلك أن قارون وكان ابن خالة موسى عليه السلام أو ابن عمه حمله البغي والشره على أن أحضر امرأة بغيا وجعل لها جعلا على أن ترمي موسى بنفسها وأحضر بني اسرائيل وأعلمهم بذلك ودعا موسى عليه السلام وقال ان قومك اجتمعوا فاخرج اليهم لتأمرهم وتنهاهم فخرج عليه السلام اليهم وقال لهم يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه حتى يموت ومن زنى وهو لم ينكح جلدناه مائة جلدة فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فقال ادعها فان قالت فهو كما قالت فأتت فقال موسى يا فلانة أنشدك بالذي أنزل التوراة أصدق قارون فقالت أما اذا أنشدتني فاني أشهد أنك بريء وأنك رسول الله وأن قارون جعل لي جعلا على أن أرميك بنفسي وجاءت بخريطتين فيهما دراهم عليهما ختمه وقالت للملأ ان قارون أعطاني هاتين وهذا ختمه وأعوذ بالله ان افتري على الله فنظر القوم الى ختمه فعلموا صدقها فخر موسى ساجدا فأوحى الله اليه أن أرفع رأسك فاني أمرت الارض ان تطيعك فخسف به فهو يتجلجل في الارض يخسف به في كل يوم مقدار قامة الى يوم القيمة ❊ ولعل من ذلك أيضا ان بني اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام ان طائفة تزعم ان الله لا يكلمك فخذ منا من يذهب معك ليسمعوا كلامه تعالى فيؤمنوا فأوحى الله لموسى عليه السلام أن اختار سبعين من خيارهم واصعد بهم الجبل أنت وهارون واستخلف يوشع ففعل فلما سمعوا كلامه سبحانه سألوه ان يريهم الله جهرة ❊ ومن ذلك نسبته الى أنه قتل أخاه هارون عليهما السلام كما تقدم ❊ أي وقيل ان قائل هذه القسمة ما عدل فيها ذو الخويصرة التميمي وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل فكيف رأيت

❊ قال

* قال لم أرك عدلت فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ويحك اذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون فقال عمر رضي الله عنه ألا نقتله * قيل وقال خالد ابن الوليد رضي الله عنه الا أضرب عنقه * قال الامام النووي رحمه الله ولا تعارض لان كل واحد منهما استأذن فيه أي في مسلم فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال يارسول الله ألا أضرب عنقه قال لا ثم أدبر فقام اليه خالد رضي الله عنه فقال يارسول الله الا أضرب عنقه قال لا لعله أن يكون يصلي قال خالد رضي الله عنه وكم مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم أومر ان أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم * و في مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بعث علي كرم الله وجهه وهو باليمن بذهبية في تربتها أي لم تخلص من ترابها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة نفر الاقرع بن حابس وعيينة بن بدر وعلقمة بن علاثة وزيد الخير فغضبت قريش فقالوا يعطي صناديد نجد ويدعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني انما فعلت ذلك لا تألفهم فجاء رجل فقال اتق الله يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يطع الله ان عصيته يأمنني على أهل الارض ولا تأمنوني و في رواية ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء فجاء رجل فقال ما تقدم فقال له ويلك أولست أحق أهل الارض ان يتقي الله * ولعل هذه القسمة غير قسمة غنائم حنين وان الرجل الذي قال له ماذكر يحتمل أن يكون واحدا منهما أو من شيعة ذلك الرجل الذي قال له في أحدهما * وذكر بعضهم ان ذا الخويصرة أصل الخوارج وأنه صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية * و في رواية قال عمر رضي الله عنه يارسول دعني فأقتل هذا المنافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس اني أقتل أصحابي ان هذا وأصحابه أي جماعة يخرجون من صلبه فهو أصل الخوارج يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم * و في لفظ تراقيهم لا تفقهه قلوبهم ليس لهم حظ منه الا التلاوة بالفم يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد وثمود أي قتلا مستأصلا لعامتهم * وفي رواية اذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة * وبهذا استدل من يقول بجواز قتل الخوارج وقد قاتلهم علي كرم الله وجهه * وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الخوارج أهم كفار فقال من الكفر فروا فقيل أمنافقون فقال ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا فقيل ماهم فقال أصابتهم فتنة

فعموا وصموا فلم يجعلهم صلى الله عليه وسلم كفارا لانهم تعلقوا بضرب من التأويل وحينئذ يكون المراد بالدين فى وصفهم بالمروق من الدين الطاعة لا الملة ويعاضده رواية بدل الايمان الاسلام وكان مصداق ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذا الخويصرة خرج منه حرقوص المعروف بذى الثدية * وهو أول من بويع من الخوارج بالامانة والخوارج قوم يكفرون مرتكب الكبيرة ويحكمون بحبوط عمل مرتكبها وتخليده فى النار ويحكمون بأن دار الاسلام تصير بظهور الكبائر فيها دار كفر ولا يصلون جماعة * وسبب مقاتلة سيدنا على كرم الله وجهه لهم انهم أنقموا عليه التحكيم الذى وقع بينه وبين معاوية فى صفين وقالوا لا حكم الا لله وأنت كفرت حيث حكمت الحكمين فان شهدت على نفسك انك كفرت فيما كان من تحكيمك الحكمين واستأنفت التوبة والايمان نظرنا فيما سألتنا من الرجوع اليك وان تكن الاخرى فانا نابذناك على سواء ان الله لا يهدى كيد الخائنين فلما آيس من رجوعهم اليه قاتلهم * وحرقوص هذا أول مارق من الدين وكان رجلا أسود احدى عضديه مثل ثدى المرأة فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم ان فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعرات بيض ولما قاتلهم على كرم الله وجهه وقتل غالبهم التمس ذلك الرجل فأتى به فاذا هو له ثدى كثدى المرأة * وفى رواية التمسوه فى القتلى فلم يجدوه فقام على كرم الله وجهه بنفسه فطاف فى القتلى فأخرجوه من بينهم فكبر على كرم الله وجهه ثم قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول ان فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعرات بيض * فقام اليه عبيدة السلمانى فقال يا أمير المؤمنين آلله الذى لا اله الا هو أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى والله الذى لا اله الا هو حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف له * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا فى قريش وقبائل العرب ولم يكن فى الانصار منها شىء وجدوا فى أنفسهم أى غضبوا حتى كثرت منهم القالة أى وهى القول الردىء أى حتى * قال بعضهم ان هذا لهو العجب يعطى قريشا * وفى لفظ الانصار والمهاجرين وتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم * أى وفى لفظ ان هذا لهو العجب ان سيوفنا تقطر من دماء قريش وان غنائمنا ترد عليهم * وفى رواية اذا كانت شديدة ندعى اليها ويعطى الغنيمة غيرنا * وفى رواية سيوفنا تقطر من دمائهم وهم يذهبون بالمغنم فان كان من أمر الله صبرنا وان كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

استعتبناه فدخل عليه سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال يا رسول الله ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في أنفسهم أي غضبوا لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما ولم يكن في هذا الحي من الانصار منها شيء قال فأين أنت من ذلك يا سعد فقال يا رسول الله ما أنا الا من قومي قال فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة أي وهي قبة من أدم * أي وفي كلام بعضهم ان الحظيرة الزريبة التي تجعل للابل والغنم من الشجر لتقيها من البرد والريح ولعل هذا باعتبار الاصل فلا مخالفة * فلما اجتمعوا له أتى سعد اليه صلى الله عليه وسلم فقال اجتمع لك هذا الحي من الانصار فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي فقال لهم أفيكم أحد من غيركم قالوا الا ابن أخت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن أخت القوم منهم * وفي رواية قال من كان ههنا من غير الانصار فليرجع الى رحله * وذكر بعضهم أن سبب ايراد ابن أخت القوم منهم أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه اجمع لي من ههنا من قريش فجمعهم له ثم قال تخرج اليهم أم يدخلون قال أخرج فخرج صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش هل فيكم من غيركم قالوا الا ابن أختنا فذكره ثم قال يا معشر قريش ان أولى الناس بي المتقون فانظروا لا يأتي الناس بالاعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها فأصد عنكم بوجهي انتهى فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال يا معشر الانصار ما مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها علي في أنفسكم والمقالة كما علمت الكلام الرديء والجدة التعتب والمعروف انه الموجدة ومن ثم قال بعضهم الجدة في المال والموجدة في الغضب ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف بين قلوبكم أي * وفي لفظ وكنتم متفرقين فجمعكم وفي لفظ يا معشر الانصار ألم يمن الله عليكم بالايمان وخصكم بالكرامة وسماكم بأحسن الاسماء أنصار الله وأنصار رسوله قالوا بل الله ورسوله أمن وأفضل * ثم قال صلى الله عليه وسلم الا تجيبوني يا معشر الانصار قالوا ماذا نجيبك يا رسول الله لله ولرسوله المنة والفضل * أي وفي لفظ قالوا يا رسول الله وجدتنا في ظلمة فأخرجنا الله بك الى النور ووجدتنا على شفا حرف من النار فأنقذنا الله بك ووجدتنا ضلالا فهدانا الله بك فرضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فافعل ما شئت فأنت يا رسول الله في حل قال اذا والله لو شئتم لقلتم فصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك أوى أي ان كان متعديا كما هنا فالافصح المد وان كان قاصرا فالافصح القصر * قال تعالى وآويناهما الى ربوة وقال تعالى اذ أوى الفتية

الى الكهف * وقال فقال الانصار المن لله ولرسوله والفضل علينا وعلى غيرنا فقال ماحديث بلغنى عنكم فسكتوا فقال ماحديث بلغنى عنكم * فقال فقهاء الانصار أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيأ وأما ناس مناحديثة أسنانهم قالوا يغفر الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم * أى وفى رواية ما الذى بلغنى عنكم قالوا هو الذى بلغك لانهم لا يكذبون * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعطى رجالا حديثوا عهد بجاهلية ومصيبة وانى أردت أن أجبرهم وأتالفهم أوجدتم يامعشر الانصار فى أنفسكم فى لغاغة بضم اللام وغينين معجمتين أى شىء قليل من الدنيا ألفت بها قوما ليسلموا * أى ليحسنوا اسلامهم ويسلم غيرهم تبعا لهم ووكلتكم الى اسلامكم الثابت الذى لا يزلزل الاترضون يامعشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت رجلا من الانصار أى لانتسبت الى المدينة ولو سلك الناس شعبا أى بكسر الشين المعجمة وهو ما انفرج بين جبلين وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار * اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وفى لفظ فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا أى وقوله صلى الله عليه وسلم ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى ليس من المن المذموم فى قوله صلى الله عليه وسلم آفة السماحة المن بل هو من التذكير بنعمة الله لكن يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للانصار ألا تجيبون الى آخره فليتأمل * أى وقد جاء فى مدح الانصار وأبناء الانصار ولازواج الانصار ولذرارى الانصار الانصار كرشى وعيبتى وان الناس يكثرون ويقلون فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم * وفى لفظ آخر اللهم صل على الانصار وعلى ذرية الانصار وعلى ذرية ذرية الانصار * وقال للانصار أنتم شعار والناس دثار أى والشعار الثوب الذى يلى الجسد والدثار الثوب الذى يكون فوق ذلك الثوب فهم ألصق به وأقرب اليه صلى الله عليه وسلم من غيرهم وقال الانصار حبهم ايمان وبغضهم نفاق اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار ولابناء أبناء الانصار ولنساء الانصار ولنساء أبناء الانصار ولنساء أبناء أبناء الانصار * وفى لفظ اللهم اغفر للانصار ولذرارى الانصار ولذرارى ذراريهم ولمواليهم ولجيرانهم لا يبغض الانصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وقال لا تؤذوا الانصار فمن آذاهم فقد آذانى ومن نصرهم فقد نصرنى ومن أحبهم فقد أحبنى ومن أبغضهم فقد أبغضنى * ومن بغى عليهم فقد بغى على ومن قضى لهم

حاجة كنت في حاجته يوم القيامة أسرع ان الله اختار دارهم لاعزاز دينه واختارهم لنبيه أنصارا * وقال صلى الله عليه وسلم حب الانصار آية الايمان وبغضهم آية النفاق * وقال في الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وقال لهم اللهم أنتم أحب الناس الي قالها ثلاثا قال وقال حسان رضي الله عنه في مدح الانصار

سماهم الله أنصارا بنصرهم * دين الهدى وعوان الحرب تستعر

وسارعوا في سبيل الله واعترفوا * للنائبات وما خافوا وما ضجروا

انتهى * أي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم نظير ذلك * فعن عمرو بن تغلب أنه صلى الله عليه وسلم سبي فأعطى قوما ومنع قوما وقال انا نعطي قوما نخشى هلعهم وجزعهم ونكل قوما الى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو ابن ثعلب فكان عمرو رضي الله عنه يقول ما يسرني ان لي بها حمر النعم * ولما أسرت أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة الشيماء بشين معجمة ومثناة تحتية ساكنة وميم ممدودة * ويقال الشماء بغير ياء واختلف في اسمها صارت تقول والله اني أخت صاحبكم ولا يصدقوها * فأخذها طائفة من الانصار حتى أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا محمد اني أختك قال وما علامة ذلك الحديث ثم قال لها ارجعي الى الجعرانة تكونين مع قومك فاني أمضي الى الطائف فرجعت الى الجعرانة * فلما قدم صلى الله عليه وسلم الجعرانة جاءته فقالت يا رسول الله اني أختك أي وأنشدته أبياتا * قال وما علامة ذلك بكسر الكاف لانه خطاب لمؤنث قالت عضة عضضتنيها في ظهري وفي رواية في وجهي وفي رواية في ابهامي وأنا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة * وفي رواية قال لها ان تكوني صادقة فان بك مني أثرا لن يبلى فكشفت عن عضدها ثم قالت نعم يا رسول الله حملتك وأنت صغير فعضضتني هذه العضة فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فلينأمل * وعند ذلك قام صلى الله عليه وسلم لها قائما وبسط لها رداءه وأجلسها عليه أي ودمعت عيناه وسألها عن أمه وأبيه فأخبرته بموتهما * أي وقال لها سلي تعطي واشفعي تشفعي فاستوهبته السبي أي بعد أن قال لها قومها ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته وسألته قومك لرجونا أن يحابينا فأتته فقالت أتعرفني قال ما أنكرك فمن أنت قالت أنا أختك بنت أبي ذؤيب وآية ذلك اني حملتك ذات يوم فعضضت كفي عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها * ثم وهبها السبي وهو ستة آلاف فما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة هي أعين منها وخيرها صلى

الله عليه وسلم وقال ان أحببت فعندي محببة مكرمة وان أحببت أمتعتك وترجعي الى قومك قالت بل تمتعني وتردني الى قومي فأعطاها غلاما يقال له مكحول وجارية * وقيل بل أعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء * وقيل ان القادمة عليه صلى الله عليه وسلم أمه من الرضاع التي هي حليمة وتقدم الكلام على ذلك * قال بعضهم وهذا العطاء الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤلفة من قريش انما كان من خمس الخمس الذي هو سهمه صلى الله عليه وسلم لا من أربعة أخماس الغنيمة والا لاستأذن الغانمين في ذلك لانهم ملكوها بحوزهم لها * ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن أربعة عشر رجلا مسلمين ورأسهم زهير بن صرد وأبو برقان * وفي لفظ يكنى بأبي صرد وأبو برقان بالموحدة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة أي فقالوا يا رسول الله انا أصل وعشيرة * وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك * وفي رواية قالوا يا رسول الله ان فيمن أصبتهم الامهات والاخوات والعمات والخالات وهن مخازي الاقوام ونرغب الى الله واليك يا رسول الله * وقال زهير يا رسول الله انما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك لان مرضعته صلى الله عليه وسلم حليمة كانت من هوازن * أي وقال له أيضا ولو ملحنا أي أرضعنا للحارث بن أبي شمر أي ملك الشام أو للنعمان بن المنذر أي ملك العراق * ثم نزل منا بمثل ما نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين وأنشده أبياتا يستعطفه صلى الله عليه وسلم بها منها

أمنن علينا رسول الله في كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر

أمنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك مملوءة من غضها الدرر

أي الدفعات من اللبن

انا لنشكر للنعماء ان كفرت * أي جحدت وفي لفظ

انا لنشكر آلاء وان كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

انا نؤمل عفوا منك تلبسه * هدى البرية أن تعفو وتنتصر

فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك ان العفو مشتهر

فقال صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم أي وفي لفظ البخاري أحب الحديث الي أصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما السبي واما المال * وفي رواية وقد كنت استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون * أي لانه صلى الله عليه وسلم انتظرهم بعد أن قفل من

الطائف بضع عشرة ليلة * وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم قد وقعت المقاسم مواقعها فأي الامرين أحب اليكم أطلب لكم السبي أم الاموال * وانما قال صلى الله عليه وسلم لهم قد وقعت المقاسم * أي لانه لا يجوز للامام أن يمن على الاسرى بعد القسم وان يمن عليهم قبله كما وقع له صلى الله عليه وسلم في يهود خيبر * ولا يخفى ان هذا في الرجال دون الذرارى فقالوا اما كنا نعدل بالاحساب شيأ أردد علينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال صلى الله عليه وسلم أما مالي ولبني عبد المطلب فهو لكم * أي وقال لهم فاذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا أي بعد ان قال لهم صلى الله عليه وسلم أظهروا اسلامكم وقولوا نحن اخوانكم في الدين فسأسئل لكم الناس فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعد أن أثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رأيت أن أرد اليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظ حتى نعطيه اياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل كذا في البخارى * وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال وأما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض من أول سبي أصيبه * وفي رواية فمن أحب منكم أن يعطي غير مكره فليفعل ومن كره أن يعطي ويأخذ الفداء فعلى فداؤهم * ثم قال صلى الله عليه وسلم أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون والانصار رضي الله عنهم ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا * وقال عيينة بن حصن أما أنا وبنو فزارة فلا * وقال العباس ابن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس بن مرداس وهنتموني أي أضعفتموني حيث صيرتموني منفردا * وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم جاؤا مسلمين وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابناء والنساء شيأ فمن كان عنده من النساء سبي فطابت نفسه أن يرده فليرده * ومن أبى فليرد عليهم ذلك قرضا علينا بكل انسان ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم * ولما فرق صلى الله عليه وسلم النداء نادى مناديه ألا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرئن بحيضة * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قال أصبنا سبايا يوم حنين وكنا نلتمس فداءهن فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال اصنعوا ما بدا لكم فما قضى الله فهو كائن وليس من كل الماء يكون الولد * قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وكانت اليهود تزعم أن العزل الموؤدة الصغرى * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت اليهود ولو أراد الله أن يخلقه لم يستطع أحد أن يصرفه * وجاء لو ان الماء الذي يكون منه الولد أهرقته على صخرة لاخرج الله منها ولدا * وقد جاء في الحديث ما قالت اليهود في مسلم وابن ماجه العزل الوأد الخفي أي لان التحرز عن الولد بالعزل كدفنه حيا فليتأمل * وقد مر الكلام على ذلك مبسوطا والفريضة البعير الذي يؤخذ في الزكاة لانه فرض وواجب على رب المال وإلى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

من فضلا على هوازن اذ * كان له قبل ذاك فيهم رباء
وأتى السبي فيه أخت رضا * ع وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت النا * س به انما السباء هداء
بسط المصطفى لها من رداء * أى فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهي سيدة النسـ * ـوة والسيدات فيه اماء

* أي أعتق صلى الله عليه وسلم هوازن قبيلة أمه من الرضاعة التي هي حليمة السعدية وكانوا ستة آلاف آدمي * وانما أعتقهم لاجل أنه صلى الله عليه وسلم كان له وهو طفل فيهم رباء بفتح الراء والمد أي تربيته فيهم ولاجل أن أخته من الرضاع أتت في ذلك السبي وتلك الاخت صغر كفرها وسباؤها قدرها الرفيع بأخوته صلى الله عليه وسلم فأعطاها براء وفعل معها معروفا * حتى وقع في وهم الحاضرين بسبب ذلك ان سباءها هداء بكسر الهاء كالعروس التي تهدى لزوجها * ومن بره صلى الله عليه وسلم أنه بسط لها رداءه لتجلس عليه أي شرف لذلك الرداء شرف عظيم لا غاية له بسبب مماسته جسدا شريفا فصارت في ذلك السبي سيدة من فيه من النساء وصارت السيدات التي فيه بالنسبة اليها اماء وليتأمل الجمع بين كون أخته المذكورة هي الشافعة في السبي وقبلت شفاعتها وبين كون السائل فيهم هوازن * والاصل اقتصر على سؤال الوفد ورد جميع السبي ولم يتخلف منه أحد الا عجوز من عجائزهم كانت عند عيينة بن حصن أبى أن يردها وقال حين أخذها أرى عجوزا انى لاحسب أن لها في الحي نسبا وعسى أن يعظم فداؤها * ثم ردها بعد ذلك بعشر من الابل * وقيل بست أخذ ذلك من ولدها بعد أن

سلومه فيها مائة من الابل * وقال له ولدها والله ماندبها ابناها هدولا بطنها ابوالد ولاقومها بارد ولاصباحها بواحد أى يحزن لغواتها ولاردهاابنا كدها المنون أى غزير وهو من الاضداد * وقيل قائل ذلك له زهير * وقد يقال لامخالفة لجواز أن يكون زهير هو ولدها فقال عيينة خذها لابارك الله لك فيها * قال وذلك ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم دعا على من أبى أن يرد من السبي أن يخس أى يكسد فان ولدها دفع له فيها مائة من الابل فأبى ثم غاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بالمائة فقال لا أدفع الا خمسين فأبى فغاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بخمسين فقال لا أدفع الا خمسة وعشرين فأبى فغاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بالخمسة والعشرين فقال لا آخذها الا بعشرة * وفى رواية الا بستة فقال له ما تقدم * ولما أخذها ولدها قال لعيينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسى السبي قبطية قبطية فقال لا والله ماذاك لها عندى فما فارقها حتى أخذ لها منه ثوبا والقبطية بضم القاف وهى ثوب أبيض من ثياب مصر منسوب للقبط وهم أهل مصر وضم القاف من التغيير فى النسب * أى وفى كلام بعضهم وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا أن يقدم مكة فيشترى للسبي ثياب المقعد فلا يخرج الحر منهم الا كاسيا * قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس أهل مالك بن عوف النصيرى بمكة عند عمتهم أم عبد الله بن أبى أمية وكلمه الوفد فى ذلك فقالوا يارسول الله أولئك ساداتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أريد بهم الخير ولم يجز أن تجرالسهمان فى مال مالك بن عوف وقال صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن مافعل مالك قالوا يارسول الله هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه أنه ان أتانى مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل * فلما بلغ مالكا ماصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قومه وأن ماله وأهله موفور وما وعده به نزل من الحصن مستخفيا خوفا أن تحبسه ثقيف اذا علموا الحال وركب فرسه وركضه حتى أتى للدهناء محلا معروفا وركب راحلته ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه بالجعرانة وأسلم ورد عليه أهله وماله واستعمله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من هوازن فكان لا يقدر على سرح لثقيف الا أخذه ولا رجل الا ميله * وكان رضى الله عنه يرسل بالخمس مما يغنم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى * أى وجاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المحل الذى هو الجعرانة * وهو المراد بقول بعضهم وهو بحنين لان المراد منصرفه من غزوة حنين وعلى ذلك الاعرابى جبة وهو متضمخ

بخلوق أى بصفرة طيب هو وأسه وقد أحرم بعمرة فقال أفتنى يا رسول الله * وفى رواية قال له كيف ترى فى رجل أحرم فى جبة بعد ما تضمخ بطيب فسكت ساعة ثم نزل عليه الوحى فلما سرى عنه قال أين السائل عن العمرة أخلع عنك الجبة واغسل عنك أثر الخلوق * وفى رواية قال له صلى الله عليه وسلم ما كنت تصنع فى حجك قال كنت أنزع هذه الجبة وأغسل هذا الخلوق فقال صلى الله عليه وسلم اصنع فى عمرتك ما كنت صانعا فى حجك واستدل لذلك من يقول بحرمة التطيب قبل الاحرام بما يبقى عند الاحرام والراجح عند امامنا الشافعى رضى الله عنه استحباب ذلك وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل فوقف على رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى لى عندك موعدا * فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فاحتكم فقال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال صلى الله عليه وسلم هى لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه الصلاة والسلام التى دلته على عظام يوسف عليه الصلاة والسلام كانت أحزم وأجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه الصلاة والسلام فقالت حكمى أن ترد فى شابة وأدخل معك الجنة كذا ذكره الغزالى رحمه الله * قال السخاوى وهذا أخرجه ابن حبان والحاكم وصحح اسناده وفيه نظر كما قال العراقى * وهذا أصل فى عدم اخلاف الموعد بالخير * ونقل الامام النووى رحمه الله أن جماعة ذهبوا الى وجوب الوفاء بذلك * ووجهه السبكى رحمه الله بأن اخلاف الوعد كذب والكذب حرام وترك الحرام واجب * وذكر الغزالى رحمه الله أن اخلاف الوعد لا يكون كذبا الا اذا عزم حين الوعد على عدم الوفاء * أى ويدل لذلك ما جاء عن عبد الله بن ربيعة * قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لالعب فقالت أمى يا عبد الله تعال أعطيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت أن تعطيه قالت أردت أن أعطيه تمرا قال لو لم تفعلى كتبت عليك كذبة وأحرم صلى الله عليه وسلم من الجعرانة * ودخل مكة ليلا حتى استلم الحجر * ثم رجع من ليلته وأصبح بها كبائت * وفى لفظ أصبح بمكة كبائت وفيه نظر ولم يسق هديا فى هذه العمرة * وحلق رأسه وكان الحالق لرأسه الشريف أبا هند الحجام وقيل أبو خراش بن أمية الذى حلق رأسه صلى الله عليه وسلم فى الحديبية وأتى بأعمال العمرة بعد أن أقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة وقال اعتمر منها سبعون نبيا

(غزوة تبوك)

بعدم الصرف للعلمية والتأنيث ووقع فى البخارى صرفها نظرا للموضع * أى وبقال

الفاغزوة العسرة تبوك لما الفاضحة لانها أظهرت حال كثير من المنافقين فى شهر رجب سنة تسع أى بلا خلاف * ووقع فى البخارى أنها كانت بعد حجة الوداع قيل وهو غلط من النساخ بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وأنهم قدموا مقدماتهم الى البلقاء أهل المعروف هاء أى و ذكر بعضهم أن سبب ذلك أن متنصرة العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذى قد خرج يدعى النبوة هلك وأصابت أصحابه سنون أهلكت أموالهم فبعث رجلا من عظمائهم وجهز معه أربعين ألفا * أى ولم يكن لذلك حقيقة * أى وانما ذلك شىء قيل لمن يبلغ ذلك المسلمين ليرجف به * وكان ذلك فى عسرة فى الناس وجدب فى البلاد أى وشدة من نحو الحر وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم * أى وكونه عند طيب الثمار * يؤيد قول عروة بن الزبير أن خروجه صلى الله عليه وسلم لتبوك كان فى زمن الخريف * ولا ينافى ذلك وجود الحر فى ذلك الزمن لان أوائل الخريف وهو الميزان يكون فيه الحر * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة الا كنى عنها وورى بغيرها الا ما كان من غزوة تبوك لبعد المشقة وشدة الزمان أى وكثرة العدو وليأخذ الناس أهبتهم وأمر الناس بالجهاز لهم أى وبعث الى مكة وقبائل العرب ليستنفرهم وحض أهل الغنى على النفقة والحمل فى سبيل الله * أى أكد عليهم فى طلب ذلك * وهى آخر غزواته صلى الله عليه وسلم وأنفق عثمان بن عفان رضى الله عنه نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها وسلم كان جهز عشرة آلاف أنفق عليها عشرة آلاف دينار غير الابل والخيل وهى تسعمائة بعير ومائة فرس * والزاد وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به الاسقية * أى وفى كلام بعضهم أنه أعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرسا وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض * أى وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل الى أن طلع الفجر رافعا يديه الكريمتين يدعو لعثمان بن عفان يقول اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه وجاء أنه صلى الله عليه وسلم * قال سألت ربى أن لا يدخل النار من صاهرته أو صاهرنى * وجاء رضى الله عنه بألف دينار فصبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم يرددها مرارا انتهى * وفى رواية جاء بعشرة آلاف دينار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيديه ويقلبها ظهرا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت * وما

كان معك وما هو كائن الى يوم القيامة ما بالى ما عمل بعدها * أى وقيل ان تلك
العشرة الآلاف هى التى جهز بها العشرة الآلاف انسان وأنها غير الالف التى
صبها فى حجره صلى الله عليه وسلم وأنفق غير عثمان أيضا من أهل الغنى *
وكان أول من جاء بالنفقة أبو بكر الصديق رضى الله عنه جاء بجميع ماله أربعة
آلاف درهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلك شيأ قال
أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنصف ماله فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلك شيأ قال النصف الثانى * وجاء
عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائة أوقية * أى ومن ثم قيل عثمان بن
عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما كانا خزانتين من خزائن الله فى الارض
ينفقان فى طاعة الله تعالى وجاء العباس رضى الله عنه بمال كثير وكذا طلحة رضى
الله عنه وبعثت النساء رضى الله عنهن بكل ما يقدرون عليه من حليهن وتصدق
عاصم بن عدى رضى الله عنه بسبعين وسقا من تمر انتهى * ثم جاءه صلى الله
عليه وسلم جمع أى سبعة أنفس من فقهاء الصحابة يستحملونه أى يسألونه أن يحملهم
فقال صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحملكم عليه * وعند ذلك تولوا وأعينهم
تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون أى ما يحملهم * ومن ثم قيل لهم
البكاؤن * ومنهم العرباض بن سارية رضى الله عنه ولم يذكره القاضى البيضاوى
فى السبعة وحمل العباس رضى الله عنه منهم اثنين وحمل منهم عثمان رضى الله عنه
بعد الجيش الذى جهزه ثلاثة * أى وحمل يامين بن عمر والنضر بن حرام حين اليهما
ناضحا له وزود كل واحد منهما صاعين من تمر وعدهم مغلطاى ثمانية وفى البخارى
عن أبى موسى الاشعرى * قال أرسلنى أصحابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله الحملان
لهم فقلت يا نبى الله ان أصحابى أرسلونى اليك لتحملهم فقال والله لا أحملكم على شىء
* وفى رواية والله لا أحملكم ولا أجد ما أحملكم عليه فرجعت حزينا الى أصحابى
من منع النبى صلى الله عليه وسلم ومن مخافة أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم
وجد فى نفسه حيث حلف على أن لا يحملهم قال فرجعت الى أصحابى فأخبرتهم
الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم فلم ألبث الا سويعة اذ سمعت بلالا ينادى أين
عبد الله بن قيس فأجبته قال أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك * فلما
أتيته قال خذ هذه الستة أبعرة فانطلق بها الى أصحابك * زاد بعضهم فعند ذلك
قال بعضهم لبعض أغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى حملناه على عين الغفلة
* وقد حلف أن لا يحملنا ثم حملنا فوالله لا يبارك لنا فى ذلك فأتوه فذكروه فقال عليه

الصلاة والسلام أنا ما حملتكم الله حملكم فقال إني لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير أي فهو صلى الله عليه وسلم انما حلف أن لا يتكلف لهؤلاء حملا بقرض ونحوه ما دام لا يجد لهم حملا فلا حنث وفيه ان هذا لا يناسب قوله اني لا أحلف الى آخره وأجيب بأن هذا استثنيات قاعدة لا تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم حنث في يمينه بل خرج الكلام على تقدير كأنه قال لو حنثت في يميني حيث كان الحنث خيرا وكفرت عنها لكان ذلك شرعا واسعا بل ندبا راجحا ويؤيده أنه لم ينقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن اليمين وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هذا وما قبله وقد يقال ان حمل العباس رضي الله عنه ثنين منهم الى آخره ✽ كان قبل وجود هذه الابعرة الستة أو يدعى ان هؤلاء غير من تقدم ✽ فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بالناس وهم ثلاثون ألفا ✽ أي وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف فرس وقيل بزيادة ألفين وخلف على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري على ما هو المشهور ✽ قال الحافظ الدمياطي رحمه الله وهو أثبت عندنا ✽ وقيل سباع بن عرفطة أي وقيل ابن أم مكتوم وقيل علي بن أبي طالب قال ابن عبد البر وهو الاثبت هذا كلامه وفي كلام ابن اسحاق وخلف عليا كرم الله وجهه على أهله وأمره بالاقامة فيهم وتخلف عنه عبد الله بن أبي بن سلول ومن كان من المنافقين بعد ان خرج بهم وعسكر عبد الله بن أبي على ثنية الوداع ✽ أي أسفل منها لان عسكره صلى الله عليه وسلم كان على ثنية الوداع وكان عسكر عبد الله بن أبي أسفل منه ✽ قال ابن اسحاق رحمه الله وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين أي وا تعبير عن ذلك بالزعم واضح لانه يبعد أن يكون عسكر عبد الله مساويا لعسكره صلى الله عليه وسلم فضلا عن كونه أكثر منه فليتأمل وقال عند تخلفه يغزو محمد بني الاصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد أي ما لا طاقة له به يحسب محمد أن قتال بني الاصفر معه اللعب والله لكأني أنظر الى أصحابه مقرنين في الحبال ويقول ذلك ارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه ✽ أي وقيل للروم بنو الاصفر لانهم ولد روم بن العيص بن اسحاق نبي الله عليه السلام ✽ وكان يسمى الاصفر لصفرة به فقد ذكر العلماء بأخبار القدماء أن العيص تزوج بنت عمه اسماعيل فولدت له الروم ✽ وكان به صفرة فقيل له الاصفر وقيل الصفرة كانت بابيه العيص ✽ ولما ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع متوجها الى تبوك ✽ عقد الالوية والرايات فدفع لواءه الاعظم لابي بكر الصديق رضي الله عنه ورايته صلى الله عليه وسلم

العظمى الى الزبير رضي الله عنه ودفع راية الاوس لاسيد بن حضير رضي الله عنه وراية الخزرج الى الحباب بن المنذر رضي الله عنه ودفع لكل بطن من الانصار ومن قبائل العرب لواء وراية أي لبعضهم راية ولبعضهم لواء * وكان قد اجتمع جمع من المنافقين أي في بيت سويلم اليهودي *فقال بعضهم لبعض أتحسبون جلاد بني الاصفر أي وهم الروم كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأنهم يعني الصحابة غدا مقرنين في الحبال يقولون ذلك ارجافا وترهيبا للمؤمنين والجلاد الضرب بالسيوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك لعمار بن ياسر رضي الله عنهما أدرك القوم فانهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا فان أنكروا فقل بل قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه وقالوا انما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله تعالى ولئن سألتهم ليقولون انما كنا نخوض ونلعب وقال صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس ياجد هل لك في جلاد بني الاصفر قال يارسول الله أو تأذن لي أي في التخلف ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي انه مامن رجل أشد عجبا بالنساء مني واني أخشى ان رأيت نساء بني الاصفر أن لا أصبر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فأنزل الله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الآية وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال أغزوا تبوك تغنموا بنات الاصفر نساء الروم فقال قوم من المنافقين ائذن لنا ولا تفتنا فأنزل الله تعالى الآية ألا في الفتنة سقطوا أي التي هي التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة عنه * وفي لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال للجد بن قيس ياأبا قيس هل لك أن تخرج معنا لعلك تحتقب أي تردف خلفك من بنات الاصفر فقال ماتقدم * وعند ذلك لامه ولده عبد الله رضي الله عنه وقال له والله ماينعك الا النفاق وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجه ولده فلما نزلت الآية قال له ألم أقل لك فقال له اسكت يالكع فوالله لانت أشد على من محمد *وفي رواية ان الجد بن قيس لما امتنع واعتذر بما تقدم * قال النبي صلى الله عليه وسلم ولكن أعنك بمالك فأنزل الله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم وتقدم انه لم يبايع بيعة الرضوان وتقدم انه تاب من النفاق وحسنت توبته وأنه صلى الله عليه وسلم قال لبني ساعدة من سيدكم فقالوا الجد ابن قيس على بخل فيه فقال وأي داء أدوأ من البخل قالوا يارسول الله من سيدنا فقال بشر بن البراء بن معرور *وفي رواية سيدكم الجعد الابيض عمرو بن الجموح *وذكر ابن عبد البر أن النفس أميل الى الاول ومات الجد بن قيس في خلافة

عثمان رضي الله عنه * وقال بعض المنافقين لبعض لا تنفروا في الحر فأنزل الله تعالى قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون أي يعلمون * وجاء المعذرون أي وهم الضعفاء والمقلون من الاعراب ليؤذن لهم في التخلف فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا * وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراءة على الله ورسوله وقد عناهم الله تعالى بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله * قال السهيلي وأهل التفسير يقولون ان آخر براءة نزل قبل أولها وان أول ما نزل منها انفروا خفافا وثقالا * قيل معناه شبابا وشيوخا وقيل أغنياء وفقراء وقيل أصحاب شغل وغير ذي شغل * وقيل ركبانا ورجالا ثم نزل أولها في نبذ كل ذي عهد الى صاحبه كما تقدم * وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من غير عذر وكانوا ممن لا يتهم في اسلامه * ولما خلف صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه أرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وحين قيل فيه ذلك أخذ علي كرم الله وجهه سلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا نبي الله زعم المنافقون أنك ما خلفتني الا استثقلتني وتخففت مني فقال كذبوا ولكنني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي أي فان موسى عليه السلام حين توجه الى ميقات ربه استخلف هارون عليه السلام في قومه فرجع علي الى المدينة * وعن علي كرم الله وجهه * قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة وخلف جعفرا في أهله فقال جعفر والله لا أتخلف عنك فخلفني فقلت يا رسول الله أتخلفني الى شيء تقول قريش أليس يقولون ما أسرع ما خذل ابن عمه وجلس عنه وأخرى أبتغي الفضل من الله لاني سمعت الله يقول ولا يطؤون موطأ يغيظ الكفار الآية فقال أما قولك أن تقول قريش ما أسرع ما خذل ابن عمه وجلس عنه فقد قالوا اني ساحر واني كاهن واني كذاب * وأما قولك تبتغي الفضل من الله فلك بي اسوة أي حيث تخلفت عن بعض مواطن القتال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام أي ولم يتخلف عنه علي كرم الله وجهه في مشهد من المشاهد الا في هذه الغزوة وادعت الرافضة والشيعة ان هذا من النص التفصيلي على خلافة علي كرم الله وجهه قالوا لان جميع المنازل الثابتة لهارون من موسى سوى النبوة ثابتة لعلي كرم الله وجهه من النبي صلى الله عليه وسلم والا لما صح الاستثناء أي استثناء النبوة بقوله الا انه لا نبي بعدي ومما ثبت لهارون من موسى استحقاقه الخلافة عنه

لو عاش بعده أى دون النبوة * ورد بأن هذا الحديث غير صحيح كما قاله الآمدى وعلى
تسليم صحته بل صحته هى الثابتة لانه فى الصحيحين فهو من قبيل الاحاد وكل من
الرافضة والشيعة لا يراه حجة فى الامامة وعلى تسليم أنه حجة فلا عموم له بل المراد
ما دل عليه ظاهر الحديث أن عليا كرم الله وجهه خليفة عن النبى صلى الله عليه
وسلم فى أهله خاصة مدة غيبته بتبوك كما أن هارون كان خليفة عن موسى فى قومه
مدة غيبته عنهم للمناجاة فعلى تسليم أنه عام لكنه مخصوص والعام المخصوص
غير حجة فى الباقى أو حجة ضعيفة * وقد استخلف صلى الله عليه وسلم فى مرار أخرى
غير على فيلزم أن يكون مستحقا للخلافة * وصار بعد مسيره صلى الله عليه وسلم
يتخلف عنه الرجل فيقال تخلف فلان فيقول دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله
بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه * وكان ممن تخلف عن مسيره معه صلى
الله عليه وسلم أبو خيثمة * ولما أن سار صلى الله عليه وسلم أياما دخل
أبو خيثمة على أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشتين لهما فى حائط قد رشت
كل منهما عريشتها وبردا فيها ماء وهيأ طعاما وكان يوما شديد الحر فلما دخل نظر
الى امرأتيه وما صنعتا فقال رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحر
وأبو خيثمة فى ظل بارد وماء مهيأ وامرأة حسناء ما هذا بالمنصف ثم قال والله
لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيئا لى
زادا ففعلتا * ثم قدم ناضحه فارتحله وأخذ سيفه ورمحه كما فى الكشاف * أى ثم خرج
فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل بتبوك * وقد كان
أبو خيثمة أدرك عمير بن وهب فى الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فترافقا حتى دنوا من تبوك فقال أبو خيثمة لعمير ان لى ذنبا فلا عليك أن تتخلف
عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل * فلما دنا أبو خيثمة قال الناس
هذا راكب مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فقالوا
يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى لك يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا * ودعا له
بخير أى وأولى لك كلمة تهدد وتوعد * ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر
ديار ثمود سجى ثوبه على رأسه واستحث راحلته * وقال لا تدخلوا بيوت الذين
ظلموا الا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم أى لان البكاء يتبعه التفكر
والاعتبار فكأنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتفكر فى أحوال توجب البكاء من

تقدير الله عز وجل على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وامهالهم مدة طويلة ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه وهو سبحانه يقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته الى مثل ذلك * ونهى صلى الله عليه وسلم الناس أن يشربوا من مائها شيأ وأن لا يتوضؤا به للصلاة وان لا يعجن به عجين وأن لا يحاس به حيس ولا يطبخ به طعام وأن العجين الذي عجن به أو الحيس الذي فعل به يعلفونه الابل وان الطبيخ الذي طبخ به يلقى ولا يأكلون منه شيأ * ثم ارتحل بالناس أي لا زال سائرا حتى نزل على البئر التي كانت تشرب منه الناقة وأخبرهم صلى الله عليه وسلم أنها تهب عليهم الليلة ريح شديدة * أي وقال من كان له بعير فليشد عقاله ونهى الناس في تلك الليلة عن أن يخرج واحد منهم وحده بل معه صاحبه فخرج شخص وحده لحاجته فخنق وخرج آخر كذلك في طلب بعيره له فاحتمله الريح حتى ألقته بجبل طيء فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم الا ومعه صاحبه ثم دعا الذي خنق فشفي والذي ألقته الريح بجبل طيء فارسلته طيء له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة * وفي سيرة الحافظ الدمياطي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر فكان يطوف في أصحابه على العسكر ثم أصبح الناس ولا ماء معهم أي وحصل لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم حتى حملهم ذلك على نحر ابلهم ليشقوا أكراشها ويشربوا ماءها فعن عمر رضي الله عنه خرجنا في حر شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده * وفي لفظ على صدره فشكوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم * أي قال له أبو بكر يا رسول الله قد عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا قال أتحب ذلك قال نعم فدعا أي ورفع يديه فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون اليه * قال وذكر بعضهم أن تلك السحابة لم تتجاوز العسكر وأن رجلا من الانصار قال لآخر متهم بالنفاق ويحك قد ترى فقال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله تعالى وتجعلون رزقكم أي بدل شكر رزقكم أنكم تكذبون حيث تنسبونه للانواء * وقيل له انه قال له ويحك هل بعد هذا شيء قال سحابة مارة انتهى * وفي لفظ أنهم لما شكوا اليه صلى الله عليه وسلم شدة العطش قال صلى الله عليه وسلم لعلي لو استسقيت لكم فسقيتم قلتم هذا بنوء كذا وكذا فقالوا يا نبي الله ما هذا بحين أنواء * فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ * ثم قام فصلى فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثار سحاب

فطر وادحتى سال بكل وادفر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يغرف بقدحه ويقول هذا نوء فلان فنزلت الآية وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه صلى الله عليه وسلم ليس غرضهم الا الغنيمة ان محمدا يزعم أنه نبي وانه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا وانى والله لا أعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها أنها في شعب كذا وكذا وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها فذهبوا فوجدوها كذلك فجاؤا بها * أى وتقدم له صلى الله عليه وسلم نظير هذا في غزوة بني المصطلق التي هي المريسيع ولا بعد في تعدد الواقعة ويحتمل أن يكون من خلط بعض الرواة * ولما سمع بذلك بعض الصحابة جاء الى رحله فقال لمن به والله لعجب في شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقالة قائل اخبره الله عنه وذكر المقالة فقال له بعض من في رحله هذه المقالة قالها فلان يعني شخصا في رحله أيضا قالها قبل أن تأتي بيسير فقال يا عباد الله في رحلي داهية وما أشعر أي عدو الله أخرج من رحلي ولا تصحبني فيقال انه تاب * ويقال انه لم يزل منها بشر حتى هلك * وتباطأ جمل أبي ذر رضي الله عنه لما به من الاعياء والتعب فتخلف عن الجيش فأخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فأدركه نازلا في بعض المنازل * أى وقيل مجيئه قالوا يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ولما أشرف على ذلك المنزل ونظره شخص يمشي فقال يا رسول الله ان هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكان كما قال صلى الله عليه وسلم أنه يموت وحده * فقدمات رضي الله عنه بالربذة لما أخرجه عثمان رضي الله عنه اليها أي فانه بعد موت أبي بكر رضي الله عنه خرج من المدينة الى الشام فلما ولي عثمان رضي الله عنه شكاه معاوية رضي الله عنه اليه فانه كان يغلظ على معاوية في بعض أمور تقع منه فاستدعاه عثمان رضي الله عنه من الشام ثم أسكنه الربذة ولم يكن معه الا امرأته وغلامه فوصاهما عند مرضه أن غسلاني وكفناني ثم احملاني على قارعة الطريق فأول من يمر بكم قولا له هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه فلما مات رضي الله عنه

غلامه ذلك وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق فوجدوا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطؤها * فقام اليهم الغلام وقال هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه فواروه * ثم حدثهم عبد الله بن مسعود خبره * أي وفي الحدائق عن أم ذر قالت لما حضرت أباذر الوفاة بكيت فقال ما يبكيك قلت ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الارض ولابد لنا من معين على دفنك وليس معنا ثوب يسعك كفنا فقال لا تبكي وأبشري فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد الا وقد مات في قرية واني أنا الذي أموت بالفلاة والله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت * وفي رواية ما كذبت ولا كذبت فانظري الطريق فقالت قد ذهبت الحاج وتقطعت السبل فقال أنظري فقالت كنت أشتد الى الكثيب فأقوم عليه ثم أرجع اليه فأمرضه فبينما أنا كذلك اذا أنا برجال على رواحلهم كأنهم الرخم فألحت بثوبي فأسرعوا الي ووضعوا السياط في نحورها يستقبلون الي فقالوا مالك يا أمة الله فقلت امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه قالوا من هو قلت أبوذر قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم فأسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم وقال أبشروا انكم عصابة من المؤمنين وحدثهم الحديث وقال والله لو كان لي ثوب لما مايسعني كفنا ما كفنت الا فيه واني أنشدكم الله والاسلام لا يكفني منكم رجل كان أميرا ولا عريفا ولا بريدا أو نقيبا ولم يكن منهم أحد سلم من ذلك الا فتى من الانصار فقال والله لم أصب مما ذكرت شيأ اني أكفنك في ردائي هذا وثوبين معي من غزل أمي فمات فكفنه الفتى الانصاري ودفنه في النفر الذين معه * أقول يحتاج الى الجمع بين هذا وما تقدم * وقد يقال لا ينافي ذلك ما تقدم عن ابن مسعود رضي الله عنه لجواز أن يكون قدومه بعد أن كفن بكفن الانصاري ولا ينافي ذلك ما تقدم من قول الراوي فلما مات فعلا أي زوجته وغلامه ذلك أي غسله وتكفينه * ولا ينافي ذلك قول الغلام لابن مسعود ومن معه أعينونا على دفنه ولا ينافي ذلك قول الراوي هنا ودفنه أي الفتى الانصاري في النفر الذين معه لان ذلك يقال اذا اشتركوا مع غيرهم في ذلك وأبوذر رضي الله عنه اسمه جندب * وقيل اسمه سلمة بن جنادة وكان من أوعية العلم المبرزين

في الزهد والورع والقول بالحق ❋ وقد قال صلى الله عليه وسلم في حقه ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر وكان رضي الله عنه من الاقدمين في الاسلام ❋ قال ابن عبد البر كان خامس رجل أسلم فليتأمل ❋ وقال صلى الله عليه وسلم أبو ذر في أمتي شبيه عيسى ابن مريم في زهده وبعضهم يرويه من ينظر الى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر الى أبي ذر والى وجود ما أخبر صلى الله عليه وسلم عن أبي ذر من أنه يموت وحده أشار الامام السبكي رحمه الله في تائيته فقال

وعاش أبو ذر كما قلت وحده ❋ ومات وحيدا في بلاد بعيدة

❋ قال وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه قال لما كنا فيما بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فأسفر الناس بصلاتهم التي هي الفجر فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم فانتهى صلى الله عليه وسلم بعد أن توضأ ومسح خفيه لعبد الرحمن بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن ركعة وقام ليأتي بالركعة الثانية وقال لهم صلى الله عليه وسلم بعد فراغه أحسنتم وأصبتم ثم قال صلى الله عليه وسلم لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته انتهى أي ولعل هذا الا ينافي ما تقدم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس ❋ وقوله لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل خلف الصديق في هذه الغزوة حيث يصلي بالعسكر فليتأمل ❋ أي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن سيد من سادات المسلمين ولا يخالف هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أمته الا خلف أبي بكر أي في مرض موته لأن المراد صلاة كاملة أو تكرر الصلاة هذا ❋ وفي الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم فيما حكى القاضي عياض رحمه الله أنه لا يجوز لاحد أن يؤمه صلى الله عليه وسلم لانه لا يصح التقدم بين يديه في الصلاة ولا غيرها لا لعذر ولا لغيره ❋ وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون أحد شافعا له وقال أئمتكم شفعاؤكم ❋ ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتأمل ❋ ولما نزلوا تبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده غرفة من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت ❋ قال وعن حذيفة رضي الله عنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في الماء قلة أي ماء عين تبوك ❋ أي وقد قال لهم صلى الله

عليه وسلم انكم لتأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتي و مر صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي بذلك فجئناها فاذا العين مثل الشراك تبض من ماء وقد سبق اليها رجلان أي من المنافقين ومسا من مائها فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك * وفي رواية سبق اليها أربعة من المنافقين ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلا قليلا حتى اجتمع شيء في شن فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير * وفي رواية فجعلوا فيها سهاما دفعها صلى الله عليه وسلم لهم فجاشت بالماء والى ذلك أشار الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

فيوما بوقع النبل جئت بشربهم * ويوما بوقع الوبل جدت بسقيتي

* وحينئذ أي وحين اذ ثبت أنه صلى الله عليه وسلم جعل السهام في عين تبوك يسقط الاعتراض بأن وقع النبل لم يكن بتبوك * وانما كان بالحديبية على أن الذي بالحديبية انما هو غرز سهم واحد لا سهام فليتأمل * ثم قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا ملىء جنانا أي بساتين * وذكر ابن عبد البر رحمه الله عن بعضهم قال أنا رأيت ذلك الموضع كله حوالي تلك العين جنانا * خضرة نضرة وقبل قدومهم تبوك بليلة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كادت الشمس قيد رمح * أي وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لبلال اكلأ لنا الفجر فأسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه فقال ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر * وفي رواية أن بلالا رضي الله عنه قال لهم ناموا وأنا أوقظكم فاضطجعوا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال أين ما قلت قال يا رسول الله ذهب بي مثل الذي ذهب بك * أي وفي لفظ أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك * وقال صلى الله عليه وسلم للصديق ان الشيطان صار يهدىء بلالا للنوم كما يهدىء الصبي حتى ينام * ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا وسأله عن سبب نومه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما أخبر به النبي الصديق فقال الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم أشهد أنك رسول الله فانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزله غير بعيد ثم صلى وتقدم في خيبر أي في غزوة وادي القرى فانها كانت عند منصرفه من خيبر الخلاف في أي غزوة كان * وسار صلى الله عليه وسلم مسرعا بقية يومه وليلته فأصبح بتبوك * وفي منصرفه من تبوك قال أبو قتادة رضي الله عنه بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من تبوك وأنا معه اذ خفق خفقة

ودعم على راحلته فانتبه فقال من هذا فقلت أبوقتادة يارسول الله خفت أن تسقط فدعمتك فقال حفظك الله كما حفظت رسوله ثم سار غير كثير ثم فعل مثلها فدعمته فانتبه فقال ياأباقتادة هل لك فى التعريس فقلت ماشئت يارسول الله * فقال انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان أو ثلاثة فقال ادعهم فقلت أجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤا فعرسنا وفى رواية قال أبوقتادة رضى الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وأنا الى جنبه فنعس فمال عن راحلته فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا كان من آخر السحر مال ميلة هى أشد من الميلتين الاولتين حتى كاد يسقط فأتيته فدعمته فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبوقتادة قال متى كان هذا مسيرك منى قلت مازال هذا مسيرى منذ الليلة قال حفظك الله كما حفظت نبيه * وهذا تقدم فى منصرفه فى خيبر * ولامانع من التعدد ويحتمل أن هذا خلط وقع من بعض الرواة فليتأمل * ثم قال صلى الله عليه وسلم هل ترامن أحد يعنى من الجيش قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة * وفى رواية خمسة برسول الله صلى الله عليه وسلم فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق * ثم قال احفظوا علينا صلاتنا وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس فى ظهره فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضاة كانت معى فيها شىء من ماء فتوضأ منها وبقى فيها شىء * وفى رواية جرعة من ماء ثم قال لى احفظ علينا ميضاتك * وفى رواية أزدهر بها ياأباقتادة فسيكون لها نبأ الحديث وفى رواية ماأيقظنا الا حر الشمس فقلنا انا لله فاتنا الصبح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنغيظن الشيطان كما غاظنا فتوضأ من ماء الاداوة التى هى الميضاة ففضل فضل فقال ياأباقتادة احتفظ بما فى الاداوة واحتفظ بالركوة فان لهما شأنا فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بعد طلوع الشمس * وفى لفظ أن عمر رضى الله عنه هو الذى أيقظ النبى صلى الله عليه وسلم بالتكبير * أقول ظاهر هذه الرواية أنهم صلوا بمحلهم ولم ينتقلوا * وفى رواية قال لهم صلى الله عليه وسلم تحولوا عن مكانكم الذى أصابكم فيه غفلة * وفى لفظ ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان * وفى البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال كنا فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم وانا أسرينا حتى كنا فى آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى عند المسافر منها فما أيقظنا الا حر الشمس وكان صلى الله عليه وسلم اذا نام لم نوقظه حتى يكون هو يستيقظ لانا لاندرى مايحدث له صلى الله عليه وسلم فى نومه

أى من الوحى فكانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحى كما تقدم فى غزوة بنى المصطلق ❊ فلما استيقظ عمر رضى الله عنه ورأى ما أصاب الناس أى من فوات صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم ❊ وفى رواية أن الصديق رضى الله عنه استيقظ أولا ثم لا زال يسبح ويكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذى أصابهم أى من فوات صلاة الصبح ❊ قال لا ضير ارتحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودى بالصلاة فصلى بالناس وهذا كما ترى فيه التصريح بأن هاتين اليقظتين وقعتا فى غزوة تبوك الاولى عند ذهابهم لها والثانية عند منصرفهم منها ❊ وفى دلائل النبوة للبيهقى عن بعض الصحابة وبعد أن صلينا وركبنا جعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا فى صلاتنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى تهمسون دونى فقلنا يا رسول الله بتفريطنا فى صلاتنا قال أما لكم فى أسوة حسنة ثم قال ليس فى النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الاخرى ❊ وفى فتح البارى اختلف فى تعيين هذا السفر ففى مسلم أنه كان فى رجوعهم من خيبر قريب من هذه القصة ❊ وفى أبى داود أقبل النبى صلى الله عليه وسلم من الحديبية ليلا فنزل فقال من يكلؤنا فقال بلال أنا الحديث وفى مصنف عبد الرزاق ان ذلك كان بطريق تبوك ❊ وقد اختلف العلماء هل كان ذلك أى نومهم عن صلاة الصبح مرة أو أكثر فجزم الاصيلى رحمه الله بأن القصة واحدة وتعقبه القاضى عياض رحمه الله بأن قصة أبى قتادة مغايرة لقصة عمران بن حصين ❊ ومما يدل على تعدد القصة اختلاف مواطنها ❊ وفى الطبرانى قصة شبيهة بقصة عمران وان الذى كلأ لهم الفجر ذو مخبر قال ذو مخبر فما أيقظنى الا حر الشمس فجئت أدنى القوم فأيقظته وأيقظ الناس بعضهم بعضا حتى استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم فليتأمل وتقدم عن الامتاع ❊ قال عطاء بن يسار ان ذلك كان فى تبوك وهذا لا يصح والا فآثار الصحاح على خلاف قوله مسندة ثابتة والله أعلم واستشكل ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا ❊ وقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة ❊ وقد قالت له أتنام قبل أن توتر قال تنام عينى ولا ينام قلبى ❊ وأجيب عنه بأجوبة أحسنها أن القلب انما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والالم ولا يدرك ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر ومن الاجوبة أنه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه عينه وقلبه ونوم تنام فيه عينه فقط

* وينبغي أن يكون هذا الشأن في أغلب أحواله وان كان الانبيا عليهم الصلاة والسلام مثله في ذلك ويكون قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا أي غالبا ويكون هذا حاله دائما وأبدا اذا كان متوضأ لقولهم انه لا ينتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم بالنوم وفي جعله العين محلا للنوم نظر لان العين انما هي محل السنة ومحل النعاس الرأس ومحل النوم القلب * قال الحافظ السيوطي وكون القلب محلا للنوم دون العين لا يشكل عليه قوله صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي لانه من باب المشاكلة وفيه بحث هذا كلامه * واستشكل قوله صلى الله عليه وسلم ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفي لفظ ارتحلوا فان هذا وادبه شيطان بأنه يقتضي تسلط الشيطان على النبي صلى الله عليه وسلم لان الظاهر ان وجود الشيطان هو السبب في النوم عن الصلاة * وأجيب بأنه على تسليم ذلك فان تسليطه انما كان على من كان يحفظ الفجر بلال أو غيره في بعض الروايات كما تقدم أن الشيطان أتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام * ثم لحق صلى الله عليه وسلم بالجيش * وقبل لحوقه صلى الله عليه وسلم بهم قال لاصحابه ماترون الناس يعني الجيش فعلوا قالوا الله ورسوله أعلم فقال صلى الله عليه وسلم لو أطاعوا أبا بكر وعمر رشدوا وذلك أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فأبوا ذلك عليهما فنزلا على غير ماء بفلاة من الارض لا ماء بها عند زوال الشمس * وقد كادت أعناق الخيل والركاب تقع عطشا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أين صاحب الميضاة قيل هو ذا يا رسول الله قال جئني بميضاتك فجاء بها وفيها شيء من ماء * وفي رواية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركوة فأفرغ ما في الاداوة فيها ووضع أصابعه الشريفة عليها فنبع الماء من بين أصابعه وأقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا ورووا خيلهم وركابهم * وكان في العسكر من الخيل اثنا عشر ألف فرس أي على ما تقدم ومن الابل خمسة عشر ألف بعير والناس ثلاثون ألفا وقيل سبعون ألفا وواضح ان هذه العطشة غير المتقدمة التي دعا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر * وفي كلام بعضهم أنه لما حصل للقوم العطش أرسل صلى الله عليه وسلم نفرا ويقال عليا والزبير يستعرضون الطريق وأعلمهم ان عجوزا تمر بهم في محل كذا على ناقة معها سقاء ماء فقال لهم صلى الله عليه وسلم اشتروا منها اعاعزوهان وأتوا بها مع الماء فلما بلغوا المكان اذا بالمرأة ومعها السقاء * وفي رواية اذ نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسألوها في الماء فقالت أنا

وأهلى أحوج اليه منكم فسألوها أن تأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فأبت وقالت من هو رسول الله لعله الساحر * وفى رواية الذى يقال له الصابىء وخير الاشيأ انى لا آتيه فشدوها وثاقا وأتوا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم خلوا عنها * وفى رواية قلنا لها أين الماء قالت اهاه اهاه لا ماء لكم بينكم وبين الماء مسيرة يوم وليلة * ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أتأذنين لى فى الماء ولتصيبن ماءك كما جئت به فقالت شأنكم فقال صلى الله عليه وسلم لابى قتادة هات الميضاة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب فى الميضاة ماء قليلا * ثم وضع يده الشريفة فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما تركوا معهم اناء الا ملاؤه وروّوا ابلهم وخيلهم وبقى فى الميضأة ثلثاها والميضأة هى الاداوة لانه يتوضأ منها * وفى الدلائل للبيهقى فجعل فى اناء من مزادتيها ثم قال فيه ما شاء الله أن يقول زاد فى رواية ثم مضمض ثم ردّ الماء فى المزادتين وأوكأ أفواههما وأطلق العزالى * ثم أمر الناس أن يملؤا آنيتهم وأسقيتهم ثم قال لها تعلمى والله ما رزأنا من مائك شيأ ولكن الله عز وجل هو الذى سقانا * والعزالى جمع عزلة والعزلة هى التى تجعل فى فم القربة لينزل فيها الماء من الراوية وهى المرادة بالمزادة * وهذا السياق يدل على أن هذه عطشة ثالثة لان الثانية وضع صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة التى صب فيها من الميضأة وهذه وضع يده فى الميضأة بعد ان لم يجدوا فى الميضأة شيأ * وفى رواية ان تلك المرأة أخبرته أنها موتمة أى لها صبيان أيتام فقال هاتوا ما عندكم فجمعنا لها من كسر وتمر وصر لها صرة * ثم قال لها اذهبى فأطعمى هذا عيالك * وفى رواية ايتاملك وصارت تعجب بما رأت ولما قدمت على أهلها قالوا لها لقد احتبست علينا قالت حبسنى أنى رأيت عجبا من العجب أرأيتم مزادتى هاتين فوالله لقد شرب منهما قريب من سبعين بعيرا وأخذوا من القرب والمزاد والمطاهر ما لا أحصى ثم هما الآن أوفر منهما يومئذ فلبثت شهرا عند أهلها ثم أقبلت فى ثلاثين راكبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت وأسلموا * وفى مسلم لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة بحيث صارت تمص التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها فقالوا يا رسول الله لو أذنت لنا فنحر نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله ان فعلت قل الظهر ولكن أدعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعلها فى ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يأتى بكف ذرة ويجىء الآخر بكف من تمر ويجىء الآخر بكسرة

حتى اجتمع على النطع من ذلك شئ يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة
ثم قال لهم خذوا فى أوعيتكم فأخذوا حتى ما تركوا فى العسكر وعاء الا ملؤه وأكلوا
حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله
وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة * وفى رواية الا وقاه
الله النار * وتقدم نظير ذلك فى الرجوع من غزوة الحديبية أى ولا مانع من التعدد
أو هو من خلط بعض الرواة ولعل هذا كان بعد أن ذبح لهم طلحة بن عبيد الله جزورا
فأطعمهم وأسقاهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت طلحة الفياض
وسماه يوم أحد طلحة الخير و يوم حنين طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر رضى
الله عنهم * وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال كنت فى غزوة تبوك على نحى
السمن فنظرت الى النحى وقد قل ما فيه وهيأت للنبى صلى الله عليه وسلم طعاما
ووضعت النحى فى الشمس ونمت فانتبهت بخرير النحى فقمت فأخذت رأسه بيدى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى لو تركته لسال الوادى سمنا * وعن
العرباض ابن سارية رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتبوك فقال ليلة لبلال هل من عشاء فقال والذى بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا
فقال انظر عسى أن تجد شيأ فأخذ الجرب ينفضها جرابا جرابا فتقع التمرة والتمرتان
حتى رأيت فى يده صلى الله عليه وسلم سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم
وضع يده الشريفة على التمرات وقال كلوا بسم الله فأكلنا ثلاثة أنفس وأحصيت
أربعا وخمسين تمرة أعدها عدا ونواها فى يدى الاخرى وصاحباى يصنعان كذلك
فشبعنا ورفعنا أيدينا فاذا التمرات السبع كما هى فقال يا بلال ارفعها فانه لا يأكل
منها أحد الا نهل شبعا فلما كان من الغد دعا صلى الله عليه وسلم بلالا بالتمرات فوضع
صلى الله عليه وسلم يده الشريفة عليهن ثم قال كلوا بسم الله فأكلنا حتى شبعنا
وانا لعشرة ثم رفعنا أيدينا واذا التمرات كما هى * فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لولا أنى أستحيى من ربى لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد الى المدينة من آخرنا
فأعطاهن غلاما فولى وهو يلوكهن وأتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك يحنة بضم
المثناة تحت وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء التأنيث بن رؤبة بالموحدة
صاحب أيلة وصحبته أهل جرباء وأذرح وأهل ... بقصر قريبة بالشام وأهل أذرح
بالذال المعجمة والراء المهملة المضمومة والحاء المهملة مدينة تلقاء السراة وأهل ميناء
وأهدى يحنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى
الله عليه وسلم بردا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعطاء الجزية أى

بعد أن عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له صلى الله عليه وسلم ولاهل أيلة كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة ابن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر * وكتب صلى الله عليه وسلم لاهل أذرح وجرباء ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي لاهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وان عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين وصالح صلى الله عليه وسلم أهل ميناء على ربع ثمارهم * وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال رأيت ونحن بتبوك شعلة من نار فى ناحية العسكر أى ضوء شمعة كما صرح به الجلال السيوطى رحمه الله حيث أجاب من سأله هل الشمع كان موجودا قبل البعثة وهل وقد عنده صلى الله عليه وسلم بأنه كان موجودا قبل البعثة * فقد ذكر العسكرى رحمه الله فى الاوائل أن أول من أوقده خزيمة الابرش * أى وقد تقدم وهو قبل البعثة بدهر وورد فى حديث أنه أوقد للنبي صلى الله عليه وسلم عند دفنه عبد الله ذا البجادين * قال وقد ألفت فى المسئلة تأليفا سميته مسامرة السموع فى ضوء الشموع * قال ابن مسعود رضى الله عنه فأتبعتها أنظر اليها فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر واذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات واذا هم قد حفروا له ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته وأبو بكر وعمر يدليانه وهو يقول أدليا الى أخاكما فأدلياه اليه فلما هيأه لشقه قال اللهم قد أمسيت راضيا عنه فارض عنه يقول ابن مسعود ياليتنى كنت صاحب الحفرة أى والبجاد بموحدة ككتاب الكساء المخطط الغليظ لانه لم يكن لعبد الله المذكور الا بجاد واحد فشقه نصفين فأتزر بواحد وارتدى بالآخر * وقدم المدينة وأسلم وقرأ قرآنا كثيرا وكان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله * ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك خرج معه وقال يارسول الله ادع الله لى بالشهادة فقال له صلى الله عليه وسلم ائتنى بلحاء شجرة أى بقشرها فأتاه بذلك فربطه صلى الله عليه وسلم على عضده وقال اللهم حرم دمه على الكفار قال يارسول الله ليس هذا ما أردت قال انك اذا أخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد فأخذته الحمى بعد الاقامة بتبوك أياما ومات بها أى وهذا هو المشهور

* وروى عن الادرع الاسلمي وكان في حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جئت ليلة أحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل ميت فقيل هذا عبد الله ذو البجادين توفي بالمدينة وفرغوا من جهازه وحملوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارفقوا به رفق الله بكم فانه كان يحب الله ورسوله * قال ابن الاثير وهذا حديث غريب لا يعرف الا من هذا الوجه وتقدم * وعن الحافظ السيوطي رحمه الله لما ذكر أنه أوقد للنبي صلى الله عليه وسلم الشمع عند دفنه عبد الله ذا البجادين * قال وقد دل ذلك على اباحة استعماله أي الشمع ولا يعد استعماله اسرافا مع قيام غيره من الادهان مقامه وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة * وفي سيرة الحافظ الدمياطي عشرين ليلة يصلي ركعتين ولم يجاوز تبوك ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن ذلك على تقدير صحته * قال وقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في مجاوزتها فقال له عمر رضي الله عنه ان كنت أمرت بالسير فسر فقال رسول الله صلى الله لو أمرت بالسير لم استشركم فيه فقال يا رسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمرا * وهذا تصريح بأن تبوك لم يقع بها مقاتلة ولا حصل فيها غنيمة وبه يرد ما ذكره الزمخشري في فضائل العشرة أنه صلى الله عليه وسلم جلس في المسجد يقسم غنائم تبوك فدفع لكل واحد سهما ودفع لعلي كرم الله وجهه سهمين فقام زائدة بن الاكوع وقال يا رسول الله أوحي نزل من السماء أم أمر من نفسك فقال صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله هل رأيتم في ميمنتكم صاحب الفرس الاغر المحجل والعمامة الخضراء لها ذؤابتان مرخاتين على كتفيه بيده حربة قد حمل بها على الميمنة فأزالها قالوا نعم قال هو جبريل عليه السلام وانه أمرني أن أدفع سهمه لعلي فقال زائدة حبذا سهم سهم * وخطب صلى الله عليه وسلم خطبة فيها أما بعد فان أحسن الحديث كتاب الله وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكم مخافة الله عز وجل والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون والسعيد من وعظ بغيره ومن يغفر يغفر له ومن يعف يعف الله عنه ومن يصبر على الرزية يعوضه الله استغفر الله لي ولكم وأهدى له صلى الله عليه وسلم بعض أهل الكتاب جبنة فدعا بالسكين فسمى الله وقطع وأكل * ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة وكان في الطريق ماء يخرج من وشل قليل جدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيأ حتى نأتيه

فسبق اليه نفر من المنافقين فاستقوا مافيه * فلما أتاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقف عليه فلم يجد فيه شيأ فقال من سبقنا الى هذا الماء فقيل له فلان
وفلان فقال أو لم أنههم ان يستقوا منه شيأ حتى آتيه ثم لعنهم ودعا عليهم
ثم نزل صلى الله عليه وسلم فوضع يده تحت الوشل فصار يصب في يده ماشاء الله
أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيده * ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء
أن يدعو به فانخرق من الماء وكان له حس كحس الصواعق فشرب الناس
واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم أو بقي منكم
أحد لتسمعن بهذا الوادي * وقد أخضب مابين يديه وما خلفه أي وهذا خلاف
عين تبوك الذي تقدم له صلى الله عليه وسلم فيها ما يشبه هذا * وقوله لمعاذ يامعاذ
يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ماهنا ملىء جنانا الى آخره لان تلك العين كانت
بتبوك وهذا عند منصرفه من تبوك * قال واجتمع رأي من كان معه صلى الله
عليه وسلم من المنافقين وهم اثنا عشر رجلا * وقيل أربعة عشر وقيل خمسة
عشر رجلا على أن ينكثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة التي بين
تبوك والمدينة فقالوا اذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي فأخبر الله
تعالى رسوله بذلك * فلما وصل الجيش العقبة نادى منادي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يسلك العقبة فلا
يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادي فانه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس
بطن الوادي وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة فلما سمعوا بذلك استعدوا
وتلثموا وسلكوا العقبة * وأمر صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر رضي الله عنهما
أن يأخذ بزمام الناقة يقودها وأمر صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان رضي الله
عنهما ان يسوق من خلفه * وفي الدلائل عن حذيفة قال كنت ليلة العقبة آخذا
بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوده وعمار بن ياسر يسوقه
أو أنا أسوقه وعمار يقوده أي يتناوبا ذلك فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير
في العقبة اذ سمع حس القوم قد غشوه فنفرت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة
أن يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه محجن فجعل يضرب به وجوه رواحلهم وقال اليكم اليكم يا أعداء الله فاذا هو
بقوم ملثمين * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم صرخ بهم فولوا مدبرين فعلموا
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مكرهم به فانحطوا من العقبة مسرعين

الى بطن الوادي واختلطوا بالناس فرجع حذيفة يضرب الناقة فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم
ملثمين والليلة مظلمة * وعن حمزة بن عمرو الاسلمي رضي الله عنه أنه كان يقول لما سقط
متاع النبي صلى الله عليه وسلم وأردت جمعه نورلي في أصابعي الخمس فأضاءت
حتى جمعت ماسقط حتى مابقي من المتاع شيء * وفي لفظ أن حذيفة رضي الله
عنه قال عرفت راحلة فلان وراحلة فلان قال هل علمت ماكان من شأنهم
وما أرادوه قال لا قال انهم مكروا ليسيروا معي في العقبة فيزحموني فيطرحوني منها
ان الله أخبرني بهم وبمكرهم وسأخبركما بهم واكتماهم فلما أصبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء اليه أسيد بن حضير فقال يارسول الله مامنعك البارحة من
سلوك الوادي فقد كان أسهل من سلوك العقبة فقال أتدري ما أراد المنافقون وذكر
له القصة فقال يارسول الله قدنزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل
الذي هم بهذا فان أحببت بين بأسمائهم والذي بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك
برؤسهم فقال صلى الله عليه وسلم اني أكره أن يقول الناس ان محمدا قاتل بقوم
حتى أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم فقال يارسول الله هؤلاء ليسوا
بأصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس يظهرون الشهادة ثم جمعهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا
ولا أرادوا الذي ذكر فأنزل الله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
الآية وأنزل الله تعالى وهموا بما لم ينالوا * ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اللهم ارمهم بالدبيلة وهي سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم
من صدورهم انتهى * أي وفي لفظ شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم
فيهلكه وفي الامتاع ان النبي صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك صلى الى نخلة فجاء
شخص فمر بينه وبين تلك النخلة بنفسه * وفي رواية وهو على حمار فدعا عليه
صلى الله عليه وسلم فقال قطع صلاتنا قطع الله أثره فصار مقعدا * وكان يقال
لحذيفة رضي الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حذيفة نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فأوحي اليه وراحلته باركة فقامت
تجر زمامها فلقيتها فأخذت بزمامها وجئت الى قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنختها ثم جلست عندها * حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته بها فقال
من هذا قلت حذيفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني مسر اليك سرا فلا تذكرنه
اني نهيت ان أصلي على فلان وفلان وعد جماعة من المنافقين * فلما توفي رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته اذا مات الرجل
ممن يظن به أنه من أولئك أخذ بيد حذيفة رضي الله عنه فناداه الى الصلاة عليه
فان مشى معه حذيفة صلى عليه عمر رضي الله عنه وان انتزع يده من يده ترك الصلاة
عليه * وقال صلى الله عليه وسلم عند انصرافه ان بالمدينة لاقواما ما سرتم مسيرا
ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا يارسول الله وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر ثم
أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أوان محل بينه وبين المدينة ساعة
من نهار * أى وقال البكرى أظن أن الراء سقطت من بين الهمزة والواو أى أروان
منسوب الى البئر المشهورة * وحين نزل صلى الله عليه وسلم أتاه خبر مسجد الضرار
فأنزل الله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية أى لاضرار أهل قباء أى فان
بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء حسدتهم اخوتهم بنو تميم بن عوف وقالوا نصلى
فى مربط حمار لا لعمر الله أى لانه كان لامرأة تربط فيه حمارها ولكنا نبنى
مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر
الراهب اذا قدم من الشام فيثبت لنا الفضل والزيادة على اخوتنا * وكان المسلمون
فى تلك الناحية كلهم يصلى فى مسجد قباء جماعة * فلما بنى هذا المسجد قصرفن
عن مسجد قباء جماعته وصلوا بذلك المسجد فكان به تفريق للمؤمنين فكانوا
يجتمعون فيه ويعيبون النبى صلى الله عليه وسلم ويستهزؤن به أى * ويقال ان
أبا عامر الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم فاسقا هو الآمر لهم ببنائه
وقال لهم ابنوا الى مسجدا واستمدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فانى ذاهب الى قيصر
ملك الروم فآتى بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه من المدينة وأنهم لما فرغوا
من بنائهم أرسلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم ويصلى فيه كما صلى فى مسجد
قباء فهم أن يأتيهم فأنزل الله تعالى الآية * وفى رواية أتوه صلى الله عليه وسلم
وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يارسول الله قد بنينا مسجد الذى العلة والحاجة والليلة
المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة قال انى
على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا ان شاء الله تعالى لاتيناكم فصلينا لكم فيه
* فلما قفل من السفر وسألوه اتيان المسجد جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء
فأمر جماعة منهم وحشى قاتل حمزة رضى الله عنهم * وقال لهم انطلقوا الى هذا
المسجد الظالم أهله فاحرقوه واهدموه على أصحابه ففعل به ذلك * قال وكان ذلك بين
المغرب والعشاء ووصل الهدم الى الارض وأعطاه صلى الله عليه وسلم لثابت بن
أرقم رضى الله عنه يجعله بيتا فلم يولد فى ذلك البيت مولود قط وحفر فيه بقعة فخرج

منها لدخان * ولعل هذا أي جعله بيتا كان بعد أن أمره صلى الله عليه وسلم أن يتخذه
محلا لالقاء الكناسة والجيفة * وفي الكشاف أن مجمع بن حارثة كان امامهم
في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب رضي
الله عنه في خلافته أن يأذن لمجمع بن حارثة أن يؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة
أليس بامام مسجد الضرار * فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم
والله يعلم أني لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا
للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القرآن شيأ فعذره وصدقه وأمره بالصلاة بهم
* ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة أسكننيها
ربي تنفي خبث أهلها كما ينفي الكير خبث الحديد ولما رأى صلى الله عليه وسلم
جبل أحد قال هذا أحد جبل يحبنا ونحبه وتقدم ما في ذلك في غزوة أحد * وعن
عائشة رضي الله عنها * ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تلقاه النساء
والصبيان يقلن طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله
داع * قال البيهقي رحمه الله وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه صلى الله عليه وسلم
المدينة من مكة لا انه عند مقدمه المدينة من تبوك هذا كلامه ولا مانع من تعدد
ذلك * ولما دنا صلى الله عليه وسلم من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تكلموا رجلا منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم
فأعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن
أبيه وأخيه انتهى * أي وعن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
غزا غزوة تبوك جهد الظهر جهدا شديدا حتى صاروا يسوقونه فشكوا اليه
صلى الله عليه وسلم ذلك ورآهم يسوقونه فوقف صلى الله عليه وسلم في مضيق
والناس يمرون فيه فنفخ في الظهر وقال اللهم احمل عليها في سبيلك فانك تحمل
على القوي والضعيف والرطب واليابس في البر والبحر فزال ما بها من الاعياء
وما دخلنا الا وهي تنازعنا أزمتها وجاء أن حية عارضتهم في الطريق عظيمة الخلقة
فانماز الناس عنها فأقبلت حتى وقعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على
راحلته طويلا والناس ينظرون اليها ثم التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت
قائمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم
قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا الي يستمعون القرآن أي بنخلة
عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف * وتقدم الكلام عليه فرأى عليه
من الحق حين ألم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببلده أن يسلم عليه وها هو

يقرئكم السلام فقال الناس وعليه السلام ورحمة الله * وقد كان تخلف عنه صلى الله عليه وسلم رهط من المنافقين وكانوا بضعة وثمانين رجلا وتخلف عنه أيضا كعب بن مالك وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكان من الاوس * وأما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون * فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ووكل سرائرهم الى الله واستغفر لهم * وأما الثلاثة فعن كعب بن مالك الخزرجي رضي الله عنه أنه قال لما جئته صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه تبسم تبسم المغضب وقال لي تعال فجئت حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك فصدقته وقلت والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك * وفي رواية قلت يارسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذره ولقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخط علي فيه ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه أني لارجو فيه عفو الله والله ما كان لي من عذر * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك * وقال الرجلان الآخران وهما مرارة بن الربيع وهلال ابن أمية وكان ممن شهد بدرا وهما من الاوس مثل قول كعب فقال لهما صلى الله عليه وسلم مثل ما قال لكعب ونهى صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم الناس فاما الرجلان فمكثا في بيوتهما يبكيان * وأما كعب فكان يشهد الصلاة مع المسلمين ويطوف بالاسواق فلا يكلمه أحد منهم * قال ولما طال ذلك علي من جفوة الناس تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله فسكت فعدت اليه فنشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار * قال وبينما أمشي بسوق المدينة اذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلني على كعب بن مالك فطفق أي جعل الناس يشيرون له حتى اذا جاءني دفع الي كتابا من ملك غسان أي وهو الحارث بن أبي شمر أو جبلة بن الايهم وكان الكتاب ملفوفا في قطعة من الحرير فاذا فيه أما بعد فانه بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأته وهذا أيضا من البلاء فيممت أي قصدت به التنور فسجرته بها أي القيته فيها * أي والانباط قوم يسكنون البطائح بين العراقين * قال حتى اذا مضت أربعون ليلة جاءني

رسول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا قال لا بل اعتزلها ولا تقربها * وأرسل صلى الله عليه وسلم الى صاحبي أي وهما هلال بن أمية ومرارة بن الربيع بمثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن لا يقربك قالت والله انه ما به من حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا * قال كعب فقال لي بعض أهلي * قال في النور الظاهر ان القائل له امرأة لان النساء لم يدخلن في النهي لان في الحديث ونهى المسلمين وهذا الخطاب لا يدخل فيه النساء فدل على أن المراد الرجال قالت لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب * ثم مضى بعد ذلك عشر ليال حتى كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح تلك الليلة سمعت صوتا فوق جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر فخررت ساجدا وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آذن أي أعلم بتوبة الله علينا * فلما جاء في الرجل الذي سمعت صوته يبشرني أي وهو حمزة بن عمرو الاوسي نزعت له ثوبي فكسوته اياهما ببشراه والله لا أملك غيرهما يومئذ واستعرت أي من أبي قتادة رضي الله عنه ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاني الناس فوجا فوجا أي جماعة جماعة يهنوني بالتوبة يقولون ليهنئك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة أي لانه صلى الله عليه وسلم كان آخا بينهما حين قدم المدينة * قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور * وكان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر فلما جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم قال أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله عز وجل قال لا بل من عند الله فقلت يا رسول الله ان من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك * أى وكان المبشر لهلال بن أمية أسعد بن أسد وكان المبشر لمرارة بن الربيع سلطان بن سلامة أو سلامة بن وقش * أى وفى البخارى عن كعب رضى الله عنه فأنزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة رضى الله عنها محسنة فى شأنى معينة فى أمرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب قالت أفلا أرسل اليه فأبشره قال اذا يحطكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر أعلم بتوبة الله علينا وأنزل الله تعالى لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة الى قوله وكونوا مع الصادقين * وقال فى حق من اعتذر له صلى الله عليه وسلم سيحلفون بالله لكم الى قوله فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين واستشكل نزول الوحى بالقرآن فى بيت أم سلمة بقوله صلى الله عليه وسلم فى حق عائشة رضى الله عنها ما نزل على الوحى فى فراش امرأة غيرها * وأجاب بعضهم بأنه يجوز أن يكون ما تقدم فى حق عائشة كان قبل هذه القصة أوان الذى خصت به عائشة رضى الله عنها نزول الوحى فى خصوص الفراش لا فى البيت * وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية * قال كانوا عشرة أبو لبابة وأصحابه تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فلما رجع صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد منهم أبو لبابة * فلما مر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من هؤلاء قالوا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك حتى تطلقهم وتعذرهم قال صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذى يطلقهم رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين * فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذى يطلقنا فأنزل الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية * فعند ذلك أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم فجاؤا بأموالهم وقالوا يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا فقال صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ أموالكم فأنزل الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الى قوله وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهم الذين لم يربطوا أنفسهم بالسوارى وتقدم أن أبا لبابة رضى الله عنه ربط نفسه ببعض سوارى المسجد فى قصة بنى قريظة وعلى هذا فقد تكرر منه ربط نفسه * وقد ذكره ابن اسحاق فليتأمل ذلك * ولما قدم صلى الله عليه وسلم من تبوك

وجد عويمر العجلانى رضى الله عنه امرأته حبلى أى وهى خولة بنت عمه قيس فلاعن بينهما صلى الله عليه وسلم أى فى المسجد بعد العصر وكان قد قذفها بشريك ابن سمحاء بن عمه وقال وجدته على بطنها وانى ما قربتها منذ أربعة أشهر فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عويمرا وقال له اتق الله فى زوجتك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان فقال يا رسول الله أقسم بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى ما قربتها منذ أربعة أشهر ودعا صلى الله عليه وسلم بالمرأة التى هى خولة وقال اتقى الله ولا تخبرينى الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمر رجل غيور وانه يأتى وشريكا يطيل السهر ويتحدث حملته الغيرة على أن قال ما قال فدعا شريكا وقال له ما تقول فقال مثل قول المرأة فأنزل الله تعالى والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الآية * فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينادى بالصلاة جامعة * فلما صلى العصر أى وقد نودى بذلك واجتمع الناس قال صلى الله عليه وسلم لعويمر قم فقام * وقال أشهد بالله أن خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثانية أشهد بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى لمن الصادقين * ثم قال فى الثالثة أشهد بالله انها حبلى من غيرى وانى لمن الصادقين * ثم قال فى الرابعة أشهد بالله أنى ما قربتها منذ أربعة أشهر وانى لمن الصادقين * ثم قال فى الخامسة لعنة الله على عويمر يعنى نفسه ان كان من الكاذبين * ثم أمره صلى الله عليه وسلم بالقعود * وقال لخولة قومى فقامت فقالت أشهد بالله ما أنا زانية وان عويمر لمن الكاذبين * ثم قالت فى الثانية أشهد بالله ما رأى شريكا على بطنى وانه لمن الكاذبين * ثم قالت فى الثالثة أشهد بالله انى لحبلى منه وانه لمن الكاذبين * ثم قالت فى الرابعة أشهد بالله أنه ما رآنى قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين * ثم قالت فى الخامسة ان غضب الله على خولة تعنى نفسها ان كان من الصادقين ففرق صلى الله عليه وسلم بينهما أى قال له لا سبيل لك عليها * وهو دليل لامامنا الشافعى رضى الله عنه القائل ان الفرقة بين الزوجين تحصل بنفس التلاعن وما جاء فى بعض الروايات انه طلقها ثلاثا قبل أن يأمره صلى الله عليه وسلم أى بعدم الاجتماع بها فهو محمول على أنه ظن ان التلاعن لا يحرمها عليه فأراد تحريمها بالطلاق فقال هى طالق ثلاثا * ومن ثم قال له صلى الله عليه وسلم عقب ذلك لا سبيل لك عليها أى لا ملك لك عليها فلا يقع طلاقك * ثم قال صلى الله عليه وسلم ان جاء الولد على صفة كذا فعويمر صادق وان جاء على صفة كذا فعويمر كاذب فجاء على الصفة التى تصدق عويمر فكان الولد ينسب الى أمه

وفي البخاري أن عويمرا أتى عاصم بن عدي وكان سيد بني عجلان فقال كيف تقولون
في رجل وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع سل لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فكره النبي
صلى الله عليه وسلم تلك المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسأله عويمر فقال له عاصم لم تأتني بخير قد كره رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعابها أي لانه صلى الله عليه وسلم كان يكره المسئلة
التي لا يحتاج اليها أي التي لم تكن وقعت لاسيما ان كان فيها هتك ستر مسلم أو مسلمة
قال فعويمر رضي الله عنه لم يكن وقع له ذلك حينئذ ثم عرض وجود ذلك له بعد فقال
عويمر والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فجاءه
عويمر وهو وسط الناس فقال يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا ان
تكلم جلدتموه وان قتله قتلتموه أو سكت سكت على غيظ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم افتح وجعل يدعو فنزلت آية اللعان أي عند ذلك قال صلى الله
عليه وسلم لعويمر قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك قرآنا فاذهب فائت بها أي وذلك
بعد ان ذكر له عويمر قصته * وفي رواية قد قضي فيك وفي امرأتك فتلاعنا
* وفيه أن هلال بن أمية أحد المتخلفين عن تبوك قذف امرأته عند النبي صلى الله
عليه وسلم بشريك بن سحماء * أي وكانت حاملا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
البينة زاد في رواية أو حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا رأى أحدنا على امرأته
رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول والا فحد في ظهرك
فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد
فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام * أي بعد أن قال صلى الله عليه وسلم اللهم
افتح أي بين لنا الحكم فأنزل الله تعالى والذين يرمون أزواجهم فأرسل صلى الله
عليه وسلم الى المرأة فجاءت وتلاعنا * وعند الخامسة تلكأت ونكصت حتى
ظن انها ترجع أي لانه صلى الله عليه وسلم قال لها انها أي اللعنة موجبة أي
للعذاب في الآخرة وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة * ثم قالت والله
لا أفضح قومي سائر الايام وقالتها أي الخامسة أي وقال صلى الله عليه وسلم ان
جاءت به كذا فهو لهلال وان جاءت به كذا فهو لشريك فجاءت به على الوصف الذي
ذكر أنه يكون لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله تعالى
لكان لي ولها شأن وجمهور العلماء على أن سبب نزول آية اللعان قصة هلال بن امية
وانه أول لعان وقع في الاسلام * وذهب جمع الى أن سبب نزولها قصة عويمر

الجلالى لقوله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفى صاحبتك قرآنا * وأجيب بان معناه ما نزل فى حق قصة هلال لان ذلك عام فى جميع الناس * قال الامام النووى رحمه الله ويحتمل ... ما جميعا فلطهما سالا فى وقتين متقاربين * أى وقال صلى الله عليه وسلم فى ... اللهم افتح فنزلت الآية فيهما وسبق هلال باللعان فكان أول من لاعن * ... فى مسلم ان سعد بن عبادة قال يا رسول الله أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلا ... فقتله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قال سعد بلى والذى أكرمك بالحق ... وفى رواية كلا والذى بعثك بالحق ان كنت لاعاجله بالسيف * وفى لفظ ... ته بالسيف من غير مصفح أى بل أضربه بحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعوا الى ما يقول سيدكم وليس ذلك من سعد رضى الله عنه ردا عليه صلى الله عليه وسلم وانما هو اخبار عن حاله ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم انه ... وأنا أغير منه والله أغير منى فأخبر صلى الله عليه وسلم عن سعد بأنه غيور وأنه صلى الله عليه وسلم أغير منه وان الله أغير منه صلى الله عليه وسلم ومن ثم جاء ... الحديث لا أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ... ب العذر اليه من الله ومن أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا ... ليه المدح من الله * ومن أجل ذلك وعد الجنة ليكثر سؤال العباد اياها و ... عليه * وفى تفسير الفخر الرازى رحمه الله لا شخص أغير من الله و ... ستدل على جواز اطلاق الشخص على الله تعالى * وفى الحلية لابى نعيم ... عن حذيفة رضى الله عنه * قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر أرأيت لو وجدت مع أم رومان رجلا ما كنت صانعا قال كنت فاعلا به شرا ثم قال ... الله عليه وسلم يا عمر أرأيت لو وجدت رجلا أى مع زوجتك ما كنت صانعا قال كنت والله قاتله فقرأ صلى الله عليه وسلم والذين يرمون أزواجهم الآية ... م لامامنا الشافعى رضى الله عنه عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه ... لا من أهل الشام وجد مع امرأته رجلا فقتله فرفع الامر الى معاوية رضى الله ... اشكل على معاوية القضاء فيها فكتب معاوية الى أبى موسى الاشعرى ... الله عنه أن يسأل عن ذلك على بن أبى طالب كرم الله وجهه فاستخبر على ... ى عن القصة وأخبره أبو موسى أن معاوية كتب اليه فى ذلك * فقال ع ... الله وجهه أنا أبو الحسن ان لم يأت بأربعة شهداء فقتلناه فليتأمل وفى الخص ... كبرى ان فى غزوة تبوك اجتمع صلى الله عليه وسلم بالياس * فعن انس رض ... سمعنا صوتا يقول اللهم اجعلنى من أمة محمد صلى

الله

الله عليه وسلم المرحومة المغفور لها المستجاب لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أنس انظر ما هذا الصوت قال أنس رضي الله عنه فدخلت الجبل فاذا رجل عليه ثياب بيض أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلاث مائة ذراع * فلما رآني قال أنت رسول النبي صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال ارجع اليه واقرأه السلام وقل له أخوك الياس يريد أن يلقاك فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فجاء يمشي وأنا معه حتى اذا كنت منه قريبا تقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتأخرت أنا فتحدثا طويلا * فنزل عليهما من السماء شيء شبه السفرة ودعاني فأكلت معهما قليلا فاذا فيها كمأة ورمان وحوت وتمر وكرفس * فلما أكلت قمت فتنحيت ثم جاءت سحابة فاحتملته وأنا أنظر الى بياض ثوبه فيها * قال الحافظ ابن كثير هذا حديث موضوع مخالف للاحاديث الصحاح من وجوه وأطال في بيان ذلك * والعجب من الحاكم كيف يستدركه على الصحيحين * وهذا مما يستدرك به على الحاكم وفي النور لم يجيء في حديث صحيح اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالياس وفي الجامع الصغير الياس أخو الخضر * وفي تفسير البغوي أربعة من الانبياء أحياء الى يوم البعث اثنان في الارض وهما الخضر والياس أي والياس في البر والخضر في البحر يجتمعان كل ليلة على ردم ذي القرنين يحرسانه وأكلهما الكرفس والكمأة * واثنان في السماء ادريس وعيسى عليهما الصلاة والسلام * وعن ابن اسحاق الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل * أي وقد يقال لا ينافي ذلك ما تقدم أنهما اخوان لجواز أن يكونا أخوين لام * قال الحافظ ابن كثير رحمه الله لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن اليه النفس أن الخضر عليه الصلاة والسلام اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم من الايام ولو كان حيا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان أشرف أحواله اجتماعه به صلى الله عليه وسلم وفي الخصائص الكبرى عن أنس رضي الله عنه انه قال خرجت ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم أحمل الطهور فسمع قائلا يقول اللهم أعني على ما ينجيني مما خوفتني منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس ضع الطهور وائت هذا فقل له ادع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعينه الله على ما بعثه به وادع لامته أن يأخذوا ما أتاهم به من الحق فأتيته فقلت له فقال مرحبا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا كنت أحق أن آتيه اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له أخوك الخضر يقرأ عليك السلام ويقول لك ان الله فضلك على النبيين كما فضل شهر رمضان على الشهور وفضل أمتك على الامم كما فضل يوم الجمعة

على سائر الايام * فلما وليت سمعته يقول اللهم اجعلنى من هذه الامة المرحومة التائب عليها قال بعضهم وهذا حديث واه منكر الاسناد سقيم المتن ولم يراسل الخضر عليه السلام نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يلقه * وقال السيوطى فى اللآلى * قلت قد أخرج هذا الحديث الطبرانى فى الاوسط وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله فى الاصابة قد جاء من وجهين * وفى الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه جمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للانبياء عليهم الصلاة والسلام الا أحدهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام * والمراد بالشريعة الحكم بالظاهر والحقيقة الحكم بالباطن * وقد نص العلماء على ان غالب الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما بعثوا ليحكموا بالظاهر دون ما أطلعوا عليه من بواطن الامور وحقائقها ومن ثم أنكر موسى عليه الصلاة والسلام على الخضر صلى الله عليه وسلم فى قتله الغلام بقوله لقد جئت شيأ نكرا فقال له الخضر عليه السلام وما فعلته عن أمرى * ومن ثم قال الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام انى على علم من عند الله لا ينبغى لك أن تعلمه أى تعمل به لانك لست مأمورا بالعمل به وأنت على علم من عند الله لا ينبغى لى أن أعلمه أى لا ينبغى أن أعمل به لانى لست مأمورا بالعمل به * وفى تفسير أبى حيان والجمهور على ان الخضر نبى * وكان علمه معرفة بواطن أمور أوحيت اليه أى ليعمل بها وعلم موسى عليه السلام الحكم بالظاهر أى دون الحكم بالباطن * ونبينا صلى الله عليه وسلم حكم بالظاهر فى أغلب أحواله وحكم بالباطن أى فى بعضها بدليل قتله صلى الله عليه وسلم للسارق وللمصلى لما اطلع على باطن أمرهما وعلم منهما ما يوجب القتل * وقد ذكر بعض السلف رحمه الله ان الخضر الى الآن ينفذ الحكم بالحقيقة وان الذين يموتون فجأة هو الذى يقتلهم فان صح ذلك فهو فى هذه الامة بطريق النيابة عن النبى صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام صار من أتباعه صلى الله عليه وسلم كما أن عيسى عليه السلام لما ينزل يحكم بشريعته نيابة عنه لانه من أتباعه وفيه أن عيسى عليه السلام اجتمع به صلى الله عليه وسلم اجتماعا متعارفا ببيت المقدس فهو صحابى وجاء فى حديث مطعون فيه * أى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الخضر والياس عليهما السلام يجتمعان فى كل عام أى فى الموسم ويحلق كل منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما يكون من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله * قال ابن عباس رضى الله عنهما من قالها حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات عوفى

من السرق والحرق والغرق ومن السلطان ومن الشيطان ومن الحية والعقرب وعن علي كرم الله وجهه مسكن الخضر بيت المقدس فيما بين باب الرحمة الى باب الاسباط

(باب سرايا ه صلى الله عليه وسلم وبعوثه)

لايخفى أن ما كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له غزوة وما خلا عنه صلى الله عليه وسلم يقال له سرية ان كان طائفة اثنين فأكثر فان كان واحدا قيل له بعث * وربما سموا بعض السرايا غزوة كما في مؤتة حيث قالوا غزوة مؤتة وكما في سرية الرجيع حيث عبر عنها السيوطي في الخصائص بغزوة الرجيع وعن سرية ذات السلاسل بغزوة ذات السلاسل * وعن سرية سيف البحر بغزوة سيف البحر * وربما سموا الواحد سرية وهو في الاصل كثير وربما سموا الاثنين فأكثر بعثا * ومنه قول الاصل كالبخاري بعث الرجيع وظاهر كلامهم انه لافرق في ذلك بين أن يكون ارسال ذلك لقتال أو لغير قتال كتجسس الاخبار أو لتعليمهم الشرائع كما في بئر معونة والرجيع أو للتجارة كما في سرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما حيث ذهب مع جمع بالتجارة للشام فلقيه بنو افزارة فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم كما سيأتي والسرية في الاصل الطائفة من الجيش تخرج منه ثم تعود اليه خرجت ليلا أو نهارا * وقيل السرية هي التي تخرج ليلا والسارية هي التي تخرج نهارا * وهي من مائة الى خمسمائة * وقيل الى أربعمائة أي وفي القاموس السرية من خمسة أنفس الى ثلاثمائة أو أربعمائة وعليه فما دون ذلك لايقال له سرية فما زاد على الثلاث مائة أو الاربعمائة الى ثمانمائة يقال له منسر بالنون فان زاد على ذلك الى أربعة آلاف قيل له جيش أي وقيل الجيش من ألف الى أربعة آلاف فان زاد على ذلك قيل له جحفل وجيش جرار أي الى اثنى عشر ألفا * والبعث في الاصل الطائفة تخرج من السرية ثم تعود اليها وهو من عشرة الى أربعين يقال له خفيرة ومن أربعين الى ثلاثمائة يقال له معتقب * وما زاد على ذلك يسمى جمرة * قال بعضهم والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما هزم قوم بلغوا اثنى عشر ألفا من قلة اذا صدقوا وصبروا أي فلا يرد انهزام القدر المذكور يوم حنين * قال في الاصل وكانت سراياه صلى الله عليه وسلم التي بعث بها سبعا وأربعين سرية وهو في ذلك موافق لما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب * قال الشمس الشامي والذي وقفت عليه من السرايا والبعوث

قسم الزكاة يزيد على الستين انتهى * أى وكان صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا والوليد الصبى أى مالم يقاتل كالنساء والا قتلوا * وفى رواية لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة * وهذا عند العمد فلا ينافى انه يجوز الاغارة على المشركين ليلا وان لزم على ذلك قتل الصبيان والنساء والشيوخ فقد روى الشيخان سئل صلى الله عليه وسلم عن المشركين يبيتون أى يغار عليهم ليلا فيصيبون من نسائهم وذراريهم فقال هم منهم * وكان صلى الله عليه وسلم يقول من أطاعنى فقد أطاع الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ولا سمع ولا طاعة فى معصية الله وكان صلى الله عليه وسلم يعتذر عن تخلفه عن تلك السرايا ويقول والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب نفوسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزوا فى سبيل الله والذى نفسى بيده لوددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيى ثم اقتل ثم أحيى ثم اقتل ومن جملة وصيته صلى الله عليه وسلم لمن يوليه على سرية واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاثة خصال فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم أدعهم الى الاسلام فان هم أبوا فاسألهم الجزية فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم * ومن جملة قوله صلى الله عليه وسلم للسرايا بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا ولما بعث صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وأبا موسى رضى الله عنهما الى اليمن قال لهما يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا

(سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة فى ثلاثين رجلا من المهاجرين قيل ومن الانصار وفيه نظر لانه صلى الله عليه وسلم لم يبعث من الانصار الا بعد أن غزا بهم بدرا أى وذلك فى شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة * وعقد له صلى الله عليه وسلم لواء أبيض وهو أول لواء عقد فى الاسلام حمله أبو مرثد بفتح الميم واسكان الراء ثم مثلثة مفتوحة حليف حمزة رضى الله عنه ليعترض عير القريش جاءت من الشام تريد مكة * وفيها أبو جهل لعنه الله فى ثلاثمائة رجل * وقيل فى مائة وثلاثين * فسار رضى الله عنه الى أن وصل سيف البحر أى بكسر السين المهملة وإسكان المثناة تحت ثم فاء ساحله من ناحية العيص أرض من جهينة فصادف العير هناك فلما تصافوا للقتال حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان حليفا للفريقين فأطاعوه وانصرفوا ولم يقع بينهم قتال * ولما عاد حمزة رضى الله عنه الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر أى بأن مجديا حجز بينهم وأنهم رأوا منه نصفة قال صلى الله عليه وسلم فى مجدى انه ميمون النقيبة أى مبارك النفس مبارك الامر * وقال سعيد أو رشيد الامر أى أموره ناجحة ولم يقع له اسلام أى وفى الامتاع وقدم رهط مجدى على النبى صلى الله عليه وسلم فكساهم * (سرية عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب رضى الله عنه) * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس ثمانية أشهر من الهجرة عبيدة بن الحارث رضى الله عنه فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين * منهم سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وعقد له لواء أبيض حمله مسطح بن أثاثة رضى الله عنه ليعترض عير القريش * وكان رئيسهم أبا سفيان * وقيل عكرمة ابن أبى جهل * وقيل مكرز بن حفص فى مائتى رجل فوافوا العير ببطن رابغ أى ويقال له ودان فلم يكن بينهم الا المناوشة برمى السهام أى فلم يسلوا السيوف ولم يصطفوا للقتال وكان أول من رمى من المسلمين سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه فكان سهمه أول سهم رمى به فى الاسلام * أى كان سيف الزبير بن العوام رضى الله عنه أول سيف سل فى الاسلام * ففى كلام ابن الجوزى أول من سل سيفا فى سبيل الله الزبير بن العوام وقد ذكر أن سعدا رضى الله عنه تقدم أصحابه ونثر كنانته وكان فيها عشرون سهما ما منها سهم الا ويجرح انسانا أو دابة أى لو رمى به لصدق رميه وشدة ساعده رضى الله عنه * ثم انصرف الفريقان فان المشركين ظنوا أن للمسلمين مددا فخافوا وانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو أى الذى يقال له ابن الاسود وعيينة ابن غزوان فانهما كانا مسلمين ولكنهما خرجا مع المشركين ليتوصلا بهم الى المسلمين فعلم ان سرية عبيدة بن الحارث رضى الله عنه بعد سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه * وقيل بل هى قبلها * وكلام الاصل يشعر به ويؤيده قول ابن اسحاق كانت راية عبيدة بن الحارث فيما بلغنا أول راية عقدت فى الاسلام * قال بعضهم ومنشأ هذا الاختلاف ان بعث حمزة وبعث عبيدة رضى الله عنهما كان معا أى فى يوم واحد فى محل واحد أى وشيعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا كما فى ذخائر العقبى فاشتبه الامر * فمن قائل يقول ان راية حمزة رضى الله عنه أول راية عقدت فى الاسلام وان بعثه أول البعوث * ومن قائل يقول ان راية عبيدة رضى الله عنه أول راية عقدت فى الاسلام * وان بعثه أول البعوث لكن يشكل على ذلك ان خروج حمزة كان على رأس سبعة أشهر من الهجرة كما تقدم وخروج عبيدة كان على رأس ثمانية أشهر كما تقدم وعلى ذكر ان بعثهما معا

الى آخره ورد ما أجاب به بعضهم عن هذا الاشكال بأنه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم عقد رايتهما معا وتأخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية أشهر لا مرا قتضى ذلك هذا كلامه * الا أن يقال يجوز أن يكون المراد ببعثهما معا أمرهما بالخروج وان المراد بتشييعهما جميعا ان كلا منهما وقع له التشييع منه صلى الله عليه وسلم وذلك لا يقتضى أن يكون ذلك فى وقت واحد تأمل * وفى هذا اطلاق الراية على اللواء وهو الموافق لما صرح به جماعة من أهل اللغة انهما مترادفان وتقدم انه لم يحدث له اسم الراية الا فى خيبر أى وكانوا لا يعرفون قبل ذلك الا الالوية * وما هنا يرده وفى كلام بعضهم كانت رايته صلى الله عليه وسلم سودا ولواؤه أبيض كما فى حديث ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما زاد أبو هريرة رضى الله عنه مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله

(سرية سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه)

الى الخرار بفتح الخاء المعجمة وراء ين مهملتين وفى النور بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء الاولى * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس تسعة أشهر من الهجرة سعد بن أبى وقاص فى عشرين من المهاجرين * أى وقيل ثمانية وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو * قال والخرار وادية وصل منه الى الجحفة وقد عهد صلى الله عليه وسلم اليه أن لا يجاوزه ليعترض عير القريش تمر بهم فخرجوا يمشون على أقدامهم يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى صبحوا المكان المذكور فى صبح خمس فوجدوا العير قد مرت بالامس فانصرفوا راجعين الى المدينة انتهى * وقد ذكر ابن عبد البر وابن حزم هذه السرية بعد بدر الاولى * وفى السيرة الشامية الباب السادس فى سرية سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الى الخرار وساق ما تقدم * وقال بعده الباب السابع فى سرية سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه * روى الامام أحمد عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت جهينة فقالوا له انك نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأتيك وقومنا فأوثق لهم فأسلموا وبعثنا صلى الله عليه وسلم ولا نكون مائة * وكان ذلك فى رجب أى من السنة الثانية * وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغير على حى من كنانة فأغرنا عليهم فكانوا كثيرا فلجأنا الى جهينة فنعونا وقالوا لم تقاتلون فى الشهر الحرام فقال بعضنا لبعض ما ترون فقال بعضنا نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره * وقال بعض آخر لا نقيم ها هنا وقلت أنا فى أناس معى بل نأتى عير قريش فنقتطعها فانطلقنا الى العير * وانطلق بعض أصحابنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأخبروه الخبر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبان محمرا وجهه فقال جئتم متفرقين وانما أهلك من قبلكم الفرقة لابعثن عليكم رجلا أيس بخيركم أصبركم على الجوع والعطاش فبعث علينا عبد الله بن جحش أميرا فأمره علينا لنذهب الى جهة نخلة بين مكة والطائف

(سرية عبد الله بن جحش رضى الله عنه)

الى بطن نخلة قال لما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الاخيرة قال لعبد الله بن جحش واف مع الصبح معك سلاحك أبعثك وجها فوافاه الصبح ومعه قوسه وجعبته ودرقته فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح وجده واقفا عند بابه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب فدخل عليه فأمره فكتب كتابا ثم دعا عبد الله بن جحش رضى الله عنه فدفع اليه الكتاب وقال له قد استعملتك على هؤلاء النفر انتهى * أى وكان قبل ذلك بعث عليهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب * فلما ذهب لينطلق بكى صبابة الى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليهم عبد الله وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين أى فهو أول من تسمى فى الاسلام بأمير المؤمنين * ثم بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولا ينافى ذلك قول بعضهم أول من تسمى فى الاسلام بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لان المراد أول من تسمى بذلك من الخلفاء أو أن هذا أمير جميع المؤمنين وذاك أمير من معه من المؤمنين خاصة * فقد جاء أن عمر رضى الله عنه كان يكتب أولا من خليفة أبى بكر فان عمر رضى الله عنه أرسل الى عامل العراق أن يبعث اليه برجلين جلدين يسألهما عن أهل العراق فبعث اليه بلبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم الطاءى فقدما المدينة ودخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاصى رضى الله عنه فقالا استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال عمرو أنتما والله أصبتما اسمه فدخل عليه عمرو وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال ما بدا لك فى هذا الاسم فأخبره الخبر وقال أنت الامير ونحن المؤمنون فأول من سماه بذلك لبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم * وقيل أول من سماه بذلك المغيرة بن شعبة وحينئذ صار يكتب من عبد الله عمر أمير المؤمنين فقد كتب رضى الله عنه بذلك الى نيل مصر فان عمرو بن العاص رضى الله عنه لما فتح مصر ودخل شهر بؤنة من شهور العجم دخل اليه أهل مصر وقالوا له أيها الامير اذا كان أحد عشر ليلة تخلوا من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلى ما يكون ثم ألقيناها فى هذا النيل أى ليجرى * فقال لهم

عمر و رضي الله عنه أن هذا لا يكون في الاسلام وأن الاسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا مدة والنيل لا يجري لا قليلا ولا كثيرا حتى هم أهل مصر بالجلاء منها فكتب عمرو بذلك الى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه كتابا وكتب بطاقة في داخل الكتاب وقال في الكتاب قد بعثت اليك ببطاقة في داخل الكتاب فألقها في نيل مصر فلما قدم الكتاب أخذ عمرو البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا تجري وان كان الله يجريك فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم فأصبحوا وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر الى اليوم * وكان أولئك النفر ثمانية أي وقيل اثنا عشر من المهاجرين يعتقب كل اثنين منهم بعيرا منهم سعد بن أبي وقاص وعيينة بن غزوان وكانا يعتقبان بعيرا ومنهم واقد بن عبد الله ومنهم عكاشة بن محصن وأمر صلى الله عليه وسلم عبد الله أن لا ينظر في ذلك الكتاب حتى يسير يومين أي قبل مكة ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره أحدا من أصحابه أي على السير معه أي وقد عقد له صلى الله عليه وسلم راية * قال ابن الجوزي أول راية عقدت في الاسلام راية عبد الله بن جحش أي بناء على أن الراية غير اللواء وحينئذ تعارض القول بترادفهما والقول بأن اسم الراية انما وجد في خيبر * قال ابن الجوزي رحمه الله وهو أول أمير أمر في الاسلام وفيه أنه مخالف لما سبق الا أن يريد أول من سمي أمير المؤمنين * فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت في كتابي هذا فانت حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ولا تكره أحدا من أصحابك على السير معك * أي ولفظ الكتاب سر بسم الله وبركاته ولا تكرهن أحدا من أصحابك على السير معك وامض لامري حتى تأتي بطن نخلة فترصد عير قريش وتعلم لنا أخبارهم * فلما قرأ الكتاب على أصحابه قالوا نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك فسر على بركة الله تعالى * أي وجعل البخاري دفعه صلى الله عليه وسلم الكتاب لعبد الله ليقرأه ويعمل بما فيه دليلا على صحة الرواية بالمناولة وهي أن الشيخ يدفع لتلميذه كتابا ويأذن له أن يحدث عنه بما فيه وممن قال بصحة المناولة سيدنا مالك بن أنس رضي الله عنه * روى اسماعيل ابن صالح عنه أنه أخرج لهم كتبا مشدودة وقال لهم هذه كتبي صححتها ورويتها فارووها عني فقال له اسماعيل بن صالح نقول حدثنا مالك قال نعم * وفي لفظ أن عبد الله رضي الله عنه لما قرأ الكتاب قال سمعا وطاعة أي بعد ان استرجع ثم

أعلم أصحابه * وقال لهم من كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع * فأما أنا فماض الى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضوا لم يتخلف منهم أحد حتى اذا كان بحران بفتح الموحدة وبضمها وسكون الحاء المهملة موضع أضل سعد بن أبي وقاص وعيينة بن غزوان بعيرهما فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ومن عداهما معه حتى نزل بنخلة فمرت عير لقريش أي تحمل زبيبا وأدما أى جلودا من الطائف وأمتعة للتجارة في تلك العير عمرو بن الحضرمي وعثمان بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان ونزلوا قريبا من عبد الله وأصحابه وتخوفوا منهم فأشرف عليهم عكاشة بن محصن * وكان قد حلق رأسه أى وتراءى لهم ليظنوا أنهم عمارا فيطمئنوا أى وذلك بارشاد عبد الله بن جحش رضى الله عنه فانه قال لهم ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم * فلما رأوا رأسه محلوقا قالوا عمارا أى هؤلاء قوم معتمرون لا بأس عليكم منهم * وكان ذلك آخر يوم من شهر رجب * أى وقيل أول يوم ويدل للاول ما جاء أن عبد الله تشاور مع أصحابه فيهم فقال بعضهم لبعض ان تركتموهم في هذه الليلة دخلوا الحرم فقد تمنعوا منكم به وان قتلتموهم في هذا اليوم تقتلوهم في الشهر الحرام * أى وكان ذلك قبل أن يحل القتال في الشهر الحرام فان تحريم القتال في الشهر الحرام كان معمولا به من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام جعل الله ذلك مصلحة لاهل مكة فان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما دعا لذريته بمكة أن يجعل الله أفئدة من الناس تهوى اليهم لمصلحتهم ومعاشهم جعل الاشهر الحرم أربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب اما الثلاثة فليأمن الحجاج فيها واردين بمكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحجاج وشهرا آخر بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع * وأما رجب فكان للعمار يأمنون فيه مقبلين ومدبرين وراجعين نصف الشهر للاقبال ونصفه الآخر للاياب لان العمرة لا تكون من أقاصي بلاد العرب كالحج وأقصى منازل بلاد المعتمرين خمسة عشر يوما ذكره السهيلي * ولم يزل تحريم القتال في تلك الاشهر الحرم الى صدر الاسلام وذلك قبل نزول براءة فان براءة كان فيها نبذ العهد العام وهو أن لا يصد أحد عن البيت جاءه ولا يخاف أحد في الاشهر الحرم وأن لا يحج مشرك واباحة القتال في الاشهر الحرم أى مع بقاء حرمتها فانها لم تنسخ قال تعالى منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم فتعظيم حرمتها باقية لم تنسخ وانما نسخ حرمة القتال فيها خلافا لما نقل عن عطاء من أن حرمة القتال فيها باقية لم تنسخ ويدل للثاني

مافي الكشاف * وكان ذلك اليوم أول يوم من رجب وهم يظنون أنه من جمادى الآخر فتردد القوم وهابوا الاقدام ثم شجعوا أنفسهم عليهم ثم أجمع رأيهم على قتل من لم يقدروا على أسره أي وأخذ ما معهم فقتلوا عمرو بن الحضرمي رماه واقد بن عبد الله بسهم فهو أول قتيل قتله المسلمون وأسروا عثمان والحكم فهما أول أسير أسره المسلمون وأفات بفتح الهمزة باقي القوم أي وجاء الخبر لاهل مكة فلم يمكنهم الطلب لدخول شهر رجب أي بناء على ما تقدم واستاق عبد الله وأصحابه رضي الله عنهم العير حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول غنيمة غنمها المسلمون فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام وأبى أن يسلم العير والاسيرين فسقط بالبناء للمجهول في أيديهم أي ندموا وعنفهم اخوانهم من المسلمين * وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام سفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال وأسروا فيه الرجال * أي وصارت قريش تعير بذلك من بمكة من المسلمين يقولون لهم يا معشر الصباة قد استحللتم الشهر وقاتلتم فيه * وزادوا في التشنيع والتعيير وصارت اليهود تتفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون القتيل عمرو الحضرمي والقاتل واقد فيه عمرت بفتح العين المهملة وكسر الميم الحرب أي حضرت الحرب ووقدت الحرب فكان ذلك الفأل عليهم لعنهم الله وضاق الامر على عبد الله وأصحابه رضي الله عنهم فأنزل الله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير أي عظيم الوزر وصد عن سبيل الله أي ومنع للناس عن دين الله وكفر به أي بالله والمسجد الحرام أي ومنع للناس عن مكة واخراج أهله منه وهم النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين منه أكبر عند الله أعظم وزرا والفتنة الشرك أي الذي أنتم عليه أو حملكم من أسلم على الكفر بالتعذيب له أكبر من القتل لكم فيه أي صدهم لكم عن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراجكم من مكة وأنتم أهلها وفتنة من أسلم بحيث يرتد عن الاسلام ويرجع الى الكفر أكبر من قتل من قتلتم منهم * وفرج عن عبد الله وأصحابه رضي الله عنهم * أي وهذا كما ترى يدل على أنهم قتلوا مع علمهم بأن ذلك اليوم من رجب ويضعف ما تقدم عن الكشاف الموافق لما أخرجه بن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أصحاب محمد كانوا يظنون أن ذلك اليوم آخر جمادى وكان أول رجب ولم يشعروا أي لان جمادى يجوز أن يكون ناقصا وفيه أنه لو كان الامر كذلك لا اعتذر عبد الله وأصحابه رضي الله عنهم بذلك * وجاء أن المسلمين اختلفوا في ذلك اليوم فمن قائل

منهم

منهم هذه غرة من عدوكم وغنم رزقتموه ولا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم
أم لا وقال قائل منهم لا نعلم اليوم الا من الشهر الحرام ولا نرى أن تستحلوه لطمع
اشتملتم عليه * ويذكر أنه صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمي أي أعطى
ديته ويضعفه ما تقدم في غزوة بدر من أن أخاه طالب بثأره وكان ذلك سببا لاثارة
الحرب وأن عتبة ابن ربيعة أراد أن يتحمل ديته ويتحمل جميع ما أخذ من العير
وان تكف قريش عن القتال * وحينئذ تسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم العير
والاسيرين وطمع عبد الله وأصحابه في حصول الاجر وسألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل
الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم * أي فقد أثبت لهم الجهاد في سبيل
الله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم ذلك العير وخمسه أي جعل خمسه لله
وأربعة أخماسه للجيش وقيل تركه حتى رجع من بدر وخمسه مع غنائم بدر
* وقيل ان عبد الله هو الذي خمسها أي فانه رضي الله عنه قال لاصحابه ان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما غنمنا الخمس فأخرج خمس ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أي عزله له وقسم سائرها بين أصحابه رضي الله عنهم وحينئذ
يكون ما تقدم من قوله وأبى أن يتسلم العير الظاهر في أن العير لم تقسم المراد خمس
تلك العير وهو أول غنيمة خمست في الاسلام أي قبل فرضه ثم فرض على ما صنع
عبد الله رضي الله عنه ويوافق ذلك قول ابن عبد البر في الاستيعاب وعبد الله بن
جحش أول من سن الخمس من الغنيمة للنبي صلى الله عليه وسلم من قبل أن يفرض
الله الخمس وأنزل الله تعالى بعد ذلك آية الخمس واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله
خمسه الآية * وانما كان قبل ذلك المرباع هذا كلامه والمرباع ربع الغنيمة
وتقدم ان الفيء والغنيمة يطلق أحدهما على الآخر وفي كلام فقهائنا ان الغنيمة
كانت في صدر الاسلام له صلى الله عليه وسلم خاصة ثم نسخ ذلك بالتخميس
* وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء عثمان والحكم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعني سعد بن أبي
وقاص وعيينة بن غزوان فانا نخشاكم عليهما فان قتلتموهما نقتل صاحبيكم فان
سعدا وعيينة رضي الله عنهما لم يحضرا الوقعة بسبب التماسهما بعيرهما وقد مكثا
في طلبه أياما ثم قدما ففدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسيرين أي كل واحد
بأربعين أوقية فأما الحكم فأسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا أي وعن المقداد أراد أميرنا يعني عبد الله بن

يخشى أن يقتل الحكم فقلت دعه نقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا * بعث وفي الاصل تبعا للشيخ الحافظ الدمياطي

(سرية عمير بن عدي)

الخطمي الضرير الى عصماء أي بالمدينة بنت مروان اليهودية وكانت متزوجة في بني خطمي وكان زوجها مرثد بن زيد بن حصين الانصاري أسلم بعد ذلك رضي الله عنه * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن عدي الخطمي وهو أول من أسلم من بني خطم الى قتل عصماء بنت مروان لانها كانت تسب الاسلام وتؤذي النبي صلى الله عليه وسلم في شعرها وتحرض عليه فجاءها عمير في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام وعلى صدرها صبي ترضعه فجسها بيده ونحى الصبي عن صدرها ووضع سيفه على صدرها وتحامل عليه حتى أنفذه من ظهرها ثم صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلت ابنة مروان قال نعم فهل علي في ذلك من شيء فقال لا ينتطح فيها عنزان أي الامر في قتلها هين لا يعارض فيه معارض وهذه الكلمة من جملة الكلمات التي لم تسمع الا من النبي صلى الله عليه وسلم وقد جمع غالبها في النور في هذا المحل * قال وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عميرا هذا بالبصير لان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه * قال انظروا الى هذا الاعمى الذي يسرى في طاعة الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل الاعمى ولكن البصير * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما قال الا رجل يكفينا هذه يعني عصماء بنت مروان فقال عمير بن عدي لها أنا فأتاها وكانت تمارة أي تبيع التمر فقال لها أعندك أجود من هذا التمر لتمر بين يديها قالت نعم فدخلت الى البيت وانكبت لتأخذ شيأ من التمر فالتفت يمينا وشمالا فلم يشعر بأحد فضرب رأسها حتى قتلها وليتأمل هذا مع ما قبله ثم ان عميرا أتى المسجد فصلى الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من صلاته نظر اليه قال له أقتلت ابنة مروان * قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أحببتم أن تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله فانظروا الى عمير * فلما رجع عمير الى منزل بني خطمي وجد بنيها في جماعة يدفنونها فقالوا يا عمير أنت قتلتها قال نعم فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * والذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لاضربنكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم فيومئذ ظهر الاسلام في بني خطمي * وكان يخفي اسلامه من أسلم منهم لكن في رواية أنها

كانت تلقي خرق الحيض في مسجد بني خطمي فليتأمل * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما أهدر دم عصماء نذر عمير ان رد الله رسوله صلى الله عليه وسلم من بدر الى المدينة سالما ليقتلنها * فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر الى المدينة عدا عليها عمير رضي الله عنه فقتلها وفي كلام السهيلي رحمه الله ان الذي قتل عصماء بعلها * ولا مخالفة لان عميرا رضي الله عنه جاز أن يكون كان بعلها قبل مرثد بن زيد وذكر في الاستيعاب في ترجمة عمير رضي الله عنه أنه قتل أخته لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمها * أقول الظاهر انها غير عصماء لان نسب عصماء غير نسب عدي الا أن يقال انها أخته لامه ويبعده ما تقدم من انه كان زوجها والله أعلم * بعث وفي الاصل تبعا لشيخه الحافظ الدمياطي

(سرية سالم بن عمير الى أبي عفك)

*أي والعفك بفتح العين المهملة وبالفاء وبالكاف أي الحمق أي أبي الحمق اليهودي * قال صلى الله عليه وسلم يوما من لي بهذا الخبيث يعني أبا عفك أي من ينتدب الى قتله وكان شيخا كبيرا قد بلغ مائة وعشرين سنة * وكان يحرض الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبه في شعر له فقال سالم بن عمير رضي الله عنه *أي وهو أحد البكائين وقد شهد بدرا على نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه فطلب له غرة أي غفلة *فلما كانت ليلة صائفة أي شديدة الحر نام أبو عفك بفناء بيته أي خارجه فعلم بذلك سالم رضي الله عنه فأقبل نحوه فوضع السيف على كبده ثم تحامل حتى خش السيف في الفراش وصاح عدو الله فتركه سالم رضي الله عنه وذهب فقام الى أبي عفك ناس من أصحابه فاحتملوه وأدخلوه داخل بيته فمات عدو الله وابن اسحاق قدم هذا البعث على بعث عمير

(سرية عبد الله بن سلمة رضي الله عنه)

الى كعب بن الاشرف الاوسي أي فان أباه أصاب دما في الجاهلية فأتى المدينة فحالف بني النضير فشرف منهم وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعبا وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة *وكان شاعرا مجيدا وقد كان ساد يهود الحجاز بكثرة ماله وكان يعطي أحبار اليهود ويصلهم * فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جاءه أحبار يهود من بني قينقاع وبني قريظة لاخذ صلته على عادتهم فقال ما عندكم من أمر هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قالوا هو الذي كنا ننتظر ما أنكرنا من نعوته شيأ فقال لهم قد حرمتم كثيرا من الخير فارجعوا الى أهليكم فان الحقوق في مالي كثيرة فرجعوا عنه خائبين * ثم رجعوا اليه وقالوا انا عجلنا لك

ثم أخبر مالكا به ولما استثبتنا علمنا انا غلطنا وليس هو المنتظر فرضي عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الاحبار شيأ من ماله * وهذا نزل فيه قوله تعالى ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما استودعه شخص دينارا فجحده كذا في تكملة الجلال السيوطي * وفي الكشاف وفروعه انها نزلت في فنحاص بن عازوراء * وقد يقال لا مانع من تعدد الواقعة لما انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر * وقدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما مبشرين لاهل المدينة بذلك وصارا يقولان قتل فلان وفلان وأسر فلان وفلان من اشراف قريش صار كعب يكذب في ذلك ويقول هؤلاء اشراف العرب وملوك الناس والله ان كان محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الارض خير من ظهرها أي كما تقدم فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة وكان شاعرا فجعل يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ويمدح عدوهم ويحرضهم عليه وينشد الاشعار ويبكي من قتل ببدر من اشراف قريش فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني ابن الاشرف بما شئت ثم رجع الى المدينة أي بعد ان لم يجد من يأوي رحله بمكة أي لانه لما قدم مكة وضع رحله عند عبد المطلب بن وداعة وأكرمته زوجة عبد المطلب وهي عاتكة بنت أسيد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان وأخبره بذلك فهجا المطلب وزوجته * فلما بلغهما هجاء حسان ألقت رحله وقالت مالنا ولهذا اليهودي وأسلم المطلب وزوجته بعد ذلك رضي الله عنهما وصار كلما تحول عند قوم من أهل مكة صار حسان يهجوهم فيلقون رحله * أي ويقال انه خرج في سبعين راكبا من اليهود الى مكة ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على أبي سفيان فقال لهم أبو سفيان انكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن أن يكون هذا مكرا منكم فان أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا * فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت أي وحالفهم عند أستار الكعبة على قتال المسلمين فخرج من مكة للمدينة * فلما وصل الى المدينة وصار يشبب بنساء المسلمين أي يتغزل فيهن ويذكرهن بالسوء حتى آذاهن * أي وقيل ان كعب بن الاشرف صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود أن يدعوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الطعام فاذا حضر يفتكون به * ثم دعاه فجاء ومعه بعض أصحابه فأعلمه جبريل عليه السلام بما أضمروه بعد أن جالسه فقام صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يستره بجناحه حتى خرج فلما فقدوه

تفرقوا ولا مانع من تعدد الاسباب * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينتدب لقتل كعب بن الاشرف * وفي لفظ من لنا بابن الاشرف فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا أي وفي رواية انه يؤذي الله ورسوله * وفي أخرى فانه قد آذانا بشعره وقوى المشركين علينا أي فان أبا سفيان قال لكعب انك تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى طريقا وأقرب الى الحق أنحن أم محمد فقال كعب اعرضوا على دينكم فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا قديم ودين محمد الحديث فقال كعب لعنه الله أنتم والله أهدى سبيلا مما هو عليه فقال له صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الاوسي أنا لك به يا رسول الله هو خالي لان محمد بن مسلمة ابن أخته أنا أقتله وأجمع أي عزم على ذلك هو وأربعة أي من الاوس عباد بن بشر وأبو نائلة * وكان رضي الله عنه أخا لكعب بن الاشرف من الرضاعة والحارث بن عيسى والحارث بن أوس ومكث محمد بن مسلمة رضي الله عنه بعد قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ولا يأكل ولا يشرب الا ما يقوم به نفسه خوفا من عدم وفائه بما ذكر * ثم قال يا رسول الله لابد لنا أن نقول أي نذكر ما نتوصل به اليه من الحيلة وحينئذ كان المناسب أن يقول لابد لنا أن نتقول أي نخترع ما نحتال به عليه قال قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك فأباح صلى الله عليه وسلم لهم الكذب لانه من خدع الحرب كما تقدم وقيل انه صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه والجمع ممكن فتقدمهم الى كعب أبو نائلة رضي الله عنه وكان يقول الشعر فتحدث معه ساعة وتناشدا شعرا * ثم قال ويحك يا ابن الاشرف أني قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عني * قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة فقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الانفس أي وسألنا الصدقة ونحن لا نجد ما نأكل وسائر ما عندنا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه * فقال كعب لقد كنت أخبرتك يا ابن سلامة أن الامر سيصير الى ما تقول * أي ثم قال له كعب أصدقني ما الذي تريدون في أمره قال خذلانه والتنحي عنه قال سررتني بأن لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل فقال أبو نائلة * وقيل محمد بن مسلمة كما في رواية صحيحة قال الحافظ ابن حجر * ويحتمل أن كلا منهما قال له اني أريد أن تبيعني وأصحابي طعاما وترهنك وتوثق لك فقال أترهنوني أبناءكم * وفي رواية نساءكم

قال أردت أن تفضحنا ترهنك من الحلقة أي السلاح كما تقدم وقيل الدرع خاصة ما فيه وفاء وقد أردت أن آتيك بأصحابي أراد أبو نائلة رضي الله عنه أن لا ينكر كعب السلاح اذا جاء به هو وأصحابه فقال ان في الحلقة لوفاء أي وفي البخاري قال ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب زاد في رواية ولا نأمنك عليهن * وأي امرأة تمتنع منك لجمالك فانك تعجب النساء قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فقال رهن بوسق قالوا هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللأمة أي السلاح فرجع أبو نائلة رضي الله عنه الى أصحابه فأخبرهم الخبر وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجوا من عنده متوجهين الى كعب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي معهم الى بقيع الغرقد * ثم وجههم * وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته * أي وأمر عليهم محمد بن مسلمة وكانت تلك الليلة مقمرة فأقبلوا رضي الله عنهم حتى انتهوا الى حصن كعب فهتف به أبو نائلة رضي الله عنه وكان كعب قريب عهد بعرس فوثب في ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها أي طرفها وقالت انك امرؤ محارب وان أصحاب الحرب لا ينزلون في مثل هذه الساعة * قال انه أبو نائلة لو وجدني نائما لا يوقظني فقالت والله اني لأعرف في صوته الشر أي * وفي البخاري فقالت له امرأته اين تخرج هذه الساعة فاني أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم * وفي مسلم كأنه صوت دم أي صوت طالب دم * قال انما هو ابن أختي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة بليل لاجاب كذا في البخاري * وفي مسلم انما هو محمد ورضيعه قيل وصوابه انما هو محمد ورضيعه أبو نائلة * فقد ذكر أهل العلم أن أبا نائلة رضي الله عنه كان رضيعا لمحمد فنزل أي ينفح منه ريح الطيب فتحدث معه هو وأصحابه ساعة ثم تماشوا ثم ان أبا نائلة رضي الله عنه وضع يده على رأس كعب ثم شم يده * وقال ما رأيت طيبا أعطر من هذا الطيب أي فقال وكيف وعندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب * وفي لفظ وأجمل بدل أكمل وهي أشبه فقال له يا أبا سعيد ادن مني رأسك أشمه وأمسح به عيني ووجهي ثم مشوا ساعة ثم عاد أبو نائلة لوضع يده على رأسه واستمسك به وقال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيأ أي وقع بعضها على بعض ولصق عدو الله بأبي نائلة وصاح صيحة لم يبق حصن الا وعليه نار قال محمد ابن مسلمة رضي الله عنه فوضعت سيفي في ثنيته ثم تحاملت عليه حتى بلغ عانته فوقع أي ولما صاح اللعين صاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فخرجت اليهود

فأخذوا على غير طريق الصحابة ففاتوهم * قال محمد بن مسلمة رضي الله عنه وأصيب الحارث بن أوس من بعض أسيافنا في رجله ورأسه ونزف الدم فتخلف عنا أي وناداهم اقرؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام فعطفوا عليه واحتملوه * وفي رواية تخلف عن أصحابه فافتقدوه ورجعوا اليه فاحتملوه * قال محمد بن مسلمة رضي الله عنه فجئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج الينا وأخبرناه بقتل عدونا وتفل على جرح صاحبنا فلم يؤلمه * قال وفي رواية أنهم حزوا رأس كعب وحملوا ذلك الرأس ثم خرجوا يشتدون فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي تلك الليلة فلما سمعوا تكبيرهم بالبقيع كبر وعرف أنهم قد قتلوا عدو الله وخرج الى باب المسجد فجاؤا فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على باب المسجد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلحت الوجوه قالوا أفلح وجهك يا رسول الله ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله * أي وعند ذلك أصبحت يهود مذعورين فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم صنيعه من التحريض عليه واذيته للمسلمين فازدادوا خوفا

(سرية عبد الله بن عتيك رضي الله عنه)

لقتل أبي رافع سلام بالتخفيف بن أبي الحقيق على وزن قصير بالتصغير وبالحاء المهملة الخزرجي أي وفي البخاري أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ويقال له سلام ابن أبي الحقيق كان بخيبر وكان تاجر أهل الحجاز لما قتلت الاوس أي عبد الله ابن مسلمة وأبو نائلة ومن تقدم معهما كعب بن الاشرف تذاكر الخزرج من يشابه كعب بن الاشرف في العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الخزرج فذكروا أبا رافع سلام بن أبي الحقيق * أي لانه كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم * أي وعن عروة أنه كان ممن أعان غطفان وغيرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي حزب الاحزاب يوم الخندق لان الاوس والخزرج كانا يتنافسان فيما يقرب الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم لا تفعل الاوس شيأ من ذلك الا فعلت الخزرج نظيره وبالعكس ويقولون والله لا يذهبون بهذه فتيلا علينا في الاسلام فانتدب لقتله خمسة من الخزرج منهم عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أي في أن يتكلموا بما يتوصلون به اليه من الحيلة فأذن لهم * وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وأمرهم أن لا يقتلوا وليدا ولا امرأة فخرجوا

حتى أتوا خيبر تسوّروا دار أبي رافع ليلا فلم يدعوا بيتا في الدار الا أغلقوه على أهله * وكان أبو رافع في علية لها درجة أي سلم من الخشب من محل يصعد منه اليه الى تلك العلية فطلعوا في تلك الدرجة حتى قاموا على باب تلك العلية فاستأذنوا فخرجت اليهم امرأته فقالت من أنتم فالوا ناس من العرب نلتمس الميرة * وفي لفظ لما صعدوا قدموا عبد الله بن عتيك لانه كان يتكلم بلسان يهود فاستفتح وقال جئت أبا رافع بهدية ففتحت له امرأته وقالت ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه فلما دخلوا عليه أغلقوا عليهم وعليها باب الحجرة ووجدوه وهو على فراشه مادلهم عليه في الظلمة الا بياضه كانه قبطية بيضاء فابتدروه بأسيافهم ووضع عبد الله بن أنيس رضي الله عنه سيفه في بطنه وتحامل عليه حتى أنفذه وهو يقول قطني قطني أي يكفيني يكفيني * وعند ذلك صاحت المرأة قال بعضهم * ولما صاحت المرأة جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يتذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده قال * وفي رواية أن المرأة لما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار اليها بعضنا بالسيف فسكتت فابتدرناه بأسيافنا وخرجنا من عنده وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيء البصر فوقع من الدرجة فوثئت رجله وثأ شديدا أي جرحت جرحا شديدا * وفي لفظ فدانكسرت ساقه وفي آخر فانخلعت رجله فعصبها بعمامته والجمع بين كسر ساقه وخلع رجله واضح لان الانخلاع يكون من المفصل فقد انكسرت ساقه وانخلعت من مفصلها ومع الكسر والانخلاع حصلت فيها جراحة أيضا * وأما قول ابن اسحاق رحمه الله فوثئت يده فقيل وهم والصواب رجله كما تقدم وفي السيرة الهشامية فوثئت يده وقيل رجله * وقد يقال لا مانع من حصولهما * قال فحملناه حتى أتينا محلا استخفينا فيه أي وذلك المحل من أفنيتهم التي يلقون فيها كناساتهم * وفي لفظ أنهم كمنوا في نهر من عيونهم حتى سكن الطلب وقد يقال لا مخالفة لانهم أوقدوا النيران وتفرقوا من كل وجه يطلبونهم * أي وفي لفظ فخرج الحارث في ثلاثة آلاف في آثارهم يطلبونهم بالنيران حتى اذا آيسوا رجعوا الى عدو الله فاكتنفوه وهو بينهم يجود بنفسه فقال بعضنا لبعض كيف نعلم أن عدو الله مات * فقال رجل منهم أنا أذهب فانظر لكم فانطلق حتى دخل في الناس قال فوجدت امرأته تنظر في وجهه وفي يدها المصباح ورجال يهود حوله وهي تحدثهم وتقول أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي * أي وعلى الرواية الآتية أنه أكذبها ثم قبلت تنظر في وجهه ثم قالت فاظ واله يهود أي خرجت روحه فما سمعت من كلمة كانت ألذ الى نفسي منها ثم جئت وأخبرت أصحابي

واشتملنا عبد الله بن عتيك وقدمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي رواية أن ابن عتيك لما عصب رجله انطلق حتى جلس على الباب وقال لا أخرج الليلة حتى أعلم أني قتلته أو لا فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلق يحجل الى أصحابه * وقال قد قتل الله أبا رافع فأسرعوا وليتأمل هذا مع ما قبله * وقوله أنعى هو بفتح العين قيل والصواب انعو والنعي خبر الموت والاسم الناعي ويقال له الناعية وكانت العرب اذا مات فيهم الكبير ركب راكب فرسا وسار يذكر أوصافه ومآثره * وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولا منافاة بين كونه انطلق يحجل الى أصحابه وكونهم حملوه لانه يجوز أن يكون عند وقوعه وحصول ما تقدم له لم يحس بالالم لما هو فيه من الاهتمام وقدر على المشي يحجل * ومن ثم جاء في بعض الروايات فقمت أمشي ما بي قلبة أي علة مهلكة * فلما وصل الى أصحابه وعاد عليه المشي أحس بالالم فحمله أصحابه * وهذا السياق يدل على أن الذي قتله عبد الله بن عتيك وحده وهو ما في البخاري * وفي رواية أن الذي كسرت رجله أبو قتادة لانهم لما قتلوه وخرجوا نسي أبو قتادة قوسه فرجع اليها وأخذها فأصيبت رجله فشدها بعمامته ولحق بأصحابه وكانوا يتناوبون حمله حتى قدموا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فمسحها فبرئت أي وقال لما رآنا أفلحت الوجوه قلنا أفلح وجهك يا رسول الله وأخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده صلى الله عليه وسلم في قتله كل منا ادعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتوا أسيافكم فجئناه بها فنظر اليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس هذا قتله أرى فيه أثر الطعام * قال والثابت في الصحيح كما علمت أن عبد الله ابن عتيك هو الذي انفرد بقتله وأن عدو الله كان بحصن بأرض الحجاز ولا منافاة لان خيبر من الحجاز أي من قراه وريفه * فلما دنوا من خيبر وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم * قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف بالبواب لعلي ان أدخل فأقبل حتى دنى من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله ناداه بذلك كما ينادي الشخص شخصا لا يعرفه وهو يظن انه من أهل الحصن ان كنت تريد ان تدخل فادخل فاني أريد أن أغلق الباب فدخل وكمن فلما أغلق الباب علق المفاتيح قال ثم أخذتها وفتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده * فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقته على من داخله حتى انتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت قلت أبا رافع قال من هذا فأهويت نحو

الصوت فضربته بالسيف فما أغنت شيئا وصاح فخرجت من البيت [illegible]
قالت له امرأته يا أبا رافع هذا صوت عبد الله بن عتيك قال ثكلتك أمك وأين عبد
الله بن عتيك قال ابن عتيك ثم عدت وقلت له ما هذا الصوت يا أبا رافع قال لأمك
الويل ان رجلا في البيت ضربني بالسيف فعمدت اليه فضربته أخرى فلم تغن شيئا
فتواريت ثم جئته كهيئة المغيث وغيرت صوتي واذا هو مستلق على ظهره فوضعت
السيف في بطنه وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم ثم جئت الى الدرجة
فوقعت فانكسرت رجلي فعصبتها بعمامتي فانطلقت الى أصحابي وقلت النجاة قد
قتل الله أبا رافع فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك
فمسحها فكأني لم أشتكها قط وعادت كأحسن ما كانت انتهى * أي وهذا
ما في البخاري وفيه في رواية أخرى ان ابن عتيك * قال لما وضعت السيف في بطنه
وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم خرجت دهشا حتى أتيت السلم أي الذي
صعدت فيه أريد أن أنزل فاسقطت عنه فانخلعت رجلي فعصبتها فأتيت أصحابي
أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني لا أبرح حتى أسمع
الناعية * فلما كان في وجه الصبح صعد ناعية فقال أنعى أبا رافع فقمت أمشي
ما بي قلبة فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرته
وفي سيرة الحافظ الدمياطي انهم مكثوا في ذلك المحل الذي استخفوا فيه يومين حتى
سكن عنهم الطلب وينبغي النظر الى وجه الجمع بين ما ذكر

* (سرية زيد بن حارثة) *

رضي الله عنهما الى القردة بفتح القاف والراء وقيل بالفاء مفتوحة * وقيل بكسرها
وسكون الراء وقدمه في الاصل على الاول اسم ماء وسببها ان قريشا لما كانت
وقعة بدر خافوا الطريق التي يسلكونها الى الشام من على بدر فسلكوا طريقا
أخرى من جهة العراق فخرج عير لهم فيه أموال كثيرة جدا من تلك الطريق يريدون
الشام واستأجروا رجلا يدلهم على الطريق * وكان ذلك الرجل ممن هرب من
أسارى بدر وفي ذلك العير من أشراف قريش أبو سفيان وصفوان بن أمية وعبد الله
ابن أبي ربيعة وحويطب بن عبد العزى فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
زيد بن حارثة في مائة راكب * وهي أول سرية لزيد بن حارثة خرج فيها أميرا
فصادف تلك العير على ذلك الماء فأصاب العير وافلت القوم وأسروا دليلهم * وقدم
زيد رضي الله عنه بتلك العير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ
الخمس من قيمته عشرون ألف درهم وأتى بذلك الاسير الى رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم فقيل له أن تسلم تترك أي من القتل فأسلم فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه بعد ذلك

﴿سرية أبي سلمة عبد الله بن عبد الاسد﴾

وهو ابن عمته صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة كما تقدم الى قطن أي وهو جبل وقيل ماء من مياه بني أسد * وسببه انه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طليحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أخبره بذلك رجل من طي قدم المدينة لزيارة بنت أخيه بها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سلمة المذكور * وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والانصار * وخرج الرجل المخبر له صلى الله عليه وسلم دليلا لهم * وقال له صلى الله عليه وسلم سر حتى تنزل أرض بني أسد فأغر عليهم قبل ان تتلاقى عليك جموعهم فأغذ السير أي بفتح الهمزة والغين المشددة والذال المعجمتين أي أسرع ونكب أي بفتح الكاف المخففة عدل عن سيف الطريق وسار بهم ليلا ونهارا ليستبق الاخبار فانتهى الى ماء من مياههم فأغار على سرح لهم وأسروا ثلاثة من الرعاة * وافلت سائرهم ففرق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق فرقة بقيت معه وفرقتان أغارتا في طلب النعم والشاء والرجال فأصابوا ابلا وشاء ولم يلقوا أحدا فانحدر أبو سلمة بذلك كله الى المدينة * قال وقيل انه أخرج صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك عبدا أي لانه صلى الله عليه وسلم كان يباح له أخذ الصفي وهو ما يختاره أو يختاره له أمير السرية قبل القسمة من الفيء أو الغنيمة من جارية أو غيرها كما تقدم وأخرج الخمس ثم قسم ما بقي بين أصحابه فأصاب كل انسان سبعة أبعرة * أي وطليحة هذا كان يعد بألف فارس قدم عليه صلى الله عليه وسلم في بعض الوفود وأسلم ثم ارتد وادعى النبوة وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقويت شوكته ثم أسلم بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه وحسن اسلامه وحج في زمن عمر رضي الله عنه ولم يعرف لاخيه سلمة اسلام * بعث عبد الله بن أنيس الى سفيان بن خالد الهذلي ثم اللحياني بكسر اللام وفتحها وسبب ذلك أنه عليه الصلاة والسلام بلغه أن سفيان المذكور قد جمع الجموع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه ليقتله فقال صفه لي يا رسول الله فقال اذا رأيته هبته وفرقت أي خفت منه وذكرت الشيطان فقال عبد الله يا رسول الله ما فرقت من شيء قط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى انك تجد له قشعريرة

اذا رأيته فقال عبد الله فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول أى ما أتوصل به اليه من الحيلة فأذن لى أى قال لى قل ما بدا لك أى وقال انتسب الى خزاعة * قال عبد الله بن أنيس فسرت حتى اذا كنت ببطن عرنة وهو واد بقرب عرفة لقيته يمشى أى متوكئا على عصى يهد الارض ووراءه الاحابيش أى اخلاط الناس ممن انضم اليه فعرفته بنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وكان وقت العصر فخشيت أن يكون بينى وبينه محاولة يشغلنى عن الصلاة فصليت وأنا أمشى نحوه أومى برأسى فلما انتهيت اليه قال لى من الرجل فقلت رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لاكون معك قال أجل انى لاجمع له فمشيت معه ساعة وحدثته فاستحلى حديثى أى وكان فيما حدثته به أن قلت له عجبت لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه احلامهم فقال لى انه لم يلق أحدا يشبهنى ولا يحسن قتاله فلما انتهى الى خبائه وتفرق عنه أصحابه قال لى يا أخا خزاعة هلم فدنوت منه فقال اجلس فجلست معه حتى اذا هدىء الناس وناموا اغتررته فقتلته وأخذت رأسه ثم دخلت غارا فى الجبل وصيرت العنكبوت أى نسجت على وجاء الطلب فلم يجدوا شيأ فانصرفوا راجعين ثم خرجت فكنت أسير الليل وأتوارى النهار حتى قدمت المدينة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد * فلما رآنى قال افلح الوجه قلت افلح وجهك يا رسول الله فوضعت رأسه بين يديه وأخبرته خبرى فدفع لى عصى وقال تخصر بهذه فى الجنة أى توكأ عليها فان المتخصرين فى الجنة قليل فكانت تلك العصى عنده فلما حضرته الوفاة أوصى أهله أن يدخلوها فى كفنه يجعلوها بين جلده وكفنه ففعلوا أى وفى القاموس ذو المخصرة أى كمكنسة بكسر الميم عبد الله بن أنيس * وهذه القصة وقصة كعب بن الاشرف ترد على الزهرى قوله لم يحمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الى المدينة قط * وحمل الى أبى بكر رضى الله عنه رأس فكره ذلك * وأول من حملت اليه الرؤس عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وفيه أنه لما قتل الحسين وجماعة من أهل بيته بعث ابن زياد قبحه الله برؤسهم الى يزيد بن معاوية وابن الزبير رضى الله عنهما لم يبايع بالخلافة الا بعد موت يزيد ومضى مدة خلافة ابنه معاوية رضى الله عنه الذى خلع نفسه وهى أربعون يوما ولعل ارسال رأس الحسين ومن معه كان قبل رأس عبد الله بن الحمق فلا يرد فى قول ابن الجوزى أول رأس حمل فى الاسلام أى من المسلمين رأس عبد الله بن أبى الحمق وذلك أنه لدغ فمات فخشيت الرسل أن تتهم فقطعوا رأسه فحملوه ثم رأيت ابن الجوزى قال قال ابن حبيب نصب معاوية رضى

الله

الله عنه رأس عمرو بن أبي الحمق ونصب يزيد بن معاوية رأس الحسين رضي الله عنه وقول الزهري الى المدينة لا يخالف ما في النور تقدم في غزوة بدر كم من رأس حمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لان تلك الرؤس لم تحمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة على ان فيه انه لم يحمل اليه ذلك اليوم الا رأس أبي جهل على ما تقدم

(سرية الرجيع)

و في الاصل بعث الرجيع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة وقيل ستة عيونا الى مكة يتجسون أخبار قريش اي أتواهها وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري رضي الله عنه * ويقال له ابن أبي الافلح بالفاء * وقيل أمر عليهم مرثد الغنوي رضي الله عنه حليف عمه صلى الله عليه وسلم حمزة رضي الله عنه ومرثد بفتح الميم واسكان الراء وبالمثلثة والغنوي بغين معجمة أي وكان مرثد هذا يحمل الاسراء ليلا من مكة حتى يأتي بهم المدينة فوعد رجلا من الاسراء بمكة أن يحمله * قال فجئت بعه حتى انتهيت الى حائط من حيطان مكة في ليلة مقمرة فجاءت عناق وكانت من جملة البغايا بمكة فرأت ظلي في جانب الحائط فلما انتهت الى عرفتني قالت مرثد قلت مرثد قالت مرحبا وأهلا هلم تبت عندنا الليلة فقلت يا عناق ان الله حرم الزنا فدلت على فخرج في أثري ثمانية رجال فتواريت في كهف بالخندمة فجاؤا حتى وقفوا على رأسي وأعماهم الله عني فلما رجعوا رجعت لصاحبي فحملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت الى محل ففككت عنه قيده ثم جعلت أحمله حتى قدمت المدينة ثم استشرته صلى الله عليه وسلم ان أنكح عناقا فامسك عني حتى نزلت الآية الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين فدعاني صلى الله عليه وسلم فتلاها علي ثم قال لي لا تتزوجها * وفي قطعة التفسير للجلال المحلي ان الآية نزلت في بغايا المشركين لما هم فقراء المهاجرين أن يتزوجوهن وهن موسرات لينفقن عليهم فقيل التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ بقوله وأنكحوا الايامى منكم الآية وفيه ان عند فقهائنا يحرم على المسلم نكاح من تعبد الاوثان وان لم تكن بغيا ومن جملة العشرة عبد الله بن طارق وحبيب بن عدي وخبيب بتصغير خب وهو الماكر من الرجال الخداع وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر الثاء المثلثة وقد تسكن ثم نون مفتوحة ثم تاء تأنيث مقلوب من الندنه والندث استرخاء اللحم فخرجوا رضي الله عنهم أي يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى اذا كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل لقيهم سفيان بن خالد الهذلي الذي قتله عبد

الله بن أنيس وجاء برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم * وقوله وهم بنو لحيان فانهم ذكر والهم فتفرقوا اليهم فيما يقرب من مائة رام * أى ولا يخالف ما فى الصحيح قريبا من مائة رجل فاقتفوا آثارهم حين وجدوا لنوى تمر أكلوه فى منزل نزلوه * أى فان منهم امرأة كانت ترعى غنما فرأت النوى فقالت هذا تمر يثرب فصاحت فى قومها أتيتم فتبعوهم الى ان وجدوهم فى المحل المذكور فلما أحس بهم لجاؤا الى موضع من جبل هناك أى صعدوا به فأحاطوا به وقالوا لهم انزلوا ولكم العهد ان لا نقتل منكم أحدا فقال عاصم رضى الله عنه اما أنا فلا أنزل على ذمة أى أمان وعهد كافر فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما أى وستة منهم وصار عاصم يرميهم بالنبل وينشد أبياتا منها

الموت حق والحياة باطل * وكل ما قضى الاله نازل

بالمرء والمرء اليه آيل

ولا زال يرميهم حتى فنيت نبله ثم طاعنهم حتى انكسرت رمحه ثم سل سيفه وقال اللهم انى حميت دينك صدر النهار فاحم لحمى آخره * ونزل اليهم ثلاثة على العهد وهم خبيب وزيد وعبد الله بن طارق رضى الله عنهم فلما أمسكوهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوا خبيبا وزيدا وامتنع عبد الله وقال هذا أول الغدر أى ترك الوفاء بعهد الله والله لا أصحبكم ان لى بهؤلاء يعنى القتلى اسوة فعالجوه فأبى أن يصحبهم أى فقتلوه كما فى الصحيح * وقيل صحبهم الى ان كانوا بمر الظهران يريدون مكة انتزع عبد الله يده منهم ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه * وانطلقوا بخبيب وزيد أى ودخلوا بهما مكة فى شهر القعدة فباعوهما بأسيرين من هذيل كانا بمكة * أى وقيل بيع كل بخمسين من الابل * أى وقيل بيع خبيب بأمة سوداء فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيبا قيل لانه قتل الحارث يوم بدر كما فى البخارى وتعقب بأن المعروف عندهم ان قاتل الحارث يوم بدر انما هو خبيب ابن أساف الخزرجى * أى وقيل القاتل له على كرم الله وجهه وخبيب بن عدى هذا أوسى لم يشهد بدرا عند أحد من أرباب المغازى * أى وقيل فى هذا تضعيف الحديث الصحيح * ثم رأيت الحافظ ابن حجر رحمه الله ذكر انه يلزم من هذا رد الحديث الصحيح ولو لم يقتل خبيب بن عدى الحارث بن عامر ما كان لاعتناء آل الحارث بشرائه وقتله به معنى الا أن يقال لكونه من قبيلة قاتله وهم الانصار وابتاع زيدا صفوان بن أمية رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ليقتله بأبيه فحبسوهما الى أن تنقضى الاشهر الحرم واستعار خبيب رضى الله عنه وهو محبوس موسى من بنت

الحارث

الحارث وفي الصحيح من بعض بنات الحارث ليستحدّ بها أي يحلق بها عانته فدرج ابن لها صغير وهي غافلة عنه حتى أتى الى خبيب رضي الله عنه فأجلسه خبيب رضي الله عنه على فخذه والموسى بيده فلما رأت ابنها على تلك الحالة فزعت فزعة عرفها خبيب رضي الله عنه فقال أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك ان شاء الله تعالى وذلك بكسر الكاف لانه خطاب للمؤنث ❊ وروي انه رضي الله عنه أخذ بيد الغلام ❊ وقال هل أمكن الله منكم فقالت المرأة ما كان هذا ظني بك فرمى لها بالموسى وقال انما كنت مازحا ما كنت لاغدر ❊ وفي السيرة الهشامية ان تلك المرأة قالت قال لي تعني خبيبا رضي الله عنه حين حضره القتل ابعثي الي بحديدة أتطهر بها للقتل ❊ أي وتقدم ان رضي الله عنه قال لها اذا أرادوا قتلي فآذنيني فلما أرادوا قتله آذنته فطلب منها تلك الحديدة قالت فأعطيت غلاما من الحي الموسى فقلت له أدخل بها على هذا الرجل البيت قالت فوالله لما دخل عليه الغلام قلت والله أصاب الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ويكون رجل برجل ❊ فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال له لعمرك ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة الي ❊ ثم خلى سبيله ويقال ان الغلام ابنها أي ويرشد اليه قول خبيب رضي الله عنه ما خافت أمك وكانت بنت الحارث تقول والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب قالت والله لقد وجدته يوما أي وقد اطلعت عليه من شق الباب يأكل قطفا من عنب في يده أي مثل رأس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة ثمرة وفي رواية ولا أعلم في أرض الله عنبا يؤكل أي واستدل أئمتنا بقصة خبيب هذه على أنه يستحب لمن أشرف على الموت أن يتعهد نفسه بتقليم أظفاره وأخذ شعر شاربه وإبطه وعانته ❊ ولعل ذلك كان بلغ النبي صلى الله عليه وسلم وأقره ❊ فلما انقضت الاشهر الحرم بانقضاء ذي الحجة خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه في الحل ❊ فلما قدم للقتل قال لهم دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين ❊ وقال لهم والله لولا أن تحسبوا أن ما بي من جزع لزدت ثم قال اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا أي متفرقين واحدا بعد واحد ولا تبق منهم أحدا أي الكفار ❊ وقد قتلوا في الخندق متفرقين ❊ قال ذكر أنهم لما خرجوا به ليقتلوه خرج النساء والصبيان والعبيد فلما انتهوا به الى التنعيم أمر بالخشبة طويلة فحفر لها فلما انتهوا بخبيب اليها وبعد صلاته الركعتين صلبوه على تلك الخشبة أي ليراه الوارد والصادر فيذهب بخبره الى الاطراف ثم قالوا له ارجع عن الاسلام نخل سبيلك وان لم ترجع لنقتلنك قال ان قتلي في سبيل الله لقليل اللهم انه ليس هنا

أحد بلغ رسولك عنى السلام فبلغه عنى السلام وباعه ما صنع بنا * وعن أسامة ابن زيد رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه فأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحى فسمعناه يقول وعليه السلام ورحمة الله وبركاته * فلما سرى عنه صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل عليه السلام يقرئنى من خبيب السلام خبيب قتلته قريش * وقد جاء أن المشركين دعوا أربعين ولدا ممن قتل آباؤهم يوم بدر فأعطوا كل واحد رمحا وقالوا هذا الذى قتل آباءكم فطعنوه بتلك الرماح حتى قتلوه * وكانوا بتلك الخشبة أربعين رجلا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم المقداد والزبير رضى الله عنهما فى انزال خبيب عن خشبته * وفى لفظ قال صلى الله عليه وسلم أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال له الزبير بن العوام رضى الله عنه أنا يارسول الله وصاحبى المقداد بن الاسود * فجاآ فوجدا عندها أربعين رجلا لكنهم سكارى نياما فأنزلاه وذلك بعد أربعين يوما من صلبه وموته وحمله الزبير رضى الله عنه على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شئ فشعر بهما المشركون * أى وكانوا سبعين رجلا فتبعوهما فلما لحقوا بهما قذفه الزبير رضى الله عنه فابتلعته الارض اه * ومن ثم قيل له بليع الارض أى وكشف الزبير رضى الله عنه العمامة عن رأسه * وقال لهم أنا الزبير بن العوام وصاحبى المقداد بن الاسود أسدان رابضان يذبان عن شبلهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا عنهما وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان عنده صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال له جبريل يا محمد ان الملائكة تباهى بهذين الرجلين من أصحابك فنزل فيهما ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله الآية * وتقدم أنه قيل انها نزلت فى على كرم الله وجهه لما نام على فراشه صلى الله عليه وسلم ليلة ذهابه الى الغار * وقيل انها نزلت فى حق صهيب لما أراد الهجرة ومنعه منها قريش فجعل لهم ثلث ماله أو كله كما تقدم * ورأيت بعضهم هنا قال انها نزلت فى صهيب رضى الله عنه لما أخذه المشركون ليعذبوه فقال لهم انى شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أو من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالى وتدعونى ودينى ففعلوا * وفى كلام ابن الجوزى رحمه الله أن عمرو بن أمية هو الذى أنزل خبيبا فعنه رضى الله عنه قال جئت الى خشبة خبيب فرقيت فيها فحللته فوقع الى الارض ثم التفت فلم أر خبيبا ابتلعته الارض وهذا هو الموافق لما فى السيرة الشامية وأن ذلك كان حين أرسله صلى الله عليه وسلم والانصارى لقتل أبى سفيان بن حرب كما سيأتى ان شاء الله تعالى * أى وكان خبيب

رضي الله عنه تحرك على الخشبة فانقلب وجهه عن القبلة أي الكعبة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحوّل وجهي نحو قبلتك فحوّل الله وجهه نحوها فقال الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضي لنفسه ولنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين ودعا عليهم خبيب رضي الله عنه فقال اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فألقى أبو سفيان بنفسه الى الارض على جنبه خوفا من دعوة خبيب رضي الله عنه لانهم كانوا يقولون ان الرجل اذا دعي عليه فاضطجع لجنبه زال عنه أي لم تصبه تلك الدعوة * وقد ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعد بن عامر رضي الله عنه على بعض أجناد الشام فقيل له انه مصاب يلحقه غشي فاستدعاه فلما قدم عليه وجد معه مزودا وعكازا وقدحا فقال له عمر رضي الله عنه ليس معك الا ما أرى فقال له وما أكثر من هذا يا أمير المؤمنين مزودي أضع فيه زادي وعكازي أحمل به ذلك وقدحي آكل فيه * فقال له عمر رضي الله عنه أبك لمم فقال لا فقال فما غشية بلغني أنها تصيبك فقال والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قط الا غشي علي فزاده ذلك عند عمر رضي الله عنه خيرا وعظا عمر فقال له من يقدر على ذلك فقال أنت يا أمير المؤمنين انما هو أن يقال فتطاع فقال له عمر رضي الله عنه ارجع الى عملك فأبى وناشده الا اعفاه فأعفاه * وكان خبيب رضي الله عنه هو الذي سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة أي لانه صلى الله عليه وسلم بلغه ذلك عنه فاستحسنه فكان سنة *أي وهذا يدل على أن واقعة زيد بن حارثة رضي الله عنهما متأخرة عن قصة خبيب رضي الله عنه لكن في النور والمعروف ان زيد بن حارثة صلاهما قبل خبيب بزمن طويل وفي الينبوع أن قصة زيد بن حارثة رضي الله عنهما كانت قبل الهجرة *أي وكان ابن سيرين رحمه الله اذا سئل عن الركعتين قبل القتل * قال صلاهما خبيب رضي الله عنه وحجر وهما فاضلان و يعني بحجر حجر بن عدي رضي الله عنه فان زيادا والي العراق من قبل معاوية رضي الله عنه وشى به الى معاوية فأمر معاوية باحضاره * فلما قدم على معاوية قال له السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال معاوية رضي الله عنه أو أمير المؤمنين انا اضربوا عنقه * فلما قدم للقتل قال دعوني أصلي ركعتين فصلاهما خفيفتين * ثم قال رضي الله عنه لولا أن تظنوا بي غير الذي بي لاطلتهما * ثم قتل هو وخمسة من أصحابه * ولما حج معاوية رضي الله عنه وجاء المدينة زائرا

استأذن على عائشة رضي الله عنها فأذنت له فلما قعد قالت له أما خشيت الله في قتل
حجر وأصحابه قال انما قتلهم من شهد عليهم * وقصة زيد بن حارثة رضي الله عنهما
رواها الليث بن سعد قال بلغني أن زيد بن حارثة اكترى بغلا من رجل بالطائف
قال به ذلك الرجل الى خربة وقال له انزل فنزل زيد رضي الله عنه فاذا في الخربة
المذكورة قتلى كثيرة * فلما أراد أن يقتله قال له دعني أصلي ركعتين أي لانه رأى
أن الصلاة خير ما ختم به عمل العبد * قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم
شيأ * وهذا يدل على أن القتلى كلهم كانوا مسلمين * قال فلما صليت أتاني ليقتلني
فقلت يا أرحم الراحمين * قال فسمع صوتا يقول لا تقتله فهاب ذلك فخرج يطلبه
فلم ير شيأ فرجع الي فناديت يا أرحم الراحمين فعل ذلك ثلاثا فاذا بفارس على
فرس في يده حربة حديد في رأسها شعلة نار فطعنه بها فأنفذها من ظهره فوقع
ميتا ثم قال لي لما دعوت الاولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة فلما
دعوت الثانية يا أرحم الراحمين كنت في سماء الدنيا فلما دعوت الثالثة أتيتك
* أقول وقد وقع مثل ذلك لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الانصار يكنى أبا معلق وكان يتجر بمال له ولغيره يسافر به في الافاق وكان ناسكا
ورعا فخرج مرة في بعض أسفاره فلقيه لص مقنعا في السلاح فقال له ضع ما معك
فاني قاتلك فقال ما تريد من دمي فشأنك والمال فقال أما المال فلي ولست أريد
الا دمك فقال ذرني أصلي أربع ركعات فقال صل ما شئت فتوضأ ثم صلى أربع
ركعات ثم دعا في آخر سجدة فقال يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما تريد أسئلك
بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن
تكفيني شر هذا اللص يا مغيث أغثني وكرر ذلك ثلاث مرات فاذا هو بفارس قد
أقبل بيده حربة وضعها من أذني فرسه فلما بصر به اللص أقبل نحوه فطعنه الفارس
فقتله * ثم أقبل الى أبي معلق فقال قم فقال من أنت بأبي أنت وأمي فلقد أغاثني الله
بك اليوم قال انا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الاوّل فسمعت لابواب
السماء قعقعة ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لاهل السماء ضجة ثم دعوت
بدعائك الثالث فقيل لي دعاء مكروب فسألت الله تعالى أن يوليني قتله * قال أنس
رضي الله عنه من فعل ذلك أستجيب له مكروبا كان أو غير مكروب أي وقد وقع
نظير هذه المسألة أي من حيث اقراره صلى الله عليه وسلم على فعل غيره وهو أنهم كانوا
يأتون الصلاة قد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فكان الرجل يشير الى
الرجل كم صلى فيقول واحدة أو اثنتين فيصليهما وحده ثم يدخل مع القوم

فى صلاتهم فجاء معاذ رضى الله عنه فقال لا أجده صلى الله عليه وسلم على حال أبدا الا كنت عليها ثم قضيت ماسبقنى فجاء وقد سبقه النبى صلى الله عليه وسلم ببعضها فثبت معه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قام فقضى ماعليه * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد سن لكم معاذ فكذا فاصنعوا أى وكان هذا قبل قوله صلى الله عليه وسلم ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا وأخرج صفوان بن أمية رضى الله عنه زيدا رضى الله عنه الى الحل مع مولى له ليقتله به واجتمع عند قتله رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب * فلما قدم للقتل قال له أبو سفيان رضى الله عنه أنشدك الله يازيد أتحب محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت فى أهلك فقال والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانى لجالس فى أهلى * فقال أبو سفيان رضى الله عنه مارأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا * ونقل مثل ذلك عن خبيب رضى الله عنه أى فانهم لما وضعوا السلاح فى خبيب رضى الله عنه وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك قال لا والله ما أحب أن يؤذى بشوكة فى قدمه ثم قتله ذلك المولى أى طعنه برمح فى صدره حتى أنفذه من ظهره * وقيل رمى بالنبل وأرادوا افتتنه عن دينه فلم يزدد الا ايمانا ولما قتل عاصم رضى الله عنه الذى هو أمير هذه السرية على ماتقدم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة وهى أم مسافع وجلاس ابنى طلحة ابن أبى طلحة بن عبد الدار وكلام بعضهم يقتضى انها أسلمت بعد فان عاصما هذا كما تقدم قتل يوم أحد ولديها كلاهما أشعره سهما وكل يأتى اليها بعد أصابته بالسهم ويضع رأسه فى حجرها فتقول يابنى من أصابك فيقول سمعت رجلا يقول حين رمانى خذها وأنا ابن أبى الأفلح فنذرت ان قدرت على رأسه لتشربن فى قحفه الخمر وجعلت لمن يجىء برأسه مائة ناقة كما تقدم فحالت الدبر بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وهى الزنابير بينهم وبين عاصم رضى الله عنه كلما اقدموا على قحفه طارت فى وجوههم ولدغتهم فقالوا دعوه حتى يمسى فنأخذه فبعث الله الوادى أى سال فاحتمل السيل عاصما فذهب به حيث أراد الله فسمى حمى الدبر وبعث ناس من قريش لما بلغهم قتل عاصم فى طلب جسده أو شىء منه يعرفونه أى ليمثلوا به لانه قتل عظيما من عظمائهم * قال الحافظ ابن حجر لعله عقبة بن أبى معيط فان عاصما قتله صبرا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا من بدر أى كما تقدم * قال وكأن قريشا لم تشعر بما جرى لهذيل من منع الزنابير لهم عن عاصم أو شعروا بذلك ورجوا أن الزنابير تركته أى ولم يشعروا بأن السيل أخذه

انتهى * أى وقد كان عاصم رضى الله عنه دعا الله أن لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك فى حياته وتقدم هنا أنه دعا الله أن يحمى لحمه فاستجاب الله له فلم يصل له ذلك لا فى حياته ولا بعد موته أى * وفى كلام بعضهم لما نذر عاصم أن لا يمس مشركا ووفى بنذره عصمه الله عن مساس سائر المشركين اياه فصار عاصم معصوما هذا وقيل ان هؤلاء العشرة لم يخرجوا ليأتوا بخبر قريش وانما خرجوا مع رهط من عضل والقاره * وذلك انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رهط من عضل والقاره وقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا فى الدين ويقرؤنا القرآن ويعلمونا شرائع الاسلام فبعث صلى الله عليه وسلم معهم أولئك النفر فساروا حتى اذا كانوا على الرجيع استصرخوا عليهم هذيلا فلم يشعروا الا والرجال بأيديهم السيوف فدهموهم فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيأ من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم فأبوا الحديث * والحافظ الدمياطى رحمه الله اقتصر على هذا الثانى وأن أميرهم كان مرثد الغنوى رضى الله عنه فقال سرية مرثد الغنوى الى الرجيع قال قدم رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما الحديث لكنه فى سياق القصة قال وأمر عليهم عاصما وقيل مرثدا رضى الله عنهما وأخر هذه السرية عن السرية بعدها التى هى سرية القراء الى بئر معونة

(سرية القراء رضى الله عنهم)

الى بئر معونة لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عامر بن مالك ملاعب الاسنة أى ويقال له ملاعب الرماح وهو رأس بنى عامر أى ويقال له أيضا أبو براء بالمد لا غير وهو عم عامر بن الطفيل عدو الله أى وأهدى اليه صلى الله عليه وسلم فرسين وراحلتين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أقبل هدية من مشرك * وفى رواية نهيت عن عطايا المشركين * أقول وفى كلام السهيلى أنه أهدى اليه فرسا وأرسل اليه انى قد أصابنى وجع فابعث الى بشىء أتداوى به فأرسل اليه صلى الله عليه وسلم بعكة عسل وأمره أن يستشفى به وقال نهيت عن زبد المشركين * قال السهيلى والزبد مشتق من الزبد لانه نهى عن مداهنتهم والملاينة لهم كأن المداهنة مشتقة من الدهن فرجع المعنى الى اللين كذا قال ولعل هذا كان بعد ما تقدم ويحتمل أن يكون قبله وهو الاقرب والله أعلم * فلما قدم عليه أبو عامر عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ودعاه

اليه فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام * أى وقال انى أرى أمرك هذا أمرا حسنا شريفا أى ولم يسلم بعد ذلك على الصحيح خلافا لمن عده فى الصحابة * ثم قال يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد أى وهم بنو عامر وبنو سليم فدعوتهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخشى أهل نجد عليهم * قال أبو براء أنا لهم جار وهم فى جوارى وعهدى فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك وخرج أبو براء الى ناحية نجد وأخبرهم انه قد أجار أصحاب محمد فبعث رسول الله عليه السلام المنذر بن عمرو رضى الله عنه فى أربعين * وقيل فى سبعين وعليه اقتصر الحافظ الدمياطى أى لانه الذى فى صحيح البخارى وقيل فى ثلاثين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين اى وذكر الحافظ ابن حجر أن هذا القيل وهم وأنه يمكن الجمع بين كونهم سبعين وكونهم أربعين بأن الاربعين كانوا رؤساء وبقية العدة كانوا أتباعا ويقال لهؤلاء القراء أى لملازمتهم قراءة القرآن فكانوا اذا أمسوا اجتمعوا فى ناحية المدينة يصلون ويتدارسون القرآن فيظن أهلوهم أنهم فى المسجد ويظن أهل المسجد أنهم فى أهاليهم حتى اذا كان وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا وجاؤا بذلك الى حجر النبى صلى الله عليه وسلم وفى كلام بعضهم أنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويتدارسون القرآن بالليل وكانوا يبيعون الحطب ويشترون به طعاما لاصحاب الصفة * وقد يقال لا منافاة لجواز أنهم كانوا يفعلون هذا مرة وهذا أخرى أو بعضهم يفعل أحد الامرين وبعضهم يفعل الآخر وكان منهم عامر بن فهيرة رضى الله عنه وكتب صلى الله عليه وسلم لهم كتابا فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين ارض بنى عامر وحرة بنى سليم والحرة أرض فيها حجارة سود * فلما نزلوها بعثوا حرام بالحاء المهملة والراء ابن ملحان وهو خال أنس بن مالك بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل لعنه الله أى وهو رأس بنى سليم * وفى لفظ سيد بنى عامر وابن أخى أبى براء عامر بن مالك كما تقدم فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا عليه فقتله أى بعد أن قال يا أهل بئر معونة انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فآمنوا بالله ورسوله * فجاء اليه رجل من خلفه فطعنه بالرمح فى جنبه حتى نفذ من جنبه الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة وقال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه ثم استصرخ عليهم * أى استغاث بنى عامر فأبوا أن يجيبوه الى مادعاهم اليه وقالوا انا لن نخفر بأبى براء اى لا نزيل خفارته وننقض عهده وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من سليم * قال الحافظ الدمياطى عصية ورعلا وذكوان زاد بعضهم وبنى لحيان * قال بعضهم وليس فى عده

منه أقول هكذا ما أشار اليه بمرى اليه ذلك من كونه صلى الله عليه وسلم لم يجمع بنى لحيان في الدعاء عليهم مع من ذكر قبله وسيأتى أنه اتلجعهم معهم لان خبر أصحاب الرجيع وأصحاب بئر معونة جاءه صلى الله عليه وسلم في يوم واحد وبنو لحيان أصحاب الرجيع فدعا عليهم دعاء واحدا والله أعلم * فلما دعا تلك القبائل الثلاثة التى هي عصية ورعل وذكوان أجابوا الى ذلك * ثم خرجوا حتى أحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم فقاتلوهم حتى قتلوا الى آخرهم الا كعب بن زيد رضي الله عنه فانه بقى به رمق وحمل من المعركة فعاش بعد ذلك حتى قتل يوم الخندق شهيدا والا عمرو بن أمية الضمرى رضي الله عنه ورجلا آخر كانا في سرح القوم * ولما أحاطوا بهم قالوا اللهم انا لانجد من يبلغ رسولك عنا السلام غيرك فأقرئه منا السلام فأخبره جبريل عليه السلام بذلك فقال وعليهم السلام * أى وفى لفظ أنهم قالوا اللهم بلغ عنا نبينا صلى الله عليه وسلم أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا فلما جاءه الخبر من السماء قام صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان أخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم وأنهم قالوا ربنا بلغ قومنا أنا قد لقينا ربنا ورضينا عنه ورضى عنا ربنا * وفى لفظ فرضى عنا وأرضانا فأنا رسولهم اليكم انهم قد رضوا عنه ورضى عنهم * وذكر أنس رضي الله عنه أن ذلك أى قولهم المذكور كان قرآنا يتلى * ثم نسخت تلاوته أى فصار ليس له حكم القرآن من التعبد بتلاوته وانه لايمسه الا الطاهر ولايتلى فى صلاة الى غير ذلك من أحكام القرآن * ولما رأى عمرو بن أمية والرجل الذى معه الطير تحوم على محل أصحابهما أى وكانا فى رعاية ابل القوم كما تقدم قالا والله ان لهذا الطير لشأنا فأقبلا ينظران فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الرجل الذى مع عمرو ماذا ترى * فقال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر * فقال له لكنى ما كنت لارغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وأقبلا فلقيا القوم فقتل ذلك الرجل وأسر عمرو فأخبرهم أنه من مضر فأخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه * فخرج عمرو حتى جاء الى ظل فجلس فيه فأقبل رجلان حتى نزلا به معه فسألهما فأخبراه أنهما من بنى عامر * وفى لفظ من بنى سليم وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو فأمهلهما حتى ناما فعدا عليهما فقتلهما وهو يرى أى يظن أنه أصاب بهما ثأرا من بنى عامر * فلما قدم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر وأخبره بقتل الرجلين فقال له لقد قتلت قتيلين لادينهما أى لادفعن ديتهما * ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا * ولما بلغ أبا براء أن عامر بن الطفيل
ولد اخيه أزال خفارته شق عليه ذلك وشق عليه ما أصاب أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسببه فعند ذلك حمل ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطفيل
أي الذي هو ابن عمه فطعنه بالرمح فوقع في فخذه ووقع عن فرسه وقال ان أمامت
فدمي لعمي يدني أبا براء وان أعش فسأرى رأيي أي وفي لفظ نظرت في أمري وفي
الاصابة أن ربيعة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أيغسل عن
أبي هذه العذرة أن أضرب عامر بن الطفيل ضربة أو طعنة قال نعم فرجع ربيعة
فضرب عامرا ضربة أسواه منها فوثب عليه قومه فقالوا لعامر ابن الطفيل اقتص
فقال قد عفوت أي وعقب ذلك مات أبو براء أسفا على ماصنع به ابن أخيه عامر بن
الطفيل من ازالته خفارته وعاش عامر بن الطفيل ولم يمت من هذه الطعنة بل مات
بالطاعون بدعائه صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في الوفود في وفد بني عامر (ه)
أي وقال بعضهم قد أخطأ المستغفري في عده صحابيا ولما قتل عامر فهيرة رضي الله
تعالى عنه رفع الى السماء فلما رأى قاتله ذلك أسلم أي وهو جبار بن سلمى أي
لا عامر بن الطفيل كما وقع في بعض الروايات كما علمت وقال صلى الله عليه وسلم أي
لما بلغه قتل عامر بن فهيرة ان الملائكة وارت جثة عامر بن فهيرة أي في الارض
أي بناء على أنه لما رفع الى السماء وضع كما في البخاري فقد جاء أن عامر بن الطفيل
قال لعمرو بن أمية رضي الله عنه وأشار الى قتيل من هذا فقال له عمرو هذا عامر
ابن فهيرة فقال لقد رأيته بعد ماقتل رفع الى السماء حتى أني لانظر الى السماء بينه
وبين الارض ثم وضع وفي بعض الروايات أن عامر بن فهيرة التمس في القتلى يومئذ
أي فلم يوجد فيرون أن الملائكة رفعته وظاهرها أن الملائكة لم تضعه في الارض
بل رفعته أي ويؤيده أن عامر بن الطفيل لعنه الله دخل بعمرو وابن أمية رضي الله
تعالى عنه في القتلى وصار يقول له ما اسم هذا ما اسم هذا ثم قال له هل من
أصحابك من ليس فيهم قال نعم ما رأيت فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي
الله تعالى عنهما قال له عامر أي رجل هو فيكم قال من أفضلنا وأولى أي ومن أولى
المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عامر لما قتل رأيته رفع الى
السماء وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة ومكث يدعو عليهم ثلاثين صباحا
* أقول وفي رواية الشيخين قنت شهرا أي متتابعا يدعو على قاتلي أصحاب بئر
معونة أي بعد الاعتدال في الصلوات الخمس من الركعة الاخيرة وحينئذ يكون

أى لدعا الصباح اليوم وليلته وذكر بعض أصحابنا أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه فى الدعاء المذكور وقاس عليه رفعهما فى قنوت الصبح وروى الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه فى قنوت الصبح واستدل أصحابنا على استحباب القنوت للنازلة فى سائر المكتوبات بقنوته ودعائه على قاتلى أصحاب بئر معونة وفى بعض السير فدعا النبى صلى الله عليه وسلم شهرا عليهم فى صلاة الغداة وفى لفظ يدعو فى الصبح وذلك بدؤ القنوت وما كان يقنت رواه الشيخان * وقد سئل الجلال السيوطى هل دعاؤه صلى الله عليه وسلم على من قتل أصحابه كان عقب فراغه من القنوت المشهور أو كان الدعاء هو قنوته * فأجاب رحمه الله بأنه لم يقف على شىء من الاحاديث يدل على أنه صلى الله عليه وسلم جمع بين القنوت والدعاء قال بل ظاهر الاحاديث أنه اقتصر على الدعاء أى فيكون قنوته هو الدعاء وهو الموافق لقول أصحابنا ويستحب القنوت فى اعتدال آخرة صبح مطلقا وآخر سائر المكتوبات أى باقيها للنازلة وهو اللهم اهدنا الخ فى أن أل فى القنوت للعهد والله أعلم وفى رواية أنه يدعو على الذين أصابوا أصحابه فى الموضعين أى بئر معونة والرجيع دعاء واحدا لانه صلى الله عليه وسلم جاءه خبرهما فى وقت واحد كما تقدم وأدمج البخارى رحمه الله بئر معونة مع بعث الرجيع لقربهما فى الزمن أى فعنيه مكث صلى الله عليه وسلم يدعو على احياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان أى وهو يقتضى أنهما شىء واحد وليس كذلك وقد علمت أن بنى لحيان قتلوا أصحاب الرجيع ومن قبلهم قتلوا أصحاب بئر معونة

(سرية محمد بن مسلمة الى القرطاء)

بالقاف مفتوحة وبالطاء المهملة وهم بنو بكر بن كلاب بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الى القرطاء فى ثلاثين راكبا أى وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأمره أن يشن عليهم الغارة فسار الليل وكمن النهار * قال وصادف فى طريقه ركبانا نازلين فأرسل رجلا من أصحابه يسأل من هم فذهب الرجل ثم رجع اليه فقال قوم من محارب فنزل قريبا منهم ثم أمهلهم حتى عطنوا أى بركوا الابل حول الماء أغار عليهم فقتل نفرا منهم أى عشرة وهرب سائرهم واستاق نعما وشاء ولم يتعرض للظعن أى النساء انتهى ثم انطلق حتى اذا كان بموضع يطلعه على بنى بكر بعث عائذ بن بشير اليهم وخرج محمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه فى أصحابه فشن عليهم الغارة فقتل منهم عشرة واستاقوا النعم والشاء ثم انحدر رضى الله عنه الى المدينة فخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به وعدل الجزور بعشرة من

الغنم وكان النعم مائة وخمسين بعيرا والغنم ثلاثة آلاف شاة وأخذت تلك السرية ثمامة بن أثال الحنفي من بني حنيفة أي سيد أهل اليمامة وهم لا يعرفونه وجيء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم أتدرون من أخذتم هذا ثمامة ابن أثال الحنفي فاحسنوا اساره أي قيده (٥) فربط بسارية من سوارى المسجد * قال وقيل ان هذه السرية لم تأخذه بل دخل المدينة وهو يريد مكة للعمرة فتحير في المدينة وقد كان جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا من عند مسيلمة وأراد اغتياله صلى الله عليه وسلم فدعا ربه أن يمكنه منه فأخذ وجيء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فربط بسارية من سوارى المسجد فدخل صلى الله عليه وسلم على أهله فقال اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به اليه وأمر له صلى الله عليه وسلم بناقة يأتيه لبنها مساء وصباحا وكان ذلك لا يقع عند ثمامة موقعا من كفايته أي وجاء اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا ثمام هل أمكن الله منك فقال قد كان ذلك يا محمد وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه فيقول ما عندك يا ثمامة فيقول يا محمد عندي خير ان تقتل تقتل ذا كرم وفي لفظ ذا دم وان تعف تعف عن شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فمعل ذلك معه ثلاثة أيام قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فجعلنا أى المساكين أى أصحاب الصفة نقول نبينا صلى الله عليه وسلم ما يصنع بدم ثمامة والله لأكلة جزور سمينة من فدائه أحب الينا من دم ثمامة وفي الاستيعاب أنه صلى الله عليه وسلم انصرف عن ثمامة وهو يقول اللهم أكلة لحم من جزور أحب الى من دم ثمامة ثم أمر به فأطلق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الثالث قال اطلقوا ثمامة فقد عفوت عنك يا ثمامة فأطلق فانطلق الى ماء جار قريب من المسجد فاغتسل وطهر ثيابه ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أى وهذا يخالف ما ذكره فقهاؤنا من الاستدلال بقصة ثمامة على أنه يستحب لمن أسلم أن يغتسل لاسلامه ثم رأيت بعض متأخرى أصحابنا أجاب بأنه أسلم أولا ثم لما اغتسل أظهر اسلامه وفي الاستيعاب فأسلم فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يغتسل كما في رواية أخرى أنه قال يا محمد والله ما كان على الارض وجه أبغض الى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها الى والله ما كان على الارض من دين أبغض الى من دينك فقد أصبح دينك أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فقد أصبح بلدك أحب البلاد الى ثم شهد شهادة الحق فلما أمسى جيء له بما كان يأتيه من الطعام فلم ينل منه الا قليلا ولم يصب من حلاب

النقمة الا يسيرا فعجب المسلمون * قال وقال يارسول الله أنى خرجت معتمرا وفى لفظ فى الصحيح فان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى فأمره أن يعتمر فلما قدم بطن مكة لبى فكان أول من دخل مكة ملبيا فأخذته قريش فقالوا لقد اجترأت علينا أنت صبوت يا ثمامة قال أسلمت وتبعت خير دين محمد والله لا يصل اليكم حبة من حنطة أى من اليمامة من أرض اليمن وكانت ريف الاهل مكة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة فخلوا سبيله فخرج ثمامة الى اليمامة فمنعهم أن يحملوا الى مكة شيأ حتى أضربهم الجوع وأكلت قريش العلهز وهو الدم يخلط بأوبار الابل يشوى على النار كما تقدم فكتبت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقد قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع انك تأمر بصلة الرحم وانك قد قطعت أرحامنا فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثمامة رضى الله تعالى عنه أن يخلى بينهم وبين الحمل وفى لفظ خل بين قومى وبين ميرتهم ففعل فأنزل الله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب الآية هذا والذى فى الاستيعاب أن ثمامة لما دخل مكة وقد سمع المشركون خبره فقالوا يا ثمامة صبوت وتركت دين آبائك قال لا أدرى ما تقولون الا أنى أقسمت برب هذه البنية يعنى الكعبة لا يصل اليكم من اليمامة شىء مما تنتفعون به حتى تتبعوا محمدا من آخركم وكانت ميرة قريش ومنافعهم من اليمامة ثم خرج رضى الله تعالى عنه فنع عنهم ما كان يأتى منها فلما أضربهم ذلك كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحث عليها وان ثمامة قد قطع عنا ميرتنا وأضربنا فان رأيت ان تكتب اليه أن يخلى بيننا وبين ميرتنا فافعل فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل بين قومى وبين ميرتهم واما تعجب المسلمون من أكله بعد اسلامه رضى الله تعالى عنه لكونه دون أكله قبل اسلامه قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبون من رجل أكل أول النهار فى معاء كافر وأكل آخر النهار فى معاء مسلم أن الكافر ليأكل فى سبعة أمعاء وان المسلم يأكل فى معاء واحد انتهى أى وقد وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك مع جهجاه الغفارى رضى الله تعالى عنه فانه أكل مع النبى وهو كافر فأكثر ثم أكل معه وقد أسلم فأقل فقال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل فى معاء واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء ولعل المراد بالاكل ما يشمل الشرب ثم رأيت فى الجامع الصغير ان الكافر ليشرب فى سبعة أمعاء والمسلم يشرب فى معاء واحد والمراد أنه يأكل

ويشرب

ويشرب مثل الذى يأكل ويشرب فى سبعة أمعاء وكان رضى الله تعالى عنه مقيما باليمامة ولما ارتد أهل اليمامة ثبت ثمامة فى قومه على الاسلام وكان ينهاهم عن اتباع مسيلمة لعنه الله ويقول لهم اياكم وأمرا مظلما لا نور فيه وأنه لشقاء كتبه الله على من اتبعه منكم

(سرية عكاشة بن محصن رضى الله عنه الى الغمر)

بفتح الغين المعجمة وسكون الميم والراء ماء لبنى أسد الى جمع من بنى أسد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن الاسدى رضى الله عنه فى أربعين رجلا منهم ثابت بن ارقم رضى الله عنه وقيل ان ثابتا رضى الله عنه هو الذى كان الامير على هذه السرية فخرج يسرع فى السير الى أن وصل الى الماء المذكور فوجد القوم علموا بهم فهربوا ولم يجدوا فى دارهم أحدا فبعث شجاع بن وهب طليعة يطلب خبرا ويرى أثرا فأخبر أنه رأى أثر نعم قريبا فخرجوا فوجدوا رجلا نائما فسألوه عن خبر الناس فقال وأين الناس لقد لحقوا بعليا بلادهم قالوا فالنعم قال معهم فضربه أحدهم بسوط فى يده فقال تؤمنونى على دمى وأطلعكم على نعم لبنى عم لهم لم يعلموا بمسيركم اليهم قالوا نعم فآمنوه فانطلقوا معه فأمعن أى بالغ فى الطلب حتى خافوا أن يكون ذلك غدرا منه لهم فقالوا والله لتصدقنا أو لنضرب عنقك فقال تطلعون عليهم من هذا المحل فلما اطلعوا منه وجدوا نعما رواتع فأغاروا عليهم فاستاقوها فاذا هى مائة بعير وشردت الاعراب فى كل وجه ولم يطلبوهم وانحدروا الى المدينة بتلك الابل وأطلقوا الرجل الذى آمنوه والله أعلم

(سرية محمد بن مسلمة رضى الله عنه لذى القصة)

بفتح القاف والصاد المهملة المشددة وهو موضع قريب من المدينة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة فى عشرة نفر لبنى ثعلبة وبنى عوال من ثعلبة بذى القصة فوردعليهم ليلا فكمن القوم وهم مائة رجل لمحمد بن مسلمة وأصحابه وأمهلوهم حتى ناموا واحدقوا بهم أى فما شعروا الا وقد خالطهم القوم (ه) فوثب محمد بن مسلمة فصاح فى أصحابه السلاح فوثبوا وتراموا ساعة ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم ووقع محمد بن مسلمة جريحا فضربوا كعبه فلم يتحرك فظنوا موته فجردوه من الثياب وانطلقوا ومر بمحمد وأصحابه رجل من المسلمين فاسترجع فلما سمعه محمد رضى الله تعالى عنه يسترجع تحرك له فأخذه وحمله الى المدينة فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح فى أربعين رجلا الى مصارعهم فلم يجدوا أحدا ووجدوا نعما وشاء فانحدر بها الى المدينة

(سرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الى ذي القصة أيضا)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه في أربعين رجلا الى من بذي القصة فانه بلغه صلى الله عليه وسلم انهم يريدون ان يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى يومئذ بمحل بينه وبين المدينة سبعة أميال فصلوا المغرب ومشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا في الجبال وأسروا رجلا واحدا وأخذوا نعما من نعمهم ورثة أي ثيابا خلقة من متاعهم وقدموا بذلك الى المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم الرجل فتركه صلى الله عليه وسلم

(سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما الى بني سليم)

بالجموح بفتح الجيم وهو اسم لناحية من بطن نخل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى بني سليم بالجموح فسار حتى ورد ذلك المحل فأصابوا امرأة من مزينة فدلتهم على محلة من محال القوم فأصابوا في تلك المحلة ابلا وشاء وأسروا منها جماعة من جملتهم زوج تلك المرأة وانحدروا بذلك الى المدينة فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك المرأة نفسها وزوجها

(سرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى العيص)

وهو محل بينه وبين المدينة أربع ليال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيرا لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب ليعترضها أي وكان فيها أبو العاص بن الربيع وقدم به وبتلك العير المدينة فاستجار أبو العاص بزوجته زينب رضي الله عنها فأجارته ونادت في الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر أي دخل في الصلاة هو وأصحابه فقالت أيها الناس اني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي لما سلم وأقبل على الناس وقال هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال أما والذي نفسي بيده ما علمت بشيء من هذا أي ثم انصرف صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته وقال قد أجرنا من أجرت * قال وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم أي وفي الصحيحين ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما أي أزال خفارته أي نقض جواره وعهده فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم دخلت عليه صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله تعالى عنها فسألته أن يرد على أبي العاص ما أخذ منه فأجابها الى ذلك وقال لها صلى الله عليه وسلم أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص اليك فانك لا تحلين له أي لتحريم نكاح المؤمنات على المشركين

أى كما تقدم فى الحديبية وبعث صلى الله عليه وسلم للسرية فقال لهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فىء الله الذى أفاءه عليكم فأنتم أحق به فقالوا يا رسول الله بل نرد عليه فردوا عليه ما أخذ منه وهذا السياق يدل على ان ذلك كان قبل صلح الحديبية ووقوع الهدنة لان بعد ذلك لم تتعرض سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش وهو يخالف قوله صلى الله عليه وسلم لها لا يخلصن اليك لان تحريم نكاح المؤمنات على المشركين انما كان فى الحديبية وقد ذكر بعضهم أن ذلك كان قبيل الفتح سنة ثمان ومن ثم ذكر الزهرى وتبعه بن عقبة رحمهم الله تعالى ان الذين أخذوا هذا العير وأسروا من فيها أبو بصير وأبو جندل وأصحابهما رضى الله عنهم لانهم كانوا فى مدة صلح الحديبية من شأنهم ان كل عير مرت بهم لقريش أخذوها بغير معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فلما أخذوا هذه العير خلوا سبيل أبى العاص لكونه صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أعجزهم هربا وجاء تحت الليل فدخل على زوجته زينب رضى الله تعالى عنها فاستجار بها فأجارته ثم كلمها فى أصحابه الذين أسروا فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فخطب الناس وقال انا صاهرنا أبا العاص فنعم الصهر وجدناه وانه قد أقبل من الشام فى أصحاب له من قريش فأخذهم أبو جندل وأبو بصير وأسروهم وأخذوا ما كان معهم وان زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتنى ان أجيرهم فهل أنتم مجيرون أبا العاص وأصحابه فقال الناس نعم فلما بلغ أبا جندل وأبا بصير وأصحابهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا الاسرى وردوا اليهم كل شيء حتى العقال وصوب فى الهدى هذا الذى ذكره الزهرى أى لما علمت ان مما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لبنته زينب ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له لان تحريم نكاح المؤمنات على المشركين انما كان بعد الحديبية وذكر ان المسلمين قالوا لابى العاص يا أبا العاص انك فى شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لانه يلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جده عبد مناف فهل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة فقال بئسما أمرتمونى افتتح دينى بغدرة أى بالغدر وعدم الوفاء ثم ذهب أبو العاص الى أهل مكة فادى كل ذى حق حقه ثم قام فقال يا أهل مكة هل بقى لأحد منكم مال لم يأخذه هل وفيت ذمتى فقالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما فقال انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى عن الاسلام عنده الا خشية ان تظنوا انى انما أردت ان آكل

أموالكم ثم خرج حتى قدم المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فرد له رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضى الله عنها على النكاح الاول ولم يحدث نكاحا وذلك بعد ست سنين وقيل بعد سنة واحدة انتهى * أقول وفي رواية بعد سنتين والمتبادر أن الستة أو السنة أو السنتين من اسلامها دونه وهو مخالف لما عليه أهل العلم من أنه لابد أن يجتمع الزوجان في الاسلام والعدة ومن ثم قالت طائفة منهم الترمذى هذا حديث ليس باسناده بأس ولكن لا يعرف وجهه وفي كلام بعض الحفاظ يمكن ان يقال قوله بعد ست سنين ولم يقل من اسلامها دونه صيره مجهول تاريخ الابتداء فلا يصح الاستدلال به وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد بنته زينب على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد قال بعضهم وهذا في اسناده مقال وقال غيره هذا حديث ضعيف وقال آخر لا يثبت والحديث الصحيح انما هو أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرهما على النكاح الاول وقال ابن عبد البر حديث انه صلى الله عليه وسلم أقرهما على النكاح الاول متروك لا يعمل به عند الجميع وحديث ردها بنكاح جديد عندنا صحيح يعضده الاصول وان صح الاول أريد به على الصداق الاول وهو محمل حسن هذا كلامه قال بعضهم تصحيح ابن عبد البر لحديث أنه ردها بنكاح جديد مخالف لكلام أئمة الحديث كالبخارى وأحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان والدارقطنى والبيهقى وغيرهم هذا كلامه وفي كون زينب رضى الله تعالى عنها كانت مشركة وأسلمت قبل زوجها المشعر به قول بعضهم ولم يقل من اسلامها نظر لانها أتبعت مابعث به أبوها صلى الله عليه وسلم من غير تقدم شرك منها الا يقال فحيث كانت مسلمة كيف زوجها من أبي العاص وهو كافر لانا نقول على فرض أنه صلى الله عليه وسلم زوجها له بعد البعث فقد زوجها له قبل نزول قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا الان تلك الآية نزلت بعد صلح الحديبية كما علمت على أن ابن سعد ذكر أنه صلى الله عليه وسلم زوجها له في الجاهلية أى قبل البعثة والله أعلم

* (سرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى بنى ثعلبة) *

أى بالطرف كتف اسم ماء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى بنى ثعلبة في خمسة عشر رجلا أى بالطرف فأصاب عشرين بعيرا وشاء واقتصر الحافظ الدمياطى على النعم ولم يذكر الشاء ولم يجد أحدا لانهم ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار اليهم فصبح زيد رضى الله عنه بالنعم والشاء المدينة أى

وقد خرجوا فى طلبه فأعجزهم (ه) وكان شعارهم الذى يتعارفون به فى ظلمة الليل أمت أمت

﴿سرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما الى جذام﴾

محل يقال له حسمى بكسر الحاء المهملة وسكون السين على وزن فعلى وهو موضع وراء وادى القرى يقال ان الطوفان أقام بذلك المحل بعد نضوبه أى ذهابه ثمانين سنة وسببها أن دحية الكلبى رضى الله تعالى عنه أقبل من عند قيصر ملك الروم أى وكان صلى الله عليه وسلم وجهه اليه (ه) كذا قيل ولعله من تصرف بعض الرواة أو أنه أرسله اليه بغير كتاب والا فارساله اليه بالكتاب كان بعد هذه السرية لانه كان بعد الحديبية ولما وصل رضى الله تعالى عنه اليه أجازه بمال وكساه فاقبل بذلك الى أن وصل ذلك المحل فلقيه الهنيد وابنه فى ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق وسلبوه ما معه ولم يتركوا عليه الاثوبا خلقا فسمع بذلك نفر من جذام من بنى الضبيب أى ممن أسلم منهم فنفروا اليهم واستنقذوا لدحية رضى الله تعالى عنه ما أخذ منه وقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة فى خمسمائة رجل ورد معه دحية وكان زيد رضى الله تعالى عنه يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بنى عذرة فاقبل حتى هجم على القوم أى على الهنيد وابنه ومن كان معهم مع الصبح فقتلوا الهنيد وابنه ومن كان معهم وأخذوا من النعم ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف ومن السبى مائة من النساء والصبيان * قال ولما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد رضى الله تعالى عنه ركبوا وجاؤا الى زيد وقال له رجل منهم انا قوم مسلمون فقال له زيد اقرأ أم الكتاب فقرأها ثم قدم منهم جماعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر وقال بعضهم يارسول الله لا تحرم علينا حلالا ولا تحل لنا حراما فقال كيف أصنع بالقتلى فقالوا أطلق لنا من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمى هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فقالوا ابعث معنا رجلا لزيد رضى الله تعالى عنه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عليا كرم الله وجهه يأمر زيدا أن يخلى بينهم وبين حرمهم وأموالهم أى فقال على يارسول الله ان زيدا لا يطيعنى فقال خذ سيفى هذا فأخذه وتوجه فلقى على كرم الله وجهه رجلا أرسله زيد رضى الله تعالى عنه مبشرا على ناقة من ابل القوم فردها على كرم الله وجهه على القوم وأردفه خلفه ولقى زيدا فأبلغه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال وعند ذلك قال له زيد ما علامة ذلك فقال هذا سيفه صلى الله عليه وسلم فعرف زيد السيف

وصاح بالناس فاجتمعوا فقال من كان معه شيء فليرده فهذا سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد الناس كافة كلما أخذوه انتهى * أقول وهذا السياق يدل على أن جميع ما أخذه من النعم والشاء والسبي كان لمن أسلم من جذام من بني الضبيب وأن بعض من قتل مع الهنيد وابنه كان مسلما وفي ذلك من البعد ما لا يخفى والله أعلم

(سرية أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه لبني فزارة)

كما في صحيح مسلم بوادي القرى عن سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر رضي الله تعالى عنه الى فزارة وخرجت معه حتى اذا صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة فوردنا الماء فقتل أبو بكر أي جيشه من قتل ورأيت طائفة منهم الذراري فخشيت أن يسبقوني الى الجبل فأدركتهم ورميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة أي وهي أم قرفة عليها قشع من أدم أي فروة خلقة معها ابنتها من أحسن العرب فجئت بهم أسوقهم الى أبي بكر فنفلني أبو بكر رضي الله تعالى عنه ابنتها فلم أكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك أي أبوك لله خالصا حيث أنجب بك وأتى بمثلك يقال ذلك في مقام المدح والتعجب أي وقد كان وصف له صلى الله عليه وسلم جمالها فقلت هي لك يا رسول الله فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين وفي لفظ فدى بها أسيرا كان في قريش من المسلمين كذا ذكر الاصل أن أمير هذه السرية أي التي أصابت أم قرفة أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأنه الذي في مسلم وذكر في الاصل قبل ذلك عن ابن اسحاق وابن سعد أن أمير هذه السرية أي التي أصابت أم قرفة زيد بن حارثة رضي الله عنهما وأنه لقي بني فزارة وأصيب بها ناس من أصحابه وانفلت زيد من بين القتلى أي احتمل جريحا وبه رمق فلما قدم زيد رضي الله تعالى عنه نذر أن لا يمس رأسه غسل من الجنابة حتى يغزو بني فزارة فلما عوفي أرسله صلى الله عليه وسلم اليهم فكمنوا النهار وساروا الليل حتى أحاطوا بهم وكبروا وأخذوا أم قرفة وكانت أم قرفة في شرف من قومها كان يعلق في بيتها خمسون سيفا كلهم لها محرم وكان لها اثنا عشر ولدا ومن ثم كانت العرب تضرب بها المثل في العزة وتقول لو كنت أعز من أم قرفة فأمر زيد ابن حارثة أن يقتل أم قرفة أي لانها كانت تسب النبي صلى الله عليه وسلم وجاء أنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت لهم أغزوا المدينة واقتلوا محمدا لكن قال بعضهم انه خبر منكر (ه) فربط برجليها حبلين ثم ربطا الى

بعيرين وزجرهما أي وقيل الى فرسين فركضا فشقاها نصفين وقرفة ولدها هذا الذي تكنى به قتله النبي صلى الله عليه وسلم وبقية أولادها قتلوا مع أهل الردة في خلافة الصديق فلا خير فيها ولا في بنيها ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة وذكره صلى الله عليه وسلم جمالها فقال صلى الله عليه وسلم لابن الأكوع ياسلمة ماجارية أصبتها قال يارسول الله جارية رجوت أن أفدي بها امرأة منافى بني فزارة فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام مرتين أو ثلاثا فعرف سلمة أنه صلى الله عليه وسلم يريدها فوهبها له فوهبها النبي صلى الله عليه وسلم لخاله حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بمكة كان أحد الاشراف فولدت له عبد الرحمن بن أبي حزن وانما قيل لحزن خاله لان فاطمة أم أبي النبي صلى الله عليه وسلم هي بنت عائذ كما تقدم وعائذ جد حزن لابيه * وفي لفظ بنت عمرو بن عائذ وفي كلام السهيلي أن رواية الفداء لمن كان أسيرا بمكة أصح من رواية أنه صلى الله عليه وسلم وهبها لخاله حزن وجمع الشمس الشامي بين الروايتين حيث قال يحتمل أنهما سريتان اتفق لسلمة بن الاكوع فيهما ذلك أي احداهما لابي بكر والاخرى لزيد بن حارثة ويؤيد ذلك أن في سرية أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ببنت أم قرفة الى مكة ففدى بها أسرى كانوا في أيدي المشركين أي وفي سرية زيد وهبها لخاله حزن بمكة قال ولم أر من تعرض لتحرير ذلك انتهى * أقول في هذا الجمع نظر لانه يقتضي أن أم قرفة تعددت وان كل واحدة كانت لها بنت جميلة وأن سلمة بن الاكوع أسرهما وأنه صلى الله عليه وسلم أخذهما منه وفي ذلك بعد الا أن يقال لا تعدد لام قرفة وتسمية المرأة في سرية أبي بكر أم قرفة وهم من بعض الرواة ويدل عليه أن بعضهم أوردها ولم يسم المرأة أم قرفة بل قال فيهم امرأة من بني فزارة معها ابنة لها من أحسن العرب فنفلني أبو بكر بنتها فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق مرتين في يومين فقال ياسلمة هبني المرأة فقلت هي لك فبعث بها الى مكة ففدى بها ناسا كانوا أسرى بمكة ثم لا يخفى أن ماذكره الاصل عن ابن اسحاق وابن سعد من أنه صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة الى وادي القرى أي غازيا لبني فزارة وأنه لقيهم وأصيب بها ناس من أصحابه وأفلت زيد من بين القتلى جريحا الخ يخالفه ماذكره عن ابن سعد مما يقتضي أن زيد بن حارثة في هذه لم يكن غازيا بل كان تاجرا وأنه لم يرسل لبني فزارة وانما اجتاز بهم فقاتلوه والمذكور عن ابن سعد مانصه قالوا خرج زيد بن حارثة في تجارة الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان دون

بوادى القرى لقيه ناس من فزارة فضربوه وضربوا أصحابه أو فظنوا أنهم قد قتلوا وأخذوا ما كان معهم فقدموا المدينة ونذر زيد أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة فلما خلص من جراحته بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية لهم وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فخرج بهم دليل من بنى فزارة وقد نذر لهم القوم فكانوا يجعلون له ناطورا حين يصبحون فينظر على جبل يشرف على وجه الطريق الذى يرون ان المسلمين يأتون منه فينظر قدر مسيرة يوم فيقول اسرحوا فلا بأس عليكم فاذا أمسوا أشرف ذلك الناظر على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول ناموا فلا بأس عليكم فى هذه الليلة فلما كان زيد بن حارثة وأصحابه على نحو مسيرة ليلة اخطأ بهم الدليل الفزارى طريقهم فأخذ بهم طريقا أخرى حتى أمسوا وهم على خطاه فعاينوا الحاضر من بنى فزارة فحمد واخطأهم فكمن لهم فى الليل حتى أصبحوا فأحاطوا بهم ثم كبر زيد وكبر أصحابه الى آخر ما تقدم ولما قدم زيد بن حارثة المدينة جاء اليه صلى الله عليه وسلم وقرع عليه الباب فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا يجر ثوبه واعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفره الله تعالى به وحينئذ يشكل قوله فى الاصل ثبت عن ابن سعد ان لزيد بن حارثة سريتين بوادى القرى احداهما فى رجب والاخرى فى رمضان فانه بظاهره يقتضى انه أرسل غازيا فى المرتين لبنى فزارة بوادى القرى وقد علمت ان كلام ابن سعد يدل على أن زيد بن حارثة فى السرية الاولى انما كان تاجرا أجتاز ببنى فزارة بوادى القرى فقاتلوه هو وأصحابه وأخذوا ما معهم ثم رأيت الاصل تبع فى ذلك شيخه الحافظ الدمياطى حيث قال سرية زيد بن حارثة الى وادى القرى فى رجب قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا رضى الله تعالى عنه أميرا ثم قال سرية زيد بن حارثة الى أم قرفة بناحية وادى القرى فى رمضان وفيه ما علمت ثم لا يخفى أن فى هذا اطلاق السرية على الطائفة التى خرجت للتجارة ولا يختص ذلك بمن خرج للقتال أو تجسس الاخبار وقد تقدم

﴿سرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه الى دومة الجندل﴾

بضم الدال المهملة وفتحها وأنكره ابن دريد لبنى كلب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه فاقعده بين يديه وعممه بيده وقال أى بعد ان قال له تجهز فانى باعثك فى سرية من يومك هذا أو من الغد ان شاء الله تعالى ثم أمره أن يسرى من الليل الى دومة الجندل فى سبعمائة وعسكر واخارج المدينة فلما كان وقت السحر جاء عبد الرحمن بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال أحببت يارسول الله أن يكون آخر عهدي بك وكان عليه عمامة من كرابيس أي غليظة قد لفها على رأسه فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم عممه بعمامة سوداء وأرخى بين كتفيه منها أربع أصابع أو نحوا من ذلك ثم قال هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن وأعرف ثم أمر صلى الله عليه وسلم بلالا أن يدفع اليه اللواء فدفعه اليه وقام صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم صلى على نفسه ثم قال خذه يا ابن عوف انتهى وقال اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله ولا تغل أي لا تخن في المغنم ولا تغدر أي لا تترك الوفاء ولا تقتل وليدا وفي رواية لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا أي صبيا فهذا عهد الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكم ثم قال صلى الله عليه وسلم له اذا استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن بن عوف حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام وهم يأبون ويقولون لا نعطي الا السيف وفي اليوم الثالث أسلم رأسهم وملكهم الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا قال في النور لم أجد أحدا ترجمه والظاهر انه ما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فهو تابعي وأسلم معه ناس كثير من قومه وأقر من أقام على كفره باعطاء الجزية أي وأرسل رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه بذلك وأنه يريد أن يتزوج فيهم فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تزوج بنت الاصبغ أي فتزوجها رضي الله تعالى عنه وبنا بها عندهم وقدم بها المدينة وهي أم ولده سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وهي أول كلبية نكحها قرشي ولم تلد غير سلمة وطلقها عبد الرحمن في مرض موته ثلاثا ومتعها جارية سوداء ومات وهي في العدة وقيل بعد انقضاء العدة فورثها عثمان رضي الله تعالى عنه ﷺ قال وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما أنه قال سرت لاسمع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فاذا فتى من الانصار أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس فقال يارسول الله أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا ثم قال وأي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا قبل أن ينزل بهم أولئك الاكياس ثم سكت الفتى وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلت بكم وأعوذ بالله ان تدركوهن انه لن تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا وما نقص المكيال والميزان في قوم الا أخذهم الله بالسنين ونقص من الثمرات وشدة المؤنة وجور السلطان لعلهم يذكرون وما منع

قوم الزكاة الا أمسك الله عنهم قطر السماء ولولا البهائم لم يسقوا وما نقض قوم عهد الله ورسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ ما كان فى أيديهم وما حكم قوم بغير كتاب الله الا جعل الله تعالى بأسهم بينهم وفى رواية الا ألبسهم الله شيعا وأذاق بعضهم بأس بعض وفى الاصل ذكر ابن اسحاق أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه لدومة الجندل فى سرية زاد فى السيرة الشامية على ذلك قوله كما سيأتى

❊(سرية زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهما الى مدين)❊

قرية سيدنا شعيب صلوات الله وسلامه عليه تجاه تبوك فأصاب سبيا وفرقوا فى بيعهم بين الامهات والاولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال مالهم فقيل يارسول فرق بينهم أى بين الامهات والاولاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتبيعوهم الا جميعا قال فى الاصل وكان مع زيد رضى الله تعالى عنه فى هذه السرية ضميرة مولى على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكذا أخوه رضى الله تعالى عنه وأخ له وهو وتابع فى ذلك لابن هشام ورد بان مولى على هذا الذى هو ضميرة لم يذكر فى كتب الصحابة وكذا أخوه

❊(سرية أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى بنى سعد بن بكر بفدك)❊

وهى قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أى وفى لفظ ثلاث مراحل وهى خراب الآن وفى الصحاح فدك قرية بخيبر وسببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن لبنى سعد جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر وأن يجعلوا لهم تمر خيبر أى مايوجد من غلتها فبعث عليهم عليا كرم الله وجهه فى مائة رجل فسار الليل وكمن النهار الى أن نزلوا محلا بين خيبر وفدك فوجدوا به رجلا فسألوه عن القوم أى فقال لاعلم لى فشدوا عليه فأقر انه عين أى جاسوس لهم وقال أخبركم على ان تؤمنونى فأمنوه فدلهم فأغاروا عليهم وأخذوا خمسمائة بعير وألفى شاة وهربت بنو سعد بالظعن فعزل على كرم الله وجهه صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوحا أى حلوبا (ه) قريبة عهد بنتاج تدعى الحفدة بفتح الحاء وكسر الفاء وفتح الدال المهملة لسرعة سيرها ومنه فى الدعاء اليك نسعى ونحفد ثم عزل الخمس وقسم الباقى على أصحابه ❊ أقول قوله يريدون أن يمدوا يهود خيبر يقتضى بظاهره أن ذلك كان عند محاصرة خيبر أو عند ارادة ذلك وفيه مالا يخفى لما تقدم والله أعلم

❊(سرية عبد الله بن رواحة رضى الله عنه الى أسير)❊

بضم

بضم الهمزة وفتح السين ويقال أسير بن رزام اليهودي بخيبر لما قتل الله أبا رافع بن سلام بن أبي الحقيق عظيم يهود خيبر كما تقدم أمروا عليهم أسير بن رزام * قال ولما أمروه عليهم قال لهم اني صانع بمحمد مالم يصنعه أصحابي فقالوا له وما عسيت ان تصنع قال أسير في غطفان فأجمعهم لحربه قالوا نعم ما رأيت وكان ذلك قبل فتح خيبر انتهى فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجه اليه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر سرا يسأل عن خبر أسير وغرته فأخبر بذلك فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس لذلك فانتدب له ثلاثون رجلا وأمر عليهم عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه قيل عبد الله بن عتيك فقدموا على أسير فقالوا نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له قال نعم ولي منكم مثل ذلك فقالوا نعم فقلنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج اليه فيستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك أي واستشار يهود في ذلك فأشاروا عليه بعدم الخروج وقالوا ما كان محمد ليستعمل رجلا من بني اسرائيل قال بلى قد مل الحرب قال في النور هذا الكلام لا يناسب أن يقال قبل فتح خيبر فالذي يظهر انها بعد فتح خيبر * وأقول يجوز أن يكون المراد باستعماله على خيبر المصالحة وترك القتال ومن ثم أجاب بقوله انه صلى الله عليه وسلم قد مل الحرب والله أعلم فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من يهود ومع كل رجل منهم رديف من المسلمين قال عبد الله ابن أنيس كنت رديف الاسير فكأن أسيرا ندم على خروجه معنا فأهوى بيده الى سيفي ففطنت بفتح الطاء له وقلت أغدرا عدو الله أغدرا عدو الله أغدرا عدو الله ثلاثا فضربته بالسيف فأطحت عامة فخذه فسقط وكان بيده مخدش من شوحط فضربني به على رأسي فشجني مأمومة وملنا على أصحابه فقتلناهم الا رجلا واحدا أعجزنا جريا ثم أقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثناه الحديث فقال صلى الله عليه وسلم قد نجاكم الله من القوم الظالمين وبصق في شجتي فلم تقح على ولم تؤذني * قال وفي رواية زيادة على ذلك وهي وقطع لي قطعة من عصاه فقال أمسك هذه معك علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها فانك تأتي يوم القيامة متخصرا فلما دفن عبد الله بن أنيس جعلت معه على جلده دون ثيابه انتهى * أقول تقدم نظير ذلك لعبد الله بن أنيس هذا لما أرسله صلى الله عليه وسلم لقتل سفيان بن خالد الهذلي وجاء برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن هذا وهم من بعض الرواة ويحتمل تعدد الواقعة أي أعطاه صلى الله عليه وسلم عصاة أولا في تلك

وأعطاه أخرى ثانيا في هذه وجعل العصاتين بين جلده وكفنه ولا مانع منه لكن
ربما تتشوف النفس للسؤال عن حكمة تكرير ذلك لعبد الله بن أنيس وتخصيصه
بهذه المنقبة دون بقية الصحابة والله أعلم

(سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم بن حريس رضي الله عنهما)
بالحاء المهملة وكسر الراء وسين مهملة وكل ما في الانصار حريس بالسين المهملة
الا الحريش فانه بالشين المعجمة وقيل بدله جبار بن صخر * الى أبي سفيان بن
حرب بمكة ليغتالاه وسببها أن أبا سفيان رضي الله عنه قال لنفر من قريش الا أحد
يغتال لنا محمدا فانه يمشي في الاسواق وحده فأتاه رجل من الاعراب وقال له ان
نفسه قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم عدوا فاذا أنت
قويتني خرجت اليه حتى أغتاله فان معي خنجرا بفتح الخاء المعجمة كجناح النسر
واني عارف بالطريق فقال له أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال له اطوأمرك
وخرج ليلا الى أن قدم المدينة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل
عليه وكان صلى الله عليه وسلم في مسجد بني عبد الاشهل فعقل راحلته وأقبل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال ان هذا يريد غدرا
والله حائل بينه وبين ما يريد فجاء ليحني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه
أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه بداخلة ازاره أي بحاشيته من داخل فاذا
بالخنجر فأخذ أسيد يخنقه خنقا شديدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصدقني قال وأنا آمن قال نعم فأخبره بأمره فخلى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأسلم أي وقال يا رسول الله ما كنت أخاف الرجال فلما رأيتك ذهب عقلي وضعفت
نفسي ثم اطلعت على ما هممت به فعلمت أنك على الحق فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتبسم فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية
الضمري ومن تقدم معه الى أبي سفيان بمكة أي وذلك بعد قتل خبيب بن عدي
رضي الله عنه وصلبه على الخشبة ومضى عمرو بن أمية رضي الله عنه يطوف
بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما فعرفه فأخبر قريشا
بمكانه فخافوه لانه كان فاتكا في الجاهلية وقالوا لم يأت عمرو بخير واشتدوا في طلبه

* قال وفي رواية لما قدما مكة حبسا جمليهما ببعض الشعاب ثم دخلا ليلا فقال له
صاحبه يا عمرو لو طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ثم طلبنا أبا سفيان فقال له عمرو اني
أعرف بمكة من الفرس الابلق أي وان القوم اذا تعشوا جلسوا على أفنيتهم فقال
كلا ان شاء الله قال عمرو فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا لطلب أبي سفيان فلقيني

رجل

رجل من قريش فعرفني وقال عمرو بن أمية فأخبر قريشا بي فهربت أنا وصاحبي
انتهى أي وصعدنا الجبل وخرجوا في طلبنا فدخلنا كهفا في الجبل ولقي عمرو رجلا
من قريش فقتله أي قتل ذلك عمرو فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا
ونحن في الغار فقلت لصاحبي ان رآنا صاح بنا فخرجت اليه ومعي خنجر اعددته
لابي سفيان فضربته على يده فصاح صيحة أسمع أهل مكة فجاء الناس يشتدون
فوجدوه بآخر رمق فقالوا له من ضربك قال عمرو بن أمية وغلبه الموت فاحتملوه
فقلت لصاحبي لما أمسينا النجاة فخرجنا ليلا من مكة تريد المدينة فمررنا بالحرس
الذين يحرسون خشبة خبيب بن عدي رضي الله تعالى عنه فقال أحدهم لولا أن
عمرو بن أمية بالمدينة لقلت انه هذا الماشي فلما حاذيت الخشبة شددت عليها
فحملتها واشتددت أنا وصاحبي فخرجوا وراءنا فألقيت الخشبة فغيبه الله عنهم
كذا في السيرة الهشامية وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم أرسل الزبير والمقداد
لانزاله وأن الزبير أنزله فابتلعته الارض وتقدم عن ابن الجوزي مثل ما هنا من أن
الذي أنزله عمرو بن أمية رضي الله تعالى عنه فيحتاج الى الجمع على تقدير صحة
الروايتين ويقال ان عمرا قتل رجلا آخر فسمعه يقول

ولست بمسلم مادمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا

ولقي رجلين بعثتهما قريش الى المدينة يتجسسان لهم الخبر فقتل أحدهما وأسر
الآخر ثم قدم رضي الله تعالى عنه المدينة وجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك

(سرية سعيد بن زيد رضي الله عنه)

وقيل كرز بن جابر رضي الله تعالى عنه وعليه الاكثرون ومن ثم اقتصر عليه
الحافظ الدمياطي أي وقيل جرير بن عبد الله البجلي ورد بأن اسلام جرير بن عبد
الله المذكور كان بعد هذه السرية بنحو أربع سنين (ه) * الى العرنيين وسببها
أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر أي ثمانية من عرينة وقيل أربعة من
عرينة وثلاثة من عكل والثامن من غيرهما مسلمين نطقوا بالشهادتين كانوا
مجهودين قد كادوا يهلكون أي اشتد هزالهم وصفرة ألوانهم وعظم بطونهم وقالوا
يارسول الله أونا وأطعمنا (ه) فأنزلهم صلى الله عليه وسلم عنده أي بالصفة ثم قال
لهم أي بعد أن ذكروا له صلى الله عليه وسلم ان المدينة وبية وخمة وانهم أهل ضرع
ولم يكونوا أهل ريف لو خرجتم الى ذود لنا أي لقاح وكانت خمسة عشر فشربتم من
ألبانها وأبوالها أي لان في لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتفتيحا للسدد فان

الاستسقاء وعظم البطن انما ينشأ عن السدد وآفة في الكبد ومن أعظم منافع الكبد لبن اللقاح لاسيما ان استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل مع حرارته التي يخرج بها فلما صحت أجسامهم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعيها وهو يسار مولى النبي صلى الله عليه وسلم ومثلوا به أي قطعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات واستاقوا اللقاح وفي لفظ أنهم ركبوا بعضها واستاقوها فأدركهم يسار ومعه نفر فقاتلوهم فقطعوا يده ورجله الحديث وبلغه صلى الله عليه وسلم الخبر فبعث صلى الله عليه وسلم في آثارهم عشرين فارسا واستعمل عليهم من تقدم وأرسل معهم من يقص آثارهم فأدركوهم فأحاطوا بهم فأسروهم ودخلوا بهم المدينة فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم أي غورت بمسامير محماة بالنار وألقوا بالحرة أي وهي أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار (ه) يستسقون فلا يسقون قال أنس رضي الله تعالى عنه ولقد رأيت أحدهم يكدم الارض بفيه من العطش ليجد بردها مما يجده من شدة العطش حتى ماتوا على حالهم (ه) وأنزل الله فيهم انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية ولم يقع بعد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم سمل عينا * وفي لفظ أنهم لما أسروا ربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة فخرجوا بهم نحوه فلقوه بمجمع السيول فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم وصلبوا هنالك وأنه صلى الله عليه وسلم فقد من اللقاح لقحة تدعى الحفاء فسأل عنها فقيل نحروها كذا في سيرة الحافظ الدمياطي وقدم فيها هذه السرية على سرية عمرو بن أمية الضمري رضي الله تعالى عنه

(سرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى طائفة من هوازن)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ثلاثين رجلا الى عجز بفتح العين المهملة وبضم الجيم وبالزاي محل بينه وبين مكة أربع ليال بطريق صنعاء يقال له تربة بضم المثناة فوق وفتح الراء ثم موحدة مفتوحة ثم تاء تأنيث وأرسل معه صلى الله عليه وسلم دليلا من بني هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر لهوازن فهربوا فجاء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه محالهم فلم يجد منهم أحدا فانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بمحل بينه وبين المدينة ستة أميال قال له الدليل هل لك في جمع آخر من خثعم فقال له عمر رضي الله عنه لم يأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم انما أمرني بقتال هوازن

*(سرية

(سرية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الى بني كلاب)

عن سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وأمره علينا فسبينا ناسا من المشركين فقتلناهم فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين وما زاده الاصل على هذا من قوله ان سلمة بن الاكوع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله تعالى عنه الى فزارة الخ فسبب فيه للوهم لان ذلك كان في سريته لبني فزارة بوادي القرى وقد تقدمت فهما قضيتان مختلفتان جمع بينهما أي وهذا الذي في الاصل تبع فيه شيخه الحافظ الدمياطي وفيه ما علمت

(سرية بشير بن سعد الانصاري رضي الله تعالى عنه الى بني مرة بفدك)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد في ثلاثين رجلا الى بني مرة بفدك وتقدم أنها قرية بينها وبين المدينة ستة أميال فخرج فلقي رعاء الشاء فسأل عن الناس فقيل في بواديهم فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة فخرج الصريخ اليهم فأدركه منهم العدد الكثير عند الليل فباتوا يرامون بالنبل حتى فني نبل أصحاب بشير أي فلما أصبحوا حملوا على بشير وأصحابه فقتلوا منهم من قتلوا وولى من ولى منهم (*) وقاتل بشير قتالا شديدا حتى ارتث أي جرح وصار مابه رمق وضرب كعبه اختبار الحياته فلم يتحرك فقيل مات فرجعوا بنعمهم وشياههم وجاء اليه صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم جاء بشير رضي الله تعالى عنه الى المدينة بعد ذلك أي فانه استمر بين القتلى الى الليل فلما أمسى تحامل حتى انتهى الى فدك فأقام بفدك عند يهودي أياما حتى قوي على المشي وجاء الى المدينة * أقول وهذا يدل على أن بني مرة الذين توجه اليهم بشير لم يكونوا بفدك بل بالقرب منها فيكون قوله أولا لبني مرة بفدك فيه تسمح وأن بشيرا حصلت له هذه الحالة مرتين فليتأمل

(سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه الى بني عوال)

وبني عبد بن ثعلبة بالميفعة اسم محل وراء بطن نخل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه في مائة وثلاثين رجلا الى بني عوال وبني عبد بن ثعلبة بالميفعة ودليلهم يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجموا عليهم جميعا ووقعوا في وسط محالهم فقتلوا جمعا من أشرافهم واستاقوا نعما وشاء ولم يأسروا أحدا وفي هذه السرية قتل اسامة ابن زيد رضي الله تعالى عنهما الرجل الذي قال لا اله الا الله وهو مرداس بن نهيك وفي سيرة الحافظ الدمياطي نهيك ابن مرداس والاول هو الذي في الكشاف (*) وقال له النبي صلى الله عليه وسلم

هلا شققت عن قلبه فتعلم اصادق هو أم كاذب فعن اسامة رضي الله تعالى عنه بعثنا
رسول الله صلى الله عليه سلم فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الانصار
رجلا منهم فلما أعييناه قال لا اله الا الله فكف الانصاري وطعنته برمحي حتى قتلته
فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا اسامة اقتلته بعدما قال لا اله
الا الله قلت انما قالها متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت
قبل ذلك اليوم أي تمنيت ان أكون أسلمت اليوم فيكفر عني ماصنعت قال كذا
وقع في الاصل ان قتل اسامة للرجل الذى قال لا اله الا الله كان في هذه السرية
وقد تبع في ذلك ابن سعد وانما كان ذلك في سرية اسامة للحرقات بضم الحاء المهملة
وفتح الراء وبالقاف ثم تأنيث بطن من جهينة وسيأتي عن اسامة بعثنا رسول
الله صل الله عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فصبحناها فكان رجل يدعى مرداس
ابن نهيك اذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا واذا أدبروا كان من حاميتهم
فهزمناهم فتبعته أنا ورجل من الانصار فرفعت عليه السيف فقال لا اله الا الله وزاد
في رواية محمد رسول الله فكف الانصار فطعنته برمحي حتى قتلته ثم وجدت في نفسي
من ذلك موجدة شديدة حتى ما أقدر على أكل الطعام حتى قدمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقبلني واعتنقني قال بعضهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا بعث
اسامة بن زيد يسأل عنه أصحابه ويحب ان يثنى عليه خيرا فلما رجعوا لم يسألهم عنه
فجعل القوم يحدثون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون يا رسول الله لو رأيت
ما فعل اسامة ولقيه رجل فقال الرجل لا اله الا الله فشد عليه اسامة فقتله وهو صلى
الله عليه وسلم يعرض عنهم فلما أكثروا عليه صلى الله عليه وسلم رفع رأسه الشريف
لاسامة فقال يا أسامة أقتلته بعدما قال لا اله الا الله فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا
جاءت يوم القيامة فقال أسامة رضي الله تعالى عنه انما قالها خوفا من السلاح وفي
رواية انما كان متعوذا من القتل قال أسامة رضي الله تعالى عنه ولا زال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكرر على حتى تمنيت انى لم أسلم الا يومئذ انتهى والذى
في الكشاف في تفسير قوله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا
أصله ان مرداس بن نهيك رجل من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم
سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليها غالب بن فضالة الليثى رضي الله
تعالى عنه فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول
من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله
السلام عليكم فقتله أسامة ابن زيد واستاق غنمه فأخبر رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم بذلك فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة مامعه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يارسول الله استغفر لى قال فكيف بلا اله الا الله فمازال يكررها حتى وددت انى لم أكن أسلمت الايومئذ ثم استغفر لى وقال أعتق رقبة وسيأتى نحو ذلك فى سرية غالب بن عبد الله الليثى الى مصاب بشير ابن سعد و بعد تعدد هذه الواقعة سيأتى مواطن ثلاثة أوأربعة وكون يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دليلا فى هذه السرية يقتضى انها متقدمة على سرية العرنيين فقد تقدم انهم قتلوه ثم رأيته فى النور قال ولعل هذا غير ذلك لكن لم أرله ذكرا فى الموالى الا أن يكون أحد موالى أقاربه عليه الصلاة والسلام فنسب اليه ومن ثم لم يشهد أسامة رضى الله تعالى عنه مع على كرم الله وجهه قتالا وقال له لو أدخلت يدك فى فم تنين لادخلت يدى معها ولكنك قد سمعت ما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتلت ذلك الرجل الذى شهد أن لا اله الا الله وقلت له أعطى الله عهدا أن لا أقتل رجلا يقول لا اله الا الله والله أعلم

(سرية بشير بن سعد الانصارى رضى الله عنه الى يمن)

بفتح الياء آخر الحروف وقيل بضمها و يقال أمن بالهمزة مفتوحة وسكون الميم وجبار بفتح الجيم واد قريب من خيبر لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من غطفان قد واعدهم عيينة بن حصن أى قبل ان يسلم رضى الله تعالى عنه ليكون معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير ابن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلثمائة رجل فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا المحل المذكور فأصابوا نعما كثيرا وتفرق الرعاء بكسر الراء والمد وذهبوا الى القوم وأخبروهم فتفرقوا ولحقوا بعليا بلادهم وعليا بضم العين وسكون اللام مقصورا نقيض السفلى فلم يظفر بأحد منهم الا برجلين أسروهما فرجع بالنعم والرجلين الى المدينة فأسلم الرجلان فأرسلهما صلى الله عليه وسلم * قال والرجلان من جمع عيينة فان المسلمين لما لقوا جمع عيينة انهزموا أمامهم وتبعوهم أخذوا منهم ذينك الرجلين انتهى أى وعيينة بن حصن كان يقال له الاحمق المطاع لانه كان يتبعه عشرة آلاف قناة وقيل له عيينة قال فى الاصل لان عينه جحظت أى عظمت وكبرت فلقب بذلك رضى الله تعالى عنه

(سرية بن أبى العوجاء رضى الله عنه الى بنى سليم)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبى العوجاء رضى الله تعالى عنه السلمى فى خمسين رجلا الى بنى سليم فكان لهم جاسوس مع القوم فخرج اليهم وسبق

القوم وحذرهم فجمعوا لهم جمعا كثيرا فجاؤهم وهم معدون لهم فدعوهم الى الاسلام
فقالوا أي حاجة لنا بما تدعونا اليه فتراموا بالنبل ساعة وجعلت الامداد تأتيهم
واحدقوا بالمسلمين من كل ناحيـة فقاتل المسلمون قتالا شديدا حتى قتل عامتهم
وأصيب ابن أبي العوجاء جريحا مع القتلى ثم تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم

(سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه الى بني الملوح)

بضم الميم وفتح اللام وتشديد الراو مكسورة ثم حاء مهملة *بالكديد بفتح الكاف
وكسر الدال المهملة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي
في بضعة عشر رجلا *قال وما نقل عن الواقدي انهم كانوا مائة وثلاثين رجلا فذلك
في سرية لغالب غير هذه انتهى *أقول وهي المتقدمة التي توجهت لبني عوال وبني
عبد بن ثعلبة بالميفعة والله أعلم وأمر صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله وأصحابه
ان يشنوا الغارة على القوم فخرجوا حتى اذا كانوا بقديد لحقوا الحارث الليثي
فأسروه فقال انما خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد الاسلام فقالوا
له ان كنت مسلما لم يضرك ربطنا لك يوما وليلة وان كنت غير ذلك استوثقنا منك
فشدوه وثاقا وخلفوا عنده سويد بن صخر أي وفي لفظ خلفوا عليه رجلا أسود
منهم وقال له ان نازعك فاحتز رأسه وساروا حتى أتوا محل القوم عند غروب
الشمس فكمنوا في ناحية الوادي قال جندب الجهني وأرسلني القوم جاسوسا لهم
فخرجت حتى أتيت تلا مشرفا على الحاضر أي القوم المقيمين بمحلهم فلما استويت
على رأسه انبطحت عليه لانظر اذ خرج رجل منهم فقال لامرأته اني لانظر على هذا
الجبل سوادا ما رأيته قبل أنظري الى أوعيتك لا تكون الكلاب جرت منها
شيأ فنظرت فقالت والله ما فقدت من أوعيتي شيأ فقال ناوليني قوسي ونبلي
فناولته قوسه وسهمين فأرسل سهما فوالله ما أخطأ بين عيني فانتزعته وثبت
مكاني فأرسل آخر فوضعه في منكبي فانتزعته وثبت مكاني فقال لامرأته والله لو كان
جاسوسا لتحرك لقد خالطه سهمان لا أبالك أي بكسر الكاف أي لا كافل لك غير
نفسك وهو بهذا المعنى يذكر في معرض المدح وربما ذكر في معرض الذم وفي
معرض التعجب لا بهذا المعنى فاذا أصبحت فانظريهما لا تمضغهما الكلاب
ثم دخل فلما اطمأنوا وناموا شننا عليهم الغارة واستقنا النعم والشاء بعد ان
قتلنا المقاتلة وسبينا الذرية أي ومروا على الحارث الليثي فاحتملوه واحتملوا
صاحبهم الذي تركوه عنده فخرج صريخ القوم في قومهم فجاء ما لا قبل

لنا به

لنابه فصار بيننا وبينهم الوادى فأرسل الله سحابا فأمطر الوادى مارأينا مثله فسال الوادى بحيث لا يستطيع أحد ان يجوزه فصاروا وقوفا ينظرون الينا ونحن متوجهون الى أن قدمنا المدينة أى وفى لفظ آخر فقلنا القوم ينظرون الينا اذ جاء الله بالوادى من حيث شاء يملأ جنبيه ماء والله ما رأينا يومئذ سحابا ولا مطرا فجاء بما لا يستطيع أحد ان يجوزه فوقفوا ينظرون الينا وقد وقع نظير ذلك أى سيل الوادى لقطبة بن عامر حين توجه الى بنى خثعم بناحية تبالة كما سيأتى

❊(سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه الى مصاب أصحاب بشير بن سعد رضى الله تعالى عنه)❊

أى فى بنى مرة ❊ بفدك لما قدم غالب من الكديد مؤيدا منصورا بعثه صلى الله عليه وسلم فى مائتى رجل الى حيث أصيب أصحاب بشير بن سعد وذلك فى بنى مرة بفدك وكان قبل قدوم غالب هيأ صلى الله عليه وسلم الزبير لذلك وعقد له لواء فلما قدم غالب رضى الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم للزبير اجلس فسار غالب رضى الله تعالى عنه الى ان صبح القوم فأغاروا عليهم وكان غالب رضى الله تعالى عنه قد أوصاهم بعدم مخالفتهم له وآخا بين القوم فساقوا نعما وقتلوا منهم ❊ قال لما دنا غالب منهم ليلا قام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله تعالى . وحده لا شريك له وان تطيعونى ولا تخالفوا لى أمرا فانه لا رأى لمن لا يطاع وفى رواية لا تعصونى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يطع أميرى فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصانى وانكم متى ما تعصونى فانكم تعصون نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم ألف رضى الله تعالى عنه بين القوم فقال يا فلان أنت وفلان ويا فلان أنت وفلان لا يفارق رجل منكم زميله فاياكم ان يرجع الرجل منكم فأقول له أين صاحبك فيقول لا أدرى فاذا كبرت فكبروا فلما أحاطوا بالقوم كبر غالب رضى الله تعالى عنه وكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعار المسلمين أمت أمت وكان فى القوم أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما وتفقده غالب رضى الله تعالى عنه فلم يره وبعد ساعة أى من الليل أقبل (ه) فلامه غالب وقال ألم ترالى ما عهدت اليك فقال خرجت فى أثر رجل منهم جعل يتهكم بى حتى اذا دنوت منه وضربته بالسيف قال لا اله الا الله فقال له الامير بئسما فعلت وما جئت به تقتل أمرأ يقول لا اله الا الله فندم أسامة وساق المسلمون النعم والشاء والذرية فكان سهم كل رجل عشرة أبعرة وعدل البعير بعشرة من الغنم انتهى وتقدمت الحوالة على هذه وتقدم ما فيها

وقوله هنا حتى اذا دنوت منه أوضربته بالسيف قال لا اله الا الله يقتضي انه انما قال لا اله الا الله بعد ضربه بالسيف الا أن يحمل على الارادة وتقدم انه طعنه برمحه فليتأمل

(سرية شجاع بن وهب الاسدى رضى الله تعالى عنه الى بنى عامر)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب رضى الله تعالى عنه فى أربعة وعشرين رجلا الى جمع من هوازن أى يقال لهم بنو عامر وأمره صلى الله عليه وسلم ان يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن بالنهار حتى صبحهم وهم غافلون أى وقد نهى أصحابه ان يمعنوا فى الطلب (ه) فأصابوا نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة فكان سهم كل رجل خمسة عشر بعيرا وعدل البعير بعشرة من الغنم

(سرية كعب بن عمير الغفارى رضى الله تعالى عنه)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب ابن عمير الغفارى الى ذات اطلاح من أرض الشام وراء وادى القرى فى خمسة عشر رجلا فوجد واجمعا كثيرا أى لانه لما دنا كعب بن عمير رضى الله تعالى عنه من القوم ذهب عين لهم فأخبروهم بقلة المسلمين (ه) فدعوهم الى الاسلام فلم يستجيبوا ورشقوهم بالنبل فقاتلهم المسلمون أشد القتال حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن عمير فانه ظن قتله فلما أمسى تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه فهم بالبعث اليهم فبلغه انهم ساروا الى محل آخر فتركهم * أقول لم أقف على السبب الذى اقتضى البعث الى ذلك المحل والله أعلم

(سرية عمرو ابن العاص رضى الله عنه الى ذات السلاسل)

أرض بها ماء يقال له السلاسل بضم السين الاولى وكسر الثانية أى وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى المشهور انها بفتح الاولى قيل سمى المكان بذلك لانه كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة يقال لهماء سلسل وسلسال اذا كان سهل الدخول فى الحلق لعذوبته وصفائه وتلك الارض وراء وادى القرى وقيل لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة ان يفروا * أقول وخالد بن الوليد رضى الله عنه فى زمن الصديق غزا قوما من أهل فارس يقال لها ذات السلاسل لكثرة من تسلسل فيها من الشجعان خوف الفرار فقتلوا عن آخرهم لان السلاسل منعتهم من الهزيمة وبعث بالسلاسل الى الصديق رضى الله تعالى عنه والله أعلم بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة قد تجمعوا يريدون المدينة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أى وذلك بعد اسلامه بسنة فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه

فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا وأمره صلى الله عليه وسلم ان يستعين بمن يمر عليهم فسار الليل وكمن النهار حتى قرب من القوم فبلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع ابن كعب الجهنى رضى الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح فى مائتين من سراة المهاجرين والانصار ومنهم أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وعقد له لواء وأمره ان يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فلحق بعمرو أبو عبيدة وأراد أبو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت على مدد وأنا الامير * قال وعند ذلك قال جمع من المهاجرين الذين مع أبى عبيدة لعمرو وأنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه فقال عمرو أنتم مدد لنا فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف قال لتعلم يا عمرو أن آخر شئ عهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال ان قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا وانك والله ان عصيتنى لاطيعنك قال فانى الامير عليك قال فدونك انتهى (ه) أى لان أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه كان حسن الخلق لين العريكة فكان عمرو يصلى بالناس أى وعن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قال بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرنى ان آخذ ثيابى وسلاحى فقال يا عمرو انى أريد أن أبعثك الى جيش فيغنمك الله ويسلمك فقلت انى لم أسلم رغبة فى المال قال نعم المال الصالح للرجل الصالح وراوا جمعا كثيرا فحمل عليهم المسلمون فتفرقوا * قال وأراد المسلمون أن يتبعوهم فمنعهم عمرو رضى الله تعالى عنه وأرادوا أن يوقدوا نارا ليصطلوا عليها من البرد فمنعهم عمرو أى وقال كل من أوقد نارا لاقذفنه فيها فشق عليهم ذلك لما فيه من شدة البرد فكلمه بعض سراة المهاجرين فى ذلك فغالظه عمرو فى القول وقال له قد أمرت أن تسمع لى وتطيع قال نعم قال فافعل ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب غضب وهم أن يأتيه فمنعه أبو بكر رضى الله تعالى عنه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستعمله الا لعلمه بالحرب فسكت واحتلم عمرو رضى الله تعالى عنه وكانت تلك الليلة شديدة البرد جدا فقال لاصحابه ما ترون قد والله احتلمت فان اغتسلت مت فدعا بماء فغسل فرجه وتوضأ وتيمم ثم قام وصلى بالناس انتهى ثم بعث عمرو عوف بن مالك مبشر النبى صلى الله عليه وسلم بقدومهم وسلامتهم * قال قال عوف بن مالك رضى الله تعالى عنه جئته صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فى بيته فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فقال عوف بن مالك فقلت نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال أخبرنى فأخبرته بما كان من مسيرنا وما كان بين أبى عبيدة بن الجراح وبين عمرو ومطاوعة أبى

عبيدة لعمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح وأخبرته بمنع عمرو رضى الله تعالى عنه المسلمين من اتباع العدو ومن ايقاد النار ومن صلاته بأصحابه وهو جنب فلما قدم عليه عمرو كلمه صلى الله عليه وسلم فى ذلك قال كرهت أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفون عليهم فحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره وقال عمرو وسألنى عن صلاتى فقال يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب فقلت والذى بعثك بالحق انى لو اغتسلت لمت لم أجد بردا قط مثله قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فضحك صلى الله عليه وسلم انتهى أى ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن صلاة الصحابة خلفه فانى لم أقف على أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالقضاء

﴿سرية الخبط﴾

وهو ورق السمر ❊ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح فى ثلاثمائة رجل من المهاجرين والانصار وفيهم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى حى من جهينة فى ساحل البحر وقيل ليرصدوا عير القريش أى وعليه فتكون هذه السرية قبل الهدنة الواقعة فى الحديبية لما تقدم أنه صلى الله عليه وسلم بعد الهدنة لم يكن يرصد عير القريش الى الفتح وتعدد سرية الخبط بعيد فلا يقال يجوز أن تكون سرية الخبط مرتين مرة قبل الهدنة ومرة بعدها ومن ثم حكم على هذا القول بأنه وهم لكن فى البخارى وهم يتلقون عير القريش فأقاموا بالساحل نصف شهر فأصابهم جوع شديد حتى أكلوا الخبط أى كانوا يبلونه بالماء ويأكلونه حتى تقرحت أشداقهم فان أبا عبيدة رضى الله عنه كان يعطى الواحد منهم فى اليوم والليلة تمرة واحدة يمصها ثم يصرها فى ثوبه (ه) أى وعن الزبير رضى الله عنه أنه قيل له كيف كنتم تصنعون بالتمرة قال نمصها كما يمص الصبى ثدى أمه ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا الى الليل لانه صلى الله عليه وسلم زودهم جرابا من تمر فجعل أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يقوتهم اياه حتى صار يعده لهم عدا حتى كان يعطى الواحد تمرة كل يوم ثم بعد التمر أكلوا الخبط ولما رأى قيس بن سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنهما ما بالمسلمين من جهد الجوع أى مشقته أى وقال قائلهم والله لو لقينا عدوا ما كان منا حركة اليه لما بالناس من الجهد قال من يشترى منى تمرا أوفيه له فى المدينة بجزر يوفيها الى هاهنا فقال له رجل من أهل الساحل أنا أفعل لكن والله ما أعرفك فمن أنت قال أنا قيس بن سعد بن عبادة فقال الرجل ما أعرفنى بسعد ان بينى وبين سعد خلة سيد أهل يثرب فاشترى خمس جزائر كل

جزور بوسق من تمر والوسق بفتح الواو وكسرها ستون صاعا وجمع الاول أوسق والثانى أوساق فقال له الرجل أشهد لى فقال أشهد من تحب فأشهد نفرا من المهاجرين والانصار من جملتهم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقيل ان عمر رضى الله تعالى عنه امتنع من أن يشهد وقال هذا يدان ولا مال له انما المال لابيه فقال الرجل والله ما كان سعد ليخنى بابنه أى لايوفى عن ابنه ما التزمه فكان بين قيس وعمر كلام حتى أغلظ له قيس الكلام وأخذ قيس رضى الله عنه الجزر فنحر لهم منها ثلاثة فى ثلاثة أيام وأراد أن ينحر لهم فى اليوم الرابع فنهاه أبو عبيدة وقال له عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك أى لايوفى لك بما التزمت ولا مال لك فقال له قيس رضى الله تعالى عنه أترى أبا ثابت يعنى والده سعد يقضى ديون الناس ويطعم فى المجاعة ولا يقضى دينا استدنته لقوم مجاهدين فى سبيل الله وفى البخارى أن قيسا رضى الله تعالى عنه نحر لهم تسع جزائر كل يوم ثلاثا ثم نهاه أبو عبيدة أى ومما يؤيد ما ذكر من أن الجزر كانت خمسة وأنه نحر لهم ثلاثة أيام كل يوم جزورا ما جاء فى بعض الروايات أنه بقى معه جزوران قدم بهما المدينة يتعاقبون عليهما فلينظر الجمع ثم ان البحر ألقى لهم دابة هائلة يقال لها العنبر بحيث أن أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه نصب لهم ضلعا من أضلاعها وفى لفظ من أضلاعه ومر تحته أطول رجل فى القوم أى وهو قيس بن سعد بن عبادة راكبا على أطول بعير لم يطأطئ رأسه وعن جابر رضى الله تعالى عنه أنه قال دخلت أنا وفلان وفلان وعد خمسة نفر عينها ما رآنا أحد أى وفى لفظ ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقب عينها فأكلوا منها أياما أى نحو شهر وكانوا ثلاثمائة فعن بعضهم لم تقرحت أشداقنا من الخبط انطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هى دابة تدعى العنبر فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ميتة ثم قال اضطررتم فكلوا فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلاثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه الدهن بالقلال وفى رواية فأخرجنا من عينه كذا وكذا قلة ودك وحملوا من لحمها الى المدينة أى وقيل لها العنبر لانها تبتلع العنبر فعن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه قال سمعت من يقول رأيت العنبر نابتا فى البحر ملتويا مثل عنق الشاة وفى البحر دابة تأكله وهو سم لها فيقتلها فيقذفها البحر فيخرج العنبر من جوفها وقيل العنبر اسم لسمكة مخصوصة فى البحر هائلة الخلقة طولا وعرضا وقد أخبرنى بعض السفار أن جملامات على شاطئ البحر فألقى فى البحر فابتلعته سمكة فوقفت أخفافه بين يديه فى حلقها فجاءت سمكة فابتلعت تلك السمكة

وفي زمن الحاكم بأمر الله وجدت سمكة بدمياط طولها مائتا ذراع وعرضها مائة وستون ذراعا وكان يقف في حلقها خمس رجال بالمجارف يجرفون الشحم وأقام أهل دمياط يأكلون من لحمها خمسة أشهر ولما بلغ سعد بن عبادة ما حصل للمسلمين من المجاعة قبل قدومهم قال ان يكن قيس يعني ولده كما أعهد فلينحر للقوم فلما قدم قيس قال له سعد ما صنعت في مجاعة القوم قال نحرت قال أصبت قال ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم قال ماذا قال نحرت قال أصبت ثم قال ثم ماذا قال ثم نهيت قال ومن نهاك قال أميري أبو عبيدة قال ولم قال زعم أنه لا مال لي انما المال لابيك فقلت له أبي يقضي عن الاباعد ويحمل الكل ويطعم في المجاعة ولا يصنع هذا لي فلان لموافقتي فأبا عليه عمر بن الخطاب الا التصميم على المنع فقال سعد لولده قيس ذاك أربع حوائط أي بساتين أدناها ما يحصل منه خمسون وسقا ثم ان قيسا رضي الله تعالى عنه وفي الرجل صاحب الجزر وحمله أي أعطاه ما يركبه وكساه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل قيس فقال انه في بيت جود ان الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت أي ومن ثم قال بعضهم لم يكن في الاوس والخزرج مطعمون يتوالدون في بيت واحد الا قيس وأبوه سعد وأبوه عبادة وأبوه وليم كان في كل يوم يقف شخص على اطم ينادي من يريد الشحم واللحم فعليه بدار أبي وليم أي وكان اصحاب الصفة اذا أمسوا انطلق الرجل بالواحد والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة وأما سعد فينطلق بالثمانين وعن سعد بن عبادة زارنا النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله ثم قال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة * قال ويذكر أن سعدا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال من عذيري من ابن الخطاب يبخل على ابني انتهى ويذكر عن سعد بن عبادة أنه كان شديد الغيرة لم يتزوج الا ابكرا وما طلق امرأة وقدر أحد أن يتزوجها وعن جابر رضي الله تعالى عنه فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر العنبر فقال رزق أخرجه الله تعالى لكم لعل معكم من لحمه شيء فتطعمونا فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله أي ولم يكن أروح بدليل أنه صلى الله عليه وسلم قال لو نعلم أنا ندركه لم يروح لاحببنا لو كان عندنا منه قال ذلك ازديادا منه

(سرية أبي قتادة رضي الله تعالى عنه الى غطفان)

أرض محارب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة في خمسة عشر رجلا الى غطفان وأمره أن يشن الغارة عليهم فصار يسير الليل ويكمن النهار حتى هجم

عليهم وأحاط بهم وقتلوا من أشراف لهم واستاقوا الابل والغنم فكانت الابل مائة بعير والغنم ألفي شاة وسبوا سبايا كثيرة فأصاب كل رجل بعد اخراج الخمس اثني عشر بعيرا وعدل البعير بعشرة من الغنم ووقع في سهم أبي قتادة رضي الله عنه جارية حسناء وضيئة فاستوهبها منه صلى الله عليه وسلم فوهبها له ثم وهبها صلى الله عليه وسلم لشخص أي كان وعده بجارية من أول في يفي الله به فجاء ذلك الشخص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ان أبا قتادة قد أصاب جارية وضيئة وقد كنت وعدتني جارية من أول في يفي الله به عليك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي قتادة قال هب لي الجارية فوهبها له الحديث

(سرية عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله تعالى عنه الى الغابة)

وهي الشجر الملتف قال عبد الله المذكور تزوجت امرأة من قومي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على ذلك فقال كم أصدقت قلت مائتي درهم فقال سبحان الله لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واديكم هذا وفي لفظ لو كنتم تغرفونها من ناحية بطحان مازدتم والله ماعندي ما أعينك فلبثت أياما فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا يقال له رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة في جمع عظيم نزل بالغابة يريد حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين من المسلمين فقال اخرجوا الى هذا الرجل حتى تأتوني منه بخبر ودفع لنا شارفا عجفاء أي ناقة مسنة وقال تبلغوا عليها واعتقبوها فركبها أحدنا فوالله ما قامت به ضعفا حتى ضربت فخرجنا ومعنا سلاحنا النبل والسيوف حتى اذا جئنا قريبا من القوم عند غروب الشمس فكنت في ناحية وصاحبي في ناحية أخرى فقلت لهما اذا سمعتماني قد كبرت فكبرا فوالله انا كذلك ننتظر غرة القوم الا ورفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة المجمع للقوم خرج في طلب راع لهم ابطاء عليهم وتخوفوا عليه فقال له نفر من قومه نحن نكفيك ولا تذهب أنت فقال والله لا يذهب الا أنا فقالوا فنحن معك فقال والله لا يتبعني أحد منكم وخرج حتى مر بي فلما أمكنني نفحته أي رميته بسهم فوضعته في فؤاده فوالله ما تكلم ووثبت عليه فاحتززت رأسه وشددت في ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا فهرب القوم واستقنا ابلا وغنما كثيرة فجئنا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه أحمله معي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعانني رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الابل بثلاثة عشر بعيرا في صداقي * قال وبعضهم جعل هذه السرية وسرية أبي قتادة الى غطفان بأرض محارب التي قبل هذه واحدة أي

ومن ثم ذكرتها عقبها خلاف ما صنع في الأصل * قال ويدل لكونهما واحدة ما نقل عن عبد الله بن رواحة بن أبي حدرد قال لما طلبت منه صلى الله عليه وسلم الاعانة في مهر زوجتي قال لي ما وافقت عند ناشيأ أعينك به ولكن قد أجمعت أن أبعث أباقتادة في أربعة عشر رجلا في سرية فهل لك أن تخرج فيها فاني أرجو أن يغنمك الله مهر امرأتك فقلت نعم فخرجنا حتى جئنا الحاضر أي وهم القوم النزول على مايقيمون به ولا يرتحلون عنه أي كما تقدم (ه) فلما ذهبت فحمة العشاء أي اقباله وأول سواده خطبنا أبو قتادة وأوصانا بتقوى الله تعالى وألف بين كل رجلين وقال لا يفارق كل رجل زميله حتى يقتل أي يرجع ولا يجيء الى الرجل فاسأله عن صاحبه فيقول لا علم لي به واذا كبرت فكبروا واذا حملت فاحملوا ولا تمعنوا في الطلب فأحطنا بالحاضر فجرد أبو قتادة سيفه وكبر وجرد نا سيوفنا وكبرنا معه وقاتل رجال من القوم واذا فيهم رجل طويل فأقبل علي وقال لي يا مسلم هلم الى الجنة يتهكم بي فتلت اليه فذهب امامي أي وصار يقبل علي بوجهه مرة ويدبر عني بوجهه مرة أخرى فتبعته فقال لي صاحبي لا تتبعه فقد نهانا أميرنا أن نمعن في الطلب ولا زال كذلك وقال ان صاحبكم لذو مكيدة وان أمره هو الأمر فادركته فرميته بسهم فقتلته وأخذت سيفه وجئت صاحبي فأخبرني انهم جمعوا الغنائم وان أباقتادة تغيظ علي وعليك فجئت أباقتادة فلامني فأخبرته الخبر ثم سقنا النعم وحملنا النساء وجفون السيوف معلقة بالاقتاب ثم لما أصبحنا رأيت في السبي امرأة كأنها ظبي تكثر الالتفات خلفها وتبكي فقلت لها أي شيء تنظرين قالت والله أنظر الى رجل لئن كان حيا ليستنقذنا منكم فوقع في نفسي انه الذي قتلته فقلت لها والله قد قتلته وهذا والله سيفه معلق بالقتب فقالت فألق الى غمده فقلت هذا غمد سيفه فلما رأته بكت ولبثت انتهى ولا يخفى ان السياق في كل يبعد كونهما واحدة

* (سرية أبي قتادة رضي الله تعالى عنه الى بطن أضم) *

اسم موضع أو جبل لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو أهل مكة بعث أباقتادة رضي الله تعالى عنه في ثمانية نفر من جملتهم محكم بن جثامة الليثي الى بطن أضم ليظن ظان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية ولتنتشر بذلك الاخبار فمر عليهم عامر بن الأضبط الاشجعي فسلم عليهم بتحية الاسلام فأمسك عنه القوم وحمل عليه محكم فقتله أي لشيء كان بينه وبينه وسلبه متاعه وبعيره وعند وصولهم الى المحل رجعوا فبلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه الى مكة فتوالوا اليه حتى لقوه * قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لمحكم أقتلته بعد ما قال آمنت بالله وفى رواية بعد ما قال انى مسلم أى أى عالم يأت به الا مؤمن آمن بالله وكان مسلما قال يارسول الله انما قالها أى تحية الاسلام متعوذا قال أفلا شققت عن قلبه قال لم يارسول الله قال لتعلم أصادق هو أم كاذب أى وفى رواية فقال يارسول الله لو شققت عن قلبه أكنت أعلم ما فى قلبه فقال له فلا أنت قبلت ما تكلم به ولا أنت تعلم ما فى قلبه فقال استغفر لى يارسول الله فقال لا غفر الله لك فقام يتلقى دمعه ببرده انتهى وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة الى آخر الآية وذكر ابن اسحاق فى خبر محلم أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بحنين ثم عمد الى ظل شجرة فجلس تحتها فقام اليه الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن يختصمان فى عامر بن الاضبط عيينة بن حصن يطلب دمه أى ويقول والله يارسول الله انى لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائى والاقرع يدافع عن محلم وارتفعت الاصوات وكثرت الخصومة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعيينة ومن معه بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا وخمسين اذا رجعنا وهو يأبى عليه فلم يزل به حتى اتفقا على الدية ثم قالوا أن محلما يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام محلم وهو رجل آدم طويل أى عليه حلة قد كان تهيأ للقتل فيها حتى جلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه تدمعان فقال له ما اسمك قال أنا محلم قد فعلت الذى بلغك وانى أتوب الى الله تعالى واستغفر لى يارسول الله فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم لا تغفر لمحلم قالها ثلاثا بصوت عال فقام يتلقى دمعه بفضل ردائه فما مكث الا سبعا حتى مات فلفظته الارض مرات حتى ضموا عليه الحجارة وواروه أى ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لهم أن الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله يعظكم أى وفى رواية ان الله أحب أن يريكم تعظيم حرمة لا اله الا الله أى حرمة من يأتى بها ولفظ الارض له بعد ما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر له بعد دعائه عليه الا أن يكون المراد استغفر له بعد موته ويوافقه ما فى بعض الروايات أراد الله أن يجعله موعظة لكم لكيلا يقدم رجل منكم على قتل من يشهد أن لا اله الا الله أو يقول انى مسلم اذهبوا به الى شعب بنى فلان فادفنوه فان الارض ستقبله فدفنوه فى ذلك الشعب فيجوز أن يكون استغفر له حينئذ وقيل ان الذى لفظته الارض غير محلم لان محلما مات بحمص أيام ابن الزبير رضى الله تعالى عنه والذى لفظته الارض اسمه فليت

* (سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه الى العزى) *

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي حين فتح مكة خالد بن الوليد في ثلاثين فارسا من أصحابه الى العزى وهو صنم كان لقريش وكان معظما جدا وفي لفظ العزى نخلات أي سمرات مجتمعة لانه كان يهدى اليها كما يهدى الى الكعبة لان عمرو بن لحي أخبرهم أن الرب يشتي بالطائف عند اللات ويصيف عند العزى (ه) فلما وصل الى محلها أي وكان بناء على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم ذلك البناء (ه) ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال له هل رأيت شيأ قال لا قال فارجع اليها فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس أي شعر رأسها منتشر تحثو التراب على رأسها فجعل السادن يصيح بها أي يقول يا عزى عوريه يا عزى خبليه فضربها خالد فقطعها نصفين أي وهو يقول يا عزى كفرانك لا سبحانك أني رأيت الله قد أهانك (ه) ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم تلك العزى

* (سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه الى سواع) *

بالعين المهملة أي سمي باسم سواع بن نوح عليه السلام وكان على صورة امرأة كان لقوم نوح ثم صار لهذيل كانوا يحجون اليه أي قبل فتح مكة وبعد ذلك (ه) أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص في جماعة من أصحابه الى سواع ليكسره ويهدم محله قال عمرو رضي الله عنه فانتهيت الى ذلك الصنم وعنده سادنه أي خادمه فقال لي ما تريد فقلت أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه قال لا تقدر قلت لم قال تمنع قلت حتى الآن أنت على الباطل (ه) ويحك وهل يسمع أو يبصر فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيها شيأ ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

* (سرية سعد بن زيد الاشهلي رضي الله عنه الى مناة) *

صنم كان للاوس والخزرج أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الاشهلي في عشرين فارسا الى مناة ليهدم محله فلما وصلوا الى ذلك الصنم قال السادن لسعد ما تريد قال هدم مناة قال أنت وذاك فأقبل سعد الى ذلك الصنم فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال لها السادن مناة دونك بعض عصياتك فضربها سعد رضي الله عنه فقتلها وهدم محلها

* (سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه الى بني جذيمة) *

ناحية يلملم يدعوهم الى الاسلام أى ولم يكن صلى الله عليه وسلم علم باسلامهم ولم يأمره بمقاتلتهم أى اذا لم يسلموا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فى ثلاثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والانصار ومن بنى سليم أى وهو مقيم بمكة الى بنى جذيمة وكانوا فى الجاهلية قد قتلوا الفاكه عم خالد وقتلوا أخا الفاكه أيضا فى الجاهلية وكانوا من أشرحى فى الجاهلية وكانوا يسمون لعقة الدم وقتلوا والد عبد الرحمن بن عوف فلما علوا به وعلموا أن معه بنى سليم وكانوا قتلوا منهم مالك بن الشريد وأخويه فى موطن واحد خافوه فلبسوا السلاح فلما انتهى خالد رضى الله عنه اليهم تلقوه فقال لهم خالد أسلموا فقالوا نحن قوم مسلمون قال فألقوا سلاحكم وانزلوا قالوا لا والله ما بعد وضع السلاح الا القتل ما نحن بآمنين لك ولا لمن معك قال خالد فلا أمان لكم الا أن تنزلوا فنزلت فرقة منهم فأسرهم وتفرقت بقية القوم وفى رواية لما انتهى خالد الى القوم تلقوه فقال لهم ما أنتم أى أمسلمون أم كفار قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبنينا المساجد فى ساحتنا وأذنا فيها وفى لفظ لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبأنا صبأنا قال فما بال السلاح عليكم قالوا ان بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح قال فضعوا السلاح فوضعوا فقال استأسروا فأمر بعضهم فكتف بالتخفيف بعضا وفرقهم فى أصحابه فلما كان فى السحر نادى مناد خالد رضى الله عنه من كان معه أسير فليقتله فقتل بنو سليم من كان معهم وامتنع المهاجرون والانصار رضى الله تعالى عنهم وأرسلوا أسراهم فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ما فعل خالد أى فان رجلا من القوم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما فعل خالد فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هل أنكر عليه أحد ما صنع قال نعم رجل أصفر ربعة و رجل طويل أحمر فقال عمر رضى الله تعالى عنه والله يا رسول الله أعرفهما أما الاول فهو ابنى فهذه صفته وأما الثانى فهو سالم مولى أبى حذيفة فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد أى قال ذلك مرتين و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه فودى لهم قتلاهم * قال له صلى الله عليه وسلم يا على اخرج الى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم ودفع اليه صلى الله عليه وسلم مالا أى أبلا وورقا يدى به قتلاهم و يعطيهم منه بدل ما تلف عليهم من أموالهم فودى قتلاهم وأعطاهم عوض ما تلف عليهم حتى ميلغة الكلب أى الاناء التى يشرب فيها حتى اذا لم يبق لهم دم ولا مال قال هل بقى لكم دم أو مال قالوا لا قال أعطيكم

مابقي معي من المال احتياطا بدل ما لا تعلمون أي مما تلف من أموالكم ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبت وأحسنت أي وزاد في رواية والذي أنا عبده لهي أحب الي من حمر النعم ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة شاهرا يديه يقول اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات انتهى ووقع بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما شر بسبب ذلك فقال له عبد الرحمن عملت بأمر الجاهلية في الاسلام فقال له انما أخذت بثأر أبيك فقال له عبد الرحمن كذبت أنا قتلت قاتل أبي * أي وفي رواية كيف تأخذ مسلمين بقتل رجل في الجاهلية فقال خالد ومن أخبركم أنهم أسلموا فقال أهل السرية كلهم أخبروا بأنك قد وجدتهم بنوا المساجد وأقروا بالاسلام فقال جاء في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أغير فقال له عبد الرحمن بن عوف كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أخذت بثأر عمك الفاكه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا خالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان أحد ذهبا فأنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل منهم ولا روحته أي والغدوة السير في أول النهار الى الزوال والروحة السير من الزوال الى آخر النهار والمراد بأصحابه هنا السابقون الى الاسلام ومنهم عبد الرحمن بن عوف بل هو المراد كما تصرح به الرواية الآتية فقد نزل صلى الله عليه وسلم الصحابة غير السابقين الذين يقع منهم الرد على الصحابة غير السابقين لكون ذلك لا يليق بهم منزلة غير الصحابة * قال ولما عاب عبد الرحمن على خالد الفعل المذكور أعان عبد الرحمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرض عن خالد وقال يا خالد ذر أصحابي وفي رواية لا تسب أصحابي لو كان لك أحد ذهبا فأنفقته قيراطا قيراطا في سبيل الله لم تدرك غدوة أو روحة من غدوات أو روحات عبد الرحمن انتهى أي ولا يخفى أنه يبعد أن خالد ابن الوليد رضي الله تعالى عنه انما قتلهم لقولهم صبأنا ولم يقولوا أسلمنا الا أن يقال يجوز أن يكون خالد فهم أنهم قالوا ذلك على سبيل الانفة وعدم الانقياد الى الاسلام وأنه صلى الله عليه وسلم انما أنكر عليه العجلة وترك التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا ثم لا يخفى أنه جاء لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ونقل الامام السبكي عن الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله فانه كان يحضر مجلس وعظه أن قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي كان خطابا لمن يأتي بعده من أمته لانه صلى الله عليه وسلم كان له تجليات فرأى

في بعضها سأل أمته الآتين من بعده فقال خطابا لهم لا تسبوا أصحابي وارتضى
منه هذا التأويل فالنهي والخطاب بلا تسبوا أصحابي لغير الصحابة تنزيلا
للغائب الذي يوجد منزلة الموجود الحاضر وفيه أن هذا لا يساعد عليه المقام وفي
الحديث من التنويه برفعة الصحابة وعلو منزلتهم ما يقطع الاطماع من مدانا تهم فان
كون ثواب انفاق مثل جبل أحد ذهبا في وجه الخير لا يبلغ ثواب التصدق
بنصف المد الذي اذا طحن وعجن لا يبلغ الرغيف المعتاد أمر عظيم ❊ أقول ووقع
لخالد رضي الله تعالى عنه نظير ذلك في زمن خلافة الصديق فان العرب لما
ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم عين خالدا لقتال أهل الردة وكان من
جملتهم مالك بن نويرة فأسره خالد هو وأصحابه وكان الزمن شديد البرد فنادى منادي
خالد أن أدفئوا أسراكم فظن القوم انه أراد ادفنوا أسراكم أي اقتلوهم فقتلوهم
وقتل مالك بن نويرة فلما سمع خالد بذلك قال اذا أراد الله أمرا أصابه وتزوج
خالد رضي الله عنه زوجة مالك بن نويرة وكانت من أجمل النساء ويقال ان خالدا
استدعى مالك بن نويرة وقال له كيف ترتد عن الاسلام وتمنع الزكاة ألم تعلم
أن الزكاة قرينة الصلاة فقال كان صاحبكم يزعم ذلك فقال له أهو صاحبنا
وليس هو بصاحبك يا ضرار اضرب عنقه وأمر برأسه فجعل ثالث حجر جعل
عليها قدر يطبخ فيه لحم فعل ذلك ارهابا لأهل الردة فلما بلغ سيدنا عمر ذلك قال
للصديق رضي الله تعالى عنهما أعزله فان في سيفه رهقا كيف يقتل مالكا ويأخذ
زوجته فقال الصديق رضي الله عنه لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين
والمنافقين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم عبد الله وأخو العشيرة
خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكافرين والمنافقين وقال
الصديق رضي الله تعالى عنه في حق خالد عجزت النساء ان يلدن مثل خالد بن الوليد
وفي كلام السهيلي انه روى عن عمر بن الخطاب انه قال لأبي بكر الصديق
ان في سيف خالد رهقا فاقتله وذلك حين قتل مالك بن نويرة وجعل رأسه تحت قدر
حتى طبخ به وكان مالك ارتد ثم رجع الى الاسلام ولم يظهر لخالد وشهد عنده رجلان
من الصحابة برجوعه الى الاسلام فلم يقبلهما وتزوج امرأته فلذلك قال عمر لأبي بكر
اقتله فقال لا أفعل لانه متأول فقال اعزله فقال لا أغمد سيفا سله الله تعالى على
المشركين ولا أعزل واليا ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل وأصل
العداوة بين خالد وسيدنا عمر رضي الله عنهما على ما حكاه الشعبي انهما وهما غلامان
تصارعا وكان خالد ابن خال عمر فكسر خالد ساق عمر فعولجت وجبرت ولما ولي سيدنا

عمر رضي الله تعالى عنه الخلافة أول شيء بدا به عزل خالد لما تقدم وقال لا يلي لي عملا أبدا وقيل لكلام بلغه عنه ومن ثم أرسل الى أبي عبيدة أن أكذب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه وان لم يكذب نفسه فهو معزول فانزع عمامته وقاسمه ماله نصفين ولم يكذب نفسه فقاسمه أبو عبيدة ماله حتى احدى نعليه وترك له الاخرى وخالد يقول سمعا وطاعة لامير المؤمنين وبلغه ان خالدا أعطى الاشعث بن قيس عشرة آلاف وقد قصده ابتغاء احسانه فأرسل لابي عبيدة ان يصعد المنبر ويوقف خالدا بين يديه وينزع عمامته وقلنسوته ويقيده بعمامته لان العشرة آلاف ان كان دفعها من ماله فهو سرف وان كان من مال المسلمين فهي خيانة فلما قدم خالد رضي الله تعالى عنه على عمر رضي الله تعالى عنه قال له من أين هذا اليسار الذي تجيز منه بعشرة آلاف فقال من الانفال والسهمان قال ما زاد على الستين الفا فهو لك ثم قوم أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفا ثم قال له والله انك علي لكريم وانك لحبيب ولم تعمل لي بعد اليوم على شيء وكتب رضي الله عنه الى الامصار اني لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فأحببت ان تعلموا أن الله هو الصانع اي وان نصر خالد على من قاتله من المشركين ليس بقوته ولا بشجاعته بل بفضل الله فالصديق لم يعزله خالد بن الوليد مع فعله ما يكرهه بتأويل له في ذلك كما انه صلى الله عليه وسلم لم يعزله مع فعله لما كرهه صلى الله عليه وسلم حيث رفع يديه الى السماء وقال اللهم اني أبرأ اليك مما فعل خالد لكونه كان شديدا على الكفار لرجحان المصلحة على المفسدة وسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه عزله لخوف افتتان الناس به فعزله وولى أبا عبيدة بن الجراح قال بعضهم كان الصديق رضي الله تعالى عنه لينا وخالد بن الوليد شديدا وعمر رضي الله عنه كان شديدا وأبو عبيدة لينا فكان الاصلح لكل منهما أن يولي من ولاه ليحصل التعادل والله أعلم وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في القوم رجل وقال لهم أنا لست من هؤلاء ولكني عشقت امرأة فلحقتها فدعوني أنظر اليها ثم افعلوا بي ما بدا لكم ثم أشار الى نسوة مجتمعات غير بعيد قال بعضهم ففعلت والله ليسير ما طلب فأخذته حتى أوقفته عليهن فأنشد أبياتا ثم جئت به فقدموه فضربت عنقه فقامت امرأة من بينهن فجاءت حتى وقفت عليه فشهقت بفتح الهاء شهقة أو شهقتين ثم ماتت أي وفي رواية فأكبت عليه تقبله حتى ماتت انتهى أي وفي رواية فانحدرت اليه من هودجها فجثت عليه حتى ماتت فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما كان فيكم رجل رحيم القلب

(سرية أبي عامر الاشعري رضي الله عنه الى أوطاس)

لما انصرف صلى الله عليه وسلم من حنين وانهزم المشركون عسكر منهم طائفة بأوطاس فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الاشعري عم أبي موسى الاشعري في جماعة فيهم أبو موسى الاشعري ووقع في الاصل أن أبا عامر بن عم أبي موسى الاشعري قال في النور وهو غلط وانما أبو موسى بن أخي أبي عامر فلحقوا بالقوم وتناوشوا القتال أي تكافؤا فيه وبارز أبو عامر تسعة ويقال انهم اخوة وهو يقتلهم واحدا بعد واحد أي وصار كل من برز له منهم يدعوه الى الاسلام فيأبى فيقول اللهم اشهد ويحمل عليه فيقتله (ه) ثم برز له أخوهم العاشر فقتل أبا عامر أي فانه قال له أسلم فأبى فقال اللهم اشهد فقال اللهم لا تشهد وفرش يديه فظن أبو عامر أنه أسلم فكف عنه فعاد الى أبي عامر فقتله ثم أسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وكان اذا رآه صلى الله عليه وسلم يقول هذا شريد أبي عامر قال وعن أبي موسى الاشعري قال جئت لابي عامر وفيه رمق فقلت يا عم من رماك فقال ذاك وأشار الى شخص من القوم فقصدته فلحقته فلما رآني ولى فأتبعته وجعلت أقول له ألا تستحي ألا تثبت فثبت فاختلفنا ضربتين فقتلته ثم قلت لابي عامر قد قتل الله صاحبك قال فانزع هذا السهم فنزعته فقال يا ابن أخي بلغ النبي صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له يستغفر لي وقال ادفع فرسي وسلاحي له انتهى فليتأمل الجمع بين هذا وما قبله وقبل أن يموت أبو عامر رضي الله عنه استخلف ابن عمه أبا موسى ودفع الراية له وفي لفظ ان أبا عامر رماه واحد فأصاب قلبه ورماه آخر فأصاب ركبته فقتلاه وولى الناس أبا موسى فحمل عليهما فقتلهما أي وفتح الله عليهم وانهزم المشركون وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا (ه) ولما رجع أبو موسى رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بموت أبي عامر استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اجعله من اعلى أمتي في الجنة أي وفي رواية اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس (ه) ودعا لابي موسى أي فقال اللهم اغفر ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما

*(سرية الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه الى ذي الكفين

منهم عمرو بن حممة الدوسي ليهدمه لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير الى الطائف بعث الطفيل رضي الله تعالى عنه لهدم ذي الكفين وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف فخرج سريعا الى قومه فهدم ذا الكفين وجعل يحشي النار في وجهه وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا معشر الازد من يحمل رايتكم قال الطفيل من كان يحملها في الجاهلية النعمان ابن الراوية قال أصبتم

(سرية عيينة بن حصن الفزاري رضي الله تعالى عنه)

الى بني تميم أي وسببها أنه صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سفيان الى بني كعب لاخذ صدقاتهم وكانوا مع بني تميم على ماء فأخذ بشر صدقات بني كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثر واذلك لم تعطوهم أموالكم فاجتمعوا وانتهزوا السلاح ومنعوا بشرا من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن أسلمنا ولا بد في ديننا من دفع الزكاة فقال لهم بنو تميم والله لا ندع يخرج بعيرا واحدا ولما رأى بشر رضي الله تعالى عنه ذلك قدم المدينة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فكان يسير الليل و يكمن النهار فهجم عليهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وفي لفظ احدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا فجاء بهم الى المدينة فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا في دار رملة بنت الحارث فجاء في أثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد ابن حاجب والزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد وعمرو بن الاهتم ورياح بكسر الراء والمثناة تحت بن الحارث فلما رأوهم بكى اليهم النساء والذراري فجاؤا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم أي بعد ان دخلوا المسجد ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبطؤه فجاؤا من وراء الحجرات فنادوا أي بصوت جاف أخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين يا محمد أخرج الينا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وقد تأذى من صياحهم وأقام بلال رضي الله تعالى عنه الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم أي قالوا له نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد أي بعد أن قالوا له ما تقدم ومنه ان مدحنا لزين وان شتمنا لشين نحن أكرم العرب فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل مدح الله عز وجل الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام ثم قالوا له فأذن لخطيبنا وشاعرنا قال أذنت فليقم وفي لفظ انى لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا (ه) فقدموا عطارد بن حاجب وفي لفظ

قال

قال الاقرع بن حابس لشاب منهم قم يافلان فاذكر فضلك وفضل قومك فتكلم وخطب أى فقال الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثرهم عددا فمن مثلنا فى الناس ألسنا رؤس الناس وأولو فضلهم فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا ولو شئنا لاكثرنا وانما أقول قولى هذا الان يأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ثم جلس أى وفى رواية أنه قال الحمد لله الذى جعلنا خير خلقه وأعطانا أموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن خير أهل الارض وأكثرهم عددا وأكثرهم سلاحا فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هى أفضل من فعالنا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس أن يجيبه أى قال له قم فأجب الرجل فى خطبته فقام ثابت رضى الله تعالى عنه فقال الحمد لله الذى السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شىء قط الا من فضله ثم ان كان من فضله أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه قلبا وأفضله حسبا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين من قومه وذوو رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس مقالا ثم كان أول الناس اجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أنصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع دمه وماله ومن كفر جاهدناه فى الله وكان قتله علينا يسيرا أقول قولى هذا واستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم (ه) أى وفى رواية أنه قال الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بنى عمه أحسن الناس وجوها وأعظم الناس احلاما فأجابوه والحمد لله الذى جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ومن أباها قاتلناه وكان رغمه فى الله علينا هينا أقول قولى هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ثم قال الزبرقان لرجل منهم فقم يافلان فقل أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقال أبياتا منها

نحن الكرام فلا حى يعادلنا * نحن الرؤس وفينا يقسم الربع

اذا أبينا فلا يأبى لنا أحد * انا لذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بحسان بن ثابت فحضر فقال له قم فجبه

فقال يسمعني ما قاله فأسمعه فقال حسان رضي الله تعالى عنه أبياتا منها

نصرنا رسول الله والدين عنوة ❊ على رغم عات من بعيد وحاضر
وأحياؤنا من خير من وطئ الحصا ❊ وأمواتنا من خير أهل المقابر

وثابت بن قيس هذا كان يعرف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لي علمه فقال رجل أنا يا رسول الله فذهب فوجده في منزله جالسا منكسا رأسه فقال له ما شأنك قال أخشى أن أكون من أهل النار لأني رفعت صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه فقال اذهب اليه فقل له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ثابت ابن قيس بن شماس قتل يوم اليمامة وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه آت في منامه فقال له أني أوصيك بوصية فاياك أن تقول هذا حلم فتضيعه اني لما قتلت مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليأخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أبا بكر رضي الله عنه فقل له أن علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها بعد أن وجدها على ما وصف وحدث أبا بكر رضي الله عنه برؤياه فأجاز وصيته ❊ قال بعضهم هو مالك ولا يعلم أحدا حدثت وصيته بعد موته سواه ❊ ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وبين حسان بن ثابت رضي الله عنه كل منهما يذكر قصيدة يذكر فيها فخرا فمن قصيدة الزبرقان بن بدر وهو مطلعها

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ❊ منا الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضي الله عنه وهو مطلعها

انا أبينا ولم يأبى لنا أحد ❊ انا كذلك عند الفخر نرتفع

وفيه أن هذا البيت من قول بعض بني تميم وقد أسمعه لحسان كما تقدم فليتأمل ❊ ووقعت مفاخرة بين الاقرع بن حابس وبين حسان رضي الله عنه فقال الاقرع ابن حابس أني والله يا محمد قد قلت شعرا فاسمعه ❊ فقال له صلى الله عليه وسلم هات فأنشد

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا ❊ اذا خالفونا عند ذكر المكارم
وانا رؤس الناس من كل معشر ❊ وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فقال

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حسان أجبه فقال

بني دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول من بين ظئر وخادم

* فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاقرع لقد كنت غنيا يا أخا بني دارم ان تذكر ما كنت ترى أن الناس قد نسوه * فكان هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد عليهم من قول حسان رضي الله عنه وحينئذ قال الاقرع بن حابس لخطيبه يعني النبي صلى الله عليه وسلم اخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أعلى من أصواتنا أي ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرك ما كان قبل هذا * ورأى النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن رضي الله عنه فقال يا رسول الله لي من الولد عشرة ما قبلت واحدا منهم * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم * قال ابن دريد رحمه الله اسم الاقرع نواس وانما لقب الاقرع لقرع كان في رأسه * والقرع انخفاض الشعر * وكان رضي الله عنه شريفا في الجاهلية والاسلام ونزل فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم * ووقع أن عمرو بن الاهتم مدح الزبرقان للنبي صلى الله عليه وسلم انه لمطاع في أنديته سيد في عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدني يا رسول الله لشرفي ولقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزبر المروءة ضيق العطن لئيم الخال * وفي لفظ أن الزبرقان قال يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الاهتم فقال عمرو انه لشديد المعارضة مانع لجانبه مطاع في ناديه مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان والله لقد كذب يا رسول الله وما منعه أن يتكلم الا الحسد * فقال عمرو أنا أحسدك والله انك للئيم الخال حديث المال أحمق الوالد مبغض العشيرة فعرف عمرو الانكار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانيه رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما علمت * وفي رواية والله يا رسول الله لقد صدقت فيهما أرضاني فقلت أحسن ما علمت وأسخطني فقلت أسوأ ما علمت فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وجاء ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيا * قال

بغضهم * أما قوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا فان الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق * وأما قوله ان من العلم جهلا فان العالم يكلف مالا يعلم فيجهله ذلك * وأما قوله ان من الشعر حكما فهو هذه المواعظ والأمثال * وأما قوله وان من القول عيا فعرضك كلامك وحديثك على من ليس من شأنه هذا كلامه وفيه أن هذا بيان للسحر المذموم وليس المراد هنا وانما هو من السحر الحلال * ومن ثم أقر صلى الله عليه وسلم عمرو ابن الاهتم عليه ولم يخطئه منه فالسحر المذموم أن يصور الباطل فى صورة الحق ببيانه ويخدع السامع بتمويهه وهو المراد عند الاطلاق والسحر غير المذموم فما كان من البيان على حق لان البيان بعبارته مقبولة عذبة لا استكراه فيها تستميل القلوب كما يستميل الساحر قلوب الحاضرين الى ما موه به * ثم انه صلى الله عليه وسلم رد عليهم الاسارى والسبي وأحسن جوائزهم * قال أى بعد أن أسلموا وأعطى كل واحد اثنى عشر أوقية * قيل الا عمرو بن الاهتم فان القوم خلفوه فى ظهورهم لأنه كان أصغرهم سنا فأعطاه خمس أواق * وقد اختلف فى عدد هذا الوفد فقيل كانوا سبعين رجلا * وقيل كانوا ثمانين وقيل كانوا تسعين انتهى أى والذى فى الاستيعاب ثم أسلم القوم وبقوا فى المدينة مدة يتعلمون الدين والقرآن * ثم أرادوا الخروج الى قومهم فأعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم اسراهم ونساءهم * وقال أما بقي منكم أحد وكان عمرو بن الاهتم فى ركابهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحنا له لم يبق منا الاغلام فى ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم * وبلغ عمرو ما قال قيس فى حقه فأنشد أبياتا تتضمن لومه على ذلك * وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا محسنا يقال ان شعره كان حللا منشورة وكان رضى الله عنه جميلا يدعى المكحل لجماله وهو القائل

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

هذا كلامه وأنزل الله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا * قيل معناه لاتجعلوا دعاءه اياكم كدعاء بعضكم بعضا فتؤخروا اجابته بالاعذار التى يؤخرها بعضكم اجابة بعض ولكن عظموه صلى الله عليه وسلم بسرعة الاجابة

(سرية قطبة بن عامر رضى الله عنه الى حى من خثعم)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قطبة بن عامر فى عشرين رجلا الى حى من خثعم وأمره أن يشن الغارة عليهم فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم أى سكت ولم يعلمهم الامر فجعل يصيح بالحاضر أى وهم القوم

النزول على ماء يقيمون به ولا يرتحلون عنه كما تقدم و يحذرهم فضرب واعنقه ثم أمهلوا حتى نام الحاضر فشنوا الغارة عليهم فاقتتلوا اقتتالا شديدا حتى كثرت الجرحى في الفريقين وساقوا النعم والشاء الى المدينة وجاء سيل فحال بينهم وبين القوم فلم يجدوا القوم اليهم سبيلا وتقدمت الحوالة على هذا

(سرية الضحاك الكلابي رضي الله عنه)

في جمع الى بني كلاب فلقوهم ودعوهم الى الاسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم وكان من جملة المسلمين شخص لقي أباه في جملة القوم فدعاه الى الاسلام فسبه وسب الاسلام فضرب عرقوب فرس أبيه فوقع فأمسك أباه الى أن أتى بعض المسلمين فقتله * أي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث لبني كلاب وكتب اليهم في رق فلم ينقادوا للاسلام وغسلوا الخط من الرق وخاطوه تحت دلوهم * فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال مالهم أذهب الله عقولهم فصار لا يوجد أحد منهم الا مختل العقل مختلط الكلام بحيث لا يفهم كلامه

(سرية علقمة بن مجزز رضي الله عنهما)

بضم الميم وفتح الجيم وزايين الاولى مكسورة مشددة الدلجي أي وهو ولد القائف الذي قف في حق زيد بن حارثة وأسامة رضي الله عنهم وقال ان بعض هذه الاقدام من بعض فهو صحابي ابن صحابي الى جمع من الحبشة بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من الحبشة تراآهم أهل جدة أي في مراكب وجدة بضم الجيم وتشديد الدال المهملة قرية سميت بذلك لبنائها على ساحل البحر لان الجدة شاطىء البحر * فبعث اليهم علقمة بن مجزز رضي الله عنهما في ثلاثمائة فخاض بهم البحر حتى أتوا الى جزيرة في البحر فهربوا أي ورجعوا ولم يلق كيدا * ثم لما كانوا في اثناء الطريق اذن علقمة رضي الله عنه لجماعة أن يتعجلوا وأمر عليهم أحدهم فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم أميرهم عزمت عليكم الا تواثبتم أي وقعتم في هذه النار فقام بعض القوم فحجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها فقال اجلسوا انما كنت أضحك معكم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه * وقال وعن علي كرم الله وجهه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا فأغضبوه في شيء فقال اجمعوا الي حطبا فجمعوا له ثم قال أوقدوا نارا فأوقدوها ثم قال ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتي أن تسمعوا لي وتطيعوا قالوا بلى قال فادخلوها فنظر بعضهم الى بعض وقالوا انا فررنا الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم من النار فكان كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار فلما رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك فقال لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا * وقال صلى الله عليه وسلم لا طاعة فى معصية الله وانما الطاعة فى المعروف انتهى أى والضمير فى دخولها النار التى أوقدت والضمير فى منها النار الآخرة لان الدخول فيها معصية والعاصى يستحق النار فالمقصود من ذلك الزجر * وفى رواية من أمركم منهم أى من الامراء بمعصية الله فلا تطيعوه وفى لفظ لا طاعة فى معصية الله ولا مانع من تكرر هذه الواقعة

(سرية على بن أبى طالب كرم الله وجهه)

الى هدم الفلس بضم الفاء وسكون اللام صنم طىء والغارة عليهم * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن أبى طالب فى خمسين ومائة رجل من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا ومعه راية سوداء ولواء أبيض الى هدم الفلس والغارة عليهم فشنوا الغارة عليهم مع الفجر فهدموا الفلس وأحرقوه واستاقوا النعم والشاء والسبى وكان فى السبى أخت عدى بن حاتم الطاى أى واسمها سفانة بفتح السين المهملة وتشديد الفاء وبعد الالف نون مفتوحة ثم تاء تأنيث والسفانة فى الاصل هى الدرة وهذه أسلمت رضى الله عنها * قال بعضهم ولا يعرف لحاتم بنت الا هذه ووجدوا فى خزانة الصنم ثلاثة أسياف معروفة عند العرب وهى رسوب والمخذم واليمانى وثلاثة أدارع وجعل الرسوب والمخذم صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صار اليه الثالث الذى هو اليمانى * قال ومر النبى صلى الله عليه وسلم بأخت عدى فقامت اليه وكانت امرأة جزلة أى ذات وقار وعقل وكلمته صلى الله عليه وسلم ان يمن عليها فمن عليها فأسلمت رضى الله عنها وخرجت الى أخيها عدى فأشارت اليه بالقدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عليه كما سيأتى فى الوفود ويذكر أنها قالت له صلى الله عليه وسلم يا محمد أرأيت ان تخلى عنا ولا تشمت بنا أحياء العرب فانى ابنة سيد قومى وان أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العارى ويقرى الضيف ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم طىء فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق * أى وفى لفظ قالت له صلى الله عليه وسلم يا محمد أرأيت ان تمن على ولا تفضحنى فى قومى فانى بنت سيدهم ان أبى كان يطعم الطعام ويحفظ الجوار ويرعى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العريان

ولم

ولم يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطاىء فقال لها صلى الله عليه وسلم هذه مكارم الاخلاق حقا ولو كان أبوك مسلما لترحمت عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق * وفى رواية انها قالت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على من الله عليك * قال ومن والدك قالت عدى بن حاتم قال الفار من الله ورسوله أى لانه هرب لما رأى الجيش كما سيأتى فى الوفود * قال ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركنى حتى اذا كان من الغد قلت له كذلك وقال لى مثل ذلك فى اليوم الثالث أشار الى رجل خلفه بأن كلميه فكلمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعلت فلا تعجلى حتى يجىء من قومك من يكون لك ثقة يبلغك الى بلادك ثم آذنينى أى أعلمينى وسألت عن الرجل الذى أشار على بكلامه فقيل لى انه على بن أبى طالب كرم الله وجهه قالت فصبرت حتى قدم على من أثق به فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة قالت فكسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملنى وأعطانى نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخى انتهى

(سرية على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى بلاد مذحج)

بفتح الميم واسكان الذال المعجمة ثم حاء مهملة مكسورة ثم جيم كمسجد أبو قبيلة من اليمن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه الى بلاد مذحج من أرض اليمن فى ثلاثمائة فارس وعقد له لواء وعممه بيده وقال امض ولا تلتفت فاذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك فكانت أول خيل دخلت الى تلك البلاد ففرق أصحابه رضى الله عنهم فأتوا بنهب بفتح النون وغنائم وأطفال ونساء ونعم وشاء وغير ذلك وجعل على الغنائم بريدة بن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ثم لقى جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة فصف أصحابه ودفع لواءه الى مسعود بن سنان ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلا فانهزموا وتفرقوا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فاسرعوا الى اجابته ومتابعته نفر من رؤسائهم وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى وجمع على كرم الله وجهه الغنائم فجزأها على خمسة أجزاء فكتب فى سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم الباقى على أصحابه ثم رجع على كرم الله وجهه فوافا النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قدمها للحج أى حجة الوداع * وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه فى سرية الى اليمن فأسلمت همدان كلها فى يوم واحد فكتب بذلك

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ كتابه خرساجدا ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع أهل اليمن الى الاسلام * قال فى الاصل ان هذه السرية هى الاولى وما قبلها السرية الثانية

(سرية خالد بن الوليد رضى الله عنه)

الى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل وكان نصرانيا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى أربعمائة وعشرين فارسا فى رجب سنة تسع الى أكيدر بدومة الجندل وقال له انك ستجده يصيد البقر فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين وكانت ليلة مقمرة صافية وهو على سطح له ومعه امرأته فجاءت البقر تحتك بقرونها باب الحصن فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله قالت فمن يترك هذه قال لا أحد فنزل فأمر بفرسه فأسرج وركب معه نفر من أهله فيهم أخ له يقال له حسان فتلقتهم خيل خالد فاستأسر أكيدر وقاتل أخوه حتى قتل وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل * وكان على أكيدر قباء من ديباج مخوصة أى فيها خوص منسوجة بالذهب مثل خوص النخل فاستلبه خالد اياها وأرسلها الرسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجبت الصحابة منها فقال صلى الله عليه وسلم لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا أى وقد تقدم وصالح على أهل دومة الجندل بألفى بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ثم خرج خالد بأكيدر وأخته مصاد قافلا الى المدينة فقدم بالاكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه ودم أخته وخلى سبيلهما * وكتب له كتابا فيه أمانهم وختمه يومئذ بظفره * أى ومن جملة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لاكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله فى دومة الجندل وأكنافها الى آخره * وهذا كما لا يخفى يدل على ان أكيدر أسلم أى وهو الموافق لقول أبى نعيم وابن منده باسلامه وانه معدود من الصحابة وأهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم حلة فوهبها صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب * وذكر ابن الاثير أى فى أسد الغابة ان القول باسلامه غلط فاحش فانه لم يسلم بلا خلاف بين أهل السير أى وحينئذ يكون قوله فى الكتاب حين أجاب الى الاسلام أى انقاد اليه وبعده قوله وخلع الانداد والاصنام فليتأمل وانه صلى الله عليه وسلم لما صالحه عاد الى حصنه وبقى فيه على نصرانيته * ثم ان خالدا رضى الله عنه حاصره فى زمن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فقتله لنقضه

العهد قال ابن الاثير وذكر البلاذرى أن أكيدر لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم أسلم ثم بعد موته صلى الله عليه وسلم ارتد ثم قتله خالد أى بعد ان عاد من العراق الى الشام قال وعلى هذا القول لا ينبغى أن يذكر فى الصحابة والا كان كل من أسلم فى حياته صلى الله عليه وسلم ثم ارتد أى ومات مرتد اً يذكر فى الصحابة * أى ولا قائل بذلك ثم رأيت الذهبى قال فى عمارة بن قيس بن الحارث الشيبانى انه ارتد وقتل مرتدا فى خلافة أبى بكر وبهذا أخرج عن ان يكون صحابيا بكل حال

(سرية اسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهم)

الى أبنى بضم الهمزة ثم موحدة ثم نون مفتوحة مقصورة اسم موضع بين عسقلان والرملة وفى كلام السهيلى رحمه الله وهى قرية عند مؤته التى قتل عندها زيد بن حارثة رضى الله عنهما * لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة أمر صلى الله عليه وسلم بالتهيء لغزو الروم * فلما كان من الغد دعا صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فقال سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل ابنى وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الاخبار فان ظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء * وقدم العيون والطلائع معك فلما كان يوم الاربعاء بدأ به صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد صلى الله عليه وسلم لاسامة لواء بيده ثم قال اغز باسم الله وفى سبيل الله وقاتل من كفر بالله فخرج رضى الله عنه بلواء أبيه معقودا فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والانصار الا اشتد لذلك * منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم * فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين والانصار أى لان سن أسامة رضى الله عنه كان ثمانية عشر * وقيل تسعة عشر سنة * وقيل سبع عشرة سنة * ويؤيد ذلك أن الخليفة المهدى لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية الذى يضرب به المثل فى الذكاء وهو صبى وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة فقال المهدى أف لهذه العثانين أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث * ثم التفت اليه المهدى وقال كم سنك يا فتى فقال سنى أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة ابن زيد بن حارثة رضى الله عنهم لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما * فقال تقدم بارك الله فيك وكان سنه سبع عشرة سنة * ومما يؤثر عنه من لم يعرف عيبه فهو أحمق فقيل له ما عيبك يا أبا واثلة قال

كثرة الكلام * وقيل كان عمر أسامة رضي الله عنه عشرين سنة ولما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقالتهم وطعنهم في ولايته مع حداثة سنه غضب صلى الله عليه
وسلم غضبا شديدا وخرج وقد عصب على راسه عصابة وعليه قطيفة وصعد المنبر
فحمد الله وأثنى عليه * ثم قال اما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم
في تأميري أسامة ولئن طعنتم في تاميري أسامة لقد طعنتم في امارتي أباه من قبله
وأيم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق الامارة وان كان لمن أحب
الناس الي وانهما مظنة لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم وتقدم أنه
رضي الله عنه كان يقال له الحب ابن الحب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسح خشمه وهو صغير بثوبه * ثم نزل صلى الله عليه وسلم فدخل بيته وذلك
في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون
الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى
العسكر بالجرف وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول ارسلوا بعث
أسامة أي واستثنى صلى الله عليه وسلم أبا بكر وأمره بالصلاة بالناس أي فلا منافاه
بين القول بان أبا بكر رضي الله عنه كان من جملة الجيش وبين القول بأنه تخلف عنه
لانه كان من جملة الجيش أولا وتخلف لما أمره صلى الله عليه وسلم بالصلاة
بالناس وبهذا يرد قول الرافضة طعنا في أبي بكر رضي الله عنه أنه تخلف عن جيش
أسامة رضي الله عنه لما علمت أن تخلفه عنه كان بأمر منه صلى الله عليه وسلم لاجل
صلاته بالناس * وقول هذا الرافضي مع أنه صلى الله عليه وسلم لعن المتخلف عن
جيش أسامة مردود لانه لم يرد اللعن في حديث أصلا * فلما كان يوم الاحد اشتد على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل أسامة من عسكره والنبي صلى الله عليه
وسلم مغمور فطأطأ رأسه فقبله وهو صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه
الى السماء ثم يضعهما على أسامة رضي الله عنه * قال أسامة فعرفت أنه صلى الله
عليه وسلم يدعولي ورجع أسامة رضي الله عنه الى معسكره ثم دخل عليه صلى
الله عليه وسلم يوم الاثنين فقال له اغد على بركة الله فودعه أسامة وخرج الى
معسكره وأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب اذا رسول أمه أم أيمن رضي
الله عنها قد جاء يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت * وفي لفظ فسار
حتى بلغ الجرف فأرسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول له لا تعجل فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثقيل فأقبل وأقبل معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله
عنهم فانتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت فتوفي رسول الله صلى الله

عليه وسلم حين زاغت الشمس * أي وفي لفظ أنه رضي الله عنه لما نزل بذي خشب
قبض النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينه
ودخل بريدة بلواء أسامة حتى أتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده
فلما بويع لابي بكر رضي الله عنه بالخلافة أمر بريدة أن يذهب باللواء الى بيت
أسامة وأن يمضي أسامة لما أمر به * فلما مات صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب
* أي فانه لما اشتهرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق وقويت نفوس
أهل النصرانية واليهود وصارت المسلمون كالغنم الطيرة في الليلة الشاتية وارتدت
طوائف من العرب وقالوا نصلي ولا ندفع الزكاة * وعند ذلك كلم أبو بكر رضي الله
عنه في منع أسامة من السفر أي قالوا له كيف يتوجه هذا الجيش الى الروم وقد
ارتدت العرب حول المدينة فأبى * أي وقال والله الذي لا اله الا هو لو جرت
الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرد جيشا وجهه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده * وفي لفظ والله لان تخطفني الطير أحب
الي من أن أبدأ بشيء قبل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * أقول ذكر بعضهم
أن أسامة رضي الله عنه وقف بالناس الى الخندق * وقال لسيدنا عمر ارجع الى
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه أن يأذن لي أن أرجع بالناس فان
معي وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقله واثقال
المسلمين أن يتخطفهم المشركون * وقالت له الانصار رضي الله عنهم فان أبى أبو بكر
الا أن يمضي أي الجيش فابلغه منا السلام واطلب اليه أن يولي أمرنا رجلا أقدم سنا
من أسامة فقدم عمر على أبي بكر رضي الله عنهما وأخبره بما قال أسامة * فقال
أبو بكر والله لو تخطفني الذئاب والكلاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عمر رضي الله عنه فان الانصار أمروني أن أبلغك أنهم يطلبون
رجلا أقدم سنا من أسامة فوثب أبو بكر وكان جالسا وأخذ بلحية عمر * وقال
ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتأمرني أن أنزعه * فخرج عمر الى الناس فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم
مالقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا هذا كلامه
* وفيه أن هذا مخالف لما تقدم من صعوده صلى الله عليه وسلم المنبر وانكاره
على من طعن في ولاية أسامة اذ يبعد عدم بلوغ ذلك للانصار رضي الله عنهم
الا أن يقال لعل من قال لسيدنا عمر هذه المقالة جمع من الانصار لم يكونوا سمعوا ذلك
ولا بلغهم أو جوزوا أن الصديق رضي الله عنه يوافق على ذلك حيث رأى فيه

المصلحة وسيدنا عمر رضي الله عنه يوافق على ذلك حيث رأى فيه المصلحة وسيدنا عمر رضي الله عنه جوز ذلك حيث لم يتكفل بالرد عليهم بأنه صلى الله عليه وسلم أنكر على من طعن في ولاية أسامة رضي الله عنه فليتأمل والله أعلم * وكلم أبو بكر رضي الله عنه أسامة في عمر رضي الله عنه أن يأذن له في التخلف فقعد ولعل ذلك كان تطييبا لخاطر أسامة ومن ثم كان عمر رضي الله عنه لا يلقى أسامة الا قال السلام عليك أيها الامير كما يأتي * فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج أسامة رضي الله عنه أي في ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وودعه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه بعد أن سار الى جانبه ساعة ماشيا وأسامة راكبا وعبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق فقال أسامة يا خليفة رسول الله اما ان تركب واما أن أنزل * فقال والله لست بنازل ولست براكب ثم قال له الصديق رضي الله عنه استودعك الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وقد وقع نظير ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضي الله عنه الى اليمن شيعه صلى الله عليه وسلم وهو يمشي تحت راحلة معاذ وهو يوصيه * ثم ان أسامة رضي الله عنه سار الى أهل أبنى فشن عليهم الغارة أي فرق الناس عليهم وكان شعارهم يا منصور أمت فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرق أرضها فأزال نخلها وأجال الخيل في عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين أحد * وكان أسامة رضي الله عنه على فرس ابيه وقتل قاتل أبيه رضي الله عنهما وأسهم للفرس سهمين وللفارس سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك * فلما أمسى أمر الناس بالرحيل وأسرع السير وبعث مبشرا الى المدينة بسلامتهم وخرج أبو بكر في المهاجرين والانصار ممن لم يكن في تلك السرية يتلقون أسامة ومن معه وسروا بسلامتهم * ودخل أسامة رضي الله عنه واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد ثم انصرف الى بيته * أي وكان في خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فانه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب أرادوا ذلك وقالوا لولا قوة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما خرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على الاسلام أي وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بعد أن ولي الخلافة اذا رأى أسامة رضي الله عنه قال السلام عليك أيها الامير فيقول أسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا فيقول لا أزال أدعوك ما عشت الامير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت علي أمير * وفي السيرة الشامية سرايا اخر تركناها كرها تبعا للاصل * وفي السنة الثامنة أمر صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد أن يحج بالناس وهو

بمكة وقد كان صلى الله عليه وسلم استعمله عليها لما أراد الخروج الى حنين وقيل لما رجع من حنين واستمر أميرا على مكة حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقره الصديق رضي الله عنه الى أن توفي وكانت وفاته يوم وفاة الصديق رضي الله عنهما * أي لانه أطعم سم سنة في اليوم الذي أطعم فيه الصديق ذلك * وكان ذلك الحج على ما كانت عليه العرب في الجاهلية من حج الكفار مع المسلمين لكن كان المسلمون بمعزل عنهم في الموقف * ولما دخلت سنة تسع استعمل صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه على الحج فخرج في ثلاث مائة رجل من المدينة وبعث معه صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة قلدها صلى الله عليه وسلم وأشعرها بيده الشريفة وساق أبو بكر رضي الله عنه خمس بدنات * ثم تبعه علي كرم الله وجهه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء أي بفتح القاف والمد * وقيل بالضم والقصر ونسب للخطأ فقال له أبو بكر رضي الله عنه استعملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج قال لا ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس وأنبذ الى كل ذي عهد عهده وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عاما وخاصا فالعام أن لا يصد أحد عن البيت جاءه ولا يخاف أحد في الاشهر الحرم كما تقدم والخاص بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب الى آجال مسماة وفي كلام السهيلي رحمه الله لما أردف أبو بكر بعلي رضي الله عنهما رجع أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم * وقال يا رسول الله هل أنزل في قرآن قال لا ولكن أردت أن يبلغ عني من هو من أهل بيتي فمضى أبو بكر رضي الله عنه فحج بالناس أي في ذي الحجة لا في ذي القعدة كما قيل من أجل النسيء الذي كان في الجاهلية يؤخرون له الاشهر الحرم أي فان براءة نزلت أي صدرها والا فقد نزل منها قبل ذلك في غزوة تبوك انفروا خفافا وثقالا الآيات وكان نزول صدرها بعد سفر أبي بكر رضي الله عنه فقيل له صلى الله عليه وسلم لو بعثت بها الى أبي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل من أهل بيتي ثم دعى صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقال اخرج بصدر براءة وأذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى فقرأ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه براءة يوم النحر أي الذي هو يوم الحج الاكبر عند الجمرة الاولى وقال لا يحج بعد اليوم مشرك ولا يطوف بالبيت عريان * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أمرني علي كرم الله وجهه أن أطوف في المنازل من منى ببراءة فكنت أصيح حتى صحل حلقي فقيل له بما كنت تنادي فقال بأربع أن لا يدخل الجنة الا مؤمن وأن لا يحج بعد العام مشرك وأن لا يطوف بالبيت عريان ومن كان له

عهد فله أجله أربعة أشهر ثم لاعهد له * وأول تلك الاربعة يوم النحر لمن ذلك العام ومن لاعهد له فعهده الى انقضاء المحرم وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلي كرم الله وجهه سترون بعد الاربعة أشهر فانه لاعهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن والضرب * وانما أمر صلى الله عليه وسلم بما ذكر لانهم كانوا يحجون مع المسلمين ويرفعون أصواتهم بقولهم لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك * أي وتقدم سبب الاتيان بذلك ويطوف رجال منهم عراة ليس على رجل منهم ثوب بالليل فيقول الواحد منهم أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ليس على شيء من الدنيا خالطه الظلم * أي وفي لفظ التي قارفنا فيها الذنوب * وكان لا يطوف الواحد منهم بثوب الا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره أو يكتريه واذا طاف بثوب من ثيابه ألقاه بعد طوافه فلا يمسه هو ولا أحد غيره أبدا فكانوا يسمون تلك الثياب اللقى * وفي الكشاف كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لانعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا بأن يعروا من الذنوب كما يعرون من الثياب * وكانت النساء يطفن كذلك وقيل كانت الواحدة تلبس درعا مفرجا وقد طافت امرأة عريانة ويدها على قبلها وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

وأنزل الله تعالى يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق فأبطلت ذلك سورة براءة في تلك السنة * أي وقيل الزينة المشط وقيل الطيب وكان بنو عامر في أيام الحج لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا أحق أن نفعل ذلك فقيل لهم كلوا واشربوا ولا تسرفوا ويحكى أن بعض الاطباء الحذاق من النصارى قال لبعض العلماء أليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في بعض آية من كتابه قال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم صلى الله عليه وسلم شيء من الطب قال قد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة * قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته * فقال ذلك الطبيب ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس شيأ وبينت براءة أن من كان له عهد فعهده الى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله الى أربعة أشهر * وفي لفظ لما لحق علي كرم الله وجهه أبا بكر رضي الله عنه قال له أبو بكر

أميرا أومأمورا قال بل مأمور وزعمت الرافضة أنه صلى الله عليه وسلم عزل أبابكر
عن امارة الحج بعلي وعبارة بعض الرافضة ولما تقدم أبو بكر بسورة براءة رده صلى
الله عليه وسلم بعد ثلاثة أيام بوحي من الله وكيف يرضى العاقل امامة من لا يرتضيه
النبي صلى الله عليه وسلم بوحي من الله لاداء عشر آيات من براءة هذا كلامه * قال
الامام ابن تيمية رحمه الله وهذا أبين من الكذب فان من المعلوم المتواتر أن أبابكر
رضي الله عنه لم يعزل وأنه حج بالناس وكان علي كرم الله وجهه من جملة رعيته
في تلك السفرة يصلي خلفه كسائر المسلمين ولم يرجع الى المدينة حتى مضى الحج
في ذلك العام وانما أردف صلى الله عليه وسلم أبابكر رضي الله عنه بعلي كرم الله
وجهه لنبذ العهود * وكان من عادة العرب لا ينبذ العهد الا المطاع أو رجل من
أهل بيته أي فلو تلا أبو بكر رضي الله عنه مافيه نقض عهد عاهد عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ربما تقولوا وقال قائلهم هذا خلاف ما نعرف فأزاح الله عللهم
بكون ذلك على يد رجل من بني أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الادنى اليه ممن له
ذرية وهو عبد المطلب * قال وهذا غير بعيد من افتراء الرافضة وبهتانهم * أي
وعلى عادة العرب بما ذكر جاء قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عني الا رجل من
أهل بيتي كما تقدم * وفي لفظ الا رجل مني أي لا يبلغ عني عقد العهود ولا حلها
الا رجل مني أي من بني أبي الادنى ولا أب له ذرية أدنى اليه صلى الله عليه وسلم من
عبد المطلب ولا يجوز حمل ذلك على تبليغ الاحكام والقرآن اذ كل أحد من المسلمين
مأذون له في تبليغ ذلك عنه صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة التي هي سنة تسع
تتابعت الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل لها سنة الوفود

(باب يذكر فيه ما يتعلق بالوفود التي وفدت عليه صلى الله عليه وسلم)

أي غير من تقدم فقد تقدم أنه قدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن بالجعرانة
وكذا وفد عليه بها مالك بن عوف النصري وذلك في آخر سنة ثمان * أي ووفد نصارى
نجران أي قبل الهجرة ووفد بني تميم في سرية عيينة بن حصن وذكر ابن سعد أن ذلك
كان في المحرم سنة تسع * ووفد عليه وفد نصارى نجران أيضا بعد الهجرة وكانوا
ستين راكبا ودخلوا المسجد النبوي أي وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير مختمين
بخواتم الذهب أي ومعهم هدية وهي بسط فيها تماثيل ومسوح فصار الناس
ينظرون للتماثيل فقال صلى الله عليه وسلم أما هذه البسط فلا حاجة لي فيها وأما
هذه المسوح فان تعطونيها آخذها فقالوا نعم نعطيكها * ولما رأى فقراء المسلمين
ما عليه هؤلاء من الزينة والزي الحسن تشوفت نفوسهم الى الدنيا فأنزل الله تعالى

قل أأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار الآيات * وأرادوا أن يصلوا بالمسجد بعد ان حان وقت صلاتهم وذلك بعد العصر فأراد الناس منعهم فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا وقالوا قد كنا مسلمين قبلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم لحم الخنزير وزعمكم أن لله ولدا * أي لان أحدهم قال له صلى الله عليه وسلم المسيح عليه السلام ابن الله لانه لا أب له * وقال آخر هو الله لانه أحيى الموتى وأخبر عن الغيوب وابراء من الادواء كلها وخلق من الطين طيرا * وقال له صلى الله عليه وسلم أفضلهم علام تشتمه وتزعم أنه عبد فقال صلى الله عليه وسلم هو عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم فغضبوا وقالوا انما يرضينا أن تقول انه اله وقالوا له صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فأرنا عبد الله يحيي الموتى ويشفي الاكمه والابرص ويخلق من الطين طيرا فينفخ فيها فتطير فسكت صلى الله عليه وسلم عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم * وقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب * ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم ان الله أمرني ان لم تنقادوا للاسلام أن أباهلكم أي ندعوا ونجتهد في الدعاء باللعنة على الكاذب فقالوا له يا أبا القاسم نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك فخلا بعضهم ببعض فقال بعضهم والله علمتم أن الرجل نبي مرسل وما لاعن قوم قط نبيا الا استؤصلوا أي أخذوا عن آخرهم وان أنتم أبيتم الا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا الى بلادكم * وفي لفظ أنهم ذهبوا الى بني قريظة أي من بقي منهم وبني النضير وبني قينقاع واستشاروهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه * وفي لفظ أنهم واعدوه على الغد فلما أصبح صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم * وقال اللهم هؤلاء أهلي أي وعند ذلك قال لهم الاسقف اني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل لهم جبلا لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني قالوا لا نباهلك * وعن عمر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو لاعنتهم يا رسول الله بيد من كنت تأخذ قال صلى الله عليه وسلم آخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة * وهذا أي زيادة عائشة وحفصة في هذه الرواية دل عليه قوله تعالى ونساءنا ونساءكم وصالحوه صلى الله عليه وسلم على الجزية صالحوه على ألف حلة في صفر

وألف في رجب ومع كل حلة أوقية من الفضة وكتب لهم كتابا وقالوا أرسل معنا أمينا فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وقال لهم هذا أمين هذه الامة ❊ أي وفي رواية هذا هو القوي الامين وكان لذلك يدعى في الصحابة بذلك ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أما والذي نفسي بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ولولا عفوي لمسخوا قردة وخنازير ولاضرم الوادي عليهم نارا ولاستأصل الله تعالى نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولاحال الحول على النصارى حتى يهلكوا ووفد عليه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة الداريون أبو هند الداري وتميم الداري وأخوه نعيم وأربعة آخرون وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم أرضا من أرض الشام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا حيث شئتم ❊ قال أبو هند فنهضنا من عنده نتشاور في أي أرض نأخذ فقال تميم الداري رضي الله عنه نسأله بيت المقدس وكورتها فقال أبو هند هذا محل ملك العجم وسيصير محل ملك العرب فأخاف الايتم لنا ❊ قال تميم رضي الله عنه نسأله بيت جبرون وكورتها فنهضنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له فدعا بقطعة من أدم وكتب لهم كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين اذ أعطاه الله الارض وهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى ابد الابد شهد بذلك عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب ثم أعطانا كتابنا ❊ وقال انصرفوا حتى تسمعوا أني قد هاجرت ❊ قال أبو هند فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا عليه وسألناه ان يجدد لنا كتابا آخر فكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الداري وأصحابه اني أنطيتكم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم عليه الصلاة والسلام برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم من بعدهم أبد الابد فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكتب نقل ذلك في المواهب وأقره وخطب صلى الله عليه وسلم خطبة ❊ قال فيها حدثني تميم وذكر خبر الجساسة أي لان تميم رضي الله عنه أخبره صلى الله عليه وسلم انه ركب البحر فتاهت به سفينة فسقطوا الى جزيرة فخرجوا اليها يلتمسون الماء فلقي انسانا يجر شعره ❊ فقال له من أنت قال انا الجساسة قالوا أخبرنا ❊ قال لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فاذا رجل مقيد ❊ فقال من أنتم قلنا ناس من يثرب

قال ما فعل هذا النبي الذي خرج فيكم قلنا قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه * قال فان ذلك خير لهم قال أفلا تخبروني عن عين زغر ما فعلت فأخبرناه عنها فوثب وثبة * ثم قال ما فعل نخل بيسان العرب هل أطعم بتمر فأخبرناه انه قد أطعم فوثب مثلها فقال أما لو قد أذن لي في الخروج لوطئت البلاد كلها غير طيبة فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناس فقال هذه طيبة وذاك الدجال * قال ابن عبد البر وهذا أولى ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار أي كما تقدم * ووفد عليه صلى الله عليه وسلم وهو في خيبر الاشعريون صحبة أبي موسى الاشعري وصحبوا جعفر بن أبي طالب من الحبشة وقال صلى الله عليه وسلم فيهم كما تقدم أتاكم أهل اليمن هم أرق افئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية * وقال في حق أهل اليمن يريد أقوام ان يضعوهم ويأبى الله الا أن يرفعهم والاشعري نسبة الى أشعر واسمه ثبت بن أدد بن يشجب * وانما قيل له أشعر لان أمه ولدته والشعر على بدنه * قال ولما فتحت مكة ودانت له صلى الله عليه وسلم قريش عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعداوته لان قريشا كانت قادة العرب ودخلوا في دين الله أفواجا * قال في النهاية الوفد القوم يجتمعون ويردون البلاد واحدهم وافد انتهى ولوفد رسول القوم يقدمهم وقد يراد به ما هو أعم من ذلك فيشمل من قدم غير رسول وحينئذ يكون من ذلك كعب بن زهير رضي الله عنه فانه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك ان أخاه بجير بن زهير خرج يوما هو وكعب في غنم لهما فقال لاخيه كعب أثبت في الغنم حتى آتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه وأعرف ما عنده فأقام كعب ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه وآمن به وذلك ان أباهما زهيرا كان يجالس أهل الكتاب ويسمع منهم انه قد أن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير والدهما رضي الله عنهما أنه قد مد بسبب من السماء وأنه مد يده ليتناوله ففاته فأوله بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي يبعث في آخر الزمان وأنه لا يدركه وأخبر بنيه بذلك وأوصاهم ان أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلموا * ولما اتصل خبر اسلام بجير بأخيه كعب أغضبه ذلك فلما كان منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب بجير رضي الله عنه الى أخيه كعب بن زهير * وكان ممن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بفتح مكة وأنه صلى الله عليه وسلم قتل بها رجالا ممن كان يهجوه من شعراء قريش وهرب بعضهم في كل وجه كابن الزبعرى وهبيرة ابن أبي وهب وأنه صلى الله عليه وسلم قال من لقي

منكم كعب بن زهير فليقتله فان كان لك في نفسك حاجة ففر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل أحدا جاء تائبا ولا يطالبه بما تقدم الاسلام وان أنت لم تفعل فانج الى نجاتك وفي تصحيح الانساب لابن أبي الفوارس أن زهير بن أبي سلمى قال لاولاده اني رأيت في المنام سببا ألقي من السماء فمددت يدي لاتناوله ففاتني فأولته أنه النبي الذي يبعث في هذا الزمان وانا لا أدركه فمن أدركه منكم فليصدقه وليتبعه ليهتدي به فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم آمن به ابنه بجير وأقام كعب ابنه على الشرك والتشبيب بأم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال لئن وقع كعب في يدي لاقطعن لسانه الحديث أي ولا مانع ان يكون ضم الى هذا هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض وأرجف به أعداؤه وصار واتقولون هو مقتول لا محالة فلم يجد بدا من مجيئه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعمل القصيدة التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر فيها ارجاف أعدائه رضي الله عنه التي مطلعها بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * ثم خرج رضي الله عنه حتى قدم المدينة فنزل على رجل كان بينه وبينه معرفة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح فأشار له ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فقام الى ان جلس الى رسول الله صلى الله عليه ووضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ومن حضره لا يعرفه فقال يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال يارسول الله انا كعب بن زهير فوثب رجل من الانصار فقال يارسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه قد جاء تائبا نازعا * فلما أنشد القصيدة المذكورة ومدح فيها المهاجرين ولم يتعرض للانصار قيل حمله على ذلك ما سمعه من ذلك الانصاري مما أغاظه ولم يسمع من المهاجرين شيأ يغيظه وفيه أن هذا واضح اذا كان أنشأ ذلك في ذلك الوقت * وأما اذا كان عمله قبل مجيئه كما هو ظاهر ما تقدم أنه عمل تلك القصيدة التي من جملتها ما ذكر فلا فعند ذلك غضب الانصار فمدحهم بالقصيدة التي مطلعها

من سره كرم الحياة فلا يزل * في مقنب من صالحي الانصار

أي ويقال له انه صلى الله عليه وسلم هو الذي حضه على مدحهم وقال له لما أنشد بانت سعاد ورآها صلى الله عليه وسلم مشتملة على مدح المهاجرين دون الانصار لولا

أى هلا ذكرت الانصار بخير فان الانصار أهل لذلك ولما أنشده صلى الله عليه وسلم بانت سعاد وقال

ان الرسول لنور يستضاء به ❋ مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه صلى الله عليه وسلم وقد اشتراها معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما من آل كعب بمال كثير أى بعد أن دفع لكعب فيها عشرة آلاف فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب رضى الله عنه أخذها من ورثته بعشرين ألفا وتوارثها خلفاء بنى أمية ثم خلفاء بنى العباس اشتراها السفاح أول خلفاء بنى العباس بثلاث مائة دينار أى بعد انقراض دولة بنى أمية أى وكانوا يطرحونها على أكتافهم جلوسا وركوبا وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم ويقال ان التى كانت عند بنى العباس بردته صلى الله عليه وسلم التى أعطاها لاهل أيلة مع كتابه الذى كتبه لهم أمانا وذلك فى غزوة تبوك وحينئذ تكون بردة كعب رضى الله عنه فقدت عند زوال دولة بنى أمية ❋ وأما هذه البردة فلعل فقدها كان فى فتنة التتر ثم رأيت ابن كثير رحمه الله قال ان معاوية رضى الله عنه اشترى البردة التى كانت عند الخلفاء من أهل كعب بأربعين ألف درهم ثم توارثها الخلفاء الامويون والعباسيون حتى أخذها التتر منه سنة أخذ بغداد وقال هذا من الامور المشهورة جدا ولكنى لم أر ذلك فى شىء من الكتب باسناد ارتضيه وصار كعب رضى الله عنه من شعرائه صلى الله عليه وسلم الذين يذبون عن الاسلام كعبد الله بن رواحة وحسان ابن ثابت الانصاريين رضى الله عنهما ❋ ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان قدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف وكان من خبرهم أنه لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود رضى الله عنه حتى أدركه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصل الى المدينة فأسلم وسأله ان يرجع الى قومه بالاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوك فقال له عروة يارسول الله انا أحب اليهم من أبكارهم أى أول أولادهم ❋ و فى رواية من أبصارهم فخرج رضى الله عنه يدعو قومه الى الاسلام رجاء أن لا يخالفوه لمرتبته فيهم أى لانه رضى الله عنه كان فيهم محببا مطاعا ❋ فلما أشرف لهم على علية ودعاهم الى الاسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل جانب فأصابه سهم فقتله ❋ و فى لفظ انه رضى الله عنه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم الى الاسلام ونصح لهم فعصوه واسمعوه من الاذى ما لم يكن يخشاه

يخشاه

منهم فخرجوا من عنده حتى اذا كان السحر وطلع الفجر قام على غرفة فى داره وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقيل له قبل أن يموت ما ترى فى دمك فقال كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها الله الى فليس فى الا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنونى معهم فدفنوه معهم * وقال فى حقه صلى الله عليه وسلم ان مثله فى قومه كمثل صاحب يس انه قال لقومه اتبعوا المرسلين الآيات فقتله قومه أى المذكورة فى سورة يس وهو حبيب ابن مرى * وقال السهيلى يحتمل أن المراد به صاحب الياس فان الياس يقال فى اسمه يس أيضا وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل هذه المقالة فى حق شخص آخر يقال له قرة بن حصين أو ابن الحارث بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى هلال ابن عامر يدعوهم الى الاسلام فقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم مثله مثل صاحب يس ثم ان ثقيفا قامت بعد قتل عروة شهرا ثم انهم ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد أسلموا فأجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فكلموا عبد ياليل بن عمرو وكان فى سن عروة بن مسعود رضى الله عنه فى ذلك فأبى أن يفعل لانه خشى أن يفعل به كما فعل بعروة وقيل كلموا مسعود بن عبد ياليل ونسب قائله الى الغلط فقال است فاعلا حتى ترسلوا معى رجالا فبعثوا معه خمسة أنفار منهم شرحبيل بن غيلان أحد أشراف ثقيف أسلم غيلان بالغين المعجمة على عشر نسوة وممن أسلم على عشر نسوة أيضا عروة بن مسعود وكذلك مسعود بن معتب ومسعود بن عمير وسفيان بن عبد الله وأبو عقيل مسعود بن عامر وكلهم من ثقيف * ويقال وفد عليه صلى الله عليه وسلم تسعة عشر رجلا هم أشراف ثقيف فيهم كنانة بن عبد ياليل وهو رأسهم يومئذ وفيهم عثمان بن أبى العاص وهو أصغرهم فلما قربوا من المدينة لقوا المغيرة بن شعبة اثنة فى فذهب مسرعا ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقيه أبو بكر رضى الله عنه فأخبره فقال له أبو بكر رضى الله عنه أقسمت عليك لا تسبقنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ففعل * فدخل أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقدومهم عليه * ثم خرج المغيرة ى وعلمهم رضى الله عنه كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا الا تحية الجاهلية * وهى عم صباحا ثم قدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب لهم قبة فى ناحية المسجد أى ليسمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم ويخلفون عثمان بن أبى العاص عند

أسيا بهم فبكى ابن عثمان اذا رجعوا ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الدين ويستقرؤه القرآن واذا وجد النبي صلى الله عليه وسلم نائما ذهب الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه * وكان يكتم ذلك عن أصحابه فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحبه وكان فيهم رجل مجذوم فأرسل صلى الله عليه وسلم يقول له انا بايعناك فارجع * وفى المرفوع لاتديموا النظر الى المجذومين * وجاء كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين وهذا معارض بقوله صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولا طيرة * وبما جاء فى أحاديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم أكل مع المجذوم طعاما وأخذ بيده وجعلها معه فى القصعة وقال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه * وأجيب بأن الامر باجتناب المجذوم ارشادى ومؤاكلته لبيان الجواز أو جواز المخالطة محمولة على من قوى ايمانه وعدم جوازها على من ضعف ايمانه ومن ثم باشر صلى الله عليه وسلم الصورتين ليقتدى به فيأخذ القوى الايمان بطريق التوكل والضعيف الايمان بطريق الحفظ والاحتياط وعند انصرافهم قالوا يا رسول الله أمر علينا رجلا يؤمنا فأمر عليهم عثمان بن أبى العاص لما رأى من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين * ولقول الصديق رضى الله عنه له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انى رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن * وفى رواية أن عثمان بن أبى العاص قال قلت يا رسول الله اجعلنى امام قومى قال أنت امامهم وقال لى اذا أممت فأخف بهم الصلاة واتخذ مؤذنا لا يأخذ على اذانه أجرا اذ كان خالد بن سعد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب لهم كتابا * وكان الكاتب له خالدا المذكور ومن جملته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد شجره ومن وجد يفعل شيأ من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه * ووج واد بالطائف * وقيل هو الطائف والعضاه كل شجر له شوك واحده عضة كشفة وشفاه * وروى أبو داود والترمذى الا ان صيد وج وعضاهه حرام محرم * وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك لهم الصلاة فقال لا خير فى دين لا صلاة فيه * وفى لفظ لاركوع فيه وان يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك * وسألوه أن يترك لهم الطاغية التى هى صنمهم وهى اللات أى وكانوا يقولون لها الربة لا يهدمها الا بعد ثلاث سنين من مقدمهم له فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلا زالوا

يسألونه سنة وهو يأبى عليهم حتى سألوه شهرا واحدا بعد قدومهم وأرادوا بذلك
ليدخل الاسلام في قومهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم بهدمها فأبى عليهم ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وعند خروجهم قال لهم سيدهم كنانة
أنا أعلمكم بثقيف اكتموا اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال وأخبروهم أن
محمدا صلى الله عليه وسلم سألنا أمورا عظيمة ما أبيناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية
وأن نترك الزنا والربا وشرب الخمر * فلما جاءتهم ثقيف وسألوهم قالوا جئنا رجلا
فظا غليظا قد ظهر بالسيف ودان له الناس عرض علينا أمورا شدادا وذكروا
ما تقدم قالوا والله لا نطيعه ولا نقبل هذا أبدا فقال لهم أصلحوا السلاح وتهيؤا
للقتال ورموا حصنكم فكانت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة ثم ألقى الله الرعب
في قلوبهم وقالوا والله ما لنا من طاقة فارجعوا اليه واعطوه ما سأل فعند ذلك قالوا
لهم قد قاضيناه وأسلمنا فقالوا لم كتمتمونا قالوا أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة
الشيطان فأسلموا ومكثوا أياما فقدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما لهدم الطاغية * وفي
رواية لما فرغوا من أمرهم وتوجهوا الى بلادهم راجعين بعث صلى الله عليه وسلم
معهم أبا سفيان والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية فخرج مع القوم حتى اذا قدموا
الطائف أراد المغيرة رضي الله عنه أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك أبو سفيان عليه
وقال ادخل أنت على قومك فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول أي الفاس
العظيمة التي يقطع بها الصخر وقام قومه دونه خشية أن يرمى كما رمي عروة وخرج
نساء ثقيف حسرا أي مكشوفات الرؤس حتى العواتق من الحجال يبكين على
الطاغية * قال وفي رواية يظنون أنه لا يمكن هدمها لامتناعها من ذلك وأراد
المغيرة رضي الله عنه أن يسخر بثقيف فقال لاصحابه لاضحكنكم من ثقيف فألقى
نفسه لما علا على الطاغية ليهدمها * وفي لفظ أخذ يرتكض فصاحوا صيحة
واحدة فقالوا أبعد الله المغيرة قتلته الربة وقالوا والله لا يستطيع هدمها * وفي
رواية لما أخذ المعول وضرب اللات ضربة صاح وخر لوجهه فارتج الطائف
بالصياح سرورا وأن اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيت يا مغيرة
دونكها ان استطعت ألم تعلم أنها تهلك من عاداها فقام المغيرة يضحك منهم ويقول
لهم يا خبثاء والله ما قصدت الا الهزؤ بكم * وفي رواية فوثب وقال لهم قبحكم الله
انما هي لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله واعبدوه ثم أخذ في هدمها انتهى
فهدمها بعد أن بدأ بكسر بابها حتى هدم أساسها وأخرج ترابها لما سمع سادنها

يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم وأخذ ما لها وحليها * فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والاسود أخوه من مال الطاغية فقضاه فان أبا مليح بن عروة بن مسعود وقارب بن عمه بن الاسود أخو عروة بن مسعود سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وكانا قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين لما قتلت ثقيف عروة ابن مسعود وقبل أن تسلم ثقيف كما تقدم * وكان صلى الله عليه وسلم قد أجاب أبا مليح فقال له نعم فقال له ابن عمه قارب بن الاسود وعن الاسود يارسول الله ان عروة والاسود أخوان لاب وام وقال صلى الله عليه وسلم ان الاسود مات مشركا فقال قارب يارسول الله انما الدين على وأنا الذى أطلب به * ومن الوفود وفد بنى تميم وقد تقدم ذكره أى فى الكلام على سرية عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم وفى ذلك الوفد عطارد بن حاجب وعمرو بن الاهتم والاقرع بن حابس والزبرقان ابن بدر * وذكر فى الاستيعاب أنه كان مع وفد تميم قيس بن عاصم فأسلم وذلك فى سنة تسع فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال هذا سيد أهل الوبر وكان عاقلا حليما مشهورا بالحلم * قيل للاحنف بن قيس وكان من أحلم الناس ممن تعلمت الحلم * قال من قيس بن عاصم رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه فأتى برجل مكتوف وآخر مقتول فقيل له هذا ابن أخيك قد قتل ابنك قال فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه فلما أتمه التفت الى ابن أخيه فقال يا ابن أخى بئس ما فعلت أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك ثم قال لابن له آخر قم يابنى فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى أمك مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة وكان قيس بن عاصم رضى الله عنه ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية وسبب ذلك أنه سكر يوما فغمز عكنة ابنته وسب أبويها ورأى القمر فصار يخاطبه وأعطى الخمار مالا كثيرا فلما أفاق أخبر بذلك فحرمها على نفسه وقال فى ذمها أبياتا كثيرة * ولما حضرته الوفاة دعا بنيه فقال يابنى احفظوا عنى فلا أحد أنصح لكم منى اذا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم باصلاح المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم واياكم ومسألة الناس فانها آخر كسب الرجل فاذا مت فلا تنوحوا على فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه وقد قيل فيه من جملة أبيات عند موته

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وتقدم أنهم نادوه صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات يا محمد اخرج الينا ثلاث مرات فخرج اليهم الى آخر ما تقدم ❊ ومنها وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى بضم السين وفتحها وكانوا أى هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وكان عامر بن الطفيل عدو الله سيدهم كان منادية ينادي بسوق عكاظ هل من راجل فنحمله أو جائع فنطعمه أو خائف فنؤمنه ❊ وكان من أجمل الناس وكان مضمرا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاربد وهو أخو لبيد الشاعر اذا أقدمنا على هذا الرجل فاني شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ❊ وقد قال له قومه يا عامر ان الناس قد أسلموا فأسلم فقال والله لقد كنت آليت أى حلفت ان لا انتهى حتى تتبع العرب عقبي فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش فلما اقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عامر بن الطفيل يا محمد خالني أى اجعلني خليلا وصديقا لك قال لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له قال يا محمد خالني وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم و ينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يأتي بشيء ❊ وفي رواية لما أتاه صلى الله عليه وسلم عامر وسده أى ألقى له وسادة ليجلس عليها ثم قال له صلى الله عليه وسلم أسلم يا عامر فقال له عامر ان لي اليك حاجة قال اقرب مني فقرب منه حتى حنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان قوله خالني أى اجعل لي منك خلوة وهو المناسب لقول عامر لاربد اني أشاغل عنك وجهه ❊ قال وذكر ان عامر بن الطفيل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال له أسلم يا عامر فقال أتجعل لي الامر بعدك ان أسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك ولا لقومك أى انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء ❊ أى وقال له يا محمد أسلم على أن لي الوبر ولك المدر ❊ فقال لا فقال مالي ان أسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال أما والله لاملأنها عليك خيلا ورجالا ❊ وفي رواية خيلا جردا ورجالا مردا ولا ربطن بكل نخلة فرسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعك الله عز وجل ❊ قال السهيلي وجعل أسيد بن حضير رضي الله عنه يضرب في رؤسهما ويقول أخرجا أيها الهجرسان أى القردان فقال له عامر ومن أنت فقال أسيد بن حضير فقال أحضير بن سماك قال نعم قال أبوك كان خيرا منك قال بلى أنا خير منك ومن أبي لان أبي كان مشركا وأنت مشرك ومكث صلى الله عليه وسلم أياما يدعو الله عليهم ويقول اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث له داء يقتله انتهى أى ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أسلم وأسلمت بنو عامر لزاحمت قريشا على

منابرها ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياقوم آمنوا ثم قال اللهم اهد بني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل بما شئت وأنى شئت * وفي البخاري انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ولي أهل الوبر أو أكون خليفتك من بعدك أو أغزوك من غطفان بألف أشقر وألف شقراء * فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لاربد ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به والله ما كان على وجه الارض من رجل أخافه على نفسي منك أبدا وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا فقال لا أبا لك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي أمرتني به الا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف * أي وفي رواية الا رأيت بيني وبينه سورا من حديد * وفي رواية لما وضعت يدي على قائم السيف يبست فلم استطع ان أحركها * وفي رواية لما أردت سل سيفي نظرت فاذا فحل من الابل فاغر فاه بين يدي يهوي الي فوالله لو سللته لخفت ان يبتلع رأسي ويمكن الجمع بأن ما في الرواية الاولى كان بعد أن تكرر منه الهم وما في الرواية الثانية كان بعد ان حصل منه هم آخر وكذا يقال في الثالثة وخرجوا راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه * أي وفي لفظ حلقه أي وأوى لبيت امرأة سلولية من بني سلول وكانوا موصوفين باللؤم وفي كلام السهيلي انما اختصها بالذكر لقرب نسبها منه لانها منسوبة الى سلول بن صعصعة والطفيل من بني عامر بن صعصعة أي فهي تأسف عليه وصار يأسف الذي كان موته ببيتها وصار يمس الطاعون ويقول يابني عامر غدة أي أغدة كغدة البعير وموتا في بيت امرأة من بني سلول ائتوني بفرسي ثم ركب فرسه وأخذ رمحه وصار يجول حتى وقع عن فرسه ميتا * أي وذكر انه صار يقول ابرز يا ملك الموت * وفي لفظ ياموت ابرز لي أي لاقاتلك * وهذا يدل على ان موت عامر لم يتأخر سيما وقد جاء في رواية فخرج حتى اذا كان بظهر المدينة صادف امرأة من قومه يقال لها سلولية فنزل عن فرسه ونام في بيتها فأخذته غدة في حلقه فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يجول وهو يقول غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية فلم يزل على تلك الحالة حتى سقط عن فرسه ميتا ويحتاج للجمع بينه وبين قول الاوزاعي * قال يحيى فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحا وقدم صاحباه على قومهما فقالوا لاربد ما وراءك يا أربد فقال لا شيء والله لقد دعانا الى عبادة شيء لوددت اني عنده الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين معه

جمله بقمه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة احرقتهما اى وذلك فى يوم صحو قائظ وأنزل الله تعالى قوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وأما جبار بن سلمى الذى هو ثالثهم فقد أسلم مع من أسلم من بنى عامر ✽ ومنها وفود ضمام بن ثعلبة أى وقيل وفد فى سنة خمس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه متكئا جاءه رجل من أهل البادية قال فيه طلحة بن عبيد الله جاءنا أعرابى من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوى صوته ولا نفقه ما يقول الحديث أى جاء على جمل وأناخه فى المسجد ثم عقله ✽ وقال أيكم ابن عبد المطلب ✽ أى وفى رواية أيكم محمد قالوا هذا الامغر المرتفق أى الأبيض المشرب بحمرة المتكىء على مرفقه فدنا منه صلى الله عليه وسلم فقال انى سائلك فمشدد عليك فى المسئلة قال سل عما بدا لك ✽ أى وفى رواية فاغلظ عليك فى المسئلة فلا تجد على فى نفسك ما لا أجد فى نفسى فقال سل ما بدا لك فقال يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا أنك تزعم ان الله أرسلك قال صدق فقال أنشدك الله بفتح الهمزة بربك من قبلك ورب من بعدك ✽ وفى رواية بالذى خلق السموات والارض ونصب هذه الجبال قال اللهم نعم ✽ قال وفى رواية أنه قال له قبل ذلك آلله أمرك ان تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئا وان نخلع هذه الانداد الذى كان أباؤنا يعبدون قال اللهم نعم انتهى قال أنشدك بالله آلله أمرك أن نصلى خمس صلوات فى كل يوم وليلة قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهرا قال اللهم نعم ✽ قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن نحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال فانى قد آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة ✽ أقول وهذا السياق يدل على ان وفوده كان بعد فرض الحج وهو يخالف ما سبق أنه كان فى سنة خمس ومن ثم استبعده ابن القيم ✽ قال والظاهر ان هذه اللفظة مدرجة من كلام بعض الرواة وفيه ان الذى جزم به ابن اسحاق وأبو عبيدة انه وفد فى سنة تسع وصوبه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ✽ ومن ثم جاء ذكر الحج فى مسلم ✽ ويؤيد ذلك قول ابن عباس رضى الله عنهما بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم علينا الحديث لان ابن عباس رضى الله عنهما انما قدم المدينة بعد الفتح فلما أن ولى ضمام رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل أى بضم القاف صار فقيها وبكسرها فهم وفى لفظ لئن صدق ليدخلن الجنة وكان عمر رضى الله عنه يقول ما رأيت أحدا أحسن مسئلة ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة

بها أى وفى لفظ عن ابن عباس رضى الله عنهما فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام ولما رجع ضمام رضى الله عنه الى قومه قال لهم ان الله تعالى قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه * قال وفى رواية ان أول شىء تكلم به أن سب اللات والعزى فقال له قومه مه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون فقال لهم ويلكم انهما لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا الى آخر ما تقدم وانى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه فلم يبق من القوم رجل ولا امرأة الا وأسلم * ومنها وفد عبد القيس وفيهم الجارود وكان نصرانيا أى قد قرأ الكتب فقال أبياتا مخاطبا بها النبى صلى الله عليه وسلم منها

يا نبى الهدى أتاك رجال * قطعت فدفدا وآلا فآلا
تتقى وقع يوم عبوس * أوجل القلب ذكره ثم هالا

الفدفد المفازة والآل ما يرفع الشخوص فى أول النهار وفى آخره * وقيل السراب قيل وكانوا ستة عشر فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال يا محمد انى كنت على دين وانى تارك دينى لدينك فتضمن لى دينى فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم أنا ضامن لك أن قد هداك الى ما هو خير لك منه فأسلم وأسلم أصحابه ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحملهم فقال والله ما عندى ما أحملكم عليه فقال يا رسول الله يحال بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال المسلمين أى من الابل والبقر مما يحمى نفسه أفتبلغ عليها أى نركبها الى بلادنا قال لا اياك واياها فانما تلك حرق النار أى لهبها كذا فى الاصل * وفى السيرة الهشامية أن الجارود اغا وفد مع ما حلف له يقال له سلمة بن عياض الازدى وأن الجارود قال لسلمة ان خارجا خرج بتهامة يزعم انه نبى فهل لك أن تخرج اليه فان رأينا خيرا دخلنا فيه وأنا أرجو أن يكون هو النبى الذى بشر به عيسى ابن مريم لكن يضمر كل واحد منا له ثلاث مسائل يسأله عنها لا يخبر بها صاحبه فلعمرى انه ان أخبرنا بها انه لنبى يوحى اليه * فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم قال له الجارود بم بعثك به ربك يا محمد * قال بشهادة أن لا اله الا الله وأنى عبد الله ورسوله والبراءة من كل ند أو دين يعبد من دون الله وباقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة لحقها وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا بغير الحاد من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد قال الجارود يا محمد ان كنت نبيا فأخبرنا عما أضمرنا عليه فخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه الشريف والعرق يتحدر عنه فقال أما أنت يا جارود فانك أضمرت

أن تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية وعن المنيحة ألا وإن دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الاسلام ألا وإن أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة أو لبن شاة فإنها تغدو برفده وتروح بمثله * وأما أنت يا سلمة فإنك أضمرت على أن تسألني عن عبادة الاوثان وعن يوم السباسب وعن عقل الهجين فأما عبادة الاوثان فإن الله تعالى يقول انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون * وأما يوم السباسب فقد أعقبه الله ليلة خيرا من ألف شهر فاطلبوها في العشر الاواخر من رمضان فإنها ليلة بلجة سمحة لا ريح فيها تطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها * وأما عقل الهجين فإن المؤمنين اخوة تتكافأ دماؤهم يجير أقصاهم على أدناهم أكرمهم عند الله أتقاهم فقالا نشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله انتهى * وذكر في السيرة الشامية في وفد عبد القيس أنه كان قبل فتح مكة وذكر ما حاصله أنه صلى الله عليه وسلم بينما هو يحدث أصحابه اذ قال لهم سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق * وفي رواية ليستين ركب من المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد انضوا أي أهزلوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فقام عمر رضي الله عنه فتوجه نحو مقدمهم فلقي ثلاثة عشر راكبا * وقيل كانوا عشرين راكبا * وقيل كانوا أربعين رجلا فقال من القوم قالوا من بني عبد القيس فقال أما ان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيرا ثم مشى معهم حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر للقوم هذا صاحبكم الذي تريدون فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم بباب المسجد بثياب سفرهم * وتبادروا يقبلون يده صلى الله عليه وسلم ورجله * وكان فيهم عبد الله بن عوف الاشج وهو رأسهم وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع * وذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ثوبين أبيضين لبسهما ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وكان رجلا دميما ففطن لنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دمامته فقال يا رسول الله انه لا يستقى أي يشرب في مسوك أي جلود الرجال وانما يحتاج من الرجل أصغريه لسانه وقلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما قال لا بل الله تعالى جبلك عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والاناة على وزن قناة التؤدة وقد جاء التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة

* وفي رواية أنهم لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من القوم قالوا من ربيعة أي وهو المراد بما في بعض الروايات ربيعة فانه من التعبير عن البعض بالكل * وفي البخاري في الصلاة ان هذا الحي من ربيعة أي ان هذا الحي حي من ربيعة وهو في الاصل اسم لمنزل القبيلة سميت به القبيلة لان بعضهم يحي ببعض قال خير ربيعة عبد القيس مرحبا بالقوم أي صادفتم رحبا بضم الراء أي سعة * وأول من قال مرحبا سيف بن ذي يزن * وقد تكررت هذه الكلمة منه صلى الله عليه وسلم قالها لابنة عمه أم هانيء رضي الله عنها وقال لعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه مرحبا بالراكب المهاجر * وقال لابنته فاطمة رضي الله عنها مرحبا يا بنتي وقال لشخص دخل عليه مرحبا وعليك السلام ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم غير خزايا ولا ندامى أي حالة كونكم سالمين من الخزي ومن الندم * وفي لفظ مرحبا بالوفد الذين جاؤا غير خزايا ولا ندامى أنا حجيج من ظلم عبد القيس فقالوا يا رسول الله انا نأتيك من شقة بعيدة أي من سفر بعيد لان مساكنهم بالبحرين وما والاها من أطراف العراق وانه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام * أي وفي لفظ الا في هذا الشهر الحرام وهو كمسجد الجامع ونساء مؤمنات وهو شهر رجب للتصريح به في بعض الروايات * وقال بعضهم وفي هذا دليل على أن الاعمال الصالحة تدخل الجنة اذا قبلت وقبولها يقع برحمة الله لان مضر كانت تبالغ في تعظيم شهر رجب زيادة على بقية الاشهر الحرم ومن ثم قيل رجب مضر فأمرنا بأمر فصل أي فاصل بين الحق والباطل فقال آمركم بأربع أي بخصال أربع أو جمل أربع في بعض الروايات قالوا حدثنا بجمل من الامر وأنهاكم عن أربع آمركم بالايمان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أي وفيه أن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمة الشهادة ووقع في البخاري في الزكاة زيادة أو قبل شهادة وهي زيادة شاذة لم يتابع عليها راويها واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس أي لانهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر وهذا زائد على الاربع ومن ثم قال بعضهم هو معطوف على قوله بأربع أي آمركم بأربع وبأن تعطوا ومن ثم غاير في الاسلوب * وفي مسلم آمركم بأربع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واعطوا الخمس من الغنائم ولم يذكر الحج لانه لم يكن فرض على الصحيح كما قال الحافظ الدمياطي رحمه الله وهو بناء على الاصح أنه فرض سنة ست * وقول الواقدي ان قدوم وفد عبد القيس

كان

كان في سنة ثمان ليس بصحيح لكن ذكر بعضهم ان لعبد القيس وفدتين واحدة كانت قبل فرض الحج وواحدة بعده ومن ثم جاء ذكر الحج في مسند الامام أحمد وهي وأن تحجوا البيت وأنه لم يتعرض في هذه الرواية لعدد أي لقوله أربع ثم قال صلى الله عليه وسلم لهم وأنهاكم عن أربع عن الدباء أي القرع أي عما ينبذ فيها والحنتم وهو جر مدهونة بدهان أخضر أي عما ينبذ فيها أي وقيل الحنتم جرار كانت تعمل من طين وشعر وأدم والنقير أصل النخلة ينقر وينبذ فيه التمر أي ما ينبذ في ذلك والمزفت ما طلي بالزفت أي عما ينبذ فيه * وفي رواية زيادة على ذلك والقير ما طلي بالقار وهو نبت يحرق اذا يبس وتطلى به السفن كما تطلى بالزفت زاد في رواية واخبروا بهن من وراءكم أي من جئتم من عندهم ومن يحدث من الاولاد فقالوا فيم نشرب يارسول الله قال في أسقية الادم أي الجلود التي يلاث أي يربط على أفواهها قالوا يارسول الله ان أرضنا كثيرة الجرذان أي الفيران أي لا تبقى فيها أسقية الادم قال وان أكلها الجرذان قال ذلك مرتين أو ثلاثا * فقال له الاشج يارسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه فأومأ صلى الله عليه وسلم بكفيه وقال له ياأشج ان رخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج بين يديه وبسطها يعني أعظم منها حتى اذا ثمل أي سكر أحدكم من شرابه قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف * وكان في القوم رجل وقع له ذلك أي وهو جهم بن قثم قال لما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت أسدل ثوبي لاغطي الضربة وقد أبداها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أي وفي كلام السهيلي فعجبوا من علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك واشارته الى ذلك الرجل هذا كلامه أي وفي رواية أنهم سألوه عن النبيذ فقالوا يارسول الله ان أرضنا أرض وخمة لا يصلحها الا النبيذ قال فلا تشربوا في النقير فكأني بكم اذا شربتم في النقير قام بعضكم الى بعض بالسيوف فضرب رجلا منكم ضربة لا يزال يعرج منها الى يوم القيامة فضحكوا فقال صلى الله عليه وسلم ما يضحككم قالوا والله لقد شربنا في النقير فقام بعضنا لى بعض بالسيوف فضرب هذا ضربة بالسيف فهو أعرج كما ترى * ثم ذكر لهم صلى الله عليه وسلم نوع تمر بلادهم فقال لكم تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا فقال له رجل من القوم بأبي أنت وأمي يارسول الله لو كنت ولدت في جوف هجر ما كنت بأعلم منك الساعة أشهد أنك رسول الله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرضكم رفعت الى منذ قعدتم أي فنظرت من أدناها الى أقصاها وقال لهم خير تمركم البرني

تذهب بالداء ولا داء معه * أي واعلم اقتصر صلى الله عليه وسلم في المناهي على شرب الانبذة في الاوعية المذكورة مع أن في المناهي ماهو أشد في التحريم لكثرة تعاطيهم لها قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ومعنى النهي عن الانتباذ في هذه الاوعية بخصوصها أنه يسرع فيها الاسكار فربما يشرب منها من لا يشعر بذلك * وكان في عبد القيس أبو الوازع بن عامر وابن أخته مطر ابن هلال * فلما ذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم أنه ابن أختهم قال ابن أخت القوم منهم وكان فيهم ابن أخي الوازع وكان شيخنا كبيرا مجنونا جاء به الوازع معه ليدعو له صلى الله عليه وسلم فمسح ظهره ودعا له فبراء لحينه وكسي شبابا وجمالا حتى كان وجهه وجه العذراء وجاء أنه صلى الله عليه وسلم زودهم الاراك يستاكون به * وذكر أنه كان فيهم غلام ظاهر الوضاءة فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم خلف ظهره وقال انما كان خطيئة داود عليه الصلاة والسلام النظر * ومنها وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب قيل جاءت بنو حنيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم مسيلمة الكذاب يسترونه بالثياب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصحابه رضي الله عنهم معه عسيب من عسيب النخل في رأسه خويصات فلما انتهى مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله أن يشركه معه في النبوة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه * وقيل ان بني حنيفة جعلوه في رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبنا في رحالنا يحفظها لنا * فأمر له صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به لواحد من القوم وهو خمس أواق من فضة وقال أما انه ليس بشركم مكانا فلما رجعوا اليه أخبروه بما قال عنه فقال انما قال ذلك لانه عرف أن لي الامر من بعده فلما رجعوا وانتهوا الى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب وادعى أنه أشرك معه صلى الله عليه وسلم في النبوة * وقال لمن وفد معه ألم يقل لكم حين ذكرتموني له اما أنه ليس بشركم مكانا ماذاك الا لما كان يعلم أني أشركت معه في الامر أي وهو صلى الله عليه وسلم انما أراد بذلك أنه حفظ ضيعة أصحابه * هذا وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال ان سألتني عن هذه القطعة ما أعطيتكها أي فانه صلى الله عليه وسلم بلغه عنه أنه قال ان جعل لي محمد الامر من بعده اتبعته واني لا أراك الذي منه رأيت وهذا قيس يجيبك عني ثم انصرف والذي

رآه منه صلى الله عليه وسلم أنه رأى في المنام أن في يده سوارين من ذهب قال فأهمني شأنهما * فأوحى الله الي في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي أي وهما طليحة العبسي صاحب صنعا ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة فان كلا منهما ادعى النبوة في حياته صلى الله عليه وسلم * وكان طليحة العبسي يقول ان ملكا يقال له ذو النون يأتيني كما يأتي جبريل محمدا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لقد ذكر ملكا عظيما في السماء يقال له ذو النون وجمع بعضهم بين هذا الذي في الصحيحين وما هنا بأنه يجوز أن يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان تابعا * ومن ثم قال في حفظ الرجال والثانية كان متبوعا ولم يحضر أنفة منه واستكبارا وعامله صلى الله عليه وسلم معاملة الاكرام على عادته صلى الله عليه وسلم في الاستئلاف فأتى الى قومه وهو فيهم كذا قيل ولا يخفى ان قوله ولم يحضر يقتضي انه لم يجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم في المرتين وتقدم انه جاء اليه صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب وهذا أي ستره بالثياب هو المناسب لكونه متبوعا ثم صار مسيلمة لعنه الله يتكلم بالهذيان يضاهي به القرآن فمن ذلك قوله قبحه الله لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين شغاف وحشا وقال الطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما ووضع عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا * وقيل انه لعنه الله طلب منه ان يتفل في بئر تبركا ففعل فملحما وهما ومسح رأس صبي فصار أقرع قرعا فاحشا ودعا لرجل في ابنين له بالبركة فيهما فرجع الرجل الى منزله فوجد أحدهما قد سقط في بئر والآخر أكله الذئب ومسح على عيني رجل للاستشفاء بمسحه فابيضت عيناه فعل ذلك مضاهاة للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا السياق يرشد الى أنه كان برأس ذلك الصبي قرع يسير فمسح عليه للاستشفاء ثم أظهر معجزة بزعمه وهو أنه أدخل بيضة في قارورة واتضح بأن البيضة بنت يومها اذا ألقيت في الخل والنوشادر يوما وليلة فانها تمتد كالخيط فتجعل في القارورة ويصب عليها ماء فتجمد وبهذا يرد على من رثاه من بني حنيفة بقوله

لهفي عليك أبا ثمامه * كم آية لك فيهمو

كالشمس تطلع من غمامه

فيقال له كذبت بل كانت آياته معكوسة * قال وكتب مسيلمة قبحه الله الى النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فقال من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فاني قد أشركت في الامر معك وان لنا نصف الامر وليس قريش قوما يعدلون

وبعث رجلين فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال للرجلين وانتما تقولان مثل ما يقول قالا نعم قال أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما انتهى * ومنها وفد طي فيهم زيد الخيل رضي الله عنه وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفيهم قبيصة ابن الاسود وسيدهم زيد الخيل قيل له ذلك لخمسة أفراس كانت له أي ولو كان وجه التسمية يلزم اطراده لقيل للزبرقان ابن بدر زبرقان الخيل * فقد قيل انه وفد على عبد الملك ابن مروان وقاد اليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل واحدة من تلك الافراس الى آبائها وأمهاتها وحلف على كل فرس يمينا غير اليمين التى حلف بها على غيرها * فقال عبد الملك عجبي من اختلاف ايمانه أشد من عجبي من معرفته بانساب الخيل * وكان زيد الخيل شاعرا خطيبا بليغا جوادا فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام فأسلموا وحسن اسلامهم وقال صلى الله عليه وسلم فى حق زيد الخيل ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاء فى الا رأيته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ أى ما قيل فيه كل ما فيه وسماه صلى الله عليه وسلم زيد الخير أى فانه صلى الله عليه وسلم قال له وهو لا يعرفه الحمد لله الذى أتى بك من سهلك وحزنك وسهل قلبك للايمان ثم قبض صلى الله عليه وسلم على يده فقال من أنت قال أنا زيد الخيل بن مهلهل أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله فقال له صلى الله عليه وسلم بل أنت زيد الخير * ثم قال يا زيد ما أخبرت عن رجل قط شيأ الا رأيته دون ما أخبرت عنه غيرك أى وأجاز صلى الله عليه وسلم كل واحد منهم خمس أواق وأعطى زيد الخيل اثنى عشر أوقية ونشا أى وأقطعه محلين من أرضه وكتب له بذلك كتابا * ولما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى قومه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينج زيد من الحمى أى ما يصيبوا منها فى اثناء الطريق أصابته الحمى * أى وفى لفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال له يا زيد تقتلك أم ملدم يعنى الحمى وفى رواية ان زيد الخيل لما قام من عنده صلى الله عليه وسلم وتوجه الى بلاده قال صلى الله عليه وسلم أى فتى ان لم تدركه أم كلبة يعنى الحمى والكلبة الرعدة * وفى رواية ما قدم على رجل من العرب بفضله قومه الا رأيته دون ما يقال فيه الا ما كان من زيد فان ينج زيد من الحمى فلامر ما هو * قال ولما مات أقام قبيصة بن الاسود النساحة عليه سنة ثم وجه براحلته ورحله * وفيه كتاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم الذى أقطعه فيه محلين بأرضه فلما رأت امرأته الراحلة ضرمتها بالنار فاحترقت واحترق الكتاب انتهى وفى كلام السهيلى وكتب له كتابا على ما أراد وأطعمه قرى كثيرة منها فدك هذا كلامه وقيل بقى الى خلافة عمر رضى الله عنهما * ومنها وفود عدى بن الطائى بن حاتم الطائى حدث عدى رضى الله عنه قال كنت امرأ شريفا فى قومى آخذ الربع من الغنائم كما هو عادة سادات العرب فى الجاهلية أى وهو ربع الغنيمة كما تقدم * فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ما من رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى * فقلت لغلام كان راعيا لى لا أبا لك اعزل لى من ابلى أجمالا ذللا سمانا فاحتبسها قريبا منى فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذنى ففعل ثم انه أتانى ذات يوم فقال يا عدى ما كنت صانعا اذا غشيتك محمد فاصنعه الآن فانى قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد فقلت له قرب لى أجمالى فقربها فاحتملت أهلى وولدى والتحقت بأهل دينى من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضر فأصيبت فيمن أصيب أى سبيت فيمن أصيب من الحاضر فلما قدمت فى السبايا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى الى الشام من عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساها وحملها وأعطاها نفقة وخرجت الى أن قدمت على الشام فوالله انى لقاعد فى أهلى اذ نظرت الى ظعينة تؤمنا فقلت ابنة حاتم فاذا هى * فلما وقفت على قالت القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وقطعت بقية والديك وعورتك فقلت أى أخية لا تقولى الا خيرا فوالله مالى من عذر ولقد صنعت ما ذكرتى ثم نزلت وأقامت عندى فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين فى أمر هذا الرجل قالت أرى والله ان تلحق به سريعا فان يكن نبيا فللسابق اليه فضله وان يكن ملكا فأنت أنت فقلت والله ان هذا للرأى * أى ولعلها لم تظهر له اسلامها لئلا ينفر طبعه من قولها له ان لم يكن نبيا أى على الفرض والتنزل تحريضا على اللحوق به صلى الله عليه وسلم فخرجت حتى جئته صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخلت عليه * فقال من الرجل فقلت عدى بن حاتم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بى الى بيته فوالله انه لعامد بى اليه اذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته صلى الله عليه وسلم فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقلت ما هو بملك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا دخل بيته تناول وسادة بيده من أدم محشوة ليفا فقذفها الى وقال اجلس على هذه فقلت بل أنت فاجلس

عليها قال بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارض فقلت والله ما هذا بأمر ملك ثم قال لى ما معناه يا عدى بن حاتم أسلم تسلم قالها ثلاثا فقلت انى على دين قال أنا أعلم بدينك منك فقلت أنت أعلم بدينى قال نعم ألست من الركوسية ألست من القوم الذين لهم دين لانه تقدم انه كان نصرانيا فقلت بلى فقال ألم تكن تسير فى قومك بالمرباع أى تأخذ ربع الغنيمة كما هو شأن الاشراف من أخذهم فى الجاهلية ربع الغنيمة قلت بلى قال فان ذلك لم يكن يحل لك فى دينك * فقلت أجل والله وعرفت أنه نبى مرسل يعلم ما يجهل ثم قال صلى الله عليه وسلم لعلك يا عدى انما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه * ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف الحيرة قلت لم أرها وقد سمعت بها قال فوالله وفى لفظ فوالذى نفسى بيده ليتمن هذا الامر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد وفى رواية ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية أى وهى قرية بينها وبين الكوفة نحو مرحلتين على بعيرها حتى تزور البيت أى الكعبة لا تخاف * ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم * قال عدى وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وايم الله لتكونن الثانية ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه * ومنها وفود فروة بن مسيك المرادى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فروة مفارقا الملوك كندة وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الاسلام وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا فى يوم يقال له الردم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم فقال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى يوم الردم ولا يسوءه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان ذلك لم يزد قومك فى الاسلام الا خيرا واستعمله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد وبعث معه خالد ابن سعيد بن العاصى على الصدقة فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فروة عند توجهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما رأيت ملوك كندة أعرضت * كالرجل خان الرجل عرق نسائها

قربت راحلتى أؤم محمدا * ارجو فواضلها وحسن ثوابها

* (ومنها وفد بنى زبيد) * بضم الزاى وفتح الموحدة وفد بنو زبيد على رسول الله صلى

الله عليه وسلم وفيهم عمرو ابن معدي كرب الزبيدي وكان فارس العرب مشهورا
بالشجاعة شاعرا مجيدا قال لابن أخيه قيس المرادي انك سيد قومك وقد ذكر لنا
أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول انه نبي فانطلق بنا اليه حتى
نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لن يخفى عليك واذا لقيناه اتبعناه وان كان غير
ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو رضي الله عنه حتى
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فأسلم * فلما بلغ ذلك قيسا قال
خالفني وترك أمري ورأيي وتوعد عمرا فقال عمرو في قيس أبياتا منها

فمن ذا عاذري من ذي سفاه * يريد بنفسه شذا المزار
أريد حياته ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مرادي

أي وبعد موته صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو وهذا مع الاسود العنسي ثم أسلم
وحسن اسلامه وشهد فتوحات كثيرة في أيام الصديق وأيام عمر رضي الله عنهما
* وعن ابن اسحاق قيل ان عمرو بن معدي كرب لم يأت النبي صلى الله عليه وسلم
وأسلم قيس بعد ذلك قيل له صحبة وقيل لا * (ومنها وفد كندة) * أي وله صلى الله
عليه وسلم جدة منهم وهي أم جده كلاب وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثمانون أي
وقيل ستون من كندة فيهم الاشعث بن قيس وكان وجيها مطاعا في قومه وفي الامتاع
وهو أصغرهم فلما أرادوا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم رجلوا أي سرحوا
جممهم أي شعور رؤسهم أي الساقطة على مناكبهم ولبسوا عليهم جبب الحبرة
أي بوزن عنبة برود اليمن المخططة قد كففوها أي سجفوها بالحرير فلما دخلوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وعند ذلك قالوا أبيت اللعن فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لست ملكا أنا محمد بن عبد الله قالوا لا نسميك باسمك قال أنا
أبو القاسم فقالوا يا أبا القاسم انا خبأنا لك خبأ فما هو وكانوا خبؤا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عين جرادة في ظرف سمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والكهانة والمتكهن في النار
فقالوا كيف نعلم أنك رسول الله فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من
حصبا * فقال هذا يشهد أني رسول الله فسبح الحصبا في يده فقالوا نشهد انك
رسول الله * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني بالحق وأنزل على
كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصافات صفا حتى بلغ رب المشارق والمغارب * ثم سكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن بحيث لا يتحرك منه شيء ودموعه تجري

على لحيته فقالوا انا نراك تبكي أفمن مخافة من أرسلك تبكي فقال صلى الله عليه وسلم
ان خشيتي منه أبكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف ان زغت عنه
هلكت * ثم تلا صلى الله عليه وسلم ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك الآية
ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم ألم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هذا الحرير في أعناقكم
فعند ذلك شقوه منها وألقوه وفيه أن هذا يخالف ما قاله فقهاؤنا معاشر الشافعية
من جواز التسجيف بالحرير الا أن يقال الجواز مخصوص بأن لا يجاوز الحد اللائق
بالشخص ولعل سجفهم جاوزت الحد اللائق بهم * وقد قال الاشعث له صلى الله
عليه وسلم نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار يعني جدته أم كلاب فقد تقدم
أنها من كنده وقيل انما قال ذلك الاشعث لان عمه العباس بن عبد المطلب كان اذا
دخل حيا من أحياء العرب لانه كما تقدم كان تاجرا فاذا سئل من أين قال أنا ابن
آكل المرار ليعظم يعني انتسب الى كندة لان كندة كانوا ملوكا فاعتقدت كندة أن
قريشا منهم لقول العباس المذكور فقال له صلى الله عليه وسلم لا نحن بنو النضر
ابن كنانة لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من آبائنا أي لا ننتسب الى الامهات ونترك النسب
الى الآباء والاشعث هذا ممن ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد الى
الاسلام في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه أي فانه حوصر ثم جيء به أسيرا
فقال للصديق حين أراد قتله استبقني لحربك وزوجني أختك فزوجه أخته أم
فروة فدخل سوق الابل بالمدينة واخترط سيفه فجعل لا يرى جملا الا عرقبه فصاح
الناس كفر الاشعث فلما فرغ طرح سيفه وقال والله ما كفرت الا أن الرجل يعني
أبا بكر رضي الله عنه زوجني أخته ولو كنا ببلادنا لكانت لنا وليمة غير هذه وقال
يا أهل المدينة انحروا وكلوا وأعطى أصحاب الابل أثمانها * قال وقال صلى الله عليه
وسلم للاشعث هل لك من ولد فقال له غلام ولد لي عند مخرجي اليك لوددت أن لي به
لسبعة فقال انهم لمجبنة مبخلة محزنة وانهم لقرة العين وثمرة الفؤاد انتهى * ومنها
وفد ازد شنوءة وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الازد وفيهم صرد بن
عبد الله الازدي أي وكان أفضلهم فأمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه
وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتى نزل
بجرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة وهي مدينة بها قبائل من قبائل اليمن
وحاصرها المسلمون قريبا من شهر ثم رجعوا عنها حتى اذا كانوا بجبل يقال له شكر
بالشين المعجمة والكاف المفتوحتين وقيل باسكان الكاف * فلما وصلوا ذلك المحل
ظن أهل جرش أن المسلمين رضي الله عنهم انما رجعوا عنهم منهزمين فخرجوا

في طلبهم

في طلبهم حتى اذا أدركوهم عطفوا عليهم فقتلوهم قتلا شديدا * وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان أي ينظران الاخبار فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي بلاد الله شكر فقام اليه رجلان فقالا يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال انه ليس بكشر ولكنه شكر قالا فما شأنه يا رسول الله قال ان بدن الله لتنحر عنده الآن وأخبره ما الخبر فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا في اليوم والساعة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال وعند اخبارهما لقومهما بذلك وفد وفد جرش على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم أحسن الناس وجوها وأصدقه لقاء وأطيبه كلاما وأعظمه أمانة أنتم مني وأنا منكم وحمى لهم حمى حول بلدهم * ومنها وفد رسول ملوك حمير وحامل كتابهم اليه صلى الله عليه وسلم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول ملوك حمير وحامل كتابهم اليه صلى الله عليه وسلم باسلام الحارث بن عبد كلال بضم الكاف وقد اختلف في كون الحارث له وفادة فهو صحابي أولا والنعمان ومعافر بالفاء مكسورة وهمدان أي باسكان الميم وفتح الدال المهملة وهي قبيلة واما همذان بفتح الميم والذال المعجمة فقبيلة بالعجم فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن عبد كلال والى النعمان ومعافر وهمدان اما بعد فاني أحمد الله اليكم الذي لا اله الا هو اما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم أي رجوعنا من غزوة تبوك فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وانبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وأن الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فان محمدا النبي أرسل الى زرعة ذي يزن * وفي الاستيعاب زرعة بن سيف ذي يزن وفي كلام الذهبي زرعة بن سيف ذي يزن أن اذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعتبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم بالخاء المعجمة جمع مخلاف وأبلغوها رسلي وأن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا أما بعد فان محمدا يشهد أن لا اله الا الله وأنه عبده ورسوله * ثم ان مالك بن كعب بن مرارة قد حدثني أنك قد أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين فأبشر بخير وآمرك

بخير خيرا أولا تخونوا ولا تخاذلوا بضم التاء الفوقية وكسر الذال ويجوز أن يكون بفتح المثناة وفتح الذال بحذوف احدى التاءين فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل بيته انما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ※ ومنها وفد رسول فروة بن عمرو الجذامي وفد رسول فروة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره باسلامه وأهدى له صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء أي يقال لها فضة وحمارا يقال له يعفور وفرسا يقال له الظرب وثياب وقباء مرصع بالذهب وكان فروة رضي الله عنه عاملا للروم على ما يليهم من العرب فلما بلغ الروم اسلامه أخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه وصلبوه ※ أي بعد أن قال له الملك ارجع عن دين محمد ونحن نعيدك الى ملكك قال لا أفارق دين محمد صلى الله عليه وسلم فانك تعلم أن عيسى عليه الصلاة والسلام بشر به ولكنك تضن بملكك ※ ومنها وفد بني الحارث بن كعب ※ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه الى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم وقال له ان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد رضي الله عنه حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون أيها الناس اسلموا تسلموا فأسلموا فقام اليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه يعلمهم الاسلام أي شرائعه وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل ويقبل معه وفدهم فأقبل رضي الله عنه ومعه وفدهم وفيهم قيس بن الحصين ذو الغصة بالغين المعجمة أي لانه كان في حلقه غصة لا يكاد يبين الكلام منها وهي صفة لابيه الحصين وجعلا وصف بها قيس قال في النور ويحتمل أن يقال له ذو الغصة وابن ذي الغصة لانه وأباه كانت بهما الغصة وفيه بعد وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم وأمر عليهم صلى الله عليه وسلم يزيد بن الحصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم الى قومهم الا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ※ ومنها أنه وفد عليه صلى الله عليه وسلم رفاعة بن زيد الجذامي وفد رفاعة بن زيد الجذامي بالجيم المعجمة والزاي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما فأسلم وحسن اسلامه وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى قومه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد اني

بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم رفاعة رضى الله عنه على قومه أجابوا وأسلموا * ومنها وفد همدان وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من همدان فيهم مالك ابن نمط وكان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الحبرات بكسر الحاء المهملة ثياب قصار وقيل مخططة من برود اليمن والعمائم العدنية نسبة الى عدن مدينة باليمن سميت بذلك لان تبعا كان يحبس فيها أرباب الجرائم وفدوا اليه صلى الله عليه وسلم على الرواحل المهرية والارحبية والمهرية نسبة الى قبيلة يقال لها مهرة باليمن والارحبية نسبة الى أرحب وصار مالك بن نمط يرتجز أى يقول الرجز بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول

إليك جاوزنا سواد الريف * فى هبوات الصيف والخريف
مخطمات بحبال الليف

ومن شعره

حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق * رسول أتى من عند ذى العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على أعدائه من محمد

* وقد أمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وأمره بقتال ثقيف فكان لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه كذا فى الاصل * وفى الهدى روى البيهقى باسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد رضى الله عنه الى من ذكر يدعوهم الى الاسلام * فأقام ستة أشهر يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوه ثم انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه وأمر خالدا بالرجوع اليه وأن من كان مع خالد ان شاء بقى مع على وان شاء رجع مع خالد فلما دنا من القوم خرجوا اليه فصف على كرم الله وجهه أصحابه صفا واحدا ثم تقدم بين أيديهم وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا جميعا وكتب بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه ثم قال السلام على همدان السلام على همدان وهذا أصح لان همدان ان لم تكن تقاتل ثقيفا فان همدان باليمن وثقيفا بالطائف * أى وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال نعم الحى همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد * ومنها وفد تجيب أى بضم المثناة فوق وتحت ويجوز الفتح وهى

قبيلة من كندة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد تجيب وقد كانوا ثلاثة عشر رجلا وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكرم مثواهم وقالوا يا رسول الله انا سقنا اليك حق الله فى أموالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوها فاقسموها على فقرائكم قالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا أى وفضل بفتح الضاد وكسرها * قال أبو بكر يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيرا شرح صدره للايمان وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم رغبة وأرادوا الرجوع الى أهليهم فقيل لهم ما يعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلاقينا اياه وما رد علينا ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه فأرسل اليهم بلالا فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بقى منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنا قال فارسلوه الينا فأرسلوه فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انا من الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتى قال وما حاجتك قال تسأل الله عز وجل أن يغفر لى ويرحمنى ويجعل غناى فى قلبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه فى قلبه ثم أمر له صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به لرجل منهم * ثم انهم بعد ذلك وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى فى الموسم الا ذلك الغلام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل الغلام الذى أتانى معكم قالوا يا رسول الله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا أقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله انى لارجو أن يموت جميعا * فقال رجل منهم أوليس يموت الرجل جميعا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تشعب أهواؤه وهمومه فى أودية الدنيا فلعل الاجل يدركه فى بعض تلك الاودية فلا يبالى الله عز وجل فى أيها هلك * ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع من رجع من أهل اليمن عن الاسلام * قام ذلك الغلام فى قومه فذكرهم الله والاسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه يذكر ذلك الغلام ويسأل عنه * ولما بلغه ما قام به كتب الى زياد بن الوليد أى وكان واليا على حضرموت يوصيه به خيرا * ومنها وفد بنى ثعلبة وفد على رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم مرجعه من الجعرانة أربعة نفر من بني ثعلبة أي مقرين بالاسلام فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء قال بعضهم فرمى ببصره الينا
فأسرعنا اليه وبلال يقيم الصلاة فسلمنا عليه وقلنا يا رسول الله انا رسل من خلفنا
من قومنا ونحن مقرون بالاسلام * وقد قيل لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا اسلام لمن لا هجرة له * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم
واتقيتم الله فلا يضركم أي ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا الظهر ثم
انصرف الى بيته فلم يلبث ان خرج الينا فدعا بنا فقال كيف بلادكم فقلنا مخصبون
فقال الحمد لله فأقمنا أياما وضيافته صلى الله عليه وسلم تجري علينا ثم لما جئنا
نودعه صلى الله عليه وسلم قال لبلال اجزهم فاعط كل واحد منهم خمس أواق فضة
أي والاوقية أربعون درهما * ومنها وفد بني سعد هذيم من قضاعة عن النعمان
رضي الله عنه * قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من
قومي وقد أوطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد أي جعلها موطأة قهرا وغلبة
وأزاح العرب أي استولى عليها والناس صنفان اما داخل في الاسلام راغب فيه
* واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا
الى بابه فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على جنازة في المسجد أي وهو سهيل
ابن البيضاء لانه صلى الله عليه وسلم لم يصل في مسجد على جنازة الا عليه رضي الله
عنه * وما وقع في مسلم أنه صلى الله عليه وسلم صلى فيه على سهيل وأخيه نظر فيه
مع أن فقهاءنا ذكروه وأقروه فقمنا خلفه ناحية ولم يدخل مع الناس في صلاتهم
وقلنا حتى يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه ثم انصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن أنتم فقلنا من بني سعد هذيم فقال
أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم قلنا يا رسول الله ظننا أن ذلك
لا يجوز لنا حتى نبايعك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أينما أسلمتم فأنتم
مسلمون قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيدينا على الاسلام ثم
انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طلبنا فأتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام فقلنا
يا رسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال صلى الله عليه وسلم سيد القوم خادمهم
بارك الله عليه * قال النعمان رضي الله عنه فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن
لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا
فكان يؤمنا فلما أردنا الانصراف أمر صلى الله عليه وسلم بلالا فأجازنا بأواقي من

فقيه لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا * ومنها وفد بنى فزارة وفد عليه صلى الله عليه وسلم بضعة عشر رجلا من بنى فزارة فيهم خارجة بن حصن أخو عيينة بن حصن وابن أخيه الحر بن قيس بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون أى توالى عليهم الجدب على ركائب عجفاء أى هزال فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقال رجل منهم أى وهو خارجه اسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا أى ما حولنا وغرثت (ه) أى جاعت عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك هذا أنا أشفع الى ربى عز وجل فمن ذا الذى يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العلى العظيم وسع كرسيه أى علمه كذا قيل وقيل موضع قدميه السموات والارض أى أحاط بالسموات والارض وهو دون العرش كما جاءت به الآثار فهى تئط أى تصوت من عظمته وجلاله كما يئط الرحل بالحاء المهملة الحديث أى من ثقل الحمل * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليضحك من شغفكم وأزلكم أى شدة ضيقكم وجدبكم وقرب غياثكم فقال الاعرابى لن نعدم من رب يضحك خيرا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله * وصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فتكلم بكلمات وكان لا يرفع يديه أى الرفع البالغ فى شئ من الدعاء الا فى الاستسقاء فرفع صلى الله عليه وسلم يديه حتى رؤى بياض ابطيه أى وفى النور وقد جوزت وجها وهو أنه عليه الصلاة والسلام كان يرفع يديه فى الاستسقاء بنى ظهور كفيه الى السماء كما فى مسلم أى فيكون التقدير لا يرفع ظهور كفيه الى السماء الا فى الاستسقاء * وأقول فيه أن هذا يقتضى أنه يفعل ذلك وان كان استسقاؤه لطلب حصول شئ كما فى دعائه صلى الله عليه وسلم فى هذا الاستسقاء فانه متضمن للحصول وقد ذكر فى النور ان ما كان الدعاء فيه لطلب شئ كان بطون الكفين الى السماء والظاهر أن مستند ذلك استقراء حاله صلى الله عليه وسلم فى الدعاء فى الاستسقاء وغيره فليتأمل والله أعلم * ومما حفظ من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اسق بقطع الهمزة ووصلها بلادك وبهائمك وانشر رحمتك واحى بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا أى مطرا مغيثا مريعا بضم الميم واسكان الراء وبالموحدة مكسورة وبالعين المهملة مسرعا لاخراج الربيع مرتعا بالتاء المثناة فوق من رتعت الدابة اذا أكلت ما شاءت طبقا أى مستوعبا للارض منطبقا عليها واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم اسقنا رحمة ولا تسقنا عذابا ولا هدما ولا غرقا ولا محقا اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام أبو لبابة

رضى

رضي الله عنه فقال يارسول الله التمر في المرابد أي وتكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم ومن أبي لبابة ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا حتى يقوم أبولبابة عريانا يسد ثعلب مربده أي المحل الذي يخرج منه ماء المطر بازاره فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فوالله ما رأينا الشمس سبتنا أي من السبت الى السبت الآخر وقام أبولبابة رضي الله عنه عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه وفي بعض الروايات فأمطرت السماء وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم * ثم طاف الانصار بأبي لبابة رضي الله عنهم يقولون له يا أبا لبابة ان السماء والله لم تقلع حتى تقوم عريانا تسد ثعلب مربدك بازارك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابولبابة رضي الله عنه عريانا يسد ثعلب مربده بازاره فأقلعت السماء وحينئذ يكون قول الراوي لئلا يخرج منه التمر بحسب ما فهم ويقول قول الصحابة فوالله ما رأينا الشمس سبتنا * كان في قصة غيرها فخلط بعض الرواة فجاء ذلك الرجل وغيره والذي في الصحيح أنه الرجل الاول * وذكر بعض الحفاظ أنه خارجة بن حصن فقال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه حتى رؤي بياض أبطيه وهو أي بياض الابط معدود من خصائصه صلى الله عليه وسلم ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام بكسر الهمزة جمع اكمة وهي التل المرتفع والظراب بكسر الظاء المشالة جمع ظرب بفتحها الروابي الصغار وبطون الاودية ومنابت الشجرة فجابت السحابة أي أقلعت عن المدينة انجاب الثوب * أقول لعل هذا المطر كان عاما للمدينة وما حولها حتى وصل الى محل هؤلاء الوفد والا فهم انما طلبوا حصول المطر لمحالهم ولا يلزم من وجوده بالمدينة وجوده بمحالهم الا اذا كان قريبا بالمدينة بحيث اذا وجد المطر بها يوجد بمحالهم غالبا وقد أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى الى هذه القصة بقوله

ودعا للانام اذ دهمتهم * سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة أيا * م عليهم سحابة وطفاء
تتحرى مواضع الرعي والسقـ * ـي وحيث العطاش توهى السقاء
وأتى الناس يشتكون اذاها * ورخاء يؤذي الانام غلاء
فدعا فانجلى الغمام فقل في * وصف غيث اقلاعه استسقاء
ثم اثرى الثرى وقرت عيون * بقراها وأحييت احياء

ترى الأرض عنده كسماء * أشرقت من نجومها الظلماء

يخجل الدر واليواقيت من نو * ر رباها البيضاء والحمراء

* ثم رأيت في الحدائق لابن الجوزي رحمه الله عن أنس رضي الله عنه قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة فقام اعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله أن يسقينا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما في السماء قزعة سحاب فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل صلى الله عليه وسلم عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته الشريفة قال فمطرنا يومئذ ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه الى الجمعة الاخرى * فقام ذلك الاعرابي أو غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال ادع الله لنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيديه الى ناحية من السماء الا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي شهرا فلم يجيء أحد من ناحية الا حدث بالجود ثم رأيت بعضهم قال أحاديث الاستسقاء ثابتة في الصحيحين وظاهرها انه تعدد ففي بعضها أنه وقع وهو في خطبة الجمعة وفي بعضها أنه صعد المنبر حين شكي اليه فخطب ودعا وفي بعضها أنه خرج الى المصلى بعد أن وعد الناس يوما يخرج فيه ونصب له منبر واستسقى وأجيبت دعوته ونزل المطر وجاء اليه صلى الله عليه وسلم اعرابي وقال له يا رسول الله أتيناك ومالنا بعير يئط ولا صغير يغط ثم أنشد شعرا يقول فيه

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فدعا فسقي ثم قال صلى الله عليه وسلم لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي كرم الله وجهه فقال يا رسول الله كأنك تريد قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

الابيات فقال صلى الله عليه وسلم أجل وفي رواية لما جاءه صلى الله عليه وسلم المسلمون وقالوا يا رسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشي وأسنت الناس فاستسق لنا ربك فخرج صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الاعلى وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث

الغاشية فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكي ينقلب القحط
الى الخصب ثم جثى صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيرة ثم قال
اللهم اسقنا وأغثنا غيثا مغيثا رحيما واسعا وجدا طبقا مغدقا عاما هنيأ مريأ مريعا
مرتعا وابلا شاملا مسبلا مجللا دائما دارا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث غيثا اللهم
تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد اللهم أنزل فى أرضنا
زينتها وأنزل علينا سكنها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهورا تحيي به بلدة
ميتا واسقه مما خلقت أنعاما وأناسي كثيرا فما برحوا حتى أقبل قزع من السحاب
فالتأم بعضه الى بعض ثم أمطرت سبعة أيام لا تقلع عن المدينة فأتاه صلى الله عليه
وسلم المسلمون فقالوا قد غرقت الارض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع
الله يصرفها عنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر حتى بدت
نواجذه تعجبا بسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم
على رؤس الظراب ومنبت الشجر وبطون الاودية وظهور الآكام فتقشعت عن
المدينة ثم قال صلى الله عليه وسلم لله در أبي طالب لو كان حيا قرت عيناه من الذى
ينشدنا قوله فقام على كرم الله وجهه فقال يا رسول الله كأنك أردت قوله فقال
الابيات * ومنها وفد بني أسد وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رهط من بني
أسد منهم ضرار بن الازور ووابصة بن معبد وطلحة بن عبد الله الذى ادعى النبوة
بعد ذلك ثم أسلم وحسن اسلامه ومنهم معاذة بن عبد الله بن خلف وقد استهدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ناقة تكون جيدة للركوب والحلب من غير أن
يكون لها ولد معها فطلبها فلم يجدها الا عند ابن عم له فجاء بها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحلبها فشرب منها ثم سقاه * ثم قال اللهم بارك فيها وفيمن منعها فقال
يا رسول الله وفيمن جاء بها فقال وفيمن جاء بها ومنهم حضرمي بن عامر ورسول
الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد مع أصحابه فسلموا عليه وقال شخص منهم
يا رسول الله صلى الله عليك وسلم أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك
عبده ورسوله وجئناك يا رسول الله ولم تبعث الينا بعثا ونحن لمن وراءنا * أى
وفى لفظ أن حضرمي بن عامر قال أتيناك نتدرع الليل البهيم فى سنة شهباء أى ذات
قحط ولم تبعث الينا * وفى رواية يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب
فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا
على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين وسألوه صلى
الله عليه وسلم عما كانوا يفعلونه فى الجاهلية من العيافة وهى زجر الطير والتعرض

على الغيب والكهانة وهي الاخبار عن الكائنات في المستقبل وضرب الخط فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا يارسول الله خصلة بقيت فقال وما هي قالوا الخط أي خط الرمل ومعرفة ما يدل عليه قال صلى الله عليه وسلم علمه نبي فمن صادف مثل علمه علم أي وفي رواية أسلم فمن وافق خطه أي علم موافق خطه فذاك أي يباح له والا فلا يباح له الا بتيقين الموافقة أي وفي شرح مسلم أن محصل مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه أي لانه لا طريق لنا الى العلم اليقيني بالموافقة وكأنه صلى الله عليه وسلم قال لو علمتم موافقته لكن لا علم لكم بها وأقاموا أياما يتعلمون الفرائض * ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه وأمر لهم بجوائز ثم انصرفوا الى أهليهم * ومنها وفد بني عذرة قبيلة باليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا من بني عذرة أي وسلموا بسلام الجاهلية فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القوم فقال قائلهم من بني عذرة أخو قصي لامه نحن الذين عضد واقصيا وأزاحوا من بطن مكة وخزاعة وبني بكر فلنا قرابات وأرحام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم وأهلا أي لقيتم رحبا وأتيتم أهلا فاستأنسوا ولا تستوحشوا ما أعرفني بكم قال ثم قال صلى الله عليه وسلم لهم فما يمنعكم من تحية الاسلام قالوا يا محمد كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لانفسنا ولقومنا وقالوا الى م تدعو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تشهدوا أني رسول الله الى الناس كافة فقال متكلمهم فما وراء ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس تحسن طهورهن وتصليهن لمواقيتهن فانه أفضل العمل ثم ذكر لهم صلى الله عليه وسلم باقي الفرائض من الصيام والزكاة والحج انتهى فأسلموا وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ونهاهم صلى الله عليه وسلم عن سؤال الكاهنة أي فقد قالوا له يارسول الله ان فينا امرأة كاهنة قريش والعرب يتحاكمون اليها أفنسألها عن أمور فقال صلى الله عليه وسلم لا تسألوها عن شيء ونهاهم صلى الله عليه وسلم عن الذبائح التي كانوا يذبحونها لاصنامهم وقالوا نحن أعوانك وأنصارك ثم انصرفوا وقد أجيزوا أي وكسى صلى الله عليه وسلم أحدهم بردا * ومنها وفد بني بلي على وزن علي مكبر وهو حي من قضاعة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من بلي منهم ومن شيخهم أبو الضبيب تصغير الضب الدابة المعروفة نزلوا على رويفع بن ثابت البلوي وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هؤلاء قومي فقال له رسول الله صلى

الله عليه وسلم مرحبا بك وبقومك فأسلموا وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فمن مات منكم على غير الاسلام فهو في النار وقال * وفي رواية عن رويفع رضي الله عنه قال قدم وفد قومي فأنزلتهم علي ثم خرجت بهم حتى انتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه فسلمنا عليه فقال صلى الله عليه وسلم رويفع فقلت لبيك قال من هؤلاء القوم قلت قومي يارسول الله قال مرحبا بك وبقومك قلت يارسول الله قدموا وافدين عليك مقرين بالاسلام وهم على من وراءهم من قومهم فقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يهده للاسلام فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انا وفدنا اليك لنصدقك ونشهد أنك نبي حق ونخلع ما كنا نعبد وكان آباؤنا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار انتهى * وقال له أبو الضبيب يارسول الله لي رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك أجر قال نعم وكل معروف صنعته الى غني أو فقير فهو صدقة فقال يارسول الله ما وقت الضيافة قال ثلاثة أيام فما بعد ذلك فصدقة ولا يحل الضيف أن يقيم عندك فيحرجك أي يضيق عليك * أي وفي لفظ فيؤثمك أي يعرضك للاثم أي تتكلم بسيء القول قال يارسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الارض قال هي لك أو لاخيك أو للذئب * قال فالبعير قال مالك وله دعه حتى يجده صاحبه * قال رويفع ثم قاموا فرجعوا الى منزلي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي منزلي يحمل تمرا فقال استعن بهذا التمر فكانوا يأكلون منه ومن غيره فأقاموا ثلاثة أيام ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازهم ورجعوا الى بلادهم * ومنها وفد بني مرة وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلا من بني مرة رأسهم الحارث بن عوف فقال يارسول الله انا قومك وعشيرتك نحن قوم من بني لؤي بن غالب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للحارث أين تركت أهلك فقال بسلاح وما والاها فقال كيف البلاد فقال والله انا لمسنتون وما في المال مخ أي صوت يردده فادع الله لنا * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أسقهم الغيث فأقاموا أياما ثم أرادوا الانصراف الى بلادهم فجاؤا رسول الله مودعين له فأمر بلالا أن يجيزهم فأجازهم بعشر أواق من فضة وفضل الحارث بن عوف فأعطاه اثني عشر أوقية أي وهذا يفيد أن كل واحد أعطى عشر أواق ورجعوا الى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسألوا قومهم متى مطرتم فاذا هو ذلك اليوم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وأخصبت

بعد ذلك بلادهم * ومنها وفد خولان وهى قبيلة من اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من خولان فقالوا يارسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله قد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها وحزون كغلوس وهو ما غلظ منها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ماذكرتم الى من مسيركم فان لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة واما قولكم زائرين لك فانه من زارنى بالمدينة كان فى جوارى يوم القيامة فقالوا يارسول الله هذا السفر الذى لاتوى عليه أى والتوى بفتح المثناة فوق وفتح الواو مقصورا هو هلاك المال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل عم أنس وهو صنم خولان الذى كانوا يعبدونه قالوا ابشر بدلنا الله تعالى ما جئت به وقد بقيت منا بعد بقايا شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى فقد كنا منه فى غرور وفتنة * فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعظم ما رأيتم من فتنته قالوا لقد رأيتنا بضم المثناة فوق واسنتنا حتى أكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثور ونحرناها لعم أنس قربانا فى غداة واحدة وتركناها ترده السباع ونحن أحوج اليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا الغيث يوارى الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عم أنس وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم من أنعامهم وحرثهم فقالوا كنا نزرع الزرع فيجعل له وسطه فنسميه له ونسمى زرعا آخر حجرة أى ناحية لله فاذا مالت الريح بالذى سميناه له أى لله جعلناه لعم أنس واذا مالت الريح بالذى سميناه لعم أنس لم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أنزل على فى ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية قالوا وكنا نتحاكم اليه فتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم وسألوه صلى الله عليه وسلم عن فرائض الله فأخبرهم بها صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالوفاء بالعهد واداء الامانة وحسن الجوار لمن جاوروا وأن لا يظلموا أحدا فان الظلم ظلمات يوم القيامة ثم ودعوه صلى الله عليه وسلم بعد أيام وأجازهم أى أعطى كل واحد اثنى عشر أوقية ونشا ورجعوا الى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا عم أنس * ومنها وفد بنى محارب وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من بنى محارب وفيهم خزيمة بن سواد وكانوا أغلظ العرب وأشدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام عرضه نفسه على القبائل فى المواسم الى الله تعالى فجلسوا عنده يوما من الظهر

الى

الى العصر وأدام صلى الله عليه وسلم النظر الى رجل منهم وقال له قد رأيتك فقال له ذلك الرجل اى والله لقد رأيتني وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم * ثم قال يا رسول الله ما كان في أصحابي أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الاسلام منى فأحمد الله الذى جئت حتى صدقت بك ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معى على دينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب بيد الله عز وجل فقال يا رسول الله استغفر لى من مراجعتى اياك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الاسلام يجب ما قبله يعنى الكفر أى ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه خزيمة بن سواد فصارت له غرة بيضاء وأجازهم كأجيز الوفود ثم انصرفوا الى أهليهم * ومنها وفد صداء حى من عرب اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا من صداء وسبب ذلك أنه صلى الله عليه وسلم هيأ بعثا أربعمائة من المسلمين استعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما ودفع له لواء أبيض ودفع اليه راية سوداء وأمره أن يطأ ناحية من اليمن كان فيها صدائى فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم وعلم بالجيش فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله جئتك وافدا على من ورائى فاردد الجيش وانا لك بقومى فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد رضى الله عنهما وخرج الصدائى أى الى قومه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولئك القوم فقال سعد بن عبادة يا رسول الله دعهم ينزلون على فنزلوا عليه فحباهم بالموحدة أعطاهم وأكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا له نحن لك على من وراءنا من قومنا فرجعوا الى قومهم ففشا فيهم الاسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة رجل فى حجة الوداع وسمى ذلك الرجل الذى كان سببا فى رد الجيش ومجىء الوفد بزياد بن الحارث الصدائى أى وذكر زياد أنه صلى الله عليه وسلم قال له يا أخا صداء انك لمطاع فى قومك قال فقلت بل من من الله عز وجل ومن رسوله * قال وفى رواية بل الله هداهم للاسلام * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أأمرك عليهم فقلت بلى يا رسول الله فكتب لى كتابا بذلك فقلت يا رسول الله مر لى بشىء من صدقاتهم قال نعم فكتب لى كتابا آخر انتهى * قال زياد رضى الله عنه وكنت معه صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وكنت رجلا قويا فلازمت غرزه أى ركابه وجعل أصحابه يتفرقون عنه فلما كان السحر قال صلى الله عليه وسلم أذن يا أخا صداء فأذنت على راحلتى ثم سرنا حتى نزلنا

فذهب صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع فقال يا أخا صداء هل معك ماء قلت معي شيء في اداوتي أي وهي اناء من جلد صغير * وفي رواية لا الا شيء قليل لا يكفيك قال هاته فجئت به قال صب فصببت ما في الاداوة في القعب أي وهو القدح الكبير وجعل أصحابه صلى الله عليه وسلم يتلاحقون ثم وضع صلى الله عليه وسلم كفه في الاناء فرأيت بين كل أصبعين من أصابعه عينا تفور ثم قال يا أخا صداء لولا أني أستحي من ربي عز وجل لسقينا وأسقينا أي من غير أصل ثم توضأ * وقال أذن في أصحابي من كانت له حاجة في الوضوء بفتح الواو فليرد قال فورد الناس من آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم فأقمت ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا فلما سلم يعني من صلاته قام رجل يشكو من عامله فقال يا رسول الله انه آخذنا بدخول كان بيننا وبين قومه في الجاهلية أي وفي رواية آخذنا بكل شيء بيننا وبين قومه في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في الامارة لرجل مسلم ثم قام رجل آخر فقال يا رسول الله أعطني من الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يكل قسمتها الى ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى جزأها ثمانية أجزاء فان كنت جزءا منها أعطيتك وان كنت غنيا عنها فانما هي صداع في الرأس وداء في البطن فقلت يا رسول الله هذان كتاباك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم قلت اني سمعتك تقول لا خير في الامارة لرجل مسلم وأنا رجل مسلم وسمعتك تقول من سأل الصدقة وهو عنها غني فانما هي صداع في الرأس وداء في البطن وأنا غني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الذي قلت كما قلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على رجل من قومك أستعمله فدللته صلى الله عليه وسلم على رجل منهم فاستعمله قلت يا رسول الله ان لنا بئرا اذا كان الشتاء كفانا ماؤها وان كان الصيف قل علينا وتفرقنا على المياه والاسلام فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا في بئرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولني سبع حصيات فناولته ففركهن في يده الشريفة ثم دفعهن الي وقال اذا انتهيت اليها فالق فيها حصاة حصاة وسم الله قال ففعلت فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة * ومنها وفد غسان اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه ومنهم بنو حنيفة وقيل غسان قبيلة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر من غسان فأسلموا وقالوا لا ندري هل يتبعنا قومنا أم لا وهم يحبون بقاء ملكهم وقرب هم من قيصر فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز وانصرفوا راجعين الى قومهم

فلما قدموا عليهم ولم يستجيبوا لهم كتموا اسلامهم * ومنها وفد سلامان بفتح السين وتخفيف اللام وفى العرب بطون ثلاثة منسوبون اليه بطن من الازد وبطن من طيء وبطن من قضاعة وهم هؤلاء وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من سلامان فيهم خبيب بن عمر السلاماني فأسلموا * قال وعن خبيب رضي الله عنه صادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد الى جنازة دعى اليها فقلنا السلام عليك يارسول فقال وعليكم السلام من أنتم قلنا نحن من سلامان قدمنا اليك لنبايعك على الاسلام ونحن على من ورائنا من قومنا فالتفت صلى الله عليه وسلم الى ثوبان غلامه فقال أنزل هؤلاء وسألنا عن أشياء انتهى * قال خبيب رضي الله عنه قلت يارسول الله ما أفضل الاعمال قال الصلاة فى وقتها وصلوا معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الظهر والعصر ثم شكوا له صلى الله عليه وسلم جدب بلادهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أسقهم الغيث فى دارهم فقلت يارسول الله ارفع يديك فانه أكثر وأطيب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قام صلى الله عليه وسلم وقمنا معه وأقمنا ثلاثة أيام وضيافته صلى الله عليه وسلم تجرى علينا ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فأعطينا خمس أواق فضة لكل واحد واعتذر الينا بلال رضي الله عنه وقال ليس عندنا اليوم مال فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه ثم رجعنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت فى اليوم الذى دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومنها وفد بنى عبس وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من بنى عبس فقالوا يارسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواشى هى معاشنا فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا من آخرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم أى ينقصكم من أعمالكم شيأ وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان هل له عقب فأخبروه أنه لا عقب له كانت له ابنة فانقرضت وأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن خالد بن سنان وقال انه نبى ضيعه قومه وجاء ليس بينى وبين عيسى عليه الصلاة والسلام نبى أى واذا صح شيء من الاحاديث التى ذكر فيها خالد بن سنان أو غيره يكون معناه لم يكن بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام نبى مرسل أى وتقدم ما فى ذلك * (ومنها وفد النخع) * أى بفتح النون والخاء المعجمة قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود وكان وفودهم سنة احدى عشرة فى النصف من المحرم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا رجل من النخع

مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يارسول الله اني رأيت في سفري هذا عجبا أي وفي رواية رأيت رؤيا هالتني * قال وما رأيت قال رأيت أتانا تركتها في الحي ولدت جديا أي وهو ولد المعز أسفع أحوى أي والاسفع الذي سواده مشرب بحمرة والاحوى الذي ليس شديد السواد ومن ثم فسر بالاخضر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت أمة لك مصرة على حمل قال نعم قال فانها تلد غلاما وهو ابنك قال يارسول الله فاله أسفع أحوى قال ادن مني فدنا منه فقال هل بك من برص تكتمه * قال فوالذي بعثك بالحق ماعلم به أحد ولا أطلع عليه غيرك قال هو ذاك قال يارسول الله ورأيت النعمان بن المنذر أي وهو ملك العرب وعليه قرطان والقرط مايكون في شحمة الاذن ودملجان بضم الدال المهملة وضم اللام وفتحها ومسكتان بضم الميم وسكون المهملة قال ذاك ملك العرب رجع الى أحسن زيه وبهجته قال يارسول الله ورأيت عجوزا شمطا أي يخالط شعر رأسها الابيض شعر أسود خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا * قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو وهي تقول لظى لظى بصير وأعمى اطعموني أكلكم أهلكم ومالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في آخر الزمان قال يارسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس امامهم ويشتجرون اشتجارا اطباق الرأس ويشتجرون بالشين المعجمة وبالجيم أي يشتبكون في الفتنة اشتباك أطباق الرأس وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصبعيه يحسب المسيء فيها أنه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أسهل أي وفي لفظ أحلى من شرب الماء البارد وان مات ابنك أدركت الفتنة وان مت أنت أدركها ابنك فقال يارسول الله ادع الله أني لا أدركها فقال رسوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركها فمات وبقي ابنه عمرو ولم يجتمع به صلى الله عليه وسلم فهو تابعي وكان ممن خلع عثمان رضي الله عنه * قال وفي رواية ان النخع بعثت رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم أرطاة بن شرحبيل من بني حارثة والارقم من بني بكر فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الاسلام فقبلاه فبايعاه على قومهما وأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما وحسن هيئتهما وقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومنا هل خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما قالا يارسول الله قد خلفنا وراءنا سبعين رجلا كلهم أفضل منا وكلهم يقطع الامر وينفذ الاشياء مايشاء فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير * وقال

اللهم بارك فى النخع وعقد صلى الله عليه وسلم لارطاة لواء على قومه فكان فى يده يوم الفتح وشهد به القادسية وقتل يومئذ رضى الله عنه * وقوله وكان فى يده يوم الفتح لا يناسب ما تقدم أن وفد النخع كان قدومه فى سنة احدى عشرة الا أن يقال ان هذين وفدا قبل وفود ذلك الجمع وقد ترك الاصل التعرض لجملة من الوفود وذكرت فى السيرة العراقية والسيرة الشامية تركناها تبعا للاصل منها ان عمرو بن مالك وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم رجع الى قومه فدعاهم الى الاسلام فقالوا حتى نصيب من بنى عقيل مثل ما أصابوا منا فكان بينهم وبين بنى عقيل مقتلة وكان عمرو بن مالك هذا من جملة من قاتل معهم فقتل رجلا من بنى عقيل قال عمرو فشددت يدى فى غل وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغه ما صنعت فقال صلى الله عليه وسلم ان أتانى لاضرب ما فوق الغل من يده * فلما جئت سلمت فلم يرد على السلام وأعرض عنى فأتيته عن يمينه فأعرض عنى فأتيته عن يساره فأعرض عنى فأتيته من قبل وجهه فقلت يارسول الله ان الرب عز وجل ليترضى فيرضى فارض عنى رضى الله عنك قال رضيت وتقدم أنه قد جاء فى الصحيح لا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والله أعلم

(باب بيان كتبه صلى الله عليه وسلم التى أرسلها الى الملوك يدعوهم الى الاسلام)

أى فى الغالب والا فنها ما ليس كذلك وهذه غير كتبه صلى الله عليه وسلم التى كتبها بالامان التى تقدم ذكرها أى ولما أراد صلى الله عليه وسلم ان يكتب للملوك قيل له يارسول الله انهم لا يقرؤن كتابا الا اذا كان مختوما أى ليكون فى ذلك اشعار بأن الاحوال المعروضة عليهم ينبغى أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وفيه أن هذا واضح اذا كان الختم عليها بعد طيها أو يجعل عليها نحو شمع ويختم فوق ذلك والظاهر ان ذلك لم يكن وحينئذ يكون الغرض من ذلك أمن التزوير لبعده مع الختم فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة أو بعد أن اتخذ خاتما من ذهب فاقتدى به ذوو اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب ولما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لبس أصحابه رضى الله عنهم خواتيمهم فجاءه جبريل عليه السلام بعد من الغد بأن لبس الذهب حرام على ذكور أمتك فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخاتم فطرح أصحابه خواتيمهم * وكان نقش خاتمه الفضة ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر * وفى حديث موضوع كان نقش خاتمه صدق

الله وفى رواية شادة أنه بسم الله محمد رسول الله والاسطر الثلاثة تقرأ من أسفل
الى فوق فمحمد آخر الاسطر ورسول فى الوسط والله فوق كذا قال بعض أئمتنا
* قال فى النور والذى يظهر لى ان هذه الكتابة كانت مقلوبة حتى اذا ختم بها يختم
على الاستواء كما فى خواتم الكبراء اليوم وختم بذلك الخاتم الكتب * وكان فى يده
الشريفة ثم فى يد أبى بكر ثم فى يد عمر ثم فى يد عثمان رضى الله عنهم حتى وقع فى بئر
اريس فى السنة التى توفى فيها عثمان رضى الله عنه فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه
* وذكر ان هذا الخاتم الذى كان فى يده صلى الله عليه وسلم ثم فى يد أبى بكر ثم فى يد
عثمان رضى الله عنهم كان الخاتم الحديد الذى كان ملويا عليه الفضة وانه الذى كان
فى يد خالد ابن سعيد فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما نقش هذا الخاتم قال محمد
رسول الله قال اطرحه الى فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسه فكان
فى يده ثم فى يد أبى بكر الحديث * وعن أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم
لبس خاتم فضة فصه حبشى أى من جذع لانه يؤتى به من بلاد الحبشة وقيل متخذ
من الزبرجد وانه الذى نقش فيه محمد رسول الله * وفى لفظ فصه منه وفى لفظ
فصه من عقيق أى ولا ينافى ذلك وصفه بأنه حبشى لان العقيق يؤتى به من بلاد
الحبشة ولم يرد أنه صلى الله عليه وسلم لبس خاتما كله عقيق وفى الحديث تختموا
بالعقيق فانه مبارك تختموا بالعقيق فانه ينفى الفقر قيل وكان خاتمه صلى الله عليه
وسلم فى خنصر يده اليسرى وهو المروى عن عامة الصحابة والتابعين رضوان الله
عليهم أجمعين وقيل كان فى خنصر يمينه صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عباس
رضى الله عنهما وطائفة ومنهم عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه
وسلم يتختم فى يمينه وقبض والخاتم فى يمينه * قال بعضهم وهذا رواه عبيدة بن القاسم
وهو كذاب أى وهو مخالف ما جمع به البغوى بأنه تختم أولا فى يمينه ثم تختم به
فى يساره وكان ذلك آخر الامرين * وروى أشعب الطامع عن عبد الله بن جعفر
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى اليمنى * قال الامام النووى
رحمه الله التختم فى اليمنى أو اليسار كلاهما صح فعله عن النبى صلى الله عليه وسلم
لكنه فى اليمين أفضل لانه زينة واليمين بها أولى هذا كلامه أى ولان ابن أبى
حاتم نقل عن أبى زرعة انه كان فى يمينه صلى الله عليه وسلم أكثر منه فى يساره وكان
يجعل فصه مما يلى كفه وتقدم ان الخاتم الذى لبسه صلى الله عليه وسلم يوما والقاه
كان من الذهب وقيل كان ذلك الخاتم من حديد وقد قال صلى الله عليه وسلم للابس
خاتم الحديد مالى أرى عليك حلية أهل النار فطرحه ولعله لكون سلاسل أهل

النار وأغلالهم وقيودهم من حديد أي ثم جاءه وعليه خاتم من صفر أي نحاس فقال مالي أجد فيك ريح الاصنام * واهل الاصنام كانت تتخذ من نحاس غالبا ثم أتاه وعليه خاتم من ذهب فقال مالي أرى عليك حلية أهل الجنة أي المختص أباحتها بأهل الجنة في الجنة قال يارسول الله من أي شيء اتخذه قال من ورق ولا تتمه مثقالا أي وزن مثقال لكن في رواية أبي داود ولا تتمه مثقالا ولا قيمة مثقال وهي تفيد أن الخاتم اذا كان دون مثقال وزنا لكن بلغ بالصنعة قيمة مثقال كان منهيا عنه * وفي الحديث ماظهر الله كفا فيه خاتم من حديد وهو يفيد كراهة لبس الخاتم الحديد وفي كلام الشمس العلقمي ولا يكره كونه من نحو حديد ونحاس لحديث الشيخين التمس ولو خاتما من حديد فليتأمل * وعند عزمه صلى الله عليه وسلم على ارسال الكتب وتكلم مع أصحابه في ذلك خرج على أصحابه يوما فقال أيها الناس ان الله بعثني رحمة وكافة فادوا عني رحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم عليه السلام فقال أصحابه رضي الله عنهم وكيف اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام يارسول الله قال دعاهم لمثل مادعوتكم له فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضي وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وأبا فشكى ذلك عيسى الى ربه فاصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى قيصر)

المدعو هرقل ملك الروم على يد دحية الكلبي رضي الله عنه والدحية بلسان اليمن الرئيس وقيصر معناه في اللغة البقير لانه شق عنه لان أم قيصر ماتت في المخاض فشق عنه وأخرج فسمي قيصر وكان يفتخر بذلك ويقول لم أخرج من فرج أي لانه شق عنه وأخرج فسمي قيصر وكان يفتخر بذلك ويقول لم أخرج من فرج أي

لا لكل من ملك الروم يقال له قيصر كتب صلى الله عليه وسلم كتابا لقيصر يدعوه الى الاسلام * وبعث به دحية الكلبي رضي الله عنه وأمره أن يدفعه الى قيصر ففعل كذلك أي بعد ان قال صلى الله عليه وسلم من ينطلق بكتابي هذا فيسير الى هرقل وله الجنة * وقيل أمره صلى الله عليه وسلم دحية أن يدفعه الى عظيم بصرى وهو الحارث ملك غسان ليدفعه الى قيصر ولما انتهى دحية رضي الله عنه الى الحارث أرسل معه عدي بن حاتم رضي الله عنه ليوصله الى قيصر فذهب به اليه فقال قومه لدحية رضي الله عنه اذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك قال دحية رضي الله عنه لا أفعل هذا أبدا ولا أسجد لغير الله قالوا اذا لا يؤخذ كتابك فقال له رجل منهم أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له فقال

دحية رضي الله عنه وماه رفقال أن له على كل عتبة منبراً يجلس عليه فصنع صيفتك تجاه المنبر فان أحداً لا يحركها حتى يأخذ هلموتم يدعو صاحبها فيفعل فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية ثم قال انظروا التامن قومه أحداً نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه بالشام أي بغزة مع رجال من قريش في تجارة زمن هدنة الحديبيه أي وكان أولها في ذي القعدة سنة ست * وقيل كتب اليه صلى الله عليه وسلم من تبوك وذلك في السنة التاسعة وجمع بينهما بأنه صلى الله عليه وسلم كتب لقيصر مرتين والاول هو ما في الصحيحين والثاني قاله السهيلي واستدل له بخبر في مسند الامام أحمد أي وأغرب من قال أن الكتابة له كانت سنة خمس * قال أبو سفيان فأتانا رسول قيصر أي وهو والى شرطته فانطلق بنا حتى قدمنا عليه أي في بيت المقدس فاذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله فقال لترجمانه أي وهو المعبر عن لغة بلغة وهو معرب وقيل اسم عربي سلهم أيهم أقرب نسباً لهذا الذي يزعم أنه نبي * أي وفي لفظ لهذا الرجل لذي خرج بأرض العرب يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان أنا أقربهم نسباً اليه لانه لم يكن في الركب يومئذ من بني عبد مناف غيري أي لان عبد مناف هو الاب الرابع له صلى الله عليه وسلم وكذا لابي سفيان أي وزاد في لفظ ماقرابتك منه قلت هو ابن عمي فقال له ادنوه مني ثم أمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري ثم قال لترجمانه قل لاصحابه انما قدمت هذا امامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي وانما جعلتكم خلف ظهره لتردوا عليه كذباً قاله أي حتى لا تستحيوا أن تشافهوه بالتكذيب اذا كذب * قال أبو سفيان فوالله لولا الحياء يومئذ أن يردوا على كذباً لكذبت ولكني استحيت فصدقت وأنا كاره * أي وفي رواية لولا مخافة أن يؤثر عني الكذب لكذبت أي لولا خفت أن ينقل عني الكذب الى قومي ويتحدثوا به في بلادي لكذبت عليه لبغضي اياه ومحبتي نقصه وبه يعلم أن الكذب من القبائح جاهلية واسلاما ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم قلت هو منا ذو نسب قال قل له هل قال هذا القول أحد منكم قبله قلت لا قال قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس قبل أن يقول ماقال قلت لا أي * وفي رواية هل كان خلافا كذابا مخادعا في أمره لغيره يطلب ملكا وشرفا كان لاحد من أهل بيته قبله * قال هل كان من آبائه ملك قلت لا أي وزاد في رواية كيف عقله ورأيه قال لم نعب عليه عقلا ولا رأيا قط * قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم أي والمراد بأشراف الناس أهل النخوة وأهل

التكبر فلا يرد مثل أبي بكر وعمر وحمزة رضي الله عنهم ممن أسلم قبل هذا السؤال
وعند ابن اسحق رحمه الله تبعه منا الضعفاء والمساكين والاحداث واما ذووا
الاحساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو محمول على الاكثر الاغلب أي الاكثر
والاغلب أن اتباعه صلى الله عليه وسلم ضعفاء * قال فهل يزيدون أو ينقصون
قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه أي كراهية له وعدم رضاه به
بعد أن يدخل فيه قلت لا * ولا يقال هذا منتقض بما وقع لعبد الله بن جحش حيث
ارتد ببلاد الحبشة لانه لم يرتد كراهية للاسلام بل لغرض نفساني كما تقدم قال
فهل يغدر اذا عاهد قلت لا ونحن الآن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها * قال
فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف حربكم وحربه قلت دول وسجال ندال عليه مرة أي
كما في أحد ويدال علينا أخرى أي كما في بدر وقد تقدم في أحد أن أبا سفيان رضي
الله عنه قال يوم أحد بيوم بدر والحرب سجال أي نوب * وفي لفظ قال أبو سفيان
انتصر علينا مرة يوم بدر وأنا غائب ثم غزوتهم في بيوتهم يبقر البطون ويجدع الاذان
والانوف والفروج وأشار بذلك الى يوم أحد قال فما يأمركم به قلت يأمرنا أن نعبد
الله وحده ولا نشرك به شيأ * أي والذي في البخاري يقول اعبدوا الله وحده
ولا تشركوا به شيأ وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدقة وفي لفظ
والزكاة وفي لفظ جمع بين الصدق والصدقة والعفاف أي ترك المحارم وخوارم
المروءة ويأمرنا بالوفاء بالعهد واداء الامانة فقال الترجمان قل له أني سألتك عن
نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل
هذا القول قاله أحد منكم قبله فزعمت أن لا ولو كان أحد منكم قال هذا القول
قبله لقلت هو يأتم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل
أن يقول ما قال فزعمت أن لا فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس
ويكذب على الله تعالى وسألتك هل كان من آبائه ملك فقلت لا لو كان من
آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم
ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل لان الغالب أن أتباع الرسل أهل
الاستكانة لا أهل الاستكبار وسألتك هل يزيدون أو ينقصون فزعمت أنهم
يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن
يدخل فيه فزعمت أن لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب اذا حصل به
انشراح الصدور والفرح به لا يسخطه أحد وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم وان حربكم
وحربه دول وسجال يدال عليكم مرة وتدالون عليه أخرى وكذلك الرسل تبتلى ثم